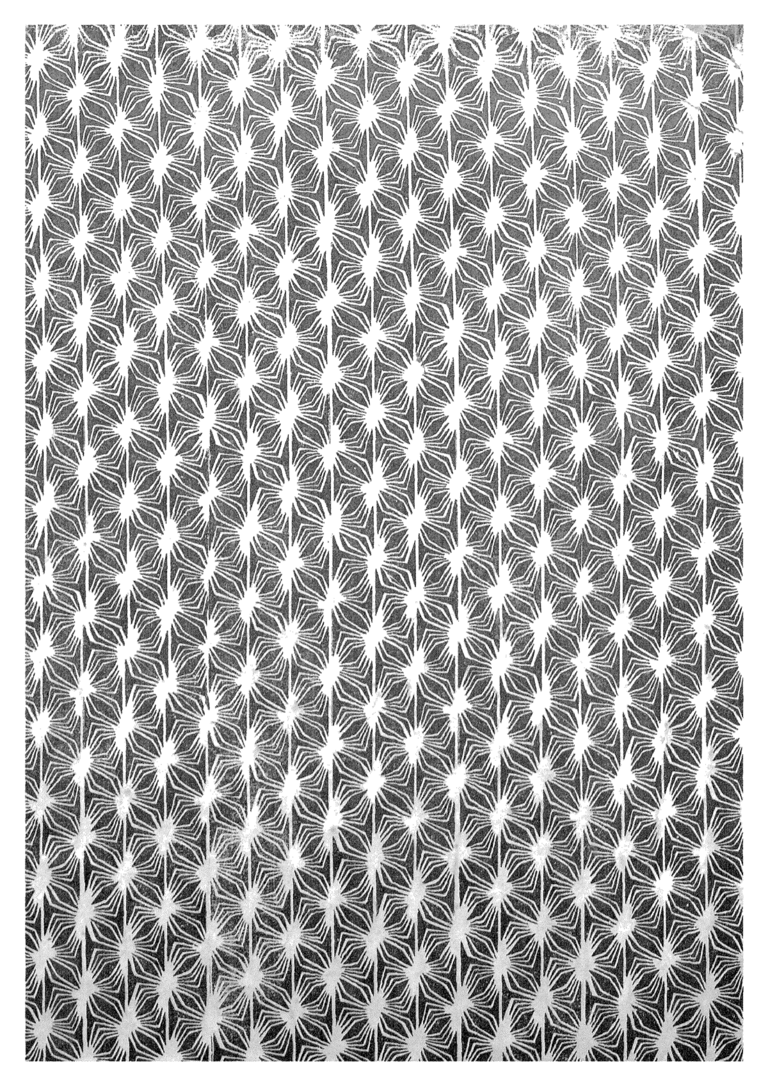
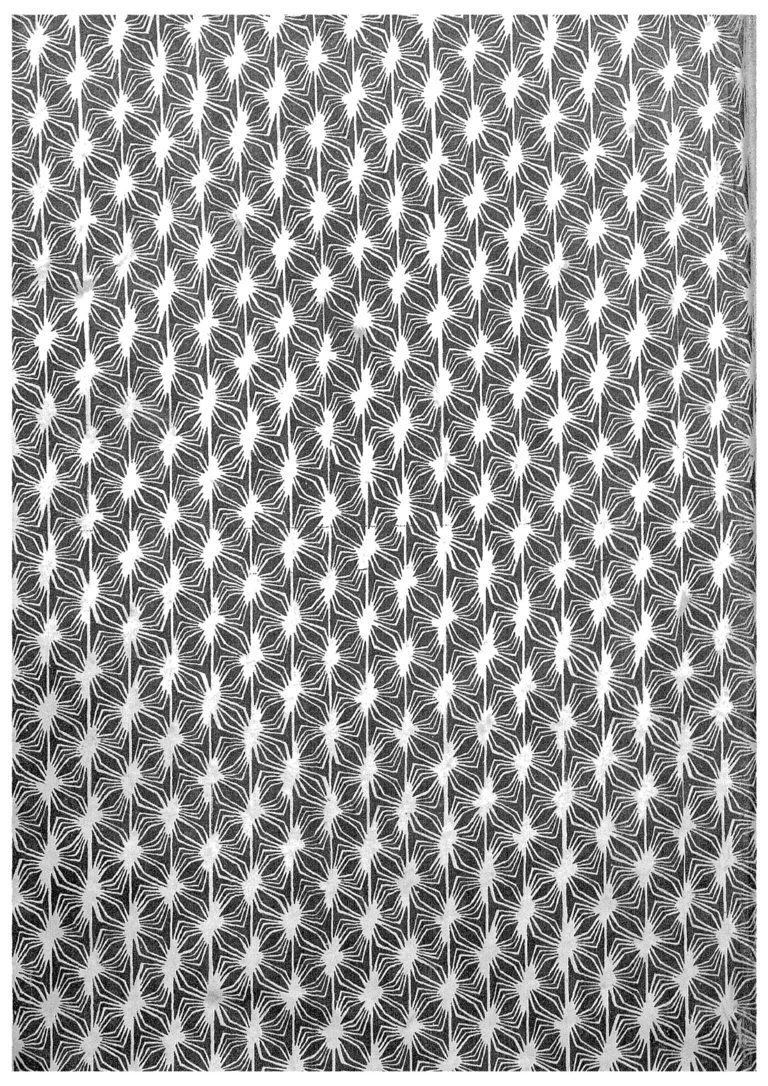
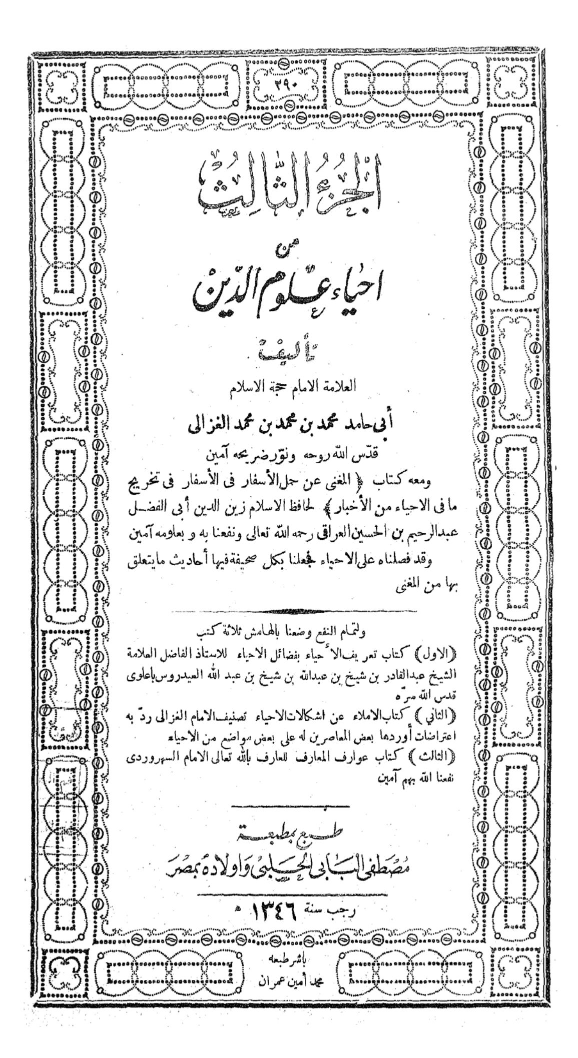






اهداءات ١٩٩٩
المرحوم فضيلة الاستاذ
الدكتور/ محمد عبد الله دراز



٣٩٠

# الجزء الثالث

من

# احياء علوم الدين

تأليف

العلامة الامام حجة الاسلام

**أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى**

قدّس الله روحه ونوّر ضريحه آمين

ومعه كتاب « المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار » للحافظ الاسلام زين الدين أبى الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقى رحمه الله تعالى ونفعنا به و بعلومه آمين

وقد فصلناه على الاحياء فجعلنا بكل صحيفة فيها أحاديث مايتعلق بها من المغنى

ولتمام النفع وضعنا بالهامش ثلاثة كتب

(الاول) كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للاستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى قدس الله سرّه

(الثاني) كتاب الاملاء عن اشكالات الاحياء تصنيف الامام الغزالى ردّ به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحياء

(الثالث) كتاب عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردى نفعنا الله بهم آمين

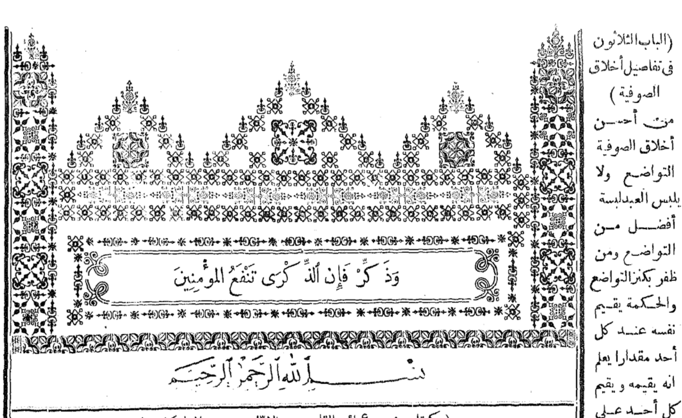

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر

رجب سنة ١٣٤٦ هـ

باشر طبعه

محمد أمين عمران




## ( كتاب شرح عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات )

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى تتحيرون ادراك جلاله القلوب والخواطر * وتدهش فى مبادى اشراق أنواره الاحداق والنواظر * المطلع على خفيات السرائر * العالم بمكنونات الضمائر * المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب وغفار الذنوب * وستار العيوب * ومفرج الكروب * والصلاة على سيد المرسلين * وجامع شمل الدين * وقاطع دابر الملحدين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا (أما بعد) فشرف الانسان وفضيلته التى فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التى هى فى الدنيا جماله وكماله وفخره وفى الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعى الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذى يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره * وهو العاصى المتمرد على الله تعالى وانما السارى الى الاعضاء من الفواحش آثاره * وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى أسفل السافلين وينخفض الى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى الى أعلى عليين ويرتقى الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن

(الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية) من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقدارا يعلم انه يقيمه ويقيم كل أحد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها الا العالمون (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا عثمان بن عبد الله قال أنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا عبد الرحمن بن حمدان قال ثنا أبو حاتم الرازى قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب عن سنان بن

الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين واذ فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلابد أن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الافهام

﴿ بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي ﴾

اعلم ان هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا ﴿اللفظ الاول﴾ لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين * أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين * والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين * أحدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة * والثاني أن تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وذلك مما (١) لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها ﴿اللفظ الثاني﴾ الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين * أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الأبدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا * المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والافهام عن درك حقيقته ﴿اللفظ الثالث﴾ النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لانهم يريدون

(١) حديث انه ﷺ لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم فعلمت أنه يوحى اليه الحديث وقد تقدم

سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أوحى الي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض وقال عليه السلام في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس (وكان) من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين (وأخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمي قال أنا أحمد بن علي المقري قال أنا محمد ابن المنهال قال حدثني أبي عن

بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام (١) أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك * المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات ﴿اللفظ الرابع﴾ العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان أحدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك أعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) أول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

## ﴿بيان جنود القلب﴾

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم

محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وان ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر (وورد) أيضا عنه عليه السلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة (سئل الجنيد) عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب (وسئل) الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه (وقال أيضا) من رأى لنفسه

جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شئ وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الاسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزوّد منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لابدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزوّد من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لاجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث اما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة واما إلى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوّة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوّة البطش انما هي بالاصابع وقوّة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشئ يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شئ يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوّة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فتلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول

قيمة فليس له في التواضع نصيب (وقال) وهب بن منبه مكتوب في كتب الله اني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا إليّ من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته (وقيل) من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حفص من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر (وقال لقمان عليه السلام) لكل شئ مطية ومطية العمل التواضع (وقال

ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من أفهامهم ﴿بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة﴾

اعلم أن جندى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذى يسلكه وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغى وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله إلى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتى شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم فى استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغى أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة ﴿المثال الاوّل﴾ أن نقول مثل نفس الانسان فى بدنه أعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك فى مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح فى آرائه وتدبيراته حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالى فى مملكته إذا كان مستغنيا فى تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته فى أن الصواب فى نقيض رأيه وأدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الأخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى (المثال الثانى) اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعنى المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدوّ ينازعه فى مملكته ويسعى فى اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوّه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال تعالى والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى (١) فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك كما ورد فى الخبر وإلى هذه المجاهدة الاشارة بقوله ﷺ (٢) رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر (المثال الثالث) مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل

(النورى) خمسة أنفس أعز الخلق فى الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى (وقال الجلاء) لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ماغاية التواضع قال ان تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه فى سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤس الاسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاوانى حتى تفرغ قال للخادم أحضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تردّ الضالة الخبر لم أجد له أصلا

(٢) حديث رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر البيهقى فى الزهد من حديث جابر وقال هذا اسناد فيه ضعف

باشارته

باشارته مطيعافهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ماطلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاشهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه

﴿ بيان خاصية قلب الانسان ﴾

اعلم أن جملة ماذكرناه قدأنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى اذللحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر مايختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة أما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فان هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذيحكم الانسان بان الشخص الواحد لايتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة هذاحكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما أدركه الحس واذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر وأما الارادة فانه اذا أدرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطى أسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة فى حين المرض والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولوخلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وارادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة فى حق الصبى ثم الصبى فى حصول هذه العلوم فيه له درجتان * احداهما أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة الا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذى لايعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قدقارب الكتابة ولم يبلغها بعد * الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذيقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هى غاية درجة الانسانية ولكن فى هذه الدرجة مراتب لاتحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهى على سبيل المباداة والمكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطىء الحصول وفى هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لانهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبى الذى تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهى فى أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لابالمكان والمسافة ومراقى هذه الدرجات هى منازل السائرين الى الله تعالى ولاحصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه فيعرفه ويعرف ماخلفه من المنازل فاما مابين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبى ونصدق بوجوده ولكن لايعرف حقيقة النبوة إلا النبى وكما لايعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز ومايفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لايعرف العاقل ماافتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن انما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله

واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه مانازل باطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله *أخبرنا أبو زرعة اجازة عن أبى بكر ابن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن فاما اللواتى فى الظاهر فصدق فى اللسان وسخاوة فى الملك وتواضع فى الابدان وكف الاذى واحتماله بلا إباء وأما اللواتى فى الباطن فحب وجود سيده وخوف الفراق من سيده ورجاء

تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم (١) ان لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له و بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه (٢) عز وجل لقد طال شوق الأبرار الى لقائي وأنا الى لقائهم أشد شوقا و بقوله تعالى (٣) من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالأواني فادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٤) لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل و يختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور و يفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى و ينسل فنبات ومن حيث يحس و يتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا ور بانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط الى حضيض أفق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب أو سنور أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا و يمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والأعضاء خدمه فيستقر هو أعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك و يجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريد اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده و يجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه و يجري اللسان مجرى ترجمانه و يجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه و يجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها باخبار صقع من الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم و يؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد و يسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة و يعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة أو

(١) حديث ان لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار الى لقائي الحديث لم أجد له أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس اسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام

الوصول الى سيده والندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع في الخلق حسن ولكن في الاغنياء أحسن والتكبر سمج في الخلق ولكن في الفقراء أسمج * وقال ذو النون ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل واحد * وقيل لأبي يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها ولا يرى أن في الخلق شرا منه * قال بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد من التكبر مع الأدب والسخاء

استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لأعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه أشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت (١) الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها اليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبي بن كعب رضي الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب

## ﴿ بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته ﴾

اعلم أن الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقور وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم

وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالكبر *والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به ويفضي الى تضييع حقه وقد انفهم من كثير من اشارات المشايخ في شرح التواضع أشياء الى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج الافراط الى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم في ذلك

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث أبي ذر أما الأذن فقمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شئ

البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله مثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم أو فى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجداله مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لاشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابداله مطيعا سامعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا بالفكر فى حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتاله أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ماهى عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب فى حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب أما الآثار المحمودة التى ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب فى الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله ﷺ (١) اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله ﷺ (٢) من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة ومافيها من الاخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا أذنب العبد ذنبا نكتت فى قلبه نكتة سوداء

(١) حديث اذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة واسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ لم أجد له أصلا

فاذا

المبالغة فى قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل أن ينفك مريد فى مبادى ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالاعجاب وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم فى مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو فى ابتداء أمرهم وذلك اذا حقق صاحب البصيرة نظره يعلم أنه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس اذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لايجفو على الوقت وصلافة الحال

فاذاهونزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لاتخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ـ ان الذين اتقوا اذامسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون ـ فأخبر أن جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وأنه لايتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

## ﴿ بيان مثل القلب بالاضافة الى العلوم خاصة ﴾

اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لايحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لان عين الانسان لاتحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لاتنكشف فيها الصورة لخمسة أمور ✻ أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل ✻ والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل ✻ والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة ✻ والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة ✻ والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لاينجلي له المعلومات لنقصانه ✻ والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٣) من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لايزول أثرها اذغايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم (٣) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا لم أرله أصلا

فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلي وقول بعضهم قدمي على رقبة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجمت وطفت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج الي أحد اشارة منه في ذلك الى تفرده في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم انه من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشئ من ذلك ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه في الصحة ويقال

تتقدم السيئة لازداد لامحالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب و يصفيه ولذلك قال الله تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ وقال ﷺ (١) من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم * الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى * الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه و بين حقيقة الحق و يمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم و بين درك الحقائق * الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لاتقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان و يزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار و بعير وانسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان و بينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول و بكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها و يرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل ـ انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ـ اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها الأسباب التى ذكرناها ولذلك قال ﷺ

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم

ان ذلك طفح عليهم فى سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ أرباب التمكين لما علموا فى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا فى شرح التواضع الى حد ألحقوه بالضعة تداويا للمريدين والاعتدال فى التواضع أن يرضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجموح فى جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها الى مركز النار احتاجت التداوى بالتواضع وايقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق

(١) كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله ﷺ (٢) لولا
أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء اشارة إلى بعض هذه الاسباب التي
هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله
يارسول الله (٣) أين الله في الارض أو في السماء قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى (٤) لم يسعني أرضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر أنه (٥) قيل يارسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن
مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال
عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك
والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان
السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه
على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي
يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت
دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى
الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق
الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما
مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تزكيته حصول أنوار
الايمان فيه أعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله
أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب (المرتبة الاولى)
ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض (والثانية) ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته
قريبة من درجة ايمان العوام (والثالثة) ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب
بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات (الاولى) أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه
بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد
وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته
وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف
ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب
اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيما سمع من
الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم
إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم ألقي إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي
إليهم كلمة الحق (الرتبة الثانية) أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا
أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أين الله قال في قلوب عباده المؤمنين
لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي ﷺ قال ان لله آنية من أهل الارض
وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث
قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع لم أر له أصلا وفي حديث أبي عتبة قبله عند
الطبراني بعد قوله وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال
كل مؤمن مخموم القلب الحديث ه من حديث عبد الله بن عمر باسناد صحيح

إليها الكبر فالكبر
ظن الانسان انه
أكبر من غيره
والتكبر اظهاره
ذلك وهذه صفة لا
يستحقها إلا الله
تعالى ومن ادعاها
من المخلوقين يكون
كاذبا والكبر
يتولد من الاعجاب
والاعجاب من
الجهل بحقيقة
المحاسن والجهل
الانسلاخ من
الانسانية حقيقة
وقد عظم الله تعالى
شأن الكبر بقوله
تعالى انه لا يحب
المستكبرين وقال
تعالى أليس في
جهنم مثوى
للمتكبرين وقد
ورد بقول الله تعالى
الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا
منهما قصمته وفي
رواية قذفته في نار
جهنم وقال عز وجل
ردا للانسان في
طغيانه إلى حده
ولا تمش في الارض
مرحا انك لن

على كونه فى الدار فيكون ايمانك وتصديقك و يقينك بكونه فى الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك انه فى الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت فى حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا يمكن أن يتطرق إليه إذا لصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكاة غرضا (الرتبة الثالثة) أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده وهذه هى المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهى تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى فى ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين و يتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم و بدرجات الكشف أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا فى الدار عن قرب وفى صحن الدار فى وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه فى بيت أو من بعد أو فى وقت عشية فيتمثل له فى صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل فى نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصوّر فى تفاوت المشاهدة للامور الالهية وأما مقادير العلوم فهو بان يرى فى الدار زيدا وعمرا و بكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

﴿بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية﴾

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم إلى عقلية و إلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعنى بها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهى تنقسم إلى ضرورية لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعنى أنه لا يدرى له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه أن الله هو الذى خلقه وهداه و إلى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال على رضى الله عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاوّل هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى (١) ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه (٢) إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوّة البصر فى العين وقوّة الابصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وان كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوّة إدراك البصر فى العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من

(١) حديث ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل ت الحكيم فى نوادر الاصول باسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم
(٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف

تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا وقال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وأبلغ من هذا قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى

كيف يزهو من رجيعه
ابد الدهر ضجيعه

واذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره فى بعض الجوارح وترشح الاناء بما فيه فتارة يظهر أثره فى العنق بالتمايل وتارة فى الخد بالتصعير قال الله تعالى ولا تصعر خدك للناس

جوهر ولاعرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى * أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فاياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لأن عجزه فى نفسه خيل اليه نقضا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الأعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها باوانى الدار فقال لهم ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاوانى فى مواضعها وانما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته الى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا أرضيت أحداهما أسخطت الأخرى ولذلك ترى الاكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفى بالأمرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال ﷺ (١) ان أكثر أهل الجنة البله أى البله فى أمور الدنيا وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال أن يظفر

وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالى لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وكما ان الكبر له انقسام على الجوارح والاعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكشف من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك الا أن العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة غير الكبر ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه واكرامها أن لا يضعها الاغراض

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبى فى التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى انه منكر

سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الالمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى مالا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والأول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ماقضى الله به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ماهو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب

عاجلة دنيوية كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها (قال بعضهم) للحسن ما أعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى تستكبرون في الارض بغير الحق فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف الى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤيد في ذلك ولا يثبت عليه الا أقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والصديقين (قال بعضهم) من تكبر فقد أخبر عن نذالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه (وقال الترمذي)

مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شئ سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهى الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أن ينتهى الى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على الندور فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حال فثباته أبعد منه اذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله ﷺ (١) قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها وقال عليه أفضل الصلاة والسلام (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب الى الغرض وزعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبى ﷺ لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والالهام من غير تكرير وتعليق فأنا أيضا ربما انتهت بى الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

## ﴿ بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس ﴾

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين * أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا فى الارض احتمل أن يساق اليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله * فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من

---

(١) حديث قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها أحمد وك وصححه من حديث المقداد بن الأسود

(٢) حديث قلب المؤمن بين صبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر

---

التواضع على ضربين الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه فاذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيأ مما أطلق له من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى * واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا عليه السلام فى أوطان

عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما أن المهندس يصوّر أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كأنه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض و بقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والارض في نفسه كأنه يشاهدهما و ينظر اليهما ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني و يتبعه وجوده الحقيقي و يتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال و يتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب و بعض هذه الموجودات روحانية و بعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والارض على اتساع أكنافها فيها ثم يسري من وجودها في الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها و بعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس و يحكي صورتها فهما ارتفع الحجاب بينه و بين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة و باب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ماسيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ (١) سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يارسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء و بين علوم العلماء والحكماء

القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا مني أنه عند بعض أزواجه فطلبته في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وأقر بك لساني وها أنا ذا بين يديك ياعظيم ياغافر الذنب العظيم وقوله عليه السلام سجد لك سوادي وخيالي استقصاء في التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا و باطنا ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ورواه ك بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم أثقالهم و يأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف

هذا

هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين * المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم اليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة مالا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد روي في الخبر [1] ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدميه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد في ميدانه والذي أعطي نورا على ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا أيضا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها الرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الأنبياء كالشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر [2] أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لأمر باخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها

(١) حديث ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على ابهام قدمه الحديث الطبراني وك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من ايمان الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادات ان أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية (ومن أخلاق الصوفية) المداراة واحتمال الاذى من الخلق وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة من قبله وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به * وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقي

وكذلك قوله ﷺ (١) ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عزوجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقال ﷺ (٢) أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب وقال ﷺ (٣) فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى وفى رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم الى الغنى الذى يملك الأرض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

## ﴿ بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد ﴾

اعلم أن من انكشف له شئ ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغى أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال ﷺ (٤) من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه و يرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم و يفطنه من غير تجربة وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان ﷺ يكثر فى دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام (٥) اللهم أعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى قبرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا حتى قال فى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى وسئل ﷺ عن قول الله تعالى (٦) أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال ﷺ (٧) لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال

---

(١) حديث ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان أو المؤمن الطبرانى من حديث سلمان بلفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا نعلم شيئا خيرا من مائة مثله الا الرجل المؤمن واسنادهما حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى ت من حديث أبى أمامة وصححه وقد تقدم فى العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تقدم فى العلم دون قوله ووفقه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطنى نورا وزدنى نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث سئل عن قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الحديث وفى المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم (٧) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحب وك وصححه وقد تقدم فى العلم

---

قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمداراة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية واحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

علي رضي الله عنه (١) ماعندنا شئ أسره النبي ﷺ الينا الا أن يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال ﷺ (٢) اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله ﷺ انه قال (٣) العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال ﷺ (٤) ان من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر *

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته انما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته ياسارية الجبل الجبل اذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت اليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين النظر لتتوبن أو لأعزرنك فقلت أوحي بعد النبي فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة * وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى ألطافا خفية وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما أنا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت مافتح اليوم علي بشئ الا دفعته الى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال وقمت فاخذتها وخرجت واذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت

---

(١) حديث علي ماعندنا شئ أسره الينا رسول الله ﷺ الا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه تقدم في آداب تلاوة القرآن (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث العلم علمان الحديث تقدم في العلم (٤) حديث ان من أمتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر ورواه م من حديث عائشة

---

لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد الصريفيني قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن حبابة قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال أنا شعبة عن الأعمش عن يحيي بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم (وفي الخبر) أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان اذا أصبح قال

اليه وناولته الدنانير فقال أعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله عزوجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدني سبع فعدت الى أبي الخير وقلت قصدني سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد * وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل أنكر التفصيل * والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران * أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * الثاني اخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا مما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيأ من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عزوجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدري فنظرت الى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام ان في أمتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم ينجلي لهم أمور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني فمن ضربني لا أضربه ومن شتمني لا أشتمه ومن ظلمني لا أظلمه (وأخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب قال أنا أبو الفتح الهروي قال حدثنا الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا ابن أبي عمر قال ثنا سفيان عن محمد ابن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم ألنت له القول قال يا عائشة ان من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس

﴿ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ﴾

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا أدرك بالحواس شيأ حصل منه أثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب أثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شئ الى شئ وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار وأعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لامحالة فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر أعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير أعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم أعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلابد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ـ ومن كل شئ خلقنا زوجين ـ فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال ﷺ (١) في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى ـ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ـ الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله ﷺ (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل

(١) حديث في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير الحديث ت وحسنه و ن في الكبرى من حديث ابن مسعود
(٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين الحديث تقدم

اتقاء فحشه * وروى أبو ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن فما شئ يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حجة النفس ورد طيشها ونفورها * وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء * وروى جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم على من تحرم النار

باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والا كباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال ﷺ (١) مامنكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير وانما كان هذا لأن الشيطان لايتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لاتنبسط إلا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لاتدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لايأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى إيثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء ابن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والامضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لايدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ـ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ـ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لاعبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى ـ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ـ وهو اشارة الى ان من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لاعبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص (٧) للنبي ﷺ يارسول الله (٢) حال الشيطان بيني و بين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر (٣) ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ماسوى مايوسوس به لأنه اذا خطر في القلب ذكر شئ انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شئ سوى الله تعالى وسوى مايتعلق به فيجوز أيضا ان يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه و يعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشئ الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ـ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون ـ وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى ـ من شر الوسواس الخناس ـ قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام و بين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى

(١) حديث مامنكم من أحد الاوله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود (٢) حديث ابن أبي العاص ان الشيطان حال بيني و بين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٣) حديث ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث ه ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس اسناده بالقوى عند أهل الحديث

(٧) قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص وفي العراقي مايشير لذلك اهـ

على كل هين لين سهل قريب * وروى أبو مسعود الانصاري رضي الله عنه قال أتى النبي عليه السلام برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد * وعن بعضهم في معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون ايسار بنو يسر * سواس مكرمة ابناء ايسار
لاينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

* وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من

استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله ﷺ (١) ان الشيطان واضع
خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح (٢) فى
حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لا يفلح وكما ان
الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك
قال ﷺ (٣) ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر
الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن
ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال
ﷺ (٤) ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين
آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق
الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد
وقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله ﷺ معنى
الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد
وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان
ولا يتصور أن ينفك عنه آدمى وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام (٥) ما من أحد إلا وله
شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان
فبعد هذا نظر من ينظر فى ذات الشيطان انه جسم لطيف أو ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان
ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه فى علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت فى ثيابه حية وهو
محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فصادمة
الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعى إلى الشر المحذور فى
المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغى أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته فى مواضع
كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا
من أصحاب السعير وقال تعالى ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين فينبغى للعبد أن
يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغى أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه
وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة
الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين فى علوم المكاشفات فلا يحتاج فى علم المعاملة إلى معرفته نعم ينبغى أن يعلم
أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم انه داع إلى الخير فلا يشك فى
كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدرى أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان أن يعرض الشر فى
معرض الخير والتمييز فى ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح
فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة
قد أشرفوا على النار أمالك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب

---

(١) حديث أنس ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان وأبو يعلى الموصلى وابن عدى فى الكامل وضعفه (٢) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبى وجه لا يفلح لم أجد له أصلا (٣) حديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم تقدم (٤) حديث ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سبرة بن أبى فاكه باسناد صحيح (٥) حديث ما من أحد الا له شيطان الحديث تقدم

---

الرفق فقد حرم حظه من الخير (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن ابن أبى طلحة الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله الحموى السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى ابن عمر السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال أنا محمد ابن أحمد بن أبى خلف قال ثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن اسحق قال حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفى رجلى نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفحنى نفحة بسوط فى

بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره باطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ (١) ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم (٢) وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روى ان إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم ﷺ فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لان له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس إبليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أي رجعوا إلى نور العلم فاذا هم مبصرون أي ينكشف لهم الاشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدافع إلا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال ﷺ (٣) ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث ان المؤمن ينضي شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة

يده وقال بسم الله أوجعتني قال فبت لنفسي لائما أقول أوجعت رسول الله قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان قلت هذا والله الذي كان مني بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لي انك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها * ومن أخلاق الصوفية الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود * قال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد

الغامضة فانهم لايهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مما يهدي الى غوامض طرقه والافطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه (١) خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين ﷺ كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي ﷺ أنه قال (٢) كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فاتوا بها اليه فابى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فاخذوه ليقتلوه بها فاتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فاطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الامور واليه الاشارة بقوله ﷺ (٣) من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

## ﴿بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب﴾

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان * فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال له ياموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله ﷺ خطا فقال هذا سبيل الله الحديث ن في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني اسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب الحديث بطوله في تأويل قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر . ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه لفظ خ

عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (وقال ذوالنون) من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار بالقوت (روى) عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة

فاشفع لي الى ربي أن يتوب علي فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عزوجل وأراد النزول قال له ربه أد الامانة فقال موسى يارب عبدك ابليس يريد أن تتوب عليه فاوحى الله تعالى الى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال ياموسى ان لك على حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم اذكرني اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي واياك ان تجلس الى امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكي أن ابليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شئ أعماه حرصه وأصمه اذ قال ﷺ (١) حبك للشئ يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها ياعدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص * ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا أملأ بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا ويقال في كثرة الاكل ست خصال مذمومة أولها ان يذهب خوف الله من قلبه الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس ان يهيج فيه الامراض * ومن أبوابه حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا أوقعه في ذلك فقد استغنى ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه * ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة

(١) حديث حبك الشئ يعمي ويصم أبو داود من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف

ولا نشاركهم فيها فأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ وقد أصابه جهد فقال يارسول الله اني جائع فأطعمني فبعث النبي ﷺ الى أزواجه هل عندكن شئ فكلهن قلن والذي بعثك بالحق نبيا ما عندنا الا الماء فقال رسول الله ﷺ ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال أنا يارسول الله فأتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرميه

التوددوالتحبب اليه و يدخل كل مدخل للوصول الى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبدالله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فانى أملكك اذا غضبت * ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت فى الامور وقال ﷺ (١) العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى وقال عز وجل - خلق الانسان من عجل - وقال تعالى - وكان الانسان عجولا - وقال لنبيه ﷺ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه - وهذا لان الاعمال ينبغى أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقى الارض فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة * ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى دارا يعمرها وليشترى جارية وليشترى أثاث البيت و يشترى الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيأ آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه * قال ثابت البنانى (٢) لما بعث رسول الله ﷺ قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤا وقالوا ما ندرى قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبى ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا * وروى ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فأخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا فى حجر فكيف بمن يملك المخاد الميثرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فتى ينشط لعبادة الله تعالى * ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق و يدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة بن عبدالرحمن ان الشيطان يقول ما غلبنى ابن آدم غلبة فلن يغلبنى على ثلاث ان آمره ان يأخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء * ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هى معشش الشياطين وقال أبو امامة ان رسول الله ﷺ

(١) حديث العجلة من الشيطان والتأنى من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناة وقال حسن
(٢) حديث ثابت لما بعث ﷺ قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا

ولا تدخرى عنه شيأ فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال فقومى عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيأ ثم اسرجى فاذا أخذ الضيف ليأكل قومى كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالى نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيأ ثم قامت فأثردت وأسرجت فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله وظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما

قال (١) ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء * ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوّ له اذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأني لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب الى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى عدوّ الله ابليس وعدوّ أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح أفعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر أنه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله ﷺ يقول (٢) لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه (٣) إعملي فاني لا أغني عنك من الله شيأ وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا أن ابليس قال سوّلت لامة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون

(١) حديث أبي أمامة ان إبليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير واسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا

(٢) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة (٣) حديث إني لا أغني عنك من الله شيأ قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة

أصبحوا غدوا الى رسول الله ﷺ فلما نظر اليهما تبسم رسول الله ﷺ ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿وقال﴾ أنس رضي الله عنه أهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوي وكان مجهودا فوجه به الى جاره فتداوله سبعة أنفس ثم عاد الى الاول فأنزلت الآية لذلك وروى ان أبا الحسن الانطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الري وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم

منها * ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات قال عبدالله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم و يفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم * ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم فى أصل الدين أو يخيل اليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور ومبتهج بما وقع فى صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ (١) ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبى ﷺ لم يأمر بالبحث فى علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام أن يؤمنوا و يسلموا و يشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم و يتركوا العلم للعلماء فالعامى لو يزنى و يسرق كان خيرا له من أن يتكلم فى العلم فانه من تكلم فى الله وفى دينه من غير اتقان العلم وقع فى الكفر من حيث لا يدرى كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما أردنا بما أوردناه المثال * ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى ــ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ــ فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر فى القيام بحقوقه أو يتوانى فى اكرامه و ينظر اليه بعين الاحتقار و يرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال ﷺ (٢) اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو ﷺ من ذلك روى عن على بن حسين (٣) أن صفية بنت حيى بن أخطب أخبرته أن النبى ﷺ كان معتكفا فى المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيى فقالا يارسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وانى خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين فى أحواله فيقول مثلى لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم و بعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسىء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث فى الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفى هذا القدر ماينبه على غيره فليس فى الآدمى صفة مذمومة الا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله * فان قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى فى ذلك

---

(١) حديث عائشة ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبزار وأبو يعلى فى مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلا (٣) حديث صفية بنت حيى ان النبى ﷺ كان معتكفا فأتيته فتحدثت عنده الحديث وفيه ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه

---

يأ كل أحد منهم ايثارا منه على نفسه (وحكى) عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به اليه فجئت اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت الى ابن عمى فاذا هو أيضا قد مات وسئل أبو الحسين البوشنجى عن الفتوة فقال الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الانصار فى قوله

ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه نعم اذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون - خصص بذلك المتقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل اذا أكل سمى الله فأظل جائعا واذا شرب سمى الله فأظل عطشانا واذا لبس سمى الله فأظل عريانا واذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل شيأ من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه * وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا ابليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا أمنعها من أرادها فاصنع ما شئت * وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال (١) كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن (٢) نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال ﷺ (٣) لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى كان الشيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك في الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال ان عفريتا من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا (٣) حديث أتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلا هكذا وللبخاري من حديث أبي هريرة ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث ون في الكبرى من حديث

والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعني جوعا وفقرا (قال) أبو حفص الايثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة (وقال) بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار انما الايثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذي معرفة * وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكا لا يصح منه الايثار لأنه يرى نفسه أحق بالشئ برؤية ملكه انما الايثار ممن يرى الاشياء كلها للحق فمن وصل اليه فهو أحق به فاذا وصل شئ من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها

لاصبح طريحا فى المسجد وقال ﷺ (١) ماسلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير الذى سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات فمهما طمعت فى أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضى الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة و يطمع أن ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهى تخلى القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله و يهديه إلى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان (٢) ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر أى أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه و يطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما أن الله تعالى قال ادعونى أستجب لكم وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعونى أستجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها و إذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه و يدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول و يكفيك القدر الذى ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان وأما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره ثبر والاعور ومبسوط وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فانه صاحب الزنا يأمر به و يزينه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده و يغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظالمين (٣) وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٤) وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد

إلى صاحبها أو يؤديها إليه وقال بعضهم حقيقة الايثار أن تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لايثارها محل أوذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت أن رسول الله ﷺ قال إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما بشرا فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الاكثر (أخبرنا) الشيخ ضياء الدين أبو النجم اجازة قال أنا أبو حفص عمر بن الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف

---

عائشة كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدى الحديث واسناده جيد

(١) حديث ماسلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ يا ابن الخطاب ما لقيك الشيطان سالكا فجا (٢) الحديث الوارد بان الذكر يا عمر يطرد الشيطان تقدم (٣) حديث ان شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبى العاص وقد تقدم أول الحديث (٤) حديث ان شيطان الوضوء

في ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله ﷺ (١) وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الارض قال يارب هذا الذي جعلت بيني و بينه عداوة ان لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزي بالسيئة سيئة و بالحسنة عشرا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يارب هذا العبد الذي كرمته على أن لا تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٢) خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال اني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم وهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يتمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة (٣) فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته قواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤) فكان يراه في صورة دحية الكلبي (٥) وكان رجلا حسن الوجه

الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شئ من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده (وقال سهل بن عبد الله) الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار (قيل) لما سمي بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنوري و بسط النطع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له

يسمى الوهان تقدم وهو عند ت من حديث أبي (١) حديث أبي أمامة وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وطب في المعجم الكبير باسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد ابن سنان وضعفه وك نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الخشني وقال صحيح الاسناد (٣) حديث انه ﷺ ما رأى جبريل في صورته الا مرتين الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث انه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله فدنا فتدلى قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث (٥) حديث انه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث اسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي ﷺ لام سلمة من هذا قالت دحية الحديث

والا كثرانه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة فيراه بعينه و يسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى الى رتبة لايمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة مايراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لابد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى ووجه الى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا أن الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لاتكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس أما الصورة التى تحصل فى الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لايرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهى من أسرار عجائب القلب ولايليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود أن تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لاعين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة و ينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

﴿ بيان مايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها ومايعفى عنه ولايؤاخذ به ﴾

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبى ﷺ انه قال (١) عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها مالم تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٢) ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفى لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفى لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فأما مايدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى

---

(١) حديث عفى لامتى عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبى هريرة ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها الحديث (٢) حديث أبى هريرة يقول الله اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه الحديث قال المصنف أخرجه م خ فى الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه فى الذكر

الى ماذا تبادر فقال أوثر اخوانى بفضل حياة ساعة وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا و باب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ماوجدوا فى البيت أن يباع فانفذوه الى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيأ ودخلت امرأته وعليها كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من بقية المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شئ ندخره عنه

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح * فنقول أول مايرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فان الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم * فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله ﷺ عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي ﷺ (١) يارسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا خصاء أمتي دؤب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله ﷺ إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به إلا انه ان لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه

(وقيل) مرض قيس بن سعد فاستبطأ اخوانه في عيادته فسأل عنهم فقالوا انهم يستحيون بما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبة داره بالعشي لكثرة عواده (وقيل) أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا جئتني قال لاربعمائة درهم دين علي فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفاتحني

(١) حديث ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وللدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله ﷺ فقال ياعثمان اني لم أومر بالرهبانية الحديث وفيه ومن رغب عن سنتي فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا وللبغوي والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يارسول الله اني رجل تشق علي هذه العزوبة في المغازي فتأذن لي يارسول الله في الخصاء فأختصي قال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه مجفرة ولأحمد والطبراني باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خصاء أمتي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص باسناد فيه ضعف ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاء فقال له رسول الله ﷺ ان الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف الحديث وه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنتي ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمي وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله واسناده جيد

ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده فى مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده فى موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جده فى الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختيارى والدليل على هذا التفصيل ماروى فى الصحيح مفصلا فى لفظ الحديث قال رسول الله ﷺ (١) قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائى وحيث قال فان لم يعملها أراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال ﷺ (٢) انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزنى بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ماروى عن النبى ﷺ أنه قال (٣) اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وهذا نص فى أنه صار بمجرد الارادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فاما فوت المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف مالا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله ﷺ وقالوا (٤) كلفنا مالا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فانزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به أن كل مالا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلابد وأن يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أى مايدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فان أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله ﷺ (٥) التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال ﷺ (٦) الاثم حواز القلوب وقال (٧) البر مااطمأن اليه القلب وان أفتوك وأفتوك حتى انا نقول اذا حكم القلب المفتى بايجاب شئ وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلى

(١) حديث قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال المصنف انه فى الصحيح وهو كما قال فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث انما يحشر الناس على نياتهم ه من حديث جابر دون قوله انما وله من حديث أبى هريرة انما يبعث الناس على نياتهم واسنادهما حسن و م من حديث عائشة يبعثهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يبعثون على نياتهم (٣) حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار الحديث متفق عليه من حديث أبى بكرة (٤) حديث لما نزل قوله تعالى وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله ﷺ فقالوا كلفنا مالا نطيق الحديث م من حديث أبى هريرة وابن عباس نحوه (٥) حديث التقوى ههنا وأشار الى القلب م من حديث أبى هريرة وقال الى صدره (٦) حديث الاثم حواز القلوب تقدم فى العلم (٧) حديث البر مااطمأن اليه القلب وان أفتوك وأفتوك الطبرانى من حديث أبى ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وان أفتاك

(وأخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا محمد بن محمد امام جامع أصفهان قال ثنا أبو عبد الله الجرجانى قال أنا أبو طاهر محمد ابن الحسن المحمداباذى قال ثنا أبو البحترى قال ثنا أبو أسامة قال ثنا بريد بن أبى بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا أرملوا فى الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموا فى اناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم (وحدث) جابر عن رسول الله ﷺ أنه اذا أراد أن يغزو قال يامعشر المهاجرين والانصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم أحدكم

فان صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

﴿ بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا ﴾

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق * فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال (١) فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكأنه يسكت * وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه * وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا أدرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال ﷺ (٢) ما من عبد الا وله أربعة أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه * والوسواس أصناف (الاول) أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولابد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة (الصنف الثاني) أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة (الصنف الثالث) أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما

---

الناس وأفتوك وقد تقدما (١) حديث واذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس في أثناء حديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا (٢) حديث ما من عبد الا وله أربعة أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد الهروي السماخي الحافظ كذبه

---

اليه الرجل والرجلين والثلاثة فالأحدكم من ظهر جمله الاعقبة كعقبة أحدهم قال فضممت الى اثنين أو ثلاثة مالي الاعقبة كعقبة أحدهم من جمله (وروى) أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد بن الربيع فقال له أقاسمك مالي نصفين ولي امرأتان فأطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فاجل الصوفي على الايثار الاطهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا الا بعد أن سوّى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا لأن

فى موضعين من القلب و بعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام (١) من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره الا أنه لا يتصور ذلك الا فى قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات فى مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق فى الحب قد يتفكر فى محادثة محبوبه بقلبه و يغوص فى فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه واذا تصور هذا فى خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن فى محل مخصوص و بالجملة فالخلاص من الشيطان فى لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال فى الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ فقد روى (٢) أنه نظر الى علم ثوبه فى الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلنى عن الصلاة وقال اذهبوا به الى أبى جهم وائتونى بأنبجانيته (٣) وكان فى يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمى والمفارقة فما دام يملك شيأ وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى ديناره وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد أو كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه فى الدنيا وطمع فى أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه و به يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة و يعلم أنه لو جاوزها أفلت منه الى الجنة

## ﴿ بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات ﴾

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب اليه الآثار والأحوال من الأبواب التى وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا أصابه شئ يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ـ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ـ ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول (٤) لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول (٥) يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا أوتخاف يارسول الله قال وما يؤمننى

---

ك والآفة منه (١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا تقدم فى الصلاة (٢) حديث انه ﷺ نظر الى علم فى ثوبه فى الصلاة الحديث تقدم فيه (٣) حديث كان فى يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه فقال نظرة اليه ونظرة اليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم فى الصلاة (٤) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٥) حديث يامثبت القلوب ثبت قلبى على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبى الدنيا صحيح على شرط م ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون فى الكبرى ه ك وصححه على شرط خ م من حديث النواس بن

---

السخاء صفة الغريزة وفى مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوقى الشح وحكم بالفلاح لمن أنفق و بذل فقال ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين والنبى عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع فانه لا ينكر ذلك لأنه من لوازم النفس مستمدا من أصل جبلتها

والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفى لفظ آخر ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه وضرب له ﷺ ثلاثة أمثلة فقال (١) مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال عليه السلام (٢) مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال (٣) مثل القلب كمثل ريشة فى أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقليبها من حيث لاتهتدى اليه المعرفة لايعرفها الا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى * والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة * قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لابد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لاترى ويهديه الى خيرات أخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى ـ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لايخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء فلايخفى على هذا النور خافية ولايروج عليه شئ من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلايلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ وبقوله عز وجل يا أيها النفس المطمئنة (القلب الثانى) القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان أجفانها فلايقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لايبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ماهو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ـ أرأيت من اتخذ الهه

---

سمعان مامن قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه ون فى الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (١) حديث مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة ك فى المستدرك وقال صحيح على شرط م والبيهقى فى الشعب من حديث أبى عبيدة بن الجراح * قلت رواه البغوى فى معجمه من حديث أبى عبيد غير منسوب وقال لاأدرى له صحبة أم لا (٢) حديث مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا أحمد وك وقال صحيح على شرط خ من حديث المقداد بن الاسود (٣) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى موسى الاشعرى باسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس باسناد ضعيف

---

التراب وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء أتم وأكمل من الجود ففى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذا كان من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لايوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا الى عوض من

هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا و بقوله عز وجل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون و بقوله تعالى ـ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ـ ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالذى لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والايمان ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان (القلب الثالث) قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع فى وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فان كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى التقلب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهى أيضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران السوء وألقى فى قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فهو الهادى

الخلق أو الحق بمقابلة ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لأن طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انه نفى فى الآية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب الى مراد الحق لا العوض وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز روت

والمضل يفعل مايشاء ويحكم مايريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه ﷺ (١) هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه مايحتاج اليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق * تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة و يتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه و بشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره و يستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره ﴿ أما بعد ﴾ فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب واسقام النفوس الا أنه مرض يفوت حياة الأبد * وأين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد * ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه و يتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك

---

(١) حديث قال الله عز وجل هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انه مضطرب الاسناد



أسماء بنت أبي بكر قالت قلت يارسول الله ليس لي من شئ الا ما أدخل على الزبير فأعطي قال نعم لا توكي فيوكى عليك * ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة (قال) سفيان الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيأ وهات شيأ وقال الحسن الاحسان أن تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث (وروى) أنس قال قال رسول الله ﷺ رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس روى أبو هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان

الشهوات لاغير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿ بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق ﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ (١) خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال ﷺ (٢) هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ﷺ (٣) انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال ﷺ (٤) أثقل مايوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق (٥) وجاء رجل الى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فاتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يارسول الله (٦) ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله ﷺ (٧) أوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أى الأعمال أفضل قال خلق حسن وقال ﷺ (٨) ماحسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل (٧) قيل لرسول الله ﷺ ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هى من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول (٩) اول مايوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال ﷺ (١٠) ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام (١١) حسن الخلق خلق الله الأعظم (١٢) وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال ﷺ (١٣) انكم لن تسعوا

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند م (٢) حديث تأويل قوله تعالى خذ العفو الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لاتمم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقى من حديث أبى هريرة وتقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبى الدرداء (٥) حديث جاء رجل الى النبى ﷺ من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر المروزى فى كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبى العلاء بن الشخير مرسلا (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبى داود من حديث رافع بن مكيث سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصنى قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبى ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار تقدم فى آداب الصحبة (٩) حديث أبى الدرداء أول مايوضع فى الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبى داود وت من حديث أبى الدرداء مامن شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح (١٠) حديث ان الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى فى كتاب المستجاد والخرايطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين (١١) حديث حسن الخلق خلق الله الاعظم الطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (١٢) حديث قيل يارسول الله أى المؤمنين أفضلهم ايمانا قال أحسنهم خلقا دت نك من حديث أبى هريرة وتقدم فى النكاح بلفظ أكمل المؤمنين وللطبرانى من حديث أبى أمامة أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا (١٣) حديث انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى فى مكارم

(٧) قوله وقال الفضيل الخ لم يخرجه العراقى ولم ينبه عليه وقد تقدم فى باب الصحبة اه مصححه

مع النبى ﷺ فى مجلس فجاء رجل فوقع فى أبى بكر وهو ساكت والنبى عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذى قال فغضب النبى وقام فلحقه أبو بكر فقال يارسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لأقعد فى مقعد فيه الشيطان ياأبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بظلمة فيعفو عنها الا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة الازاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أوصلة يبتغى بها وجه الله الازاده الله بها كثرة (أخبرنا)

الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا ﷺ (١) سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (٢) انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال (٣) كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي مسعود البدري قال كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه (٤) اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (٥) قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (٦) قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة بن شريك قال (٧) شهدت الأعاريب يسألون النبي ﷺ يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن وقال ﷺ (٨) ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما (٩) قال قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة (١٠) اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت وقال أنس (١١) بينما نحن مع رسول الله ﷺ يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام (١٢) من سعادة المرء حسن الخلق وقال ﷺ (١٣) اليمن حسن الخلق

ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا الكرخي قال أنا الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله ابن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ لا تكونوا إمعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا فلا تظلموا (وقال) بعض الصحابة يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقريني ولا يضيفني فيمر بي أفأجزيه قال لا أقره وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال

---

الأخلاق من حديث أبي هريرة و بعض طرق البزار رجاله ثقات (١) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير (٢) حديث انك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخرايطي في مكارم الاخلاق وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف (٣) حديث البراء كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الخرايطي في مكارم الأخلاق بسند حسن (٤) حديث أبي مسعود البدري اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي الخرايطي في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدري وانما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (٥) حديث عبد الله بن عمرو اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرايطي في مكارم الاخلاق باسناد فيه لين (٦) حديث أبي هريرة كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب وك وصححه على شرط م والبيهقي * قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه قال البيهقي وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال اسناد صحيح (٧) حديث أسامة بن شريك شهدت الاعاريب يسألون رسول الله ﷺ ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن ٥ وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث ان أحبكم الى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طص طس من حديث أبي هريرة ان أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا وللطبراني في مكارم الاخلاق من حديث جابر ان أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة (٩) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله الحديث الخرايطي في مكارم الاخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الاخلاق من حديث أم سلمة (١٠) حديث اللهم اهدني لاحسن الاخلاق الحديث م من حديث على (١١) حديث أنس ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرايطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (١٢) حديث من سعادة المرء حسن الخلق الخرايطي في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (١٣) حديث اليمن حسن الخلق الخرايطي في مكارم الاخلاق من حديث على باسناد ضعيف

وقال

وقال عليه السلام لأبي ذر يا أبا ذر (١) لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس (٢) قال قالت أم حبيبة لرسول الله ﷺ أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة وقال ﷺ (٣) ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي ﷺ فقال (٤) اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى وقال أنس قال النبي ﷺ (٥) ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف في العبادة وروى ان عمر رضي الله عنه (٦) استأذن على النبي ﷺ وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر رضي الله عنه مم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ فقال ﷺ إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال ﷺ (٧) سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام (٨) ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم (الآثار) قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يصحبني عابد سيء الخلق * وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان

---

(١) حديث يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه حب من حديث أبي ذر (٢) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان البزار والطبراني في الكبير والخرايطي في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (٣) حديث ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الاولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة (٤) حديث عبد الرحمن بن سمرة اني رأيت البارحة عجبا الحديث الخرايطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف (٥) حديث ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرايطي في مكارم الاخلاق وأبو الشيخ في كتاب مكارم الاخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الاصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد (٦) حديث ان عمر استأذن على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه الحديث متفق عليه (٧) حديث سوء الخلق ذنب لا يغفر الحديث طص من حديث عائشة ما من شيء الا له توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه واسناده ضعيف (٨) حديث ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والخرايطي في مكارم الاخلاق وأبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين

---

رسول الله ﷺ ليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها (وروى) عن رسول الله ﷺ من مكارم الاخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك * ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفي بكاؤه في خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفي منازلات الهيبة ومواهب قدسية يرتوي منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله

وقال الكتانى التصوّف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوّف وقال عمر رضى الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله فى كتابه العزيز ان أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله الا المصطفى ﷺ فاقرب الخلق الى الله عزوجل السالكون آثاره بحسن الخلق

﴿ بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق ﴾

اعلم ان الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق وانه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرمانى هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو ارضاء الخلق فى السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يتهم الحق فى الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال على رضى الله عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه اذ قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا أن تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الامرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى

تعالى وجوه يومئذ مسفرة أى مضيئة مشرقة مستبشرة أى فرحة قيل أشرقت من طول ما اغبرت فى سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أى نضارته وبريقه يقال أنضر النبات اذا أزهر ونور وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور

الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لايتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال و بين الحق والباطل في الاعتقادات و بين الجميل والقبيح في الافعال فاذا اصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ـ وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت اشارة الحكمة أعني اشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لابحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جوحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا أمهات الأخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى واصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض وأما المجنون فانه يختار مالاينبغي ان يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء

الجمال الأزلي واذا شرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود واذا تأثر الوجه بسجود الظلال وهي القوالب في قول الله تعالى وظلالهم بالغدوّ والآصال كيف لايتأثر بشهود الجمال (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكروخي قال أنا الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا المنكدر بن محمد ابن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ كل معروف صدقة وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في اناء أخيك

(وقال) سعد بن عبد الرحمن الزبيدى يعجبنى من القراء كل سهل طلق مضحاك فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله فى القراء مثله (ومن أخلاق الصوفيه) السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى فى ذلك عن رسول الله ﷺ أخبار وأخلاق الصوفية تحاكى أخلاق رسول الله ﷺ وكان يقول عليه الصلاة والسلام أما انى أمزح ولا أقول الاحقا وروى أن رجلا يقال له زاهر بن حرام وكان بدويا وكان لا يأتى الى رسول الله الاجاء بطرفة يهديها الى رسول الله فجاء يوما من الايام فوجده

وغيرذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقى فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الاربع الا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون فى القرب والبعد منه فكل من قرب منه فى هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به فى جميع الأفعال ومن انفك عن هذه الاخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغى أن يبعد كما أن الاول قريب من الملك المقرب فينبغى أن يقتدى به ويتقرب اليه فان رسول الله ﷺ (١) لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد أشار القرآن الى هذه الاخلاق فى أوصاف المؤمنين فقال تعالى ـ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ـ فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذى يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هى الشجاعة التى ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ اشارة الى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه

﴿ بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة ﴾

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى والثانى انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمى فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده * فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ (٢) حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الأنس والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق * والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات * وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان * أحدهما قوة الغريزة فى أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة فى الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها

(١) حديث بعثت لأتمم مكارم الاخلاق تقدم فى آداب الصحبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث معاذ يامعاذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب و بعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له و باعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب * الاولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان * والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم * والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال * والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الآدمي مادام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال ﷺ (١) انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر (٢) وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق وقال تعالى - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس - ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم

(١) حديث انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث انه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ وهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان اذا كره شيأ عرفناه في وجهه وهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله

رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد فقال اذا تجدني كاسدا يا رسول الله فقال ولكن عند الله ربيح ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر ابن الحافظ المقدسي عن أبيه قال أنا المطهر بن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو بن حكيم قال أنا أبو أمية قال حدثنا عبيد بن اسحق العطار قال ثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال

يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ـ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ـ وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال فى الغضب ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ وقال ﷺ (١) خير الامور أوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى ـ إلا من أتى الله بقلب سليم ـ والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أى لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفى الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم امساك المال رأسا ولا يرخص له فى شئ منه لأنه لو رخص له فى أدنى شئ اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وان امساكه بحق

﴿ بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة ﴾

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين * أحدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريا ور بما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعنى به حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية فى النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال ﷺ (٢) وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى ـ وانها لكبيرة الا على الخاشعين

ولسلم ما ينال منه شئ قط فينتقم من صاحبه الحديث (١) حديث خير الأمور أوساطها البيهقى فى شعب الايمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا (٢) حديث وجعلت قرة عينى فى الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم

يارسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ابن الناقة قال أقول لك احملنى على جمل وتقول أحملك على ابن الناقة فقال عليه السلام فالجمل ابن الناقة (وروى صهيب) فقال أتيت رسول الله ﷺ وبين يديه تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال أتأكل وأنت رمد فقلت اذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله ﷺ وروى أنس أن رسول الله ﷺ قال له ذات يوم ياذا الاذنين (وسئلت) عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ اذا خلا فى البيت قالت كان

وقال ﷺ (١) اعبدالله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى أن يكون ذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل ﷺ عن السعادة فقال (٢) طول العمر فى طاعة الله تعالى ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها فى القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شئ أحب اليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذى يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذى يوصله الى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغى أن يستبعد مصير الصلاة الى حد تصير هى قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمنعمين فى أحزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول ألفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار فى حر الشمس قائما رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم إربا إربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى المقابح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فأما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شئ سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان أحب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجرى على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر الى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا أن يتعاطى

(١) حديث اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير طب (٢) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر فى عبادة الله رواه القضاعى فى مسند الشهاب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف وللترمذى من حديث أبى بكرة وصححه أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله

ألين الناس بساما ضحاكا (وروت) أيضا أن رسول الله ﷺ سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك (وأخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال ثنا عبد الله بن الوضاح الكوفى قال ثنا عبد الله بن ادريس عن شعبة عن أبى التياح عن أنس رضى الله عنه قال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخاطبنا حتى انه كان يقول لأخ لى

بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق و يواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط
الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط
الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الأول
بتكلف الا أنه ارتفع منه أثر الى القلب ثم انخفض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك
من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له الا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على
قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى
أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة
بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في
يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة
الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الايمان عند الخاتمة وكما
أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيأ فشيأ على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع
القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان
بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة الا
ولها أثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة
وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصي
ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة
اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب
التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان
الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض
القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق
اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة
وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر
والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن
كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز
وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

## ﴿ بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ﴾

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن
الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في
علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل
عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض
الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو
يمجسانه أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى
بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق

والتغذية

صغير يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير عصفور صغير (وروى) أن عمر سابق زبيرا رضي الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروى عبد الله بن عباس قال قال لي عمر تعالى أنافسك في الماء أينا أطول نفسا ونحن محرمون (وروى) بكر بن عبد الله قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا رمى أي يترامون بالبطيخ (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه

والتغذية بالعلم وكما أن البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لابد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولابد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لابد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فاذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال الى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج الى الأسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيأ سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو

قال أنا الحسن بن أحمد الكرخي قال ثنا أبو طالب محمد ابن محمد بن ابراهيم قال ثنا أبو بكر محمد ابن محمد بن عبد الله قال حدثني اسحق الحربي قال ثنا أبو سلمة قال ثنا حماد ابن خالد قال أنا محمد ابن عمرو بن علقمة قال ثنا أبو الحسن ابن محيصن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ابن أبي بلتعة قال ان عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لتأكلن أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الحريرة فلطخت بها وجهها

عاجزعن الطول فيأمره بالصوم ور بمالا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء و يمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلاعلاج فى مبدإ الارادة أنفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق و يلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم انه كان يعود نفسه الحلم و يزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس و يكلف نفسه الصبر و يكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل و بعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة و بعض الشيوخ فى ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميعه ورمى به فى البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فبهذه الأمثلة تعرف طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتى فى بقية الكتب و إنما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها و يكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر و يستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت و إذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة و إذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

﴿بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة﴾

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به و إنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ففى كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى للآدمى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار أو غيرها بل بمعرفة الاشياء على ماهى عليه وأصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذى جعلها أشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره فمن عنده شئ أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامات المرض و بهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ماشاء الله إلا أن من الامراض مالا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات و باطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الامراض وأما علامات عودها إلى الصحة

فضحك النبى ﷺ فوضع فخذه وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت بها وجهى فضحك النبى ﷺ فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى ياعبدالله ياعبدالله فظن النبى ﷺ انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما فقالت عائشة رضى الله عنها فمازلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إياه ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبى صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا (وروى) معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ويمزح

بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى أسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل الى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روي أن بعضهم رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال قد قلت يارسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين

## ﴿ بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه ﴾

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (الأول) أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده (الثاني) أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له

---

عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا اذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الاخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال الا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا

أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عزوجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شئ منه فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب * قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

## ﴿ بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وان مادة أمراضها هي اتباع الشهوات ﴾

اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله عزوجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال ﷺ (١) المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر

(١) حديث المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق

يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال فللنفس في هذه المواطن نهضات ووثبات تجر الى الفساد وتجنح الى العناد فالنزول الى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل اليهم والى طباعهم حين ينزل بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزج من طباعهم ونفوسهم الجامحة الامارة بالسوء اذا دخلت في هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتنمت مآربها واستروحت الى الرخصة والنزول الى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدئ فللصوفية العلماء فيما ذكرناه

يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد (١) مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال ﷺ (٢) المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال ﷺ (٣) كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى و يستر وقال سفيان الثورى ماعالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يانفس لافى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولافى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لايدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد مازاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل * ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق و يصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد هاقد سمعتيه ثم انصرف وماعرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال

من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح عجائب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه ت فى أثناء حديث وصححه و ه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله الحديث لم أجده

ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشئ اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لايسلم لكل أحد قال سعيد بن العاص لابنه اقتصد فى مزاحك فالافراط فيه يذهب بالبهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين قال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك والضحك من خصائص الانسان ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك الاعن سابقة تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته

اذا شتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما أمنعك الا من كرامتك علىّ فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب وأما علم تفصيل مايترك من الشهوات ومالايترك لايدرك الا بما قدمناه * وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشئ مما لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه أنس به وألفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لاحظ له فى الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على مايدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا فى ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهى الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثانى رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر فى قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار الا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لامحالة لقوة ذكر الله تعالى فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتى ذلك فى كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله عزوجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت وقال السرى أنا منذ أربعين سنة تطالبنى نفسى أن أغمس خبزة فى دبس فما أطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة مالم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات فى الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمى البصر الى كل شئ جميل لم تتحفظ عن النظر الى مالا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذى يشتهى به الحلال هو بعينه الذى يشتهى الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها

ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه فى العلم ولهذا قيل اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة (وروى) عن عيسى عليه السلام انه قال ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب المشاء فى غير أرب وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة مالا يغضب جده والمزاح مايغضب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة فى الصلاة من الذنب وحكم ببطلان الوضوء بها وقال يقوم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال فى المزاح والضحك لايتأتى الا اذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يتقوم بكل

فى

في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه فاذا علم انه من أحب شيأ يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أو دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت

## ﴿ بيان علامات حسن الخلق ﴾

اعلم أن كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق * قال الله تعالى * قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - الى قوله أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - التائبون العابدون الحامدون - الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل - انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى

مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم فالبسط والرجاء ينشئان المزاج والضحك والخوف والقبض يحكمان فيه بالعدل * ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة للاقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين (روى) أنس ابن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز ولا لحم (وروى) عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم

قوله أولئك هم المؤمنون حقا ـ وقال تعالى ـ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ـ الى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال (١) المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام (٢) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال ﷺ (٣) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال (٤) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال ﷺ (٥) أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا وقال ﷺ (٦) اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال (٧) من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال (٨) لا يحل لمؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام (٩) لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال ﷺ (١٠) انما يتجالس المتجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق (١١) وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى * فقد روى ان رسول الله ﷺ (١٢) كان يوما يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي

---

بهذا السياق (١) حديث المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا تقدم غير مرة (٦) حديث اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة ه من حديث أبي خلاد بلفظ اذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة (٧) حديث من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طب ك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلما طب طس من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث ابن عمر واسناده ضعيف (١٠) حديث انما يتجالس المتجالسان بأمانة الله الحديث تقدم في آداب الصحبة (١١) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجد له أصلا (١٢) حديث كان يمشي فأدركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد

---

يخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول نعم الادام الخل وعن سفيان ابن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج الي خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن يتكلف أحد لاحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الاشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له فقد يتملق الشخص الى حد يخرجه الى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفي (أخبرنا) الشيخ العالم

فجذبه جذباشديدا وكان عليه بردنجرانى غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله ﷺ قدأثرت فيه حاشية البردمن شدّة جذبه فقال يامحمدهب لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر باعطائه ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال (١) اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون قيل ان هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم ويحكى أن ابراهيم بن أدهم خرج يوما الى بعض البرارى فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فقال الجندى انما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ماقال له فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال انه لم يسألنى عبد من انت بل قال أنت عبد فقلت نعم لأنى عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أننى أوجر على مانالنى منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر ودعى أبو عثمان الحيرى الى دعوة وكان الداعى قدأراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لى وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له ياأستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على مايوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لايتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال ياأستاذ انما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال ان الذى رأيت منى هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعى أجاب واذا زجر انزجر وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما فى سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل ألا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب وروى أن على بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل الى السواد اذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامى فدخل ذات يوم فأغلق الحمامى الباب ومضى فى بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقى الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل الى الماء فقام على بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامى فرأى ثياب الرستاقى وسمع كلامه مع على بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامى فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لاينبغى له أن يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء وروى أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله فى الخياطة فكان اذا خاط له شيأ حمل اليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع الى تلميذه الأجرة واسترجع ماقد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف أنه زائف فرده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها فى البئر لئلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين مايبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه * وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لاروع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقيل ان

---

نجرانى غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس. (١) حديث اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون حب والبيهقى فى دلائل النبوّة من حديث سهل بن سعد وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه ﷺ

---

ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى ثنا أحمد ابن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق البذاء الفحش وأراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم واظهار التفصح وذلك ليس من شأن أهل الصدق (وحكى) عن أبى وائل قال مضيت مع صاحب

أويسا القرني كان اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما اقرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك اجابتي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يا مرائي فقال ياهذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لا تعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ماقدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

﴿بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم﴾

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عزوجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فسار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر الى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وأن يعود الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل وأن يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات

لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفي حديث يونس النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا ان الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم قال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر (وروى) الزبير

الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التى فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولاسيما اذا ستره الصبى واجتهد فى اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغى أن يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغى أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم وينبغى أن يمنع من كل ما يفعله فى خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشى ولا يرخى يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشئ مما يملكه والداه أو بشئ من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيأ بداله حشمة ان كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة فى الاعطاء لا فى الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يبصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا وينبغى أن يعود أن لا يبصق فى مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك فى الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شئ من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغى اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الأطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها لا أصل لها اذ لا بقاء لها

ابن العوام قال نادى منادى رسول الله ﷺ يوما اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتى ولا يتكلفون ألا انى برىء من التكلف وصالحو أمتى وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال وبيد عمر عصاه فضرب بها الارض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه فاعرفتم اعملوا به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه الى الله *ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من

وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر فى كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى و يتسع نعيمه فى الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال ﷺ (١) كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التسترى كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر الى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر الى الله شاهد فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشر مرة فقلته فوقع فى قلبى حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما ياسهل من كان الله معه وناظرا اليه وشاهده أيعصيه اياك والمعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بى الى المكتب فقلت انى لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا المعلم انى أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى الى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا أدم فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى

﴿ بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة ﴾

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة الا انه لايدرى من الجوهرة الا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا ألف الخرزة قد لايتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وغاصوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لايدخر الماء فى قربته وراويته (روى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال مامن يوم الا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وروى أنس قال كان رسول الله ﷺ لايدخر شيأ لغد وروى أنه أهدى لرسول الله ﷺ ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك ان تخبأ شيأ لغد فان الله تعالى يأتى برزق كل غد وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبرة من

عن نبى من الانبياء ضربه قومه

المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لامحالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لابد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق * أما الشروط التي لابد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لايبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها أولا ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم الترقي إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ وأستاذ يقتدي به لامحالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لامحالة فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيأ ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور * الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ماصار الابدال ابدالا إلا بأربع خصال باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة

تمر فقال ما هذا يا بلال فقال أدخر يارسول الله قال أما تخشى أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وروي أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيأ لغد فالصوفي كل خباياه في خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار قال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله المالينى قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي

فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء * وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لايخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لايتكلم الابقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه و يستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يلقح العقل و يجلب الورع و يعلم التقوى * وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الاعن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلابالخلوة في بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق و يشاهد جلال الحضرة الربوبية أماترى ان نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على مثل هذه الصفة (١) فقيل له ياأيها المزمل ياأيها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولاعقبة على طريق الله تعالى الاصفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا و بعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات أعني أسرار العلائق التي قطعها في أوّل الارادة وآثارها أعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصي فلابد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة و يختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلاتطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك أوضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام و يمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب و يكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولايشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها إلى الجمعة الاخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لايحصل إلامع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الاهم واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها و يوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس و يقول مثلا الله الله أوسبحان الله سبحان الله أومايراه الشيخ من الكلمات فلايزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لايزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لايزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ماسواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لامحالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا ومايتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره

قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما سئل النبي ﷺ شيأ قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد و بالاسناد عن الدارمي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبد العزيز ابن محمد عن ابن أخي الزهري قال ان جبريل عليه السلام قال ما في الارض أهل عشيرة من أبيات الاقلبتهم فاوجدت أحدا أشد انفاقا لهذا المال من رسول الله ﷺ * ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا ( قال ذو النون المصري )

(١) حديث بدء رسول الله ﷺ وهو مدثر فقيل له ياأيها المزمل ياأيها المدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على ماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال فنزلت ياأيها المدثر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولهما من حديث عائشة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع

فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان أيضا نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنه ماهى وما معنى قولنا الله ولاى معنى كان إلها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ماهو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى منقسمة الى مايعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لايبالى به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون والى مايشك فيه فينبغى أن يعرض ذلك على شيخه بل كل مايجد فى قلبه من الاحوال من فترة أو نشاط أو التفات الى علاقة أو صدق فى ارادة فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم ان شيخه ينظر فى حاله ويتأمل فى ذكائه وكياسته فلو علم انه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغى أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور مايكشف له حقيقته وان علم أن ذلك مما لايقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغى أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال ﷺ (١) عليكم بدين العجائز وهو تلقى أصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لايبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال ومايبدو من أوائل الكرامات ومهما التفت الى شئ من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا بل ينبغى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذى لاترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون فى الدنيا كانك عابر طريق وقال مرة قلت له دلنى على عمل أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لى لاتنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لى من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لابد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذا لعله قال ياهذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا مالا يكون أبدا فاذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من

(١) حديث عليكم بدين العجائز قال ابن طاهر فى كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع اليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمانى عن ابن عمر عن النبى ﷺ اذا كان فى آخر الزمان واختلف الاهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء وابن السلمانى له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب فى الضعفاء فى ترجمة ابن السلمانى والله أعلم

من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لولم يكن فى القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال الحر عبد ماطمع والعبد حر ماقنع وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه (وقال) أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لاينبو (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن

لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا واذا انكشف للمريد شئ من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى أن يتفكر فى كيفية ايراد تلك المعانى وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده اليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر فى أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه كيد القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على اصلاح عباده كالذى وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغى أن يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم فى الطباع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج الى لقاء الله تعالى فأما تفصيل الرياضة فى كل صفة فسيأتى فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب فى كسر شهوة البطن والفرج وكتاب فى آفات اللسان وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب فى ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه وكتاب فى ذم الكبر والعجب وكتاب فى مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه فى الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه فى الكتاب الثانى هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتى فى هذه الكتب ان شاء الله تعالى (تم) كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه (يتلوه) ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

## ﴿ كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المنفرد بالجلال فى كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفى بأمانيه فهو الذى يرشده ويهديه وهو الذى يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذى يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذى يطعمه

الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوى قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على الأعواد يقول ما قل وكفى خير مما كثر وألهى (وروى) عن رسول الله ﷺ انه قال قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه (وروى أبو هريرة) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى جابر) رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه



ويسقيه

ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق مجارى الشيطان الذى يناويه ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه ويتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته وأقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه (أما بعد) فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذنهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة فى الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه الى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذعنت لطاعة الله عزوجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك فى الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ثم القول فى شهوة الفرج ثم بيان ماعلى المريد فى ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

## ﴿بيان فضيلة الجوع وذم الشبع﴾

قال رسول الله ﷺ (١) جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كاجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبى ﷺ (٢) لايدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يارسول الله (٣) أى الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته وقال النبى ﷺ (٤) سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ (٥) البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبى ﷺ (٦) الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة وقال الحسن أيضا (٧) قال رسول الله ﷺ أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا فى الله سبحانه وأبغضكم عند الله عزوجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب وفى الخبر أن النبى ﷺ (٨) كان يجوع من غير عوز أى مختارا لذلك

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجد له أصلا (٢) حديث ابن عباس لايدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أى الناس أفضل قال من قل طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته يأتى الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبى سعيد الخدرى البسوا واشربوا وكلوا فى أنصاف البطون (٦) الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا الحديث لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أى مختارا لذلك البيهقى فى شعب الايمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا ﷺ

قال القناعة مال لا ينفد (وروى) عن عمر رضى الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب وينابيع الحكمة وعدوا أنفسكم فى الموتى واسألوا الله تعالى الرزق يوما بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبى الفضل والده قال أنا أبو القاسم اسمعيل بن عبد الله الشاوى قال أنا أحمد بن على الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن ابن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصرى قال حدثنا مروان ابن معاوية قال حدثنا عبد الرحمن ابن أبى سلمة الأنصارى قال أخبرنى سلمة بن عبد الله بن محصن عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا فى

وقال ﷺ (١) ان الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه فى الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا ياملائكتى مامن أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات فى الجنة وقال ﷺ (٢) لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال ﷺ (٣) ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفى حديث أسامة بن زيد وحديث أبى هريرة (٤) الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عزوجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه فى الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عزوجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكى الارض اذا فقدتهم و يسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء ومابهم داء و يقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وماذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أمر الله الذى أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلاعقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الآخرة ياأسامة اذا رأيتهم فى بلدة فاعلم أنهم أمان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى أن تنجو بهم وان استطعت أن يأتيك الموت و بطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة و يصلى عليك الجبار * روى الحسن عن أبى هريرة ان النبى ﷺ قال (٥) البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عزوجل وروى ذلك أيضا عن نبينا ﷺ رواه طاوس (٦) وقيل مكتوب فى التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه إن الله تعالى يبغض القارئ السمين وفى خبر مرسل (٧) ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفى الخبر (٨) ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال ﷺ (٩) المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء أى يأكل سبعة أضعاف مايأكل المؤمن أوتكون شهوته سبعة أضعاف شهوته وذكر المعى كناية عن الشهوة لان

---

كان يؤثر على نفسه واسناده معضل (١) حديث ان الله يباهى الملائكة بمن قل طعمه فى الدنيا الحديث ابن ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الصيام (٢) حديث لاتميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت من حديث المقدام وقد تقدم (٤) حديث أسامة بن زيد وأبى هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب فى الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وفيه حباب بن عبدالله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لايعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبى أسامة من هذا الوجه (٥) حديث الحسن عن أبى هريرة البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (٦) حديث طاوس مرسلا أجيعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٧) حديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم فى الصيام دون الزيادة التى فى آخره وذكر المصنف هنا انه مرسل والمرسل رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان من حديث على بن الحسين دون الزيادة أيضا (٨) حديث ان الأكل على الشبع يورث البرص لم أجدله أصلا (٩) حديث المؤمن يأكل فى معى واحد

---

سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا (وقيل) فى تفسير قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هى القناعة فالصوفى قوّام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها (وقال أبو سليمان الدارانى) القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد * ومن أخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب الابحق واعتماد الرفق والحلم وذلك ان النفوس تثب وتظهر فى المهارين والصوفى كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة قال الله

الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت (١) سمعت رسول الله ﷺ يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروى (٢) أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول (٣) أن رسول الله ﷺ لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه وعن أنس قال (٤) جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقال أبو هريرة (٥) ما أشبع النبي ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال ﷺ (٦) إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي لا تخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة إلى

---

والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (١) حديث الحسن عن عائشة أديموا قرع باب الجنة الحديث لم أجد أيضا (٢) حديث أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند ت وحسنه و ه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة (٣) حديث عائشة أنه ﷺ لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضا (٧) (٤) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله ﷺ الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٥) حديث أبي هريرة ما شبع النبي ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٦) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة طب وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

---

(٧) وجد بهامش العراقي ما يأتي قلت . بل له أصل أخرجه أبو موسى المديني مطولا في كتاب استحلاء الموت وأورد منه عياض في الشفاء اه

---

تعالى تعليما لعباده ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ولا ينزع المراء إلا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل في النفوس مراء الباطن وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضا وقد يكون الغل في النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى في تذويب النفس بنار الزهادة في الدنيا يمحي الغل من باطنه ولا تبقى عنده منافسة دنيوية في حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة المتقين ونزعنا ما في صدورهم من غل قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته

الصبح وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي ﷺ في أكله وقال لم ير الأكياس شيأ أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيأ أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشئ أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث (١) ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال أبدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الارض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله تعالى ما صافى أحدا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الارض إلا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنام وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة واذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضر لي شئ أكلته من غير فكر وخاطر وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشرا على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك

﴿ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع ﴾

قال رسول الله ﷺ (٧) جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فان كان كذلك فينبغي أن يعظم الاجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الاشياء المكروهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان أردت أن ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى ــ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ــ فنقول في الجوع عشر فوائد (الفائدة الاولى) صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث

(١) حديث ثلث للطعام تقدم

(٧) حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرجه العراقي

---

واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق *والناس رجلان رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو الى ما عند الله نفسه وغيره فما للمحقق الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ورجل مفتتن بشئ من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة

البلادة و يعمى القلب و يكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبى إذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطىء الفهم والادراك وقال أبو سليمان الدارانى عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال ﷺ (١) أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق و يقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبى ﷺ (٢) من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبى ﷺ (٣) من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلى ما جعت لله يوما الا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامى الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال النبى ﷺ (٤) نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفؤا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات فى خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (الفائدة الثانية) رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لادراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه و بينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق فى بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه وقال أبو سليمان الدارانى أحلى ما تكون إلىّ العبادة إذا التصق ظهرى ببطنى وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه و بين صدره مخلاة من الطعام و يريد أن يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صفا ورق وإذا شبع عمى وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبى ﷺ (٥) قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت و إذا شبعت شكرت أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر (الفائدة الرابعة) أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع و ينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره الا و يتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق لم أجد له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجد له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شئ زكاة وان زكاة الجسد الجوع ه من حديث أبى هريرة لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم واسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عزوجل الشبع الحديث ذكره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وكتب عليه انه مسند وهى علامة ما رواه باسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت

لانه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفى أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا بمفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه فى الظاهر على شئ لعلمه بظهور نفسه الأمارة بالسوء فى المراء والمجادلة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربى عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال لا تمار أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفى الخبر من ترك المراء

النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يهيج الخوف فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو إلى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن ألم الجائع (الفائدة الخامسة) وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فأخاف أن يجمح بي فيورطني فلأن أحمله على الشدائد أحب إلي من أن يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم * وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز اليابس سنة لا يخلط به شيأ من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء (الفائدة السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأي سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له (الفائدة السابعة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردداه إلى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه

وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها (وأخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن السهروردي محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثني النعمان ابن مكحول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله

قال السري رأيت مع علي الجرجاني سو يقا يستف منه فقلت ماحلك على هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها فينبغي أن يستوفى منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة مايتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعوّد الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد أشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل (الفائدة الثامنة) يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لايخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع مايمنع ذلك كله حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ (١) ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ماسمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال ﷺ (٢) البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذاك وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الاعلة الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان أنفع ماأدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث (٣) صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما (الفائدة التاسعة) خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل وربما يحتاج الى أن يمد أعين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي وقال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم في ثلاثة أحوال ان كان من أهل العبادة فيكسل وان كان

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعوّدوا كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا (٣) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

الله تعالى جهنم انظر كيف جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المماراة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي (قال بعضهم) المجادل المماري يضع في نفسه عند الخوض في الجدال أن لا يقنع بشئ ومن لايقنع الا أن لايقنع فما الى قناعته سبيل فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره

مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شئ فلا ينصف الله تعالى من نفسه و بالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال ﷺ أديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عزوجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لاتلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لامحالة (الفائدة العاشرة) أن يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته (١) كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التى زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية يقول أحدهم تبيعنى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتكئ على شماله و يأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال ياغلام ائتنى بشئ أهضم به طعامى يالكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذى أمرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه (٢) ونظر رسول الله ﷺ الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطنى حتى أجعل بعضه لله فهذه عشرة فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة و باب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح فى الأخبار التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الاخبار ادراك علم و بصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين فى الايمان والله أعلم بالصواب

## ﴿ بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن ﴾

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف * الأولى أن لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها (أما الوظيفة الأولى) فى تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن

(١) حديث كل امرئ فى ظل صدقته ك من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم (٢) حديث نظر الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أحمد و ك فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث جعدة الجشمى واسناده جيد

بوائقه أنظر كيف جعل النبى صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه مر بقوم وهم يجدون حجرا قال ماهذا قالوا هذا حجر الاشداء قال ألا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه و بين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لابى ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيظك فتضربنى فتأثم فقال أبو ذر لاغيظن من حضك على غيظى فاعتقه (وروى) الاصمعى عن أعرابى قال اذا أشكل عليك

اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو جزأ من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر أثره فان شاء فعل في ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الأرز وبدرهم سمنا وأخلط الجميع وأسوي منه ثلثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولا توقيت ويحكى عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم الى مقدار درهم من الطعام * الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه منا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي ﷺ وهو فوق اللقيمات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم * الدرجة الثالثة أن يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس * الدرجة الرابعة أن يزيد على المد الى المن ويشبه أن يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الأكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ والله لا أزيد عليه شيأ حتى ألقاه فاني سمعته يقول (١) أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ (٢) وقد كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان

(١) حديث أبي ذر أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأحبكم الي وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين

أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما الى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن علي قال أنا خورشيد قال ثنا ابراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد بن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد بن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالحكم

الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط (الوظيفة الثانية) في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضا أربع درجات * الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو العرني وعبد الرحمن بن ابراهيم ورحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي أن الثوري وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي أربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي أو صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وأنك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته * الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة * الدرجة الثالثة وهي أدناها ان يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة (١) فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة (٢) وقال النبي ﷺ لعائشة اياك والسرف فان أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين اقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته (٣) وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت (٤) كان النبي ﷺ يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى أن يقسم طعامه نصفين فان كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند

---

اثنين في كل يوم ك وصحح اسناده من حديث طلحة البصري (١) حديث أبي سعيد الخدري كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد لم أجد له أصلا (٢) حديث قال لعائشة اياك والاسراف فان أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في اسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه رواه ن مختصرا كان يصلي حتى تزلع قدماه واسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل الى السحر لم أجده من فعله وانما هو من قوله فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه خ من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

---

بالحق عند الغضب والرضا لا يصح الا من عالم رباني أمير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب (نقل) انهم كانوا يتوضؤن عن ايذاء المسلم يقول بعضهم لان أتوضأ من كلمة خبيثة أحب الي من أن أتوضأ من طعام طيب (وقال) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل الى العدوان يتجاوز الحد فبالغضب يثور دم القلب فان كان الغضب على من فوقه مما يعجز عن انفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب ويصير منه الهم والحزن والانكاد ولا

الفطوررغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه ( الوظيفة الثالثة) فى نوع الطعام وترك الادام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الادم اللحم والحلاوة وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادم على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوات الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى فى كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها حتى قال ﷺ (١) شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصى بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى فى طلبها فيجرها ذلك الى المعاصى فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام أمور تلك الامور معاص وقال ﷺ (٢) شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وانما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون فى الكلام وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها وراوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من أين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على ان تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما أوردناه فى كتاب رياضة النفس (٣) وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على

---

(١) حديث شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة لم أجد له أصلا (٢) حديث شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الحديث ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدار قطنى فى العلل انه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله ﷺ يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ابو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات

---

ينطوى الصوفى على مثل هذا لانه يرى الحوادث والاعراض من الله تعالى فلا ينكمد ولا يغتم والصوفى صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبى عليه السلام أخبر أن الهم والحزن فى الشك والسخط (سئل) عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما عن الغم والغضب قال مخرجهما واحد واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا والحرد غضب أيضا ولكن يستعمل اذا قصد المغضوب عليه وان كان الغضب على من يشاكله ويماثله ممن يتردد فى الانتقام منه يتردد القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا ياوى مثل

نفسه غفر الله له وقال ﷺ (١) اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار
أشار الى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضى الله عنه
ان يزيد بن أبى سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمنى فاعلمه فدخل
عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله
يا يزيد بن أبى سفيان أطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن
يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط إلا وأنا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى
الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به
من حب كان فى الشمس نهاره فتقول مولاة له ياعتبة لو أعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم
فلان قد شردت عنى كلب الجوع قال شقيق بن ابراهيم لقيت ابراهيم بن أدهم بمكة فى سوق الليل عند مولد النبى
ﷺ يبكى وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ايش هذا البكاء يا أبا اسحق
فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال ياشقيق استر علىّ فقلت يا أخى قل ماشئت فقال لى اشتهت نفسى
منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدى حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس اذ أنا بفتى شاب بيده
قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عنه فقربه وقال ياابراهيم كل فقلت ما آكل قد
تركته لله عز وجل فقال لى قد أطعمك الله كل فما كان لى جواب الا انى بكيت فقال لى كل رحمك الله فقلت قد أمرنا
أن لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيته فقيل لى ياخضر اذهب بهذا وأطعمه نفس
ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على مايحملها من منعها اعلم ياابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون
من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها أنا بين يديك لاجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا
أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال ياخضر لقمه أنت فلم يزل يلقمنى حتى نعست فانتبهت وحلاوته فى فى قال شقيق فقلت
أرنى كفك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين
يا من يشفى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف
عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق
ذلك فقام ابراهيم ومشى حتى أدركنا البيت وروى عن مالك بن دينار انه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله
وأهدى اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن أبى الحوارى اشتهى أبو سليمان
الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكى وقال عجلت الى شهوتى بعد اطالة جهدى
واشقوتى قد عزمت على التوبة فاقلنى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت
بالبصرة فى السوق فنظرت الى البقل فقالت لى نفسى لو أطعمتنى الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها اياه
أربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال ياأهل البصرة
عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت
الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد
ابن أبى حنيفة أتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسى اشتهيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم
اشتهيت تمرا فآليت أن لا تأكليه أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر أبو حازم يوما فى السوق فرأى الفاكهة
فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا
ممنوعة فلما اشتراها وأتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتينى حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله

(١) حديث اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف

هذا الى قلب الصوفى قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل وسلامة قلب الصوفى وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم أمواج الأنس والهيبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب اذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لان الدم فى القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا فى الصوفى الا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما فى غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب الى الله

لاذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء * وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن أحمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ماطلبت مني الا الماء حتى تروى فما ارويتها وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن أدفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته اياها قالوا وأقبل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراءتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس الا بذنبك على أن لا تذوقيه * واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك ياداود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيأ لم يعاوده وقال جعفر بن نصر أمرني الجنيد أن أشتري له التين الوزيري فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فيه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيأ فلا ترد على كرامتي فقال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد آخر وقال السري السقطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أي شئ تصنع أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر (١) لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم أتيت قاسما الجوعي فسألته عن الزهد أي شئ هو فقال أي شئ سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأي شئ تقول أنت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذاجا فقال له بشر هل تعلم شيأ أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهندبا بالخل ثم قال أتعرف شيأ أقل من السفرجل

(١) حديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل الحديث لم أجده له أصلا

تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء (قيل) لبعضهم من أقهر الناس لنفسه قال أرضاهم بالمقدور وقال بعضهم أصبحت ومالي سرور الا مواقع القضاء واذا اتهم الصوفي النفس عند الغضب تداركه العلم واذا لاح علم العلم قوي القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب الى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت جمرة الحد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة * وروى حارثة بن قدامة قال قلت يارسول الله أوصني وأقلل لعلي أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه

يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيأ أقل من الاسفيداج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني فقد عرفت بهذا ان هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفولهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو ليجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى الشكر وفي الحديث (١) أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن عقيب أكله فقد كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة أحياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيأ من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة * نظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا أخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نفسي خبز أرز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن ان أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنيأ بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الأيام الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه

## ﴿بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه﴾

اعلم أن المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط اذ خير الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى أن الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي الى الغاية فانه ان أسرف مسرف في

(١) حديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم طس وابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام ان الغضب جمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد ابن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة ابن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة *ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف

مضادة الطبع كان فى الشرع أيضا مايدل على اسائه كما ان الشرع بالغ فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبى ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله و يقوم الليل كله نهى عنه (١) فاذا عرفت هذا فاعلم أن الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب و يمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة فى الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله ﷺ (٢) خير الأمور أوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى أن تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو فى نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع و يمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذى تحس بألمه فى أكثر الاحوال لتنكسر نفسه والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك فى الغذاء أيضا الى الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة اما صديق واما مغرور أحمق أما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع الى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله و يظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله ﷺ لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها (٣) كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم (٤) وكان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى اذا صائم (٥) وكان يقدم اليه الشئ فيقول أما انى قد كنت أردت الصوم

---

(١) حديث النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الامور أوساطها البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم (٣) حديث عائشة كان يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم متفق عليه (٤) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى صائم دت وحسنه و ن من حديث عائشة وهو عند م بنحوه كما سيأتى (٥) حديث كان يقدم اليه الشئ فيقول اما انى كنت أريد الصوم البيهقى من حديث عائشة بلفظ وان كنت قد فرضت الصوم وقال اسناده صحيح وعند

---

والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى فى وصف أصحاب رسول الله ﷺ أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال الله تعالى لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم والتودد والتألف من ائتلاف الارواح على ما ورد فى الخبر الذى أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى فأصبحتم بنعمته اخوانا وقال سبحانه وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال عليه السلام المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال عليه السلام مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان الا استفاد أحدهما

ثم يأكل (١) وخرج ﷺ يوما وقال انى صائم فقالت له عائشة رضى الله عنها قد أهدى الينا حيس فقال كنت
أردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكى عن سهل انه قيل له كيف كنت فى بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم
فى ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت
انى آكل كثيرا بل انى لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخى يهدى اليه طيبات الطعام
فيأكل فقيل له ان أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ثم قال انما
أنا ضيف فى دار مولاى فاذا أطعمنى أكلت واذا جوعنى صبرت مالى والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن أدهم الى
بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقيل يا أبا اسحق بهذا كله قال ويحك
اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم
الاوزاعى والثورى فقال له الثورى يا أبا اسحق أما تخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما
الاسراف فى اللباس والاثاث فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن أدهم و يسمع
عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتى الملح منذ عشرين سنة وعن سرى السقطى انه منذ أربعين سنة يشتهى
أن يغمس جزرة فى دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بان أحدهما مخطئ والبصير باسرار القلوب يعلم أن
كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبى مغرور
فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسى فليس نفسى أطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن
دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول ما نفسى بأعصى على من نفس معروف
الكرخى وابراهيم بن أدهم فأقتدى بهم وأرفع التقدير فى مأكولى فأنا أيضا ضيف فى دار مولاى فمالى
وللاعتراض ثم انه لو قصر أحد فى حقه وتوقيره أو فى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل
بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير فى الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن
ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه و بين الله علامة فى استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج
النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا
لله فى أكله وافطاره فينبغى أن يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله ﷺ (٢) يحب العسل
ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء فى يده و يقول أشربها
وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده بل
يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى أن يدعوه الى غاية
الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من
قلبه فيلقى اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص أن
يخوض مع المريد فى كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من
رياضته والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقتهم الى
السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والأولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط
ينبغى أن لا يترك فى كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما

---

م قد كنت أصبحت صائما (١) حديث خرج وقال انى صائم فقالت عائشة يارسول الله قد أهدى الينا حيس فقال
كنت أردت الصوم ولكن قربيه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفى رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل
وفى لفظ للبيهقى انى كنت أريد الصوم ولكن قربيه (٢) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من
حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه

---

من صاحبه خيرا وقال أبو ادريس الخولانى لمعاذ انى أحبك فى الله فقال أبشر ثم أبشر فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون فى الله (وقيل) لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة

بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أملك كل يوم خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم

﴿ بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام ﴾

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي * سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار لان الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان انك اذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات * الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

﴿ القول في شهوة الفرج ﴾

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين * احداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الاجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق * الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط

الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الاسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين وأهل الاقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال

ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس (١) فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله ﷺ الا أنه قال فى تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله (٢) وكان ﷺ يقول فى دعائه أعوذ بك من شر سمعي و بصري وقلبي وهني ومني وقال عليه السلام (٣) النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال روى أن موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا ابليس فقال لا حياك الله ماجاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذى رأيت عليك قال برنس أختطف به قلوب بنى آدم قال فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها وأفتنها به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ماأخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه و بين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول ياويلتاه علم موسى مايحذر به بنى آدم * وعن سعيد بن المسيب قال مابعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس أن يهلكه بالنساء ولا شئ أخوف عندى منهن ومابالمدينة بيت أدخله الا بيتى و بيت ابنتى اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط مايقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهى افراطها بطائفة الى أمرين شنيعين * أحدهما أن تناولوا مايقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روى فى غريب الحديث ان رسول الله ﷺ (٤) قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة فاعلم انه ﷺ كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع * والأمر الثانى أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم لأن المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهى أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لاتنقضى الا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فتكتفى به وهذا لا يكتفى الا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له وانما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق فى أول انبعاثه

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقال الذى أسنده الذكر اذا دخل هذا حديث لا أصل له (٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعي و بصري وقلبي ومنيي تقدم فى الدعوات (٣) حديث النساء حبائل الشيطان الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث خالد ابن زيد الجهنى باسناد فيه جهالة (٤) حديث شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة

مثال

عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا والدى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادى قال أنا أبو العباس عبد الله بن يعقوب الكرمانى قال حدثنا يحيى الكرمانى قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد بن شعبة عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الا ان مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى والتألف والتودد يؤكد أسباب الصحبة والصحبة مع الأخيار مؤثرة

مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها و يجرها إلى ورائها وما أعظم التفاوت بين الامرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور فأما فى أواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدى إلى نزع الروح فاذن افراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وانما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال ﷺ (١) معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء

﴿ بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ﴾

اعلم أن المريد فى ابتداء أمره ينبغى أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك و يستجره إلى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ (٢) فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الدارانى من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاوّل وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آنسنى الله بها أى ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم فكيف يقاس غير رسول الله ﷺ به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه فى بعض الاحوال أن يسرى ذلك إلى قالبه فيهدمه فلذلك (٣) كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانا و يقول كلمينى يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال (٤) أرحنا بها يا بلال حتى يعود إلى ما هو قرة عينه (٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ﷺ فشرط المريد العزبة فى الابتداء إلى أن يقوى فى المعرفة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة والا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره و يتفرق عليه همه ور بما وقع فى بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدى على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لا أخطئ به يعنى النظر وقال رسول الله ﷺ (٦) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال ﷺ (٧) ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال ﷺ (٨) اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أوّل فتنة بنى اسرائيل كانت من قبل النساء وقال تعالى

---

العقيلى فى الضعفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع (١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوّج الحديث تقدم فى النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما فى الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا و يقول كلمينى يا عائشة لم أجد له أصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم فى الصلاة (٥) حديث ان الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس الحديث تقدم ايضا (٧) حديث ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أوّل فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء م من حديث أبى سعيد الخدرى [illegible]

---

جدا (وقد قيل) لقاء الاخوان لقاح ولا شك ان البواطن تتلقح و يتقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر الى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر (وقد قيل) من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن أنواع العروق فى الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الأشياء ففى النفوس الشريفة

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام (١) لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم او يتمني ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * (٢) وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أوليس باعمى لا يبصرنا فقال وأنتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه * وقال سفيان لو أن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر إلى الاحداث عظيمة فهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع (وقال بعضهم) غلبت على شهوتي في بدء ارادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولدلي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية (قال بعضهم) من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان الحديث م هق واللفظ له من حديث أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن ت وقال حسن صحيح

البشرية أكثر تأثيرا وسمي الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه من خير وشر والتألف والتودد يستجلب المزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والاخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما أن محبتهم محبة الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن مغاين والمؤمن مرآة المؤمن اذا نظر الى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات الهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار

فوقه بار بع بالجمال والادب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة فى دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى أبيها وقالت قد تحيرت فى هذا الرجل أنا فى منزله منذ سنين ماذهبت الى الخلاء قط الاوحمل الماء قبلى اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدرى فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فأراهم الرجل انه قد أصابه رمد ثم أراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له فى ذلك فقال تعمدته لاجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغى أن يكون وان قدر على الترك فهو أولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم فكتب الى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم وليس تمضى الأيام والليالى حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبينى فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابى هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك وأضعافه ماسرنى أن أشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل مايشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده فى العزوبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذى يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ماأيس ابليس من أحد الا وأتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ماشئ أخوف عندى من النساء وعن عبدالله بن أبى وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وماأملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبى ﷺ وزوجنى على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وماأدرى ماأصنع من الفرح فصرت الى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلى فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائى لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابى يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد ابن المسيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت ياأبا محمد لو أرسلت الى لاتيتك فقال لأنت أحق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هى قائمة خلفه فى طوله ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤنى وقالوا ماشأنك قلت ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أو سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهى فى الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك أمى فجاءت وقالت وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هى من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتينى سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو

وأدركها أهل الانوار * ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر الى الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله ﷺ على ماورد أن رسول الله ﷺ خطب فقال مامن الناس أحد أمن علينا فى صحبته وذات يده من ابن أبى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال مانفعنى مال كمال أبى بكر فالخلق حجبوا عن الله بالخلق فى المنع والعطاء فالصوفى فى الابتداء يفنى عن الخلق ويرى الاشياء من الله

فى حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمنى حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت إلى منزلى فوجه إلى بعشرين ألف درهم قال عبدالله بن سلمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبدالملك ابن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبدالملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد فى الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة فى الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه

﴿ بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين ﴾

إعلم أن هذه الشهوة هى أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس فى شئ من ذلك ثواب فانه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففى هذه العوائق فائدة وهى دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل فى تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال ﷺ (١) من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام (٢) سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال انى أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة * وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم أشار الى قوله تعالى ـ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ـ وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ وجلس سليمان فى الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأورعهم فبصرت به أعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه فلقة قمر وقالت أهنئنى فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتى قال لا والله الا ان لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء منك لانى أخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الابواء أعجب * وروى عن عبدالله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ

(١) حديث من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ك فى التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد ابن سعيد ثم قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لى فرس ورمح غزوت سويدا ورواه الخرائطى من غير طريق سويد بسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا اعطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا ولذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة الحامدون

(١) يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينى و بين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذى له وذهب فنميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال ياعبد الله أعطنى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال ياعبد الله أتهزأ بى فقلت لا أستهزئ بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا أفضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم (٢) لك الاولى وعليك الثانية أى النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع فى القلب شهوة وقلما يخلو الانسان فى تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو فى كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها فى حاجة لهم الى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأنا أشد حبا لك منك لى ولكنى أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بنى اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائى فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فأخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت ان ليس لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بأمرك فأخبره فقال الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن الاقامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها ثم اعمل ماشئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فذكر الحديث بطوله رواه خ

(٢) حديث لك الاولى وليست لك الثانية أى النظرة د ت من حديث بريدة قاله لعلى قال ت حديث غريب

الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء وقال عليه السلام من عطس أو تجشا فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام (وروى) جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد ينعم عليه بنعمة فحمد الله الا كان الحمد أفضل منها فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا و يحتمل ان الحمد أفضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التى حمد عليها فاذا شكروا المنعم الأولى يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له (روى) أنس رضى الله عنه قال

على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها فأطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا فقالت له والله ماوقفت موقفي هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد الى مثل هذا منى والذى حملنى على أن لقيتك فى مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتى ان القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يعيبها وجملة ما أقول لك ان جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى أمرى وأمرك قال فمضى الشاب الى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة فى موضعها فألقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ماذكرت باطلا فانى أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم وانى والله قد ضعفت عن اصلاح نفسى فكيف باصلاح غيرى وان كان ماذكرت حقا فانى أدلك على طبيب هدى يداوى الكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فانى مشغول عنك بقوله تعالى وأنذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فأين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع الى منزله كيلا يراها فقالت يافتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا الا غدا بين يدى الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسأل الله الذى بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ماقد عسر من أمرك ثم انها تبعته وقالت امنن على بموعظة أحملها عنك وأوصنى بوصية أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى ـ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ـ قال فأطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الأول ثم انها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت فى العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى فيقال له مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك فيقول انى قد ذبحت طمعها فى أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فأنا أستحى منه ان أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى * تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

## ﴿ كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله ﴿ أما بعد ﴾ فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه مامن موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفى فان كل مايتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد

كان رسول الله ﷺ اذا أفطر عند قوم قال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار ونزلت عليكم السكينة (أخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد ابن محمد بن أحمد البزار قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن محمد البغوى قال أنا عمرو بن زرارة قال ثنا عيينة بن يونس عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء * ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فاذا كان الرجل وافر العلم صبرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها

فى سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والآذان لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذلك سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له فى الخير مجال رحب وله فى الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته فى عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب فى اطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله وانه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار فى ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان أو جماد أو انسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب فى القول واليمين ثم بيان التعاريض فى الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطا فى فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهى قديمة أو محدثة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

## ﴿بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت﴾

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال ﷺ (١) من صمت نجا وقال عليه السلام (٢) الصمت حكم وقليل فاعله أى حكمة وحزم (٣) وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يارسول الله أخبرنى عن الاسلام بامر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده الى لسانه (٤) وقال عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (٥) وقال سهل بن سعد الساعدى قال رسول الله ﷺ من يتكفل لى بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وقال ﷺ (٦) من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله القبقب هو البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر

(١) حديث من صمت نجات من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس ان لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح الى أنس (٣) حديث سفيان الثقفى اخبرنى عن الاسلام بامر لا أسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصححه ون ه وهو عند م دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه خ (٦) حديث من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه الحديث أبو منصور الديلمى

فليتوصل الى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى اصلاح ذات البين وفى هذا المعنى يحتاج الى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك الا لصوفى تام الحال عالم ربانى (روى) عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبى من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس (وقال عطاء) لأن يرائى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له فى شئ من الجاه والمال ولو أن

آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج [١] وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال [٢] معاذ بن جبل قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم [٣] وقال عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بامر أعتصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا [٤] وروى أن معاذا قال يارسول الله أى الاعمال أفضل فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه [٥] وقال أنس ابن مالك قال ﷺ لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال ﷺ [٦] من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله ﷺ انه قال [٧] اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان أى تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا [٨] وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردنى الموارد ان رسول الله ﷺ قال ليس شئ من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته [٩] وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبى ويقول يالسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شئ تقوله أو شئ سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه [١٠] وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره [١١] وروى أن معاذ

---

من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة (١) حديث سئل عن أكثر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه و ه من حديث أبى هريرة (٢) حديث معاذ قلت يارسول الله أنؤخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ت وصححه و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بامر أعتصم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفى كما رواه ت وصححه ه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (٤) حديث ان معاذا قال يارسول الله أى الاعمال أفضل فاخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت وقال أصبعه مكان يده (٥) حديث أنس لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند فيه ضعف (٦) حديث من سره أن يسلم فليلزم الصمت ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو الشيخ فى فضائل الاعمال والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (٧) حديث اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبى سعيد الخدرى رفعه ووقع فى الاحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وانما هو عن سعيد بن جبير عن أبى سعيد رفعه ورواه ت موقوفا على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٨) حديث ان عمر اطلع على أبى بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا أوردنى الموارد ان رسول الله ﷺ قال ليس شئ من الجسد الا يشكو الى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو يعلى فى مسنده والدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطنى ان المرفوع وهم على الدار وردى قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر ولا علة له (٩) حديث ابن مسعود انه كان على الصفا يلبى ويقول يالسان قل خيرا تغنم وفيه مرفوعا ان أكثر خطايا بنى آدم فى لسانه الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب بسند حسن (١٠) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت بسند حسن (١١) حديث ان معاذا قال

---

ملوك الارض وقفوا فى خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل الى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح الا لآحاد من الخلق وأفراد من الصادقين ينسلخون عن ارادتهم واختيارهم ويكاشفهم الله تعالى بمراده منهم فيدخلون فى الاشياء بمراد الله تعالى فاذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون فى ذلك بغيبة صفات النفس وهذا لاقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا الى مقام البقاء فيكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان وبيان واذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب

ابن جبل قال يارسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه (١) وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت (٣) وقال الحسن ذكر لنا ان النبي ﷺ قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب (٤) وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال ﷺ (٥) اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال ﷺ ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال عليه السلام (٦) إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة (٧) وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلام (٨) ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا ﷺ (٩) من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ﴿الآثار﴾ كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان أرسلته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا

قلب مكاشف بصريح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الاشياء ولم تأخذ الاشياء من وقته ولا يكون في قطر من الاقطار الا واحد متحقق بهذا الحال (قال) أبو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه (قال) سهل بن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويبذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست [ب]عين

(١) حديث أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٢) حديث صفوان بن سليم مرفوعا ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضا مرفوعا (٢) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه (٣) حديث الحسن ذكر لنا رسول الله ﷺ قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية اسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٤) حديث البراء جاء اعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٥) حديث اخزن لسانك الا من خير الحديث طص من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولابن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة ه من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد تقدم (٧) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ المجالس وضعفه ابن عدي ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٨) حديث ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وانما رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٩) حديث من كثر كلامه كثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبيهقي في الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب

باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الافيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال الارأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم فقال له أخشى الله ان كذبت وأخشاك ان صدقت وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل وقال الآخر انى اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت وقيل أقام المنصور بن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ماتكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ماتكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء * فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسببه * فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سياقة الى اللسان لاتثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عما لايحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولامنفعة * أما الذى هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لاتفي بالضرر وأما مالا منفعة فيه ولاضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلايبقى الاالقسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ماسنذكره علم قطعا أن ماذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال (١) من صمت نجا (٢) فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولايعرف ماتحت آحاد كلماته من بحار المعاني الاخواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها مايعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى الى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

﴿ الآفة الأولى الكلام فيما لايعنيك ﴾

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لاضرر عليك فيه ولاعلى مسلم أصلا الا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر مايعظم جدواه ولوهللت

---

(١) حديث من صمت نجا تقدم (٢) حديث انه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم م من حديث أبي هريرة وقد تقدم

﴿ الآفة الأولى الكلام فيما لايعنيك ﴾

الرياسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى

﴿ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف ﴾

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أدبنى ربى فأحسن تأديبي فالأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا وانما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ولا يتكامل الأدب في العبد الا بتكامل مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم

الله سبحانه وذكره وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبني بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى (١) فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا هكذا قال النبي ﷺ بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي ﷺ (٢) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس (٣) استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال ﷺ وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر (٤) أن النبي ﷺ فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال ﷺ من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ومعناه أنه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه في مباح فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب (٥) قال قال رسول الله ﷺ ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال أبو ذر (٦) قال لي رسول الله ﷺ ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب إلي من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما لا يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله

الخالق لا سبيل الى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل وقد قال تعالى لا تبديل لخلق الله والاصح أن تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال حسنوا أخلاقكم وذلك أن الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للادب ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية فيه كوجود النار في الزناد ووجود النخل في النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكنه من اصلاحه بالتربية الى أن يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار وكما جعل في

---

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجد له أصلا وروى محمد بن زكريا العلائي أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله ﷺ فقال ان الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ت وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي ﷺ فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة باسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي و بين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه ان أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا وفيه أبو نجيح اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك ابن أبي الدنيا بسند منقطع

تعالى وحده الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مآل مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر واذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشئ مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة وأكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه إثم أو ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روى ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الاوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

## ﴿ الآفة الثانية فضول الكلام ﴾

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه إثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أما يستحي أحدكم اذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن

﴿ الآفة الثانية فضول الكلام ﴾

نفس الانسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الاصلاح والافساد فقال سبحانه وتعالى ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال عز وجل قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فاذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الاخلاق وتكونت الآداب فالادب استخراج ما في القوة الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد اذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمي فهكذا الآداب

يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلاتذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم أخزه وماأشبه ذلك * واعلم أن فضول الكلام لاينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عزوجل لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أومعروف أو إصلاح بين الناس وقال ﷺ (١) طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الأمر فى ذلك فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبدالله عن أبيه قال (٢) قدمت على رسول الله ﷺ فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولايستهوينكم الشيطان اشارة الى أن اللسان اذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن ياابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ماشئت وأكثر أوأقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته و بعث نفرا ينظرون مايقول ويخبرونه فاخبروه بانه مر فى السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع مايملون وقال ابراهيم التيمى اذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فان كان له تكلم والا أمسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار (٣) تكلم رجل عند النبى ﷺ فاكثر فقال له ﷺ كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاى وأسنانى قال أفما كان لك فى ذلك مايرد كلامك وفى رواية أنه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى الكلام ثم قال ماأوتى رجل شرا من فضل فى لسانه وقال عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه انه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبى حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر إن أحق ماطهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ماسبق فى الكلام فيما لايعنى

## ﴿ الآفة الثالثة الخوض فى الباطل ﴾

وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لايحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعنى أوأكثر مما يعنى فهو ترك الاولى ولاتحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لايعنى لايؤمن عليه الخوض فى الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولايعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أوالخوض فى الباطل

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله البغوى وابن قانع فى معجمى الصحابة والبيهقى من حديث ركب المصرى وقال ابن عبدالبر انه حديث حسن وقال البغوى لاأدرى سمع من النبى ﷺ أم لا وقال ابن منده مجهول لانعرف له صحبة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله ﷺ فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث دن فى اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبى ﷺ فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات

﴿ الآفة الثالثة الخوض فى الباطل ﴾

منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها تواصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى استخراج مافى النفوس وهو مركوز بخلق الله تعالى الى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والآداب تقع فى حق بعض الاشخاص من غير زيادة ممارسة ورياضة لقوة ماأودع الله تعالى فى غرائزهم كما قال رسول الله ﷺ أدبنى ربى فأحسن تأديبى وفى بعض الناس من يحتاج الى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى الغريزة فلهذا احتاج المريدون الى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عونا على استخراج مافى الطبيعة الى الفعل

وأنواع الباطل لايمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لامخلص منها الابالاقتصار على مايعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث (١) قال رسول الله ﷺ ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله مايظن أن تبلغ به مابلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ به مابلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي ﷺ (٢) ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقي لها بالا يهوى بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقي لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة وقال ﷺ (٣) أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ماتقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ماسيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

﴿ الآفة الرابعة المراء والجدال ﴾

وذلك منهي عنه قال ﷺ (٤) لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام (٥) ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولاتؤمن فتنته وقال ﷺ (٦) من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت (٧) قال رسول الله ﷺ ان أول ماعهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا (٨) ماضل قوم بعد أن هداهم الله الا أوتوا الجدل وقال أيضا (٩) لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال أيضا

---

(١) حديث بلال بن الحارث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث ه ت وقال حسن صحيح (٢) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين و ت ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظ ت وقال حسن غريب (٣) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح

﴿ الآفة الرابعة المراء والمجادلة ﴾

(٤) حديث لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم (٥) حديث ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولاتؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله لاتفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٦) حديث من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٧) حديث أم سلمة ان أول ماعهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في المراسيل من حديث عروة بن رويم (٨) حديث ماضل قوم الا أوتوا الجدل ت من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف (٩) حديث لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لايؤمن العبد حتى يترك الكذب في

قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال ابن عباس رضي الله عنهما فقهوهم وأدبوهم وفي لفظ آخر قال رسول الله ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * قال يوسف بن الحسين بالادب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى (قيل) لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لأمره لايخطئ أحد منهم فقال ياأبا حفص

(١) ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله إلا بالجدال وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شئ وقال أيضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فاما أن أكذبه واما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك اثما أن لا تزال مماريا وقال ﷺ (٢) تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا لزهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لأني لا أشاريه ولا أماريه وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يحب أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في افحامه والجامه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث

أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة (حكي) عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقي وأمد رجلي فجاءتني عائشة المكية فقالت لي يا أبا عبيد يقال انك من أهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسه الا بأدب والا

---

المزاحة والمراء وان كان صادقا (١) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الحديث وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الاشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث
(٢) حديث تكفير كل لحاء ركعتان الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف

له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ماذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع مايقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منها وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال ﷺ من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال ﷺ (١) رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن مايقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

## ﴿ الآفة الخامسة الخصومة ﴾

وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها (٢) قال رسول الله ﷺ ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم وقال أبو هريرة (٣) قال رسول الله ﷺ من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ماخاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال مايجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لأبيك عندي يدا واني أريد أن أجزيك بها واني والله مارأيت شيأ أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لي خصمي مالك قلت لا أخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لا أطلب منك شيأ هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلابد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يتعرف ان الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات

(١) حديث رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا بأحسن مايقدر عليه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كف لسانه عن اعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا

﴿ الآفة الخامسة الخصومة ﴾

(٢) حديث عائشة ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصفهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى

فيمحي اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من العارفات وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب والنفس تجري بطباعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده الى حسن المطالبة فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما أعانها فهو شريكها وقال الجنيد من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه لان العبودية ملازمة الادب والطغيان سوء الادب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو النصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال

مؤذية ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة واظهار الحق و يتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفى الناس من يصرح به و يقول انما قصدى عناده وكسر عرضه وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد و إيذاء ففعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه و بقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه و يحزن بمسرته و يطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى أن لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الأثم ولا تذم خصومته الا أنه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ أقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله إما تجهيل و إما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال ﷺ (١) يمكنكم من الجنة طيب الكلام و إطعام الطعام وقد قال الله تعالى ــ وقولوا للناس حسنا ــ وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول ــ و إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ــ وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس (٢) قال رسول الله ﷺ ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام (٣) الكلمة الطيبة صدقة وقال (٤) اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضى الله عنه البر شئ هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا انك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

﴿الآفة السادسة﴾

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه رسول الله ﷺ أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف وقال ﷺ (٥) ان أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالسا الثرثارون المتفيهقون

---

ضعفه الجمهور (١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام و إطعام الطعام الطبرانى من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هانى أبى شريح باسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبى هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم

﴿الآفة السادسة التقعر فى الكلام والتشدق﴾

(٥) حديث ان أبغضكم الى الله وأبعدكم منى مجالسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون أحمد من حديث أبى ثعلبة وهو عند ت من حديث جابر وحسنه بلفظ ان أبغضكم الى

---

أنا أبو العباس المحبوبى أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع (وروى) أيضا انه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من نحلة أفضل من أدب حسن (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه (وقال) أبو على الدقاق العبد يصل بطاعته الى الجنة و بأدبه فى طاعته الى الله تعالى (قال) أبو القاسم القشيرى رحمه الله كان الاستاذ أبو على

المتشدقون فى الكلام وقالت فاطمة رضى الله عنها (١) قال رسول الله ﷺ شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام و يلبسون ألوان الثياب و يتشدقون فى الكلام وقال ﷺ (٢) ألاهلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضى الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمرو بن سعد بن أبى وقاص الى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بابعد منك اليوم انى سمعت رسول الله ﷺ يقول (٣) يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بالسنتها وكانه أنكر عليه ماقدمه على الكلام من التشبب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان و يدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات اذ قضى رسول الله ﷺ بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى (٤) كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولاصاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الاعراب وأنكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغى أن يقتصر فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وماوراء ذلك تصنع مذموم ولايدخل فى هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها و بسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات فلايليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولاباعث عليه الاالرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

## ﴿الآفة السابعة الفحش والسب و بذاءة اللسان﴾

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره الخبث واللؤم قال ﷺ (٥) اياكم والفحش فان الله تعالى لايحب الفحش ولا التفحش (٦) ونهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء ألا ان البذاء لؤم وقال ﷺ (٧) ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى وقال ﷺ (٨) الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها وقال ﷺ (٩) أربعة يؤذون أهل النار فى النار على مابهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى

---

(١) حديث فاطمة شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الحديث وفيه و يتشدقون ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب (٢) حديث ألاهلك المتنطعون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لاشرب ولا أكل الحديث م من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وأصلهما عند خ أيضا

﴿الآفة السابعة الفحش والسب و بذاءة اللسان﴾

(٥) حديث اياكم والفحش الحديث ن فى الكبرى فى التفسير والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة (٦) حديث النهى عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع فى أب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لاتسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا (٧) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى ت باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفا قال الدارقطنى فى العلل والموقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن عمرو (٩) حديث أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الاذى الحديث وفيه ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن أبى الدنيا من حديث شفى بن ماتع واختلف فى صحبته فذكره أبو نعيم فى الصحابة وذكره خ حب فى التابعين

كل

---

لايستند الى شئ فكان يوما فى مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لانى رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة أوسجادة فقال لاأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لايستند الى شئ أبدا (وقال) الجلال البصرى التوحيد يوجب الايمان فمن لاايمان له لاتوحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لاايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا أدب له لاشريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له (وقال) بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الاعوقب ظاهرا وما أساء

كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال ﷺ لعائشة (١) ياعائشة لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال ﷺ (٢) البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق فيحتمل أن يراد بالبيان كشف مالا يجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال ﷺ (٣) ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق وقال جابر بن سمرة (٤) كنت جالسا عند النبي ﷺ وأبي أمامي فقال ﷺ ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وان أحسن الناس اسلاما أحاسنهم أخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب وقال الأحنف بن قيس ألا أخبركم بأدوإ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون مايقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه ومايجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فأتيناه نسأله لنرى مايقول فقلنا من أين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال أعرابي لرسول الله ﷺ (٥) أوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيأ قال فما سببت شيأ بعده وقال عياض بن حمار (٦) قلت يارسول الله ان الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال المتسابان

---

(١) حديث ياعائشة لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٢) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق ت وحسنه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي امامة وقد تقدم (٣) حديث ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش الصياح في الاسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللطبراني من حديث أسامة بن زيد ان الله لا يحب الفاحش المتفحش واسناده جيد (٤) حديث جابر بن سمرة ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا باسناد صحيح (٥) حديث قال اعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ غيرك بشيء تعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني باسناد جيد من حديث أبي جرى الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٦) حديث عياض بن حمار قلت يارسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من

---

أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت الى غلام أمرد فنظر الى الدقاق وأنا أنظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها بعد عشرين سنة ان أنسيت القرآن (وقال) سري صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لامددت رجلي أبدا وقال الجنيد فبقي ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهارا (قال عبد الله) بن المبارك من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان

شيطانان يتعاويان ويتهارجان وقال ﷺ (١) سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال ﷺ (٢) المستبان ماقالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم وقال ﷺ (٣) ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه

## ﴿ الآفة الثامنة اللعن ﴾

اما لحيوان أوجماد أوانسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله ﷺ (٤) المؤمن ليس بلعان وقال ﷺ (٥) لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ماتلاعن قوم قط الاحق عليهم القول وقال عمران بن حصين (٦) بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره اذامرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال ﷺ خذوا ماعليها وأعروها فانها ملعونة قال فكأنى أنظر الى تلك الناقة تمشى بين الناس لايتعرض لها أحد وقال أبو الدرداء مالعن أحد الارض الاقالت لعن الله أعصانا لله وقالت عائشة رضى الله عنها سمع رسول الله ﷺ (٧) أبابكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبابكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبى ﷺ وقال لا أعود وقال رسول الله ﷺ (٨) ان اللعانين لايكونون شفعاء ولاشهداء يوم القيامة وقال أنس (٩) كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال ﷺ ياعبدالله لاتسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الاعلى من اتصف بصفة تبعده من الله عزوجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغى أن يتبع فيه لفظ الشرع فان فى اللعنة خطرا لانه حكم على الله عزوجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لايطلع عليه غيرالله تعالى ويطلع عليه رسول الله ﷺ اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أوعلى الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن فى لعن أوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغى أن يمنع منه العوام لان

---

بأس ان أتنصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران د الطيالسى وأصله عند أحمد (١) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث المستبان ماقالا فعلى البادئ حتى يعتدى المظلوم م من حديث أبى هريرة وقال مالم يعتد (٣) حديث ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثانى من حديث عبدالله بن عمرو

﴿ الآفة الثامنة اللعن ﴾

(٤) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولااللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لايكون المؤمن لعانا (٥) حديث لاتلاعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٦) حديث عمران بن حصين بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره اذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٧) حديث عائشة سمع رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا أبا بكر لعانين وصديقين الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأى فيه (٨) حديث ان اللعانين لايكونون شفعاء ولاشهداء يوم القيامة م من حديث أبى الدرداء (٩) حديث أنس كان رجل مع رسول الله ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال ياعبدالله لاتسر معنا على بعير

---

المعرفة (وسئل السرى) عن مسئلة فى الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضربه بابرتها فقيل له ألاتدفعها عن نفسك قال أستحى من الله أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله ﷺ انه قال زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) أنس بن مالك الأدب فى العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل مامعناه قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالأدب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد

ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا * فان قلت يلعن لكونه كافرا فى الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما فى الحال وان كان يتصور أن يرتد * فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أى ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو فى نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس فى ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب فى الاحوال الا من أعلم به رسول الله ﷺ فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول فى دعائه على قريش (١) اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه (٢) إذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون يعنى أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى (٣) أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى قحافة فقال أبو بكر يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام فقال ﷺ اكفف عن أبى بكر فانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال ياأبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم إذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك (٤) وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله ﷺ فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال ﷺ لاتكن

---

ملعون ابن أبى الدنيا باسناد جيد (١) حديث اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الامر شئ لفظ م (٣) حديث ان رسول الله ﷺ سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد ابن العاص فغضب ابنه الحديث د فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله ﷺ مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد ابن العاص فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا (٤) حديث شرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله ﷺ فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله ﷺ لاتكن عونا للشيطان على أخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر فى الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد فى حياته ﷺ وسماه محمدا وكناه عبد الملك وللبخارى من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان قد جلده فى الشراب فأتى به

---

إذا نطقت جاءت بكل مليحة * وان سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريرى منذ عشرين سنة ما مددت رجلى فى الخلوة فان حسن الأدب مع الله أحسن وأولى * وقال أبو على ترك الادب موجب للطرد فمن أساء الادب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الادب على الباب رد إلى سياسة الدواب

﴿ الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لأهل القرب ﴾

كل الآداب تتلقى من رسول الله ﷺ فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه غامضة

عوناللشيطان على أخيك وفى رواية لاتقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففى لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولاخطر فى السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه قاتل الحسين أوآمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلايجوز أن يقال انه قتله أوأمر به مالم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لاتجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهم فان ذلك ثبت متواترا فلايجوز أن يرمى مسلم بفسق أوكفر من غير تحقيق قال ﷺ (١) لايرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الاارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال ﷺ (٢) ماشهد رجل على رجل بالكفر الاباءبه أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أوغيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ (٣) قال لى رسول الله ﷺ أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى اماما عادلا والتعرض للاموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت مافعل فلان لعنه الله قلت توفى قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله ﷺ (٤) لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا إلى ماقدموا وقال عليه السلام (٥) لاتسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال عليه السلام (٦) أيها الناس احفظونى فى أصحابى واخوانى وأصهارى ولاتسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أوالآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهى إلى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس فى السكوت خطر فهو أولى وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلاينبغى أن يطلق اللسان باللعنة الاعلى من مات على الكفر أوعلى الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففى السكوت سلامة قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا ياابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لا إله إلاالله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتى لا إله إلاالله أحب إلى من أن يخرج منها لعن

من غوامض الآداب اختص بها رسول الله ﷺ أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال أعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله وترك وراءظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت إلى ما أعرض عنه ولا لحقه الاسف على الغائب فى اعراضه قال الله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر اخبار عن حال النبى عليه السلام بوصف خاص من معنى ماخاطب به العموم فكان ما زاغ البصر حاله فى طرف الاعراض وفى

يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ماأكثر مايؤتى به فقال النبى ﷺ لاتلعنوه فوالله ماعلمت الاأنه يحب الله ورسوله من حديث أبى هريرة فى رجل شرب ولم يسم وفيه لاتعينوا عليه الشيطان وفى رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم (١) حديث لايرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلاارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخارى من حديث أبى ذر مع تقديم ذكر الفسق

(٢) حديث ماشهد رجل على رجل بالكفر الاأتى أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف (٣) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى اماما عادلا أبو نعيم فى الحلية فى أثناء حديث له طويل (٤) حديث عائشة لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا إلى ماقدموا خ وذكر المصنف فى أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك فى الزهد والرقائق مع القصة (٥) حديث لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلاان بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم (٦) حديث أيها الناس احفظونى فى أصحابى واخوانى وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عياض الانصارى احفظونى فى أصحابى وأصهارى واسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبى سعيد وأبى هريرة لاتسبوا أصحابى ولأبى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائى من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم الابخير واسناده جيد

الله

الله فلانا وقال رجل لرسول الله ﷺ (١) أوصني فقال أوصيك أن لا تكون لعانا وقال ابن عمران أبغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت انه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال (٢) كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله ﷺ ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر (٣) ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

## ﴿ الآفة التاسعة ﴾

الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ (٤) لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال ﷺ (٥) ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله ﷺ (٦) حسان بن ثابت الانصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله ﷺ لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها (٧) كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم انك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين

---

(١) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعانا أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والثاني من حديث جرموز الهجيمي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٢) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٣) حديث ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر

﴿ الآفة التاسعة الغناء والشعر ﴾

(٤) حديث لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد (٥) حديث ان من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٦) حديث أمره حسانا أن يهجو المشركين متفق عليه من حديث البراء انه ﷺ قال لحسان اهجهم وجبريل معك (٧) حديث عائشة كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه انشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي

---

طرف الاقبال تلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره في مطاوي انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط في البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس اضيق وعاء عن المواهب فموسى عليه السلام صح له في الحضرة

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع ﷺ ما كان بيده وقام الى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ماسررت منى كسروري منك (١) ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو فى شعره وفى آخره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال ﷺ اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له ﷺ أتقول فى الشعر فجعل يعتذر اليه و يقول بابى أنت وأمى انى لأجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ثم يقرصنى كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم ﷺ وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين

﴿ الآفة العاشرة المزاح ﴾

وأصله مذموم منهى عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال ﷺ (٢) لا تمار أخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ والصديق أو تجهيلا له وأما المزاح فطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم أن المنهى عنه الافراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة فى بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روى عن النبى ﷺ أنه قال (٣) انى لأمزح ولا أقول الا حقا الا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول الا حقا وأما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله ﷺ (٤) ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار أبعد من الثريا وقال عمر رضى الله عنه من كثر ضحكه قلت

---

ومبرا من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
فاذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

الى آخر الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة (١) حديث لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفى آخر شعره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال ﷺ اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبى ونهب العبيـد بين عيينة والأقرع
وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة وزاد فى رواية وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عنى لسانه فليست فى شئ من الكتب المشهورة ﴿ الآفة العاشرة المزاح ﴾

(٢) حديث لا تمار أخاك ولا تمازحه الترمذى وقد تقدم (٣) حديث انى أمزح ولا أقول الا حقا تقدم
(٤) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم

---

أحد طرفى مازاغ البصر وما التفت الى ما فاته وما طغى متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل اليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرنى أنظر اليك فمنع ولم يطلق فى فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والاحوال السنية فكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سد فى وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط فى البسط ولو حصل الاعتدال فى البسط ما وجبت

هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة. قال ﷺ (١) لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا أخى هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رئى ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون فى عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فهذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبى يعلى يقول أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وقال محمد بن واسع اذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله ﷺ (٢) قال القاسم مولى معاوية (٣) أقبل أعرابى الى النبى ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبى ﷺ ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما أداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضى الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لى أمى يا بنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنئ فيجترئ عليك وقال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضى الله عنه أتدرون لم سمى المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذور وبذور العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى مقطعة للاصدقاء * فان قلت قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول الاحقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر اليهم والى رقصهم ويتمسك بان رسول الله ﷺ أذن (٤) لعائشة فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغى أن يغفل عن هذا نعم روى أبو هريرة (٥) أنهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال انى وان داعبتكم لا أقول الاحقا وقال عطاء (٦) ان رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح فقال نعم قال فما كان مزاحه قال انه ﷺ كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وعائشة

(٢) حديث كان ضحكه التبسم تقدم (٣) حديث القاسم مولى معاوية أقبل اعرابى الى النبى ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبى ﷺ ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبى ﷺ يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وهو مرسل (٤) حديث اذنه لعائشة فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد تقدم (٥) حديث أبى هريرة قالوا انك تداعبنا قال انى وان داعبتكم فلا أقول الاحقا الترمذى وحسنه

(٦) حديث عطاء ان رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس لم أقف عليه

العقوبة بالقبض والاعتدال فى البسط بايقاف النازل من المنح على الروح والقلب والايقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبى عليه السلام من تغييب النفس فى مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله الى الله وهو غاية الادب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فاقو بل بالقبض فدام مريده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشاكل الشرح الذى شرحناه قول أبى العباس ابن عطاء فى قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال لم يره بطغيان يميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التسترى لم يرجع رسول الله ﷺ الى شاهد نفسه ولا الى مشاهدتها وانما

فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وقال أنس ان النبي ﷺ (١) كان من أفكه الناس
مع نسائه وروى (٢) أنه كان كثير التبسم وعن الحسن (٣) قال أتت عجوز الى النبي ﷺ فقال لها ﷺ
لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى ـ انا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا ـ
وقال زيد بن سلم (٤) ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي ﷺ فقالت ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو
الذي بعينه بياض قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال ﷺ ما من أحد
الا و بعينه بياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت (٥) يارسول الله احملني على بعير
فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به انه لا يحملني فقال ﷺ ما من بعير الا وهو ابن بعير فكان
يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير (٦) وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول يا أبا عمير
ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها (٧) خرجت مع رسول الله ﷺ
في غزوة بدر فقال تعالي حتى أسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني
وقال هذه مكان ذي المجاز وذلك أنه جاء يوما ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشئ فقال اعطينيه فأبيت
وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني وقالت أيضا (٨) سابقني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم
سابقني فسبقني وقال هذه بتلك وقالت أيضا رضي الله عنها (٩) كان عندي رسول الله ﷺ وسودة
بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك
فقالت ما أنا بذائقته فأخذت بيدي من الصحفة شيأ منه فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ جالس
بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيأ فمسحت به وجهي وجعل رسول
الله ﷺ يضحك * وروى أن الضحاك بن سفيان الكلابي (١٠) كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي
ﷺ قال ان عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن
احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول
الله ﷺ من سؤالها اياه لانه كان دميما * وروى علقمة عن أبي سلمة (١١) أنه كان صلى الله عليه وسلم
يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن

---

(١) حديث أنس كان من أفكه الناس تقدم (٢) انه كان كثير التبسم تقدم (٣) حديث الحسن
لا يدخل الجنة عجوز الترمذي في الشمائل هكذا مرسلا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٤) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت ان زوجي يدعوك أهو الذي بعينه بياض الحديث
الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهري مع اختلاف
(٥) حديث قوله لامرأة استحملته نحملك على ابن البعير الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس
بلفظ انا حاملك على ولد الناقة (٦) حديث أنس أبا عمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة
(٧) حديث عائشة في مسابقته ﷺ في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذي المجاز لم أجد له أصلا
ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٨) حديث عائشة سابقني فسبقته النسائي وابن ماجه وقد تقدم في النكاح
(٩) حديث عائشة في لطخ وجه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل ﷺ يضحك الزبير
ابن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى باسناد جيد (١٠) حديث ان الضحاك بن سفيان الكلابي قال عندي
امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت
أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي ﷺ لانه كان دميما الزبير بن بكار في
الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلا أو معضلا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري
بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة (١١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة انه ﷺ كان يدلع

---

كان مشاهدا
بكليته لربه يشاهد
ما يظهر عليه من
الصفات التي
أوجبت الثبوت
في ذلك المحل
وهذا الكلام
لمن اعتبر موافق
لما شرحناه برمز
في ذلك عن سهل
ابن عبدالله ويؤيد
ذلك أيضا ما أخبرنا
به شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
السهروردي اجازة
قال أنا الشيخ
العالم عصام الدين
أبو حفص عمر
ابن محمد بن منصور
الصفار النيسابوري
قال أنا أبو بكر
أحمد بن خلف
الشيرازي قال أنا
الشيخ أبو عبد
الرحمن السلمي
قال سمعت أبا
نصر بن عبدالله
ابن علي السراج
قال أنا أبو الطيب
العكي عن أبي
محمد الجريري
قال التسرع الى
استدراك علم
الانقطاع وسيلة

لى الابن قد تزوج و بقل وجهه وما قبلته قط فقال ﷺ ان من لا يرحم لا يرحم فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه ﷺ معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال ﷺ (١) مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرا أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم ﷺ قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى (٢) ان خوات بن جبير الانصارى كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أنفر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة و بعد ما قدمت المدينة قال فرآنى فى المسجد يوما أصلى فجلس الىّ فطولت فقال لا تطول فانى أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أنفر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصارى (٣) رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به الى النبى ﷺ فيضربه بنعله و يأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبى ﷺ لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم أتى بها النبى ﷺ فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبى ﷺ وقال يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له ﷺ أولم تهده لنا فيقول يارسول الله انه لم يكن عندى ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبى ﷺ و يأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

## ﴿ الآفة الحادية عشرة ﴾

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على

---

لسانه للحسن بن على فيرى الصبى لسانه فيهش اليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكون لى الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال ان من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما فى آخره من قول عيينة بن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب الى جده وحكى الخطيب فى المبهمات قولين فى قائل ذلك أحدهما انه عيينة ابن حصن والثانى انه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ان الأقرع بن حابس أبصر النبى ﷺ يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (١) حديث قال لصهيب و به رمد أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل على الشق الآخر فتبسم النبى ﷺ ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٢) حديث ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد و بين خوات ربيعة بن عمرو (٣) حديث كان نعيمان رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبى ﷺ فيضرب به الحديث وفيه انه كان يشترى الشئ و يهديه الى النبى ﷺ ثم يجئ بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله

﴿ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء ﴾

---

والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم فى حيز الاقبال مساءة والاصغاء الى تلقى ما ينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط فى محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفى قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ﴿ وجه آخر ألطف مما سبق ﴾ ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده و يتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة

العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها (١) حاكيت انسانا فقال لي النبي ﷺ والله ما أحب أني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى أن الضحك على الناس من جلة الذنوب والكبائر وعن عبدالله بن زمعة (٢) أنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال ﷺ (٣) ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فمايزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل (٤) قال النبي ﷺ من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أي لاتستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق مايذم منه ومايمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته اذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

﴿ الآفة الثانية عشرة ﴾

افشاء السر وهومنهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال النبي ﷺ (٥) اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة وقال (٦) مطلقا الحديث بينكم أمانة وقال الحسن ان من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ويروى أن معاوية رضي الله عنه أسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت ان أمير المؤمنين أسر الي حديثا وما أراه يطوي عنك مابسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يابني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال ياوليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا مايتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الاعادة

﴿ الآفة الثالثة عشرة ﴾

الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لاتسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق

---

(١) حديث عائشة حكيت انسانا فقال لي النبي ﷺ مايسرني اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذي وصححه (٢) حديث عبدالله بن زمعة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هدبة أحد الهالكين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس اسناده بمتصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه

﴿ الآفة الثانية عشرة افشاء السر ﴾

(٥) حديث اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر (٦) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا

﴿ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب ﴾

والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم ففي تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال القالب فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الأحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره فحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأتى البراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لايتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث المعراج فكان البراق بقالبه مشاكلا لمعناه ومتصفا

النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ﷺ (١) العدة عطية وقال ﷺ (٢) الوأى مثل الدين أو أفضل والوأى الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال انه كان صادق الوعد قيل انه وعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسى فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أنى قد زوجتها ابنتى (٣) وعن عبد الله بن أبى الخنساء قال بايعت النبى ﷺ قبل أن يبعث و بقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء قال ينتظره الى أن يدخل وقت الصلاة التى تجىء وكان رسول الله ﷺ (٤) اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلابد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفى فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ (٥) ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ (٦) أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روى أن رسول الله ﷺ (٧) كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين و بقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدى فذكر موعده لأبى الهيثم فجعل يقول كيف بوعدى لأبى الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة (٨) ولقد كان ﷺ جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها

(١) حديث العدة عطية الطبرانى فى الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٢) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٣) حديث عبد الله بن أبى الخنساء بايعت النبى ﷺ فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا بنى قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود واختلف فى اسناده وقال ابن مهدى ما أظن ابراهيم بن طهمان الا أخطأ فيه (٤) حديث كان اذا وعد وعدا قال عسى لم أجد له أصلا (٥) حديث أبى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه اذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم (٦) حديث عبد الله ابن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٧) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين و بقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بوعدى لأبى الهيثم فآثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبى الهيثم فى آداب الاكل وهى عند الترمذى من حديث أبى هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٨) حديث انه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ما شئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم فى المستدرك من حديث أبى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الاسناد وفيه

بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار فى حديث المعراج الى مقامات الانبياء ورأى فى كل سماء بعض الانبياء اشارة الى تعريفهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى فى بعض السموات فمن هو فى بعض السموات يكون قوله أرنى أنظر اليك تجاوز النظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا هو الاخلال بأحد الوصفين من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فرسول الله جعل مقترنا قدمه ونظره فى جمال الحياء والتواضع ناظرا الى قدمه قادما على نظره ولو خرج عن جمال الحياء والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق فى بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء فلم يزل ﷺ متجلس

قال هي لك وقال احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمي أن تردني شابة وأدخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل أشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله ﷺ (١) ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا اثم عليه

﴿ الآفة الرابعة عشرة ﴾

الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال (٢) قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال أبو أمامة (٣) قال رسول الله ﷺ ان الكذب باب من أبواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام (٤) كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ (٥) لايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا (٦) ومر رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة وقال عليه السلام (٧) الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله ﷺ (٨) ان التجار هم الفجار فقيل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال ﷺ (٩) ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر

---

نظر (١) حديث ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا اثم عليه أبو داود والترمذي وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني الا أنهما قالا فلم يف

﴿ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين ﴾

(٢) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وانما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط واسناده حسن (٣) حديث أبي أمامة ان الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدي في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى الوجيهي ضعيف جدا ويغني عنه قوله ﷺ ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما واذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (٤) حديث كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الادب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدي ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٥) حديث ابن مسعود لايزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٦) حديث مر برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الازدي في كتاب الاسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناه في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٧) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر واسناده ضعيف (٨) حديث ان التجار هم الفجار الحديث وفيه ويحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٩) حديث ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره مسلم من حديث أبي ذر

اليهم

---

حجاله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت اليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط مازاغ البصر وماطغى فمر كالبرق الخاطف الى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الادب ونهاية في الارب (قال) أبو محمد بن رويم حين سئل عن أدب المسافر فقال لايجاوز همه قدمه حيث وقف قلبه يكون مقره (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال ثنا القاضي أبو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن

اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال ﷺ (١) ماحلف حالف بالله فادخل فيهامثل جناح بعوضة الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة وقال أبوذر (٢) قال رسول الله ﷺ ثلاثة يحبهم الله رجل كان فى فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أوظعن ورجل كان معه قوم فى سفر أوسرية فاطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أوالبياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال ﷺ (٣) ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال ﷺ (٤) رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذامده رجع الآخر كما كان فقلت للذى أقامنى ماهذا فقال هذا رجل كذاب يعذب فى قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله ابن جراد قال (٥) سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يانبى الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم أتبعها ﷺ بقول الله تعالى ـ انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ـ وقال أبو سعيد الخدرى سمعت رسول الله ﷺ (٦) يدعو فيقول فى دعائه اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب وقال ﷺ (٧) ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر (٨) جاء رسول الله ﷺ الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت أمى ياعبد الله تعال حتى أعطيك فقال ﷺ وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما انك لولم تفعلى لكتبت عليك كذبة وقال ﷺ (٩) لوأفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال ﷺ وكان متكئا

---

(١) حديث ماحلف حالف بالله فأدخل فيهامثل جناح بعوضة الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة الترمذى والحاكم وصحح اسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٢) حديث أبى ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أوالبائع الحلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الاحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائى بلفظ آخر باسناد جيد وللنسائى من حديث أبى هريرة أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف الحديث واسناده جيد (٣) حديث ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (٤) حديث رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس الحديث البخارى من حديث سمرة بن جندب فى حديث طويل (٥) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبى ﷺ هل يزنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٦) حديث أبى سعيد اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب هكذا وقع فى نسخ الاحياء عن ابن سعيد وانما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب فى التاريخ دون قوله وفرجى من الزنا وزاد وعملى من الرياء وعينى من الخيانة واسناده ضعيف (٧) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم الحديث وفيه والامام الكذاب مسلم من حديث أبى هريرة (٨) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله ﷺ الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى ياعبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت ان تعطيه قالت تمرا فقال ان لم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ان عبد الله بن عامر ولد فى حياته ﷺ ولم يسمع منه* قلت وله شاهد من حديث أبى هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات الا أن الزهرى لم يسمع من أبى هريرة (٩) حديث لوأفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة

---

على الترمذى قال حدثنا محمد بن رزام الايلى قال حدثنا محمد بن عطاء الهجيمى قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية رب أرنى أنظر اليك قال قال ياموسى انه لا يرانى حى الامات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق انما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم* ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الادب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وانما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن

(١) ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله ﷺ (٢) ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به وقال أنس (٣) قال النبي ﷺ تقبلوا الى بست أتقبل لكم بالجنة فقالوا وماهن قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم وقال ﷺ (٤) ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم وخطب عمر رضى الله عنه يوما فقال (٥) قام فينا رسول الله ﷺ كقيامى هذا فيكم فقال أحسنوا الى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف و يشهد ولم يستشهد وقال النبي ﷺ (٦) من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وقال ﷺ (٧) من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله عزوجل وهو عليه غضبان وروى عن النبي ﷺ (٨) انه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها وقال ﷺ (٩) كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضى الله عنها (١٠) ماكان من خلق أشد على أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلى من صدره حتى يعلم انه قد أحدث توبة لله عزوجل منها وقال موسى عليه السلام يارب أى عبادك خيرلك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكذب فانه شهى كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام فى مدح الصدق (١١) أربع اذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خلق وعفة طعمة وقال أبو بكر رضى الله عنه (١٢) فى خطبة بعد وفاة رسول الله ﷺ قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة وقال معاذ قال لى ﷺ

---

(١) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبى بكرة (٢) حديث ابن عمر ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به الترمذى وقال حسن غريب (٣) حديث أنس تقبلوا الى بست أتقبل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم فى المستدرك والخرائطى فى مكارم الاخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائى ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الاسناد (٤) حديث ان للشيطان كحلا ولعوقا الحديث الطبرانى وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٥) حديث خطب عمر بالجابية الحديث وفيه ثم يفشو الكذب الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٦) حديث من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين مسلم فى مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٧) حديث من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٨) حديث انه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٩) حديث على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى أمامة ورواه ابن عدى فى مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبى وقاص وابن عمر أيضا وأبى أمامة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطنى فى العلل (١٠) حديث ماكان من خلق الله شئ أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات الا أنه قال عن ابن أبى مليكه أوغيره وقد رواه أبو الشيخ فى الطبقات فقال ابن أبى مليكه ولم يشك وهو صحيح (١١) حديث أربع اذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا صدق الحديث الحديث الحاكم والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبدالله بن عمرو وفيه ابن لهيعة (١٢) حديث أبى بكر عليكم بالصدق

---

الانبساط فى طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفعه الحق مقاما فى القرب وأذن له فى الانبساط وقال اطلب منى ولو ملحا لعجينك فلما بسط انبسط وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير لأنه كان يسأل حوائج الآخرة و يستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو فى حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات وهذا مثال فى الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمات و يحتشم فى طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار فى مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق

(١) أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد و بذل السلام وخفض الجناح ﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال على رضى الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على ازارى وقال عمر رضى الله عنه أحبكم الينا مالم نركم أحسنكم اسما فاذا رأينا كم فأحبكم الينا أحسنكم خلقا فاذا اختبرنا كم فأحبكم الينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة وعن ميمون بن أبى شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف ان أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت ـ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ـ وقال الشعبى ماأدرى أيهما أبعد غورا فى النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السماك ماأرانى أوجر على ترك الكذب لأنى انما أدعه أنفة وقيل لخالد بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت فى بعض الكتب مامن خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك فى شئ فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه

﴿ بيان مارخص فيه من الكذب ﴾

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه لمافيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشئ على خلاف ماهو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لوأن رجلا سعى خلف انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم أره وماتصدق به وهذا الكذب واجب * فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان أمكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان فى الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لايتم مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه الا بكذب فالكذب مباح الا أنه ينبغى أن يحترز منه ماأمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى الى مايستغنى عنه والى مالايقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما فى الاصل الا لضرورة * والذى يدل على الاستثناء ماروى عن أم كلثوم قالت (٢) ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما * وروى عن أبى كاهل (٥) قال وقع بين اثنين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسى وأصلحت بين هذين فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم

---

فانه مع البر وهما فى الجنة ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وقد تقدم بعضه فى أول هذا النوع (١) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم ماسمعته يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث مسلم وقد تقدم (٣) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذى قبله عند مسلم بعض هذا (٤) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه (٥) حديث أبى كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه ياأبا كاهل اصلح بين الناس رواه الطبرانى

---

سبحانه وتعالى من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الادب أو العطب وقول القائل هذا يشير الى أن الاسماء والصفات تستقل بوجوب محتاج الى الادب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس مع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفى ذلك العطب نهاية الأرب (وقال) أبو على الدقاق فى قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين لم يقل ارحمنى لانه حفظ أدب الخطاب وقال عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته ولم

فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس أى ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار (١) قال رجل للنبى ﷺ أكذب على أهلى قال لاخير فى الكذب قال أعدها وأقول لها قال لاجناح عليك وروى أن ابن أبى عذرة الدؤلى وكان فى خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتى يتزوج بهن فطارت له فى الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الارقم حتى أتى به الى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضينى قالت لا تنشدنى قال فانى أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أنى أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الارقم فسأله فأخبره فأرسل الى امرأة ابن أبى عذرة فجاءت هى وعمتها فقال أنت التى تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت إنى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى انه ناشدنى فتحرجت أن أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكذبى فان كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذى يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب (٢) وعن النواس بن سمعان الكلابى قال قال رسول الله ﷺ مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لامحالة الا أن يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله إثم الا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا وقال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن النبى ﷺ فلأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها ماعداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول مازنيت وماسرقت وقال ﷺ (٣) من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك أن اظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب اليه وان كانت امرأته لا تطاوعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها فى الحال تطييبا لقلبها أو يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق فى هذه المواضع تولد منه محذور فينبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذى يحصل بالصدق أشد وقعا فى الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فان شك فى كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع اليه ولأجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغى أن يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس انما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى أن المرأة لتحكى عن زوجها ما تفتخر به

---

ولم يصح (١) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبى ﷺ أكذب على أهلى قال لاخير فى الكذب قال أعدها وأقول لها قال لاجناح عليك ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو فى الموطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٢) حديث النواس بن سمعان مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق بلفظ تتبايعون الى قوله فى النار دون ما بعده فرواه الطبرانى وفيهما شهر بن حوشب (٣) حديث من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بشئ منها فليستتر بستر الله واسناده حسن

---

يقل لم أقل رعاية لادب الحضرة * وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب فى مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والادب أدبان أدب قول وأدب فعل فمن تقرب الى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب (قال ابن المبارك) نحن الى قليل من الادب أحوج منا الى كثير من العلم وقال أيضا الادب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف * وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت

وتكذب

وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء (١) سمعت امرأة سألت رسول الله ﷺ قالت ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل أضارها بذلك فهل على شئ فيه فقال ﷺ المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وقال ﷺ (٢) من تطعم بما لا يطعم اوقال لى وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبى زور يوم القيامة و يدخل فى هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذى لا يتثبته اذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا كان لا يرغب فى المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا فى الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب و يحاسب عليه و يطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما أبيح بقصد الاصلاح و يتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذى هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع فى خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أهم فى الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى الى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث فى فضائل الاعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال ﷺ (٣) من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ فى الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الله تعالى و يؤدى فتح بابه الى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر التى لا يقاومها شئ نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

﴿ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض ﴾

قد نقل عن السلف أن فى المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه أما فى المعاريض ما يكفى الرجل عن الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما أرادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ماروى أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبى مذ فارقت الامير الا مارفعنى الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شئ فكرهت أن تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ماجئت به مما يأتى به العمال الى أهلهم وما كان قد أتاها بشئ فقال كان عندى ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله ﷺ وعند أبى بكر رضى الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما أعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يعنى رقيبا واراد به الله تعالى وكان النخعى لا يقول لابنته أشترى لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه من يكره أن يخرج اليه وهو فى الدار قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى اذا طلب فى المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله فى موضع الحاجة فاما فى غير

(١) حديث أسماء قالت امرأة ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهى أسماء بنت أبى بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لى وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم فى العلم

وقال ذو النون اذا خرج المريد عن حد استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس فى الادب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه اشارة منه الى أن النفس هى منبع الجهالات وترك الادب من مخامرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ماورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بآداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر

﴿ الباب الثالث والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها ﴾

قال الله تعالى فى وصف أصحاب الصفة فيه رجال

موضع الحاجة فلالأن هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبى على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لى أبى يا بنى اتق الكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لافائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله ﷺ (١) لايدخل الجنة عجوز وقوله للاخرى الذى فى عين زوجك بياض وللاخرى نحملك على ولد البعير وما أشبهه وأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصارى مع عثمان فى قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمق بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت فى تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدى الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال ﷺ (٢) لايكمل للمرء الايمان حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه وأما قوله عليه السلام (٣) ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها فى النار أبعد من الثريا أراد به مافيه غيبة مسلم أو ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذى لايوجب الفسق ماجرت به العادة فى المبالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لايريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان كان طلبه مرات لايعتاد مثلها فى الكثرة لا يأثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام وان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد (٤) قالت أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة فى الليلة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة قالت فوالله ماوجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لاتردى يد رسول الله ﷺ خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولى صواحبك فقلن لانشتهيه فقال لاتجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يارسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه لا اشتهيه أيعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لاتمس عينيك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه فى الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمى قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بنى فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ماعليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من أعظم

(١) حديث لايدخل الجنة عجوز وحديث فى عين زوجك بياض وحديث نحملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة فى الآفة العاشرة (٢) حديث لايستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث أبى مليكة الذمارى وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه وللدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة لايؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب فى مزاحه قال احمد بن حنبل منكر (٣) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم فى الآفة الثالثة (٤) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ الحديث وفيه قال لاتجمعن جوعا وكذبا ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن فى طبقات الاصبهانيين لأبى الشيخ من رواية عطاء ابن أبى رباح عن أسماء بنت عميس زففنا الى النبى ﷺ بعض [illegible] فاذا كانت غير عائشة

يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل فى التفسير يحبون أن يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلبى هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة روى أن رسول الله ﷺ قال لاهل قباء لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد أثنى عليكم فى الطهور فما هو قالوا انا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله اذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء فى الابتداء حتى نزلت الآية فى أهل قباء قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة فقال سلمان

الذنوب عند الله أن يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم ورب ما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال عليه السلام (١) ان من أعظم الفرية أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم يرأو يقول على ما لم أقل وقال عليه السلام (٢) من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدا

﴿ الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها طويل ﴾

فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام (٣) كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام (٤) لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبي سعيد (٥) قالا قال رسول الله ﷺ اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني و يتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس (٦) قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس و يقعون في أعراضهم وقال سليم بن جابر (٧) أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تصب من دلوك في اناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتابنه وقال البراء (٨) خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس (٩) أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فائذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال

---

ممن تزوجها بعد خيبر فلامانع من ذلك (١) حديث ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم تريا أو يقول على ما لم أقل البخاري من حديث واثلة بن الاسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا (٢) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرة البخاري من حديث ابن عباس

﴿ الآفة الخامسة عشرة الغيبة ﴾

(٣) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث أبي هريرة لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر وأبي سعيد اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير (٦) حديث أنس مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح (٧) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله ﷺ فقلت علمني خيرا ينفعني الله به الحديث أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحد واذا أدبر فلا يغتابه وفي اسنادهما ضعف (٨) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة باسناد جيد (٩) حديث أنس أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف

---

أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين و يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو منصور الحريمي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال ﷺ انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار و ينهى

عن الروث والرمة (والفرض) فى الاستنجاء شيآن ازالة الخبث وطهارة المزيل وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا رمة وهى عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فاما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل فى الآية يحبون أن يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون فى الصحراء اذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا * وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم

يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فرهما أن كانتا صائمتين أن تستقيآ فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبى ﷺ فأخبره فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار وفى رواية أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله والله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال ﷺ (١) ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لأحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئى فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس (٢) خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر (٣) كنا مع رسول الله ﷺ فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما احدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال أما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله ﷺ (٤) ماعزا فى الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر ﷺ وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة (٥) من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضجع ويكلح وروى مرفوعا كذلك وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شئ وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك فى أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد أنه قال فى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الاكلة فى الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب

(١) حديث المرأتين المذكورتين وقال فيه ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى فى مسنده فاسقط منه ذكر الرجل المبهم (٢) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأربى الربا عرض الرجل المسلم ابن أبى الدنيا باسناد ضعيف (٣) حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال أما انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب باسناد جيد وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس الا أنه ذكر فيه النميمة بدل الغيبة وللطيالسى فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة نحوه باسناد جيد (٤) حديث قوله للرجل الذى قال لصاحبه فى حق المرجوم هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال انهشا منها الحديث أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد جيد (٥) حديث أبى هريرة من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه فى

الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه كأنه ﷺ نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شئ من خلق الله الا أحسنه وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

## ﴿ بيان معنى الغيبة وحدودها ﴾

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه أو فى خلقه أو فى فعله أو فى قوله أو دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته * أما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصوّر أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان * وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطى أو هندى أو فاسق أو خسيس أو اسكاف أو زبال أو شئ مما يكرهه كيفما كان * وأما الخلق فبأن تقول هو سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه * وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس * وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو انه كثير الكلام كثير الاكل نؤم ينام فى غير وقت النوم ويجلس فى غير موضعه * وأما فى ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز بدليل ماروى أن رسول الله ﷺ (١) ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال هى فى النار (٢) وذكرت عنده امرأة أخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا فهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس الرسول ﷺ والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ فى حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ماروى ان النبى ﷺ (٣) قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أرأيت ان كان فى أخى ما أقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل (٤) ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا ما أعجزه فقال ﷺ اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها (٥) انها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت انها قصيرة فقال ﷺ اغتبتها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة

التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن اسحاق رواه بالعنعنة (١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذى جيرانها فقال هى فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها اذا الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا ورويناه فى أمالى ابن شمعون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا ما أعجزه الحديث الطبرانى بسند ضعيف (٥) حديث عائشة انها ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو فى الصمت لابن أبى

المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمره بالمسح ويدير الحجر فى مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع الى موضع يفعل ذلك الى أن ينتهى الى مؤخر المخرج ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح الى المقدمة ويأخذ الثالث ويديره حول المسربة وان استجمر بحجر ذى ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء اذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا الى الحشفة بالرفق لئلا يندفق بقية البول ثم ينتره ثلاثا ويحتاط فى الاستبراء بالاستنقاء وهو أن يتنحنح ثلاثا لان العروق ممتدة من الحلق الى الذكر وبالتنحنح تتحرك وتقذف ما فى مجرى البول

الغيبة والبهتان والافك وكل فى كتاب الله عزوجل فالغيبة ان تقول مافيه والبهتان أن تقول ماليس فيه والافك أن تقول مابلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال أستغفر الله انى أرانى قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعى فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة (١) لا يغتابن أحدكم أحدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبى ﷺ ان هذه لطويلة الذيل فقال لى الفظى الفظى فلفظت مضغة لحم

﴿بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان﴾

اعلم أن الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها (٢) دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدى انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها * ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهيم ولما رأى ﷺ عائشة حاكت امرأة قال (٣) مايسرنى أنى حاكيت انسانا ولى كذا وكذا * وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة الا أن يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سيأتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اماحى واماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم فأما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله ﷺ (٤) اذا كره من انسان شيأ قال مابال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وانما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر فى العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره فى ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بان يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم * ومن ذلك أن يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغى اليه ويعلم مايقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له فى تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عزوجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا فى دعوى الاغتمام وفى اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلوته عقيب

الدنيا والصواب عن أبى حذيفة كما عند أحمد وأبى داود والترمذى واسم أبى حذيفة سلمة بن صهيب (١) حديث عائشة قلت لامرأة ان هذه طويلة الذيل فقال ﷺ الفظى فلفظت بضعة من لحم ابن أبى الدنيا وابن مردويه فى التفسير وفى اسناده امرأة لا أعرفها (٢) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت بيدى أى قصيرة فقال النبى ﷺ قد اغتبتيها ابن أبى الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٣) حديث مايسرنى أنى حكيت ولى كذا وكذا تقدم فى الآفة الحادية عشرة (٤) حديث كان اذا كره من انسان شيا قال مابال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعينه ورجاله رجال الصحيح

فان مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا بأس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر الى ان لا يرى الرطوبة وشبه بعضهم الذكر بالضرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة مادام يمد فيراعى الحد فى ذلك ويراعى الوتر فى ذلك أيضا والمسحات تكون على الارض الطاهرة أو حجر طاهر وان احتاج الى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والذكر باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين واذا أراد استعمال الماء انتقل الى موضع آخر ويقنع

صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا * ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال ﷺ (١) المستمع أحد المغتابين وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٢) ان أحدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤم ثم انهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليأكلا به الخبز فقال ﷺ قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب (٣) انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وان قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك ان يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال ﷺ (٤) من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق وقال أبو الدرداء (٥) قال رسول الله ﷺ من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال أيضا (٦) من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها

﴿ بيان الاسباب الباعثة على الغيبة ﴾

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة ﴿أما الثمانية﴾ فالاول أن يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا

---

(١) حديث المستمع أحد المغتابين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث ان أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه ان فلانا لنؤم ثم طلبا أدما من رسول الله ﷺ فقال قد ائتدمتما فقالا ما نعلم فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلا نحوه (٣) حديث انهشا من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص كما يقعص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد

الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد واذا كان في الصحراء يبعد عن العيون *روى جابر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام كان اذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد وروى المغيرة بن شعبة

للساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي * الثالث أن يستشعر من انسان انه سيقصده و يطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول و يستشهد و يقول ما من عادتي الكذب فاني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت * الرابع أن ينسب الى شئ فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره اليه أو يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه و يريهم انه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك * السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه و يحبونه و يكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والعجب * الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور و يجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به * وأما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر * الاول أن تنبعث من الدين داعية التعجب في انكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا و يكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل * الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام و يلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه و يذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره روي عن عامر بن واثلة (١) ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فاخبره فأتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال ﷺ لم تبغضه فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل

رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاتى النبي عليه السلام حاجته فأبعد في المذهب وروى أن النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو نشز من الارض أو كوم من الحجارة و يجوز أن يستتر الرجل براحلته في الصحراء أو بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش و يستحب البول في أرض دمثة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله ﷺ فأراد أن يبول فأتى دمثا في أصل جدار فبال ثم قال اذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله و ينبغي أن لا يستقبل القبلة

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فلعله خير منك

رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله عنه فقال والله ما رأيته يعطي سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيأ من ماله في سبيل الله الا هذه الزكاة التي تؤديها البر والفاجر قال فسأله هل رآني نقصت منها أو ما كنت فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال ﷺ للرجل قم فلعله خير منك

## ﴿ بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة ﴾

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها * فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين * أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته يوم القيامة الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال ﷺ (١) ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد * وروى أن رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ (٢) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي اليّ فأحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جلية * أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها * وقد قدمنا الاسباب * أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول اني اذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه عليّ بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال ﷺ (٣) ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال ﷺ (٤) من اتقى ربه كلّ لسانه ولم يشف غيظه وقال ﷺ (٥) من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك

---

أحمد بأسناد صحيح (١) حديث ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد لم أجد له أصلا (٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث من اتقى ربه كلّ لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الاربعين البلدانية للسلفي (٥) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس

---

ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء الى كراهية ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض ويتجنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال أبعد الأثر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام يعني أستقبل أصول النبات من الشيح وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا أن يستوفز

لايوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالج بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدرى انك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك ان أكلت الحرام ففلان يأكله وان قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت العنز أكيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك * وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك فينبغى أن تعلم انك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ * وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت أيضا خاسرا فى الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت اليه حسناتك فاذا أنت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك أو تنقل اليك سيآته ولا تنفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيآت من استهزأت به وتساق الى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيآته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك وأما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة وأما التعجب اذا أخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التى هى من أبواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

## ( بيان تحريم الغيبة بالقلب )

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ولست أعنى به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر

وحديث

على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه * ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره أن يبول الرجل فى المغتسل روى عبد الله بن مغفل أن النبي عليه السلام نهى أن يبول الرجل فى مستحمه وقال ان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك يوسع فى البول فى المستحم اذا جرى فيه الماء واذا كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى

وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم - وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك الا أن تعتقد ما علمته وشاهدته ومالم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة - فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لان الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد اذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال ﷺ (١) ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر * فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث * فنقول امارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال ﷺ (٢) ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح أما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وأما اذا أخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه (٣) فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بايداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك

(١) حديث ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر (٢) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف (٣) حديث رد الشرع شهادة لوالد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة وضعفه لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر لأخيه وفيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولأبي داود وابن ماجه باسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد شهادة الخائن والخائنة

قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصرى قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر بن أنس عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أي يحضرها الشياطين وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل

من غير نصحك أحب اليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن و يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

﴿ بيان الأعذار المرخصة في الغيبة ﴾

اعلم أن المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه إلا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة أمور * الأول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن مظلوما أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم الى السلطان و ينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به قال ﷺ (١) ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام (٢) مطل الغني ظلم وقال عليه السلام (٣) لي الواجد يحل عقوبته وعرضه * الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة اذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما * الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والأسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة أنها قالت (٤) للنبي ﷺ ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا و ولدي أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ اذ كان قصدها الاستفتاء * الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث و يلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به اذ قال رسول الله ﷺ (٥) أترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه * الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرف عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا اثم على من يقول روى أبو الزناد عن الاعرج وسلمان

---

وذي الغمر على أخيه (١) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مطل الغني ظلم متفق عليه من حديثه (٣) حديث لي الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح (٤) حديث ان هندا قالت ان أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث أترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس

عن

---

اليسرى ولا يتولع بيده ولا يخط في الارض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر الى عورته الا لحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك و يقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ولا يستصحب معه شيأ عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضي الله عنها عن أبيها أبي بكر رضي الله عنه أنه قال استحيوا من الله فاني لأدخل الكنيف فألزق ظهري وأغطي رأسي استحياء من ربي عز وجل

عن الاعمش ومايجرى مجراه فقدفعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولان ذلك قدصار بحيث لايكرهه صاحبه لوعلمه بعدأن قد صار مشهورا به نعم ان وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص * السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لايستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فاذا ذكرت فيه مايتظاهر به فلاإثم عليك قال رسول الله ﷺ (١) من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلاغيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لابد من مراعاة حرمته وقال الصلت ابن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لاولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لاغيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره نعم لوذكره بغير مايتظاهر به أثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

## ﴿ بيان كفارة الغيبة ﴾

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على مافعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لايكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (٢) كفارة من اغتبته أن تستغفر له وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير * وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لاعوض له فلايجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به * بل في الحديث الصحيح ماروى أنه ﷺ قال (٣) من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أومال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولادرهم انما يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لابد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا أوميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات * فان قلت فالتحليل هل يجب * فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لايحلل قال سعيد بن المسيب لاأحلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم أحرمها عليه فأحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ماحرم الله أبدا * فان قلت فما معنى قول النبي ﷺ ينبغي أن يستحلها وتحليل ماحرمه الله تعالى غير ممكن * فنقول المراد به العفو عن المظلمة لاأن ينقلب الحرام حلالا وماقاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لايجوز له أن يحلل لغيره الغيبة * فان قلت فما معنى قول النبي ﷺ (٤) أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس

---

ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت (١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلاغيبة له ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الاعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبته أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أومال فليتحلله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس البزار وابن

---

﴿ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره ﴾

اذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (حدثنا) شيخنا أبو النجيب قال أنا أبو عبد الله الطائي قال أنا الحافظ الفراء قال أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي قال أنا أبو منصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد ابن زنجويه قال ثنا علي بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد ابن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن زيد ابن خالد الجهني قال قال رسول الله ﷺ لولا ان أشق على أمتي لأخرت العشاء الى ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت عائشة رضي الله

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه
انى لا أطلب مظلمة فى القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل
الوجوب الا أنه وعد و له العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل
صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو
أفضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم
الا العافون عن الناس فى الدنيا وقد قال الله تعالى ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ فقال النبى
ﷺ (١) يا جبريل ماهذا العفو فقال ان الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى
من حرمك * وروى عن الحسن أن رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال قد بلغنى أنك
أهديت الىّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافئك على التمام

﴿ الآفة السادسة عشرة النميمة ﴾

قال الله تعالى ـ هماز مشاء بنميم ـ ثم قال ـ عتل بعد ذلك زنيم ـ قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى
لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل
ـ عتل بعد ذلك زنيم ـ والزنيم هو الدعىّ وقال تعالى ـ ويل لكل همزة لمزة ـ قيل الهمزة النمام وقال تعالى ـ
حمالة الحطب ـ قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى ـ فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ ـ قيل
كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال ﷺ (٢) لايدخل الجنة نمام وفى حديث
آخر لايدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٣) أحبكم الى الله أحاسنكم
أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون و يؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان
الملتمسون للبرآء العثرات وقال ﷺ (٤) ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الأحبة
الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر (٥) قال رسول الله ﷺ من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير
حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء (٦) قال رسول الله ﷺ أيما رجل أشاع على رجل
كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار وقال أبو هريرة (٧)
قال رسول الله ﷺ من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث

---

السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت
مرسلا عند ذكر أبى ضمضم فى الصحابة قلت وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى (١) حديث
نزول خذ العفو الآية فقال يا جبريل ماهذا فقال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من
حرمك تقدم فى رياضة النفس

﴿ الآفة السادسة عشرة النميمة ﴾

(٢) حديث لايدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث
أبى هريرة وأحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الطبرانى فى الأوسط والصغير وتقدم فى آداب الصحبة
(٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة الحديث أحمد من حديث أبى مالك الاشعرى وقد تقدم
(٥) حديث أبى ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة ابن أبى الدنيا فى
الصمت والطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث
أبى الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة
فى النار ابن أبى الدنيا موقوفا على أبى الدرداء ورواه الطبرانى بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (٧) حديث
أبى هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبى الدنيا وفى رواية أحمد رجل

---

تعالى عنها ان رسول الله ﷺ قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الازم امساك الاسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لان الاسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل وينذى السواك اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس

عذاب

عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (1) ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الأحبار أن بني اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البريء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم

﴿ بيان حد النميمة وما يجب في ردها ﴾

اعلم أن اسم النميمة انما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له فأما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة أما ارادة السوء للمحكي عنه أو اظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في افساد أمرك أو في ممالأة عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور * الاول أن لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * الثاني أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وانه عن المنكر - * الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى * الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم * الخامس أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - * السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيأ فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هماز مشاء بنميم - وان شئت عفونا

---

لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الاسناد (1) حديث ابن عمر ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولا قتات وهو النمام لم أجده هكذا بتمامه ولأحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث وللنسائي من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي تزيني فتزينت فقالت طوبى لمن

---

للوضوء والاولى أن يكون مستقبل القبلة ويبتدئ بسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدني رائحة الجنة وأنت عني راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ويقول عند

عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا * وذكر أن حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخي الى وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني أنك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل مافعلت ولاقلت فقال سليمان ان الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض وقال تعالى _ انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون في الأرض بغير الحق _ والنمام منهم وقال ﷺ (١) ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال (٢) لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغني أن فلانا أعلم الأمير أني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال ﷺ (٣) الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله إياه فانهم لن يألوا في الأمة خسفا وفي الأمانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا أعلى قربهم البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤل عما أجرموا وليسوا المسؤلين عما أجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الأعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة

---

دخلني ورضي عنه الهي فقال الله عزوجل لا سكنك مخنث ولا نائحة (١) حديث ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شئ منها وقال له أسانيد هذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لا أصل له وقد ذكره ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغي والا من فيه عرق منه وزاد بين سهل و بين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي

---

غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و بيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني أعوذ بك أن تؤتيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك و يقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني

الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا أديت حق حين أعلمتني عن أخي ما أكره لكن أعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكا في مستور ولولا انك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعالك في مثلك فتوق يا ملعون العيب فان الله اعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين فنسأل الله حسن التوفيق

## ﴿ الآفة السابعة عشرة ﴾

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر (١) قال رسول الله ﷺ من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة (٢) قال رسول الله ﷺ تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال ﷺ (٣) أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن أحدكم إمّعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك * فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك * فأقول اذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا

---

﴿ الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين ﴾

(١) حديث عمار بن ياسر من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة البخاري في كتاب الادب المفرد وأبو داود بسند حسن (٢) حديث أبي هريرة تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم

منادي الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب اليك

فى كتاب آداب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك اذا أثنى على أحدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى أن يسكت أو يثنى على المحق من المتعاديين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدى عدوه قيل لابن عمر رضى الله عنهما (١) انا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذى أحوج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله ﷺ (٢) حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضى الله عنها (٣) استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت فيه ماقلت ثم ألنت له القول فقال ياعائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد فى الاقبال وفى الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغى أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

## ﴿ الآفة الثامنة عشرة ﴾

المدح وهو منهى عنه فى بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع فى المادح واثنتان فى الممدوح ﴿فأما المادح﴾ فالاولى أنه قد يفرط فينتهى به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه * الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائيا منافقا * الثالثة انه قد يقول مالا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى (٤) أن رجلا مدح رجلا عند النبى ﷺ فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال ان كان أحدكم لابد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حسيبه الله ان كان يرى أنه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التى تعرف بالأدلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير ومايجرى مجراه فأما اذا قال رأيته يصلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفى فلا ينبغى أن يجزم القول فيه

تعلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (١) حديث قيل لابن عمر انا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله ﷺ الطبرانى من طرق (٢) حديث حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف الا انه قال حب الغناء وقال العشب مكان البقل (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث وفيه ان شر الناس الذى يكرم اتقاء لشره متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها

﴿ الآفة الثامنة عشرة المدح ﴾

(٤) حديث ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله ﷺ فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه

فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا واسبحك بكرة وأصيلا ﴿وفرائض الوضوء النية﴾ عند غسل الوجه * وغسل الوجه وحد الوجه من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن وماظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن الى الأذن عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الأذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء الى شعر التحذيف وهو القدر الذى

الابعد خبرة باطنه سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا أراك تعرفه * الرابعة أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله ﷺ (١) ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح ﴿وأما الممدوح فيضره من وجهين﴾ أحدهما أنه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطئ منك الثاني هو أنه اذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح وقال ﷺ (٢) اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا وقال أيضا لمن مدح رجلا (٣) عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال ﷺ (٤) لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة فقال (٥) لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم لرجح وقال في عمر (٦) لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه ﷺ قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال ﷺ (٧) أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره ﷺ كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال ﷺ (٨) وجبت لما أثنوا

---

يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء الى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين * الواجب الثالث غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما الى أنصاف العضدين وان طالت الاظافر حتى خرجت من رؤس الأصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح * الواجب الرابع مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة

---

من حديث أبي بكرة بنحوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (١) حديث ان الله يغضب اذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الموصلي وابن عدي بلفظ اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب (٢) حديث اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا (٣) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجد له أصلا (٤) حديث لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه لم أجده أيضا (٥) حديث لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين لرجح تقدم في العلم (٦) حديث لو لم أبعث لبعثت يا عمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو منكر والمعروف حديث عقبة بن عامر لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وحسنه (٧) حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ولمسلم من حديث أبي هريرة أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٨) حديث وجبت قاله لما أثنوا على بعض الموتى متفق عليه من

على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبنى آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورتك اربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح

﴿بيان ما على الممدوح﴾

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما فى خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال ﷺ (١) أحثوا التراب فى وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى وقال آخر لما أثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب إلى بمقتك وأنا أشهدك على مقته وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك وأثنى رجل على على كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما فى نفسك

﴿الآفة التاسعة عشرة﴾

الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ فى أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر فى علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبى ﷺ (٢) لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لأن فى العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما (٣) جاء رجل الى رسول الله ﷺ يكلمه فى بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت فقال ﷺ أجعلتنى لله عديلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال (٤) من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله ﷺ قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلنى ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ فقال حذيفة ان الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتنى خلقته خنزيرا رأيتنى خلقته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضى الله عنه (٥) قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال عمر رضى الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال ﷺ (٦) لا تسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ لا يقولن

حديث أنس (١) حديث احثوا فى وجوه المداحين التراب مسلم من حديث المقداد

﴿الآفة التاسعة عشرة فى الغفلة عن دقائق الخطأ﴾

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح (٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبى ﷺ فكلمه فى بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله عدلا قل ما شاء الله وحده النسائى فى الكبرى باسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبى ﷺ فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لا تسموا العنب

وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى الموضع الذى بدأ منه وينصف بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا * والواجب الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين فى الغسل ويستحب غسلهما إلى أنصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ويجب تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وان كان فى الرجل شقوق يجب ايصال الماء إلى باطنها وان ترك فيها عجينا أو شحما يجب إزالة عين ذلك الشئ * الواجب السادس

أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال ﷺ (١) لاتقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم وقال ﷺ (٢) من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم أنه اذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ (٣) من صمت نجا لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى الغنيمتين

﴿ الآفة العشرون ﴾

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال ﷺ (٤) ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال أنس (٥) سأل الناس رسول الله ﷺ يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام اليه شابان أخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يارسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله ﷺ أمسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا فقال اجلس ياعمر رحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث (٦) نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال ﷺ

---

الكريم انما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة (١) حديث لاتقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجا الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان

﴿ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى ﴾

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله ﷺ يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصرا على سؤال عبدالله بن حذافة وقول عمر ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي فقال أبوك سالم مولى شيبة (٦) حديث النهي عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

---

الترتيب على النسق المذكور في كلام الله تعالى *الواجب السابع التتابع في القول القديم عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء ﴿وسنن الوضوء ثلاثة عشر﴾ *التسمية في أول الطهارة *وغسل اليدين الى الكوعين والمضمضة * والاستنشاق *والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتى يرد الماء الى الغلصمة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس الى الخياشيم ويرفق في ذلك ان كان صائما وتخليل اللحية الكثة وتخليل الاصابع المنفرجة والبداءة بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح

(١) يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا ـ قل هو الله أحد الله الصمد ـ حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر (٢) مانزلت آية المتلاعنين الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال ـ فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ـ فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال ـ لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ـ فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بينى وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

﴿كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون * الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون * وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون * وعرفهم أنه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون * وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون * وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين * والسادة المرضيين * صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون * ويحظى ببركتها الأولون والآخرون وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة * وانها المستكنة فى طى الفؤاد * استكنان الجمر تحت الرماد * ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد * وقد انكشف للناظرين بنور اليقين * ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين * فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين * فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار * والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد * وبهما هلك من هلك وفسد من فسد * ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب * مما يسوق العبد الى مواطن العطب * فما أحوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه * ويميطه عن القلب ان كان وينفيه * ويعالجه ان رسخ فى قلبه ويداويه * فان من لا يعرف الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * مالم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد فى هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ثم القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب

---

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر مانزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال رواه البزار باسناد جيد

﴿كتاب الغضب والحقد والحسد﴾

---

ومسح الأذنين والتثليث وفى القول الجديد التتابع ويجتنب أن يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم فى أثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء ماتيسر والا فمكروه

﴿الباب الخامس والثلاثون فى آداب أهل الخصوص والصوفية فى الوضوء﴾

آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الاحكام * أدبهم فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء

وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق

﴿ بيان ذم الغضب ﴾

قال الله تعالى ـ اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ـ الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة (١) أن رجلا قال يارسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر (٢) قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولا وأقلله لعلي أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو (٣) أنه سأل رسول الله ﷺ ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود (٤) قال النبي ﷺ ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة (٥) قال النبي ﷺ ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر (٦) قال النبي ﷺ من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يابني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء (٧) قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب انما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال ﷺ (٨) الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال ﷺ (٩) ما غضب أحد الا أشفى على جهنم وقال له رجل (١٠) أي شئ أشد قال غضب الله قال فما يبعدني عن غضب الله قال لا تغضب (الآثار) قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما أزداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني أنا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال اني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شئ قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى

سلاح المؤمن والجوارح اذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعي يقل طروق الشيطان عليها * قال عدي بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وقال أنس ابن مالك قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لي يابني ان استطعت أن لا تزال على الطهارة فافعل فانه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكي) عن الحصري انه قال مهما أنتبه من الليل لا يحملني النوم الا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا

---

(١) حديث أبي هريرة ان رجلا قال يارسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولا وأقلل الحديث نحوه أبو يعلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله ﷺ ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب الطبراني في مكارم الاخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وان عبد الله بن عمرو وهو السائل (٤) حديث ابن مسعود ما تعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والاوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد الا أشفى على جهنم البزار وابن عدي من حديث ابن عباس للنار باب لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله واسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١٠) حديث قال رجل أي شئ أشد علي قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الاخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث

قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فاطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

﴿ بيان حقيقة الغضب ﴾

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه في كتابه * أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على

يعود الى النوم وأنا على غير طهارة *وسمعت من صحب الشيخ على ابن الهيتمي انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لأكون أسأت الادب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين (وروى) أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بارجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا في الاسلام ارجى عندي أني لم أتطهر طهرا في ساعة ليل أو نهار الا صليت لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي ومن أدبهم في الطهارة ترك الاسراف

من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال لنبيه ﷺ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار كما قال ﷺ (١) وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا واذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر الى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسفله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل

(١) حديث الغضب من النار الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف الغضب جمرة في قلب ابن آدم ولأبي داود من حديث عطية السعدي ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار

في الماء والوقوف على حد العلم (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أخبرنا أبو محمد الجراحي قال انا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد ابن بشار قال حدثنا أبو داود قال حدثنا خارجة ابن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ أنه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء قال أبو عبد الله الروذباري ان الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه

و يستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أوفاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه و يلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض و يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب و يعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها و يتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات و يخاطبها و يقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة و يقابلها بذلك وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم (١) ان سعدا لغيور وأنا أغير من سعد وان الله أغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) خير أمتى أحداؤها يعني فى الدين وقال تعالى ـ ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ـ بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية و ينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (٣) خير الامور أوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب و يقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ـ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ـ فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض و بعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير

## ﴿ بيان الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا ﴾

اعلم انه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الانسان يحب شيأ و يكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شئ و يخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه و يكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذ قصد بمكروه غضب لا محالة الا أن ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام * الأول ما هو ضرورة فى حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك اذا أخذ منه ثوبه الذى يستر عورته وكذلك اذا أخرج من داره التى هى مسكنه أو أريق ماؤه الذى لعطشه فهذه ضرورات

(١) حديث ان سعدا لغيور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وتقدم فى النكاح (٢) حديث خير أمتى أحداؤها الطبراني فى الأوسط والبيهقي فى الشعب من حديث علي بسند ضعيف وزاد الذين اذا غضبوا رجعوا (٣) حديث خير الامور أوساطها البيهقي فى الشعب مرسلا وقد تقدم

بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه (وحكى) عن ابن الكرنبي انه أصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء الى الدجلة وكان برد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف علىّ فمكثت عليه شهرا لثخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عن الائتمار لامر الله تعالى (وقيل) ان سهل بن عبدالله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان فى الاكثار من شرب الماء ضعف النفس وامانة الشهوات وكسر القوة

لايخلوالانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها * القسم الثاني ماليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما فى القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب اذ يجوز أن يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد فى الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لايحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ماهو غير ضرورى كالجاه والصيت والتصدر فى المجالس والمباهاة فى العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل ومن لايحب ذلك فلايبالى ولو جلس فى صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هى التى أكثرت محاب الانسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده فى أن يزيد فى حاجاته وفى شهواته وهو لايدرى أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى أن يغضب لو قيل له انك لاتحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير ومايجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى لأن حبه ليس بضرورى * القسم الثالث مايكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا فى حق العالم لأنه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لايمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ماهو وسيلة الى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وانما الحب الضرورى ما أشار اليه رسول الله ﷺ بقوله [1] من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لايغضب فى غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها (أما القسم الأول) فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على أن لايطيع الغضب ولايستعمله فى الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لايشتد هيجان الغيظ فى الباطن وينتهى ضعفه الى أن لايظهر أثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ماصار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لايشتد التألم بالصبر عليه (وأما القسم الثانى) فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وماوراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لايحبه لايغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا تنتهى الى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فان قلت الضرورى من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لايغضب على أحد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم

(1) حديث من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها الترمذى وابن ماجه من حديث عبيدالله بن محصن دون قوله بحذافيرها قال الترمذى حسن غريب

ومن أفعال الصوفية الاحتياط فى استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان ابراهيم الخواص اذا دخل البادية لايحمل معه الاركوة من الماء وربما كان لايشرب منها الا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولايحتاج الى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب * وقيل اذا رأيت الصوفى ليس معه ركوة أو كوز فاعلم انه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى وحكى عن بعضهم انه أدب نفسه فى الطهارة الى حد انه أقام بين ظهرانى جماعة من النساك وهم مجتمعون فى دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه كان يقضى حاجته اذا خلا الموضع فى وقت يريد تأديب نفسه

يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى أن الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله ﷺ (١) فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال (٢) اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص (٣) يارسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال أكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا الحق وأشار الى لسانه فلم يقل اني لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله ﷺ (٤) مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه (٥) كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فأنا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال ياهذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم أقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته و يعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم و يحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب

(١) حديث كان ﷺ يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه وللحاكم كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلدته بدل ضربته وفي رواية اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وتقدم ولمسلم من حديث أنس انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أوضربته (٣) حديث عبد الله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا الحق وأشار الى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي ﷺ مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث علي كان لا يغضب للدنيا الحديث الترمذي في الشمائل وقد تقدم

وقيل مات الخواص في جامع الري في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن أدهم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت البراز يراعي الادب في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر قال أنا أبو محمد قال أنا أبو العباس

فاذا يتصوّر فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم ان الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب ومالا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شئ قدير والحمد لله وحده

## ﴿بيان الاسباب المهيجة للغضب﴾

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وازالة أسبابها فلابد من معرفة أسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام أي شئ أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من إزالة هذه الاسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وانما اختلفوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله ﷺ (١) ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لاعقول لهم ولا فضل فيهم

قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبد الله ابن وهب عن زيد ابن حباب عن أبي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لرسول الله ﷺ خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء * وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة والاخلاق المذمومة لا الاستقصاء في طهارة الظاهر الى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون عن الخمر وأجرى الامر على الظاهر وأصل

---

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله

## ﴿ بيان علاج الغضب بعد هيجانه ﴾

ماذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم و إنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل * أما العلم فهو ستة أمور * الاول أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام و ينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه * الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق و بعث رسول الله ﷺ وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال (١) لولا القصاص لأوجعتك أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه * الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه * الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب و يتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والأولياء والعلماء والحكماء و يخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس و بين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل * الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام و يمنعه من كظم الغيظ ولابد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه * السادس أن يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله و يوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه * وأما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله ﷺ (٢) أن يقال عند الغيظ وكان رسول الله ﷺ (٣) اذا غضبت

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٢) حديث الامر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه الحديث وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له ان النبي ﷺ قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٣) حديث كان اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن

الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون على الارض من غير سجادة و يمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الاوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم في الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون في بعض الاشخاص تشدد في الطهارة و يكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الارض حافيا مع وجود رخصة

عائشة أخذ بأنفها وقال ياعويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله ﷺ (١) ان الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال ﷺ (٢) اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس (٣) قال رسول الله ﷺ اذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة (٤) كان رسول الله ﷺ اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدري قال النبي ﷺ (٥) ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة إلى السجود وتمكين أعز الاعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروى أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما

* وروى ان أباذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال (٦) يا أباذر بلغني انك اليوم عيرت أخاك بأمه فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست باله انما أنت

---

السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات (١) حديث ان الغضب جمرة توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٢) حديث اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٣) حديث ابن عباس اذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لهما والبيهقي في شعب الايمان وفيه ليث بن أبي سليم (٤) حديث أبي هريرة كان اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولأحمد باسناد جيد في اثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله ﷺ قال لنا اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الاسود (٥) حديث أبي سعيد ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن (٦) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يا أبا الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي ﷺ الحديث وفيه فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال اذا غضبت الى آخره ابن أبي الدنيا في العفو وذم الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني و بين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ فقال يا أباذر إنك إمرؤ فيك جاهلية ولأحمد أنه ﷺ قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات

---

الشرع ولا ينكره عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء لانه ربما يسترخي العرق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط (ومن حكايات) المتصوفة في الوضوء والطهارات ان أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم و يخرج الى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجه قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لأن الماء كان تضره وكان مع ذلك لايدع تجديد الوضوء عند كل فريضة و بعضهم نزل في عينه الماء فحملوا اليه المداوى و بذلوا له مالا كثير

بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك أى لا تعطل الحدود * وغضب المهدى على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

﴿فضيلة كظم الغيظ﴾

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك فى معرض المدح وقال رسول الله ﷺ (١) من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال ﷺ (٢) أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال ﷺ (٣) من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله ﷺ (٤) ماجرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال ﷺ (٥) ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال ﷺ (٦) مامن جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال ﷺ (٧) من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من أى الحور شاء (الآثار) قال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل مايشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون وقال لقمان لابنه يابنى لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثورى وأبو خزيمة اليربوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ماتقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له وجاء رجل الى سلمان فقال ياعبد الله أوصنى قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فأمسك لسانك ويدك

---

﴿فضيلة كظم الغيظ﴾

(١) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم فى آفات اللسان (٢) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة ابن أبى الدنيا من حديث على بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلا باسناد جيد وللبزار والطبرانى فى مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٣) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية أمنا وايمانا ابن أبى الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبى سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبى ﷺ عن أبيه ورواها ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة وفيه من لم يسم (٤) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه (٥) حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تقدم فى آفات اللسان (٦) حديث مامن جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابى الذى لم يسم وقد تقدما (٧) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء تقدم فى آفات اللسان

---

ليداويه فقال المداوى يحتاج الى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

﴿الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها﴾

(روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبرائيل لدلوك الشمس

﴿ بيان فضيلة الحلم ﴾

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الامن هاج غيظه و يحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى رهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال ﷺ (١) انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وأشار بهذا الى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٢) اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا الى أن التكبر والتجبر هو الذى يهيج الغضب و يمنع من الحلم واللين وكان من دعائه ﷺ (٣) اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ (٤) ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهى يارسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال ﷺ (٥) خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال على كرم الله وجهه (٦) قال النبى ﷺ ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا ولا يملك الا أهل بيته وقال أبو هريرة (٧) ان رجلا قال يارسول الله ان لى قرابة أصلهم و يقطعونى وأحسن اليهم و يسيئون الى و يجهلون على وأحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك المل يعنى به الرمل (٨) وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيأ فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى الى النبى ﷺ انى قد غفرت له وقال ﷺ (٩) أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى وقيل فى قوله تعالى ربانيين أى حلماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

﴿ فضيلة الحلم ﴾

(١) حديث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبرانى والدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٢) حديث أبى هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السنى فى رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٣) حديث كان من دعائه اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية لم أجد له أصلا (٤) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهى قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقى وقد تقدم (٥) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطر أبو بكر بن أبى عاصم فى المثانى والآحاد والترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمى عن أبيه عن جده وللترمذى وحسنه من حديث أبى أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٦) حديث على ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبرانى فى الاسط بسند ضعيف (٧) حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله ان لى قرابة أصلهم و يقطعونى وأحسن اليهم و يسيئون الى و يجهلون على وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٨) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيأ فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم فى الصحابة والبيهقى فى الشعب من رواية عبد المجيد بن أبى عبس بن جبر عن أبيه عن جده باسناد لين زاد البيهقى عن علية بن زيد وعلية هو الذى قال ذلك كما فى أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب انه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبى ضمضم انما هو علية بن زيد وأبو ضمضم ليس له صحبة وانما هو متقدم (٩) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم الحديث تقدم فى آفات اللسان

حين زالت وصلى فى الظهر واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والخشبة العوجة اذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التى لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية مايزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لايعرض على نار جهنم الاتحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد ابن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبى العباس ابن محمد بن أبى

سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبى رباح يمشون على الارض هونا أى حلما وقال ابن أبى حبيب فى قوله عزوجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما أى اذا أوذوا صفحوا (١) وروى أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله ﷺ أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبى ﷺ (٢) اللهم لا يدركنى ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب وقال ﷺ (٣) ليلينى منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروى انه وفد على النبى ﷺ الاشج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى الى رسول الله ﷺ فقال عليه السلام (٤) ان فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابى أنت وأمى يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال ﷺ (٥) ان الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف أبا العيال التقى و يبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغبى وقال ابن عباس (٦) قال النبى ﷺ ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله عزوجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس وقال رسول الله ﷺ (٧) اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إنا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا أسيء إلينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (الآثار) قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة الله واذا أحسنت حمدت الله تعالى واذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال أكثم بن صيفى دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ان عرفتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على رضى الله عنه ان أوّل ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو ابن الاهتم أى الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال أنس

(١) حديث ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبى ﷺ أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك فى البر والصلة (٢) حديث اللهم لا يدركنى ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٣) حديث ليلينى منكم أولو الاحلام والنهى الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهى عند أبى داود والترمذى وحسنه وهى عند مسلم فى حديث آخر لابن مسعود (٤) حديث يا أشج ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٥) حديث ان الله يحب الحيى الحليم الغنى المتعفف الحديث الطبرانى من حديث سعد ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى (٦) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشئ من عمله أبو نعيم فى كتاب الايجاز باسناد ضعيف والطبرانى من حديث أم سلمة باسناد لين وقد تقدم فى آداب الصحبة (٧) حديث اذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه اذا جهل علينا حلمنا البيهقى فى شعب الايمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقى فى اسناده ضعف

العباس الخليلى قال أنا أبو سعيد الفرخزاذى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال أنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى قال ثنا جعفر بن أحمد ابن الحافظ قال أنا أحمد بن نصير قال ثنا آدم بن أبى اياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال يقول الله عزوجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عزوجل مجدنى عبدى فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله

ابن

تعالى أثنى على عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض الى عبدى فاذا قال إياك نعبد و إياك نستعين قال هذا بينى و بين عبدى فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ماسأل فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه و بين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد أن الله تعالى اذا تجلى لشئ خضع له ومن يتحقق بالصلة فى الصلاة تلمع له طوالع التجلى فيخشع والفلاح للذين هم فى صلاتهم خاشعون و بانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى

ابن مالك فى قوله تعالى ـ فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم ـ الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن أوس بم سدت قومك ياعرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فانا خير منه وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عزوجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بينى و بين قوم منازعة فى أمر وانى أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لى ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فاحسن اليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف ابن قيس لست بحليم ولكننى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغنى انك ذكرتنى بسوء قال أنت اذا أكرم على من نفسى انى اذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك يدخل لا معى ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الأخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه على الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته عرضى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

﴿ بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ﴾

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه وأما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله ﷺ (١) ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان

(١) حديث ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم

ماقالا فهو على البادئ مالم يعتد المظلوم وقال (١) المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل (٢) أبابكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى رسول الله ﷺ عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت الامن بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت الامن بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت الامن بنى أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه و بين ربه الا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر (٣) فى حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى فى ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من أحد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقرك فى عينى بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب ماروت عائشة رضى الله عنها (٤) ان أزواج النبى ﷺ أرسلن اليه فاطمة فجاءت فقالت يارسول الله أرسلنى اليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة والنبى ﷺ نائم فقال يا بنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال فأحبى هذه فرجعت اليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيأ فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهى التى كانت تساميني فى الحب فجاءت فقالت بنت أبى بكر و بنت أبى بكر فمازالت تذكرنى وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لى رسول الله ﷺ فى الجواب فأذن لى فسببتها حتى جف لسانى فقال النبى ﷺ كلا انها ابنة أبى بكر يعنى انك لا تقاومينها فى الكلام قط وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبى ﷺ (٥) المستبان ماقالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدى فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء وهو رخصة فى الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الأفضل تركه فانه يجره الى ماوراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس فى الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود و بعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد مالم ينته الى فتور الحمية والغيرة و بعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفى الخبر (٦) المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدرى (٧) قال رسول الله ﷺ ألا ان

وأقم الصلاة لذكرى وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان قال الله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشئ لا بحضور عقل والغافل يصلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر فى الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم الى السماء فى الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت

(١) حديث المستبان شيطانان يتهاتران تقدم (٢) حديث شتم رجل أبا بكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام ﷺ الحديث أبو داود من حديث أبى هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى المرسل أصح (٣) حديث ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى فى ذات الله عز وجل تقدم فى العلم (٤) حديث عائشة ان أزواج النبى ﷺ أرسلن فاطمة فقالت يارسول الله أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة الحديث رواه مسلم (٥) حديث المستبان ماقالا فعلى البادئ الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٦) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم (٧) حديث أبى سعيد الخدرى ألا ان بنى آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم

بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطىء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطىء الفيء ألا وان خيرهم البطىء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطىء الفيء ولما كان الغضب يهيج و يؤثر فى كل انسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا فى حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغى أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه * ورأى عمر رضى الله عنه سكران فأراد أن يأخذه و يعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبنى ولو عزرته لكان ذلك لغضبى لنفسى ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسى وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتنى لعاقبتك

﴿ القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ﴾

اعلم أن الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك و يبقى وقد قال ﷺ (١) المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان أصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتى ذمه ان شاء الله تعالى * الثانى أن تزيد على اضمار الحسد فى الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء * الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك * الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له * الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره * السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه * السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه * الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أوصلة رحم أورد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصى الله به ولكن تستثقله فى الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ويحول بينك و بين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله (٢) ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم فى واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد فى الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة أحدها ان يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل * الثانى أن يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل * الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثانى هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

﴿ فضيلة العفو والاحسان ﴾

اعلم ان معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه و يبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال الله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى * وقال رسول الله ﷺ (٣) ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة

﴿ فضيلة العفو ﴾

(١) حديث المؤمن ليس بحقود تقدم فى العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث ثلاث والذى نفسى بيده ان كنت

الذين هم فى صلاتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث يسجدون ومارؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر الا الى الارض و روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين يدى الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك منى ابن آدم أقبل الى فأنا خير لك ممن تلتفت اليه وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليت فصل صلاة مودع فالمصلى سائر الى الله تعالى بقلبه يودع هواه و دنياه وكل شئ

فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال ﷺ (١) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضى الله عنها (٢) ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم فى ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله ﷺ يوما فابتدرته فأخذت بيده أو بدرنى فأخذ بيدى فقال (٣) يا عقبة ألا أخبرك بافضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ﷺ (٤) قال موسى عليه السلام يارب أى عبادك أعز عليك قال الذى اذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبى ﷺ يشكو مظلمة فأمره النبى ﷺ أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له ﷺ (٥) ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ (٦) اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن أبى هريرة (٧) أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال ﷺ أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال (٨) لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم

---

حالفا الحلف عليهن ما نقصت صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث أبى كبشة الانمارى ولمسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة (١) حديث التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله الأصفهانى فى الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث عائشة ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذى فى الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٣) حديث عقبة بن عامر يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبى الدنيا والطبرانى فى مكارم الاخلاق والبيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم (٤) حديث قال موسى يارب أى عبادك أعز عليك قال الذى اذا قدر عفا الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مرسلا (٦) حديث أنس اذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن ابراهيم المقرى فى كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى واسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الاوسط بلفظ نادى مناديا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناديا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب (٧) حديث أبى هريرة ان رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى فى الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٨) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع يده على باب

---

سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والهيآت فى تملقات متضرع سائل محتاج فاذا دعا بكليته أجابه مولاه لانه وعده فقال ادعونى أستجب لكم كان خالد الربعى يقول عجبت لهذه الآية ادعونى أستجب لكم أمرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هى نفوذ دعاء العبد فان الداعى الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدى الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه

وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله ﷺ أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن أنس قال (١) قال رسول الله ﷺ اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله أجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود (٢) قال رسول الله ﷺ لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد الا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر (٣) قال رسول الله ﷺ ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو احداهن يارسول الله قال أو احداهن (الآثار) قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فأرحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا أراد الله أن يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان آخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وان شئت أخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه أسرع اليه من دعائك عليه الا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظـ * ـيم من الذنوب بفضلها

ولقد تعاقب في اليسـ * ـير وليس ذاك لجهلها

الا ليعرف حلمها * ويخاف شدة نخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة الى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خليناعنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه انما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه كان إذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب وأتي هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى ويحك تكلم وروى ان سارقا

---

الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (١) حديث أنس اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله قال العافون عن الناس الحديث الطبراني في مكارم الاخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه (٢) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد الا أقامه والله عفو يحب العفو الحديث أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٣) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة من أي أبواب الجنة شاء الحديث الطبراني في الاوسط وفي الدعاء بسند ضعيف

---

الامة بانزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع إلى الاجابة وهي تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم قيل سميت مثاني لانها نزلت على رسول الله ﷺ مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله ﷺ بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله ﷺ بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثاني لانها استثنيت من الرسل وهي سبع آيات

دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة
وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت فى عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد
جلست وانها لمعى فجعلوا يدعون على من أخذها و يقولون اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها اللهم افعل به كذا
فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه
وقال الفضيل ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس الى فى المسجد الحرام ثم قال ليطوف فسرقت دنانير
كانت معه فجعل يبكى فقلت أعلى الدنانير تبكى فقال لا ولكن مثلتنى واياه بين يدى الله عز وجل فأشرف عقلى على
ادحاض حجته فبكائى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن
وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع
به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له فى الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقى من كيد النساء ومن
الحبس ثم قال أيها الامير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع
حين أكمل له أمره وجمع له أهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو
عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد الا ثوبى هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع
الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك * واعلم انه لن يزداد
الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ماترى
قال ان الله تعالى قد أعطاك ماتحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروى أن زيادا أخذ رجلا
من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخاله فقال له ان جئت بأخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئتك بكتاب
من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى
ثم تلا - أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى - فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل
قد لقن حجته وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

## ﴿فضيلة الرفق﴾

اعلم أن الرفق محمود و يضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق
والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر
و يمنع من التثبت فالرفق فى الامور ثمرة لايثمرها الاحسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة
الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق و بالغ فيه فقال
(١) ياعائشة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد
حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال رسول الله ﷺ (٢) اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق وقال
ﷺ (٣) ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ومامن أهل بيت
يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبى ﷺ (٤) ان الله رفيق

---

﴿فضيلة الرفق﴾

(١) حديث ياعائشة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وضعفه عن القاسم عن عائشة وفى الصحيحين من حديثها ياعائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله (٢) حديث اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق الحديث الطبرانى فى الكبير من حديث جرير باسناد ضعيف (٤) حديث ان الله رفيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة

---

وروت أم رومان قالت رآنى أبو بكر وأنا أتميل فى الصلاة فزجرنى زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتى ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا قام أحدكم الى الصلاة فليسكن أطرافه لايتميل تميل اليهود فان سكون الاطراف من تمام الصلاة وقال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب فاما تميل اليهود قيل كان موسى يعامل بنى اسرائيل على ظاهر الامور لقلة مافى باطنهم فكان يهيئ الامور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى اليه أن يحلى التوراة بالذهب ووقع لى

يحب الرفق و يعطي عليه مالا يعطي على العنف وقال ﷺ (١) ياعائشة ارفقي فان الله اذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال ﷺ (٢) من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال ﷺ (٣) أيما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال ﷺ (٤) تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال ﷺ (٥) الرفق يمن والخرق شؤم وقال ﷺ (٦) التأني من الله والعجلة من الشيطان وروى أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال (٧) يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله ﷺ (٨) ياعائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه (الآثار) بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أيتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير أيتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب الى الله ولا أعز من حلم امام ورفقه وليس جهل أبغض الى الله ولا أغم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا (٩) العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما أحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ✽ مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة أميل كانت الحاجة

---

(١) حديث ياعائشة ارفقي ان الله اذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود ياعائشة أرفقي (٢) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود (٣) حديث أيما وال ولي فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولي من أمر أمتي شيأ فرفق بهم فارفق به (٤) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث الرفق يمن والخرق شؤم الطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (٦) حديث التأني من الله والعجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة من الله وقد تقدم (٧) حديث أتاه رجل فقال يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر هو المسمى عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الايجاز من رواية اسماعيل الانصاري عن أبيه عن جده اذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته واسناده ضعيف (٨) حديث عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه الحديث رواه مسلم (٩) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الاعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف

---

والله أعلم ان موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الامواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب اذا هب عليه نسمات الفضل وربما كانت الروح تتطلع الى الحضرة الالهية فتهم بالاستعلاء وللقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القالب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ انكارا على أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني اسرائيل حتى شهدت

الى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف فى محله حسنا كما أن الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله روى أن عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه فى التأنى فكتب اليه معاوية ﴿ أما بعد ﴾ فان التفهم فى الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب أوكاد أن يكون مصيبا وان العجل مخطئ أوكاد أن يكون مخطئا وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالى وعن أبى عون الانصارى قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها وقال أبو حمزة الكوفى لا تتخذ من الخدم الا مالا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيأ الا أعطوك باللين ماهو أفضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد فى أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة أوأشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الأكثر

﴿ القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته ﴾

﴿ بيان ذم الحسد ﴾

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم ان للحسد من الفروع الذميمة مالا يكاد يحصى وقد ورد فى ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله ﷺ (١) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ﷺ فى النهى عن الحسد وأسبابه وثمراته (٢) لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال أنس (٣) كنا يوما جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له انى لاحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيأ غير أنه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أنى ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى و بين والدى غضب ولا هجرة ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك فقال ماهو الا ما رأيت فلما وليت دعانى فقال ماهو الا ما رأيت غير أنى لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هى التى بلغت بك وهى التى لا نطيق وقال ﷺ (٤) ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج

أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها اذا كان قلبه ساهيا لاهيا* واعلم أن الله تعالى أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله ﷺ الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلاة تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلاة قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج الى النوافل لتكميل السنن ويحتاج الى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا والذى ذكره سهل هو معنى

﴿ القول فى ذم الحسد ﴾

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه ان ذلك الرجل قال لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمى الرجل فى رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد الحديث وفى رواية وقل من ينجو منهن ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الزمعى ضعفهما الجهور والرواية الثانية رواها

من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاثة لاينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فأثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال ﷺ (١) دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم وقال ﷺ (٢) كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وقال ﷺ (٣) انه سيصيب أمتي داء الامم قالوا وماداء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج وقال ﷺ (٤) لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله و يبتليك وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال ﷺ (٥) أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون وقال ﷺ (٦) استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال ﷺ (٧) ان لنعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ﷺ (٨) ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد (الآثار) قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعظك بشيء فقال وماهو قال إياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ — واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس — الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم

---

ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وللطبراني من حديث حارثة بن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (١) حديث دب اليكم داء الامم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن لزبير (٢) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٣) حديث انه سيصيب أمتي داء الامم قبلكم قالوا وماداء الامم قال الاشر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٤) حديث لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه و يبتليك الترمذي من حديث واثلة بن الاسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله (٥) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون و يقتتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدري والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبزار من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد الا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (٦) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٧) حديث ان لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم (٨) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله ومن هم قال الامراء بالجور الحديث وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر

---

ماقال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذاك قال لايتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وقد ورد في الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه و بينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته و يؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه و يناديه مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت أو ما انفتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة مافرق على أهل السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله

من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأ كل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأ كل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق - الآيات واذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبدالله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك انه ذكر لي أنك تزعم اني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوات قد ترجى اماتتها ❊ الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

## ﴿ بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه ﴾

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال ﷺ (١) ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فأما الأول فهو حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر أو كافر

وأنس بسندين ضعيفين (١) حديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد لم أجد له أصلا مرفوعا وانما هو من قول الفضيل ابن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد ﴿ بيان حقيقة الحسد وحكمه ﴾

لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصرف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتعلم أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع المحقق أنه ان سبق همه في حال الركوع أو السجود الى الرفع منه ما وفى الهيئة حقها فيكون همه

وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة والى هذا أشار القرآن بقوله إن تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة انّ أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس أمة واحدة الى قوله إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس (١) كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي ﷺ من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي ﷺ (٢) جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم * وأما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس (٣) لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند

(١) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله الحديث في نزول قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ فذكره نحوه وهو منقطع (٢) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي ﷺ جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا (٣) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي الحديث هكذا وقع للمصنف انه قثم والفضل وانما هو الفضل والمطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن عباس ائتيا الى رسول الله ﷺ

الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان المرء تعالى يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف في مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحي آثاره بحسن الاسترسال ويستقر في مقعد الوصال (وقيل) في الصلاة أربع هيآت وستة أذكار فالهيآت الاربع القيام والقعود والركوع والسجود والاذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة

خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال (١) لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الانماري فقال (٢) مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة و يشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل و يناقض الزهد والتوكل والرضا و يحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان * وههنا دقيقة غامضة وهو أنه اذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك أو بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله ﷺ (٣) ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ أي ان وجدت في قلبك شيأ فلا تعمل به و بعيد أن يكون الانسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة إذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم و يكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو أن يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه * وأما مراتبه فاربع (الأولى) أن يحب زوال النعمة عنه

---

فكلماه فذكر الحديث (١) حديث لا حسد الا في اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٢) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح (٣) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة

---

آلاف فيجتمع في الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة

(الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب) ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ما انتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شئ من ذلك اذ في ذلك كثرة و يخرج عن حد الاختصار والايجار المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغي للعبد أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها و يحتاج في معرفة الوقت الى معرفة الزوال وتفاوت

وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث (الثانية) أن يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها (الثالثة) أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

## ﴿بيان أسباب الحسد والمنافسة﴾

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسببه احب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو الى من يحبه واما أن يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيما فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها الى مزاحمته في أغراضه واما أن يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما أن لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الاسباب (السبب الاوّل) العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما أصابت عدوّه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانها لاجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوّه الذي آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فاما أن يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال تعالى ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه (السبب الثاني) التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه (السبب الثالث) الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه فاذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف الى مساواته أو الى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر

الاقـدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بأن الظل مادام في الانتقاص فهـو النصف الاوّل من النهار فاذا أخـذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس واذا عرف الزوال وأن الشمس على كم قدم تزول يعرف أوّل الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفـرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة فـفي ذلك سر وحكمة وذلك والله أعـلم أن العبـد تشعث باطنه وتفرق همه لما يلي به من المخالطة من الناس وقيامه بمهام المعاش

الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رؤسنا (١) فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم (السبب الرابع) التعجب كما أخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوّة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة وقال تعالى أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية (السبب الخامس) الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له (السبب السادس) حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم (السبب السابع) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في إزالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوّة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ذكره ابن اسحاق في السيرة وان قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين فأنزل الله فيما بلغني هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس الا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف

أو سهو جرى بوضع الجبلة أو صرفهم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر والصغائر مما أومأ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل حسنات

﴿ بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ﴾

اعلم أن الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى أغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لان أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلىء قلب غيره بها وان يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم

الابرار سيآت المقربين * ثم لا يصلي الاجماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الالهية بباطنه ويقرأ قل أعوذ برب الناس ويقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه الى القبلة وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عند شحمة أذنيه ورؤس الاصابع مع الأذنين ويضم الأصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل

ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أشجار الجنة و بساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترفع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء و يتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة أيضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعفت فيها رغبتك فانت في ذلك معذور اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

## ﴿ بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب ﴾

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط

الله

النشر نشر الكف لا نشر الأصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر وراءه ألفا ويجزم أكبر ويجعل المد في الله ولا يبالغ في ضم الهاء من الله ولا يبتدئ بالتكبير الا اذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأيدت بالأولى والاصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلي الصلاة بعينها (وحكي) عن الجنيد أنه قال لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى وانما كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية وأول الصلاة * قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول

الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلابد أن يدوم إلى أجل معلوم قدّره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله اليه فرّ من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه أولا لنفسك فانك أيضا لا تخلو عن عدوّ يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى – ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم – إذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها وأما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه أعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فأضفت اليه نعمة الى نعمة وأضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات أعداؤك بل خلدوا ❊ حتى يروا فيك الذي يكمد

لا زلت محسودا على نعمة ❊ فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوّك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوّك فاذا تأملت هذا عرفت انك عدوّ نفسك وصديق عدوّك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال أعظم سرور على ابليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال أعرابي للنبي ﷺ يارسول الله (١) الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي ﷺ المرء مع من أحب وقام اعرابي الى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

---

النية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدوّ ونصيب العدوّ وان كثر لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وان قل (وسئل) أبو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلاة فقال هو أن تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الأولى فقال ينبغي اذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من

(١) يارسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله فقال ﷺ أنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم وقال أبو موسى (٢) قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي و يحب الصوّام ولا يصوم حتى عدّ أشياء فقال النبي ﷺ هو مع من أحب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت أن تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ فى دين الله تعالى و ينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء فى الحديث (٣) أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك فى عدوّك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد فى صورة من يرمى سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع الى عينه الأخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوّه سالم فى كل حال وهو اليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به و يضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لامحالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلأن تذهب عينه فى الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ــ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ــ ور بما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا و يبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها ماتمنيت لعثمان شيأ الا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الاعداء وهو الداء الذى فيه هلك الأمم السالفة فهذه هى الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوّه ومسخط ربه ومنغص عيشه * وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى أن يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه و يسترقه و يستعطفه و يحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود

(١) حديث سؤال الاعرابى متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث أبى موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه لم أجده أصلا

الناس من اذا قال الله أكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلأ باطنه نورا وصار الكون باسره فى قضاء شرح صدره كخردلة بارض فلاة ثم تلقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فالقيت فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية غيرانه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بالطف صفاتها مندرجة فى نور العظمة اندراج الكواكب فى ضوء الشمس

إلى الاول فيطيب قلبه و يصير ما تكلفه أولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعوّد القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا الا أنها مرة على القلوب جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مراده جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين اما بان يكون ما تريد أو بان تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلابد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه و يغمه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

## ﴿بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب﴾

اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا وقال عز وجل ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك و بين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فاما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما يتيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه و يعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج

ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين السرة والصدر واليمنى لكرامتها تجعل فوق اليسرى ويمد المسبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقي اليسرى من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله تعالى فصل لربك وانحر قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر أي ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحر أي استقبل القبلة بنحرك وفي ذلك سر خفي يكاشف به من وراء أستار الغيب وذلك أن الله تعالى لطيف حكمته خلق الآدمي وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما في

فخرجه من الحسد أن لا يبغي والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدوّ وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ماورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يبعد أن يعفى عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال * أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لايدخل تحت الاختيار أكثر منه * الثاني أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا * الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوّة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها * وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيآتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوّها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها وويالها ان أحسنت ساعة أساءت سنة وان أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها إلى الذل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجابها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما أصحابها منها في سرور وانعام إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالأمس تمنى أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الدنيا عدوّة لله وعدوّة لأولياء الله وعدوّة لأعداء الله أما عداوتها الله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها نخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها

أرضه وسماته روحانيا وجسمانيا أرضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل ومحل روحه الروحاني والقلب النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان وباعتبار تطاردهما وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها

يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أوّلا من معرفة حقيقة الدنيا وماهي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها ومامدخل غرورها وشرورها فان من لايعرف الشر لايتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على مايرتضيه

## ﴿ بيان ذم الدنيا ﴾

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلاحاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله ﷺ (١) مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وقال ﷺ (٢) الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله ﷺ (٣) الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الأشعري (٤) قال رسول الله ﷺ من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على مايفنى وقال ﷺ (٥) حب الدنيا رأس كل خطيئة (٦) وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وماسكت ثم عاد و بكى حتى ظنوا أنهم لايقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه احدا فقلت يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال ﷺ (٧) ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى (٨) أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال ﷺ (٩) ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت

---

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد الاذكر الله وماوالاه وعالم ومتعلم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضر بآخرته الحديث أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا (٦) حديث زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيأ الحديث البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح اسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٧) حديث ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسلا (٨) حديث انه وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الايمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مرسلا وفيه بقية بن الوليد وقد عنعنه وهو مدلس (٩) حديث ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الحديث الترمذي

---

مع معاني الباطن ارتباط وموازنة فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس في الصلاة ثم اذا استولت جواذب الروح وتملكت من الفرق الى القدم عند كمال الانس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستنير مركزها بنور الروح وتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم

تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام يا معشر الحواريين انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجىء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار (١) قال النبى ﷺ ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال ﷺ (٢) ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال ﷺ (٣) الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال ﷺ (٤) من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة (٥) قال لى رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا * ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم الى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى

---

وابن ماجه من حديث أبى سعيد دون قوله ان بنى اسرائيل الخ والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التى فى آخره (١) حديث موسى بن يسار ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها ابن أبى الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقى فى الشعب من طريقه وهو مرسل (٢) حديث ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (٣) حديث الدنيا دار من لا دار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقيته وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه ومال من لا مال له واسناده جيد (٤) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٥) حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة الحديث لم أجد له أصلا

---

ما نقل عن رسول الله ﷺ أنه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ وجهت وجهى الآية وهذا التوجه انقاء لوجه قلبه والذى قبل الصلاة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لا يهدى لأحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها الا أنت لبيك وسعديك فالخير كله بيديك تباركت وتعاليت

لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطاعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله ﷺ (١) الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني من الأذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط إلى الدنيا وقال ﷺ (٢) ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال ﷺ في بعض خطبه (٣) المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد وروي أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا ﷺ (٤) احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال (٥) خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروي أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين

---

(١) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقيه (٢) حديث ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٣) حديث المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٤) حديث احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي مرسلا وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قال الذهبي لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٥) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا

---

أستغفرك وأتوب إليك ويطرق رأسه في قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء ويسكن الجسد بسكون القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع فإن ضم الكعبين هو الصفد المنهي عنه ولا يرفع إحدى الرجلين فإنه الصفن المنهي عنه نهى رسول الله ﷺ عن الصفن والصفد وإذا كان الصفن منهيا عنه ففي زيادة الاعتماد على إحدى الرجلين دون الأخرى

الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب
الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم
ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله تعالى الى
موسى عليه السلام ياموسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست
الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي ياموسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله
ﷺ (١) بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة
فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول
الله ﷺ حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يارسول الله قال فابشروا
وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت
على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدري قال رسول
الله ﷺ (٢) ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال
زهرة الدنيا وقال ﷺ (٣) لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها
وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى في الافنية والطرق فقال يامعشر الحواريين ان
هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى
فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى ياأهل القرية فاجابه مجيب لبيك
ياروح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا الدنيا
وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لأمه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا
وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال
فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على
شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس
المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس (٤) كانت ناقة رسول الله ﷺ
العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ انه حق على الله ان
لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا
تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى وقال
أبو الدرداء (٥) قال رسول الله ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا
ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على

---

مرسلا وفيه ابراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم (١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من
البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدري (٢) حديث
أبي سعيد ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض الحديث متفق عليه (٣) حديث
لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلا
(٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع
شيأ من الدنيا الا وضعه البخاري (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخ وزاد ولخرجتم الى الصعدات الحديث وزاد
الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على الفرش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس
وفي أفراد البخاري من حديث عائشة

---

معنى من الصفن فالاولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخي أطراف الثوب الى الارض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وفي معناه ماذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود ويكره الاختصار وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين وتجافي العضدين فاذا وقف في الصلاة على الهيئة التي ذكرناها مجتنبا

أنفسكم ولتركتم أموالكم لاحارس لها ولا راجع اليها الا مالابد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لاتدع هواها مخافة مما فى عاقبته مالكم لاتحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم الاخبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه و يعينه على أمر آخرته ماهذا الا من قلة الايمان فى قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمر لعلكم لاتدركونه فبئس القوم أنتم ماحققتم إيمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم فى شك مما جاء به محمد ﷺ فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ماتطمئن اليه قلوبكم والله ماأنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزم فى أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم و يظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لايتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم انى لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت ان الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ماعند الله تجدوه يسيرا و بالله أستعين على نفسى وعليكم وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا وفى معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا ﷺ (١) لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لاتركنن الى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال ياابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يابنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا - وقال بعض الحكماء إنك لن تصبح فى شئ من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

(١) حديث لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب لم أجد له أصلا

للمكاره فقد تم القيام وكله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها فى كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان بحفظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة ومايقرأ بعدها اذا كان اماما فى السكتة الثانية اللهم باعد بينى و بين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد فحسن وان قالها

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد واما أن تنقص وقال سفيان أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية وقال رجل لأبى حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا و يطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجىء فى طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال أبو حازم إياكم والدنيا فانه بلغنى انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والأهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا فى ذلك

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا فى ذلك

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فىء * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل

يا خاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفى ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل أيضا

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة * كر الجديدين إقبالا وادبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا
يا من يعانق دنيا لابقاء لها * يمسى و يصبح فى دنياه سفارا

فى السكتة الأولى فحسن روى عن النبى عليه السلام أنه قال ذلك وان كان منفردا يقولها قبل القراءة و يعلم العبد ان تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما فى قلبه ولو أمكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطأة القلب فما اللسان ترجمانا ولا القارىء متكلما قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمعا إلى الله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول فينبغى أن يكون

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق في الفردوس أبكارا

ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد ﷺ أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن غير حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك و بقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الأخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه و يصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف و يقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر (١) والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه

متكلما مناجيا أو مستمعا راعيا فاقل مراتب أهل الخصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها (قال بعضهم) ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول * وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيأ من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الاسنة أحب إلي من أن أجد في الصلاة ما تجدون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الإنابة لان الله تعالى قدم الانابة وقال منيبين إليه

أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد مولود ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ماشئت قال عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد ألصق الله إليه شيأ يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ماهي لاحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا إذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه و إذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا أعظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل و يفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخا له في الله وخوفه بالله فقال يا أخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك وقال ابراهيم بن أدهم لرجل أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها إسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه و بنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفيء النار بالتبن وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد

واتقوه وأقيموا الصلاة فينيب إلى الله تعالى ويتقي الله تعالى بالتبري عما سواه ويقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الاصغاء ويتشرب بها حلاوة الاستماع وكمال الوحي ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها معاني تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفي الفكر ويصير الظاهر من معاني القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعوضة بمعاني القرآن عن

فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل
على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عزوجل أحرقته نيران التوحيد فصار
جوهرا لاحد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب
ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر
والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف
المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات
المسك وهو دم

﴿ بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها ﴾

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الاجل ولا تركنوا
الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس
المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها
خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل
وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال
فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك
الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك
جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل
لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك
القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت أكفانك
فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك *
وقال بعضهم لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو
على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه
بشئ هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هى الآخذة ما تعطى الراجعة فيما تهب بينا هى تضحك صاحبها
اذ أضحكت منه غيره وبينا هى تبكى له اذ أبكت عليه وبينا هى تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد
فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى تجد فى الباقى من
الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا * وكتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا
دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد
منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لا يعرفه
وفيه حتفه فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء
فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها
فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لأزواجها كلهم قالية
فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عزوجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد
ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت
عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب
فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان
صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه السار فى أهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد

حديثها لكونها معانى ظاهرة متوجهة الى عالم الحكمة والشهادة تقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعانى القرآن الباطنة التى يكاشف بها من الملكوت قوت القلب وتخلص الروح المقدس الى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق فى لجج الاشواق كما نقل عن مسلم بن يسار انه صلى ذات يوم فى مسجد البصرة فوقعت اسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف فى الصلاة لم يعلم بذلك ثم اذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوى

وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالأحزان لايرجع منها ماولى وأدبر ولا يدرى ماهوآت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها (١) ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لاينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها اذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ماوضع مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أكرم بها ونسى ماصنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم (٢) حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعزانه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى وطعامى وفاكهتى ماأنبتت الارض أبيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الارض أحد أغنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لايروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولايتنفس الا باذنى ولايعجبنكما ماتمتع به منها فانما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك فازوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى انى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل مافيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لاتدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذاهم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لايدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب

(١) حديث الحسن وكتب به الى عمر بن عبد العزيز عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورواه أحمد والطبرانى متصلا من حديث أبى مويهبة فى أثناء حديث فيه انى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة الحديث وسنده صحيح وللترمذى من حديث أبى امامة عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا الحديث (٢) حديث الحسن مرسلا فى شده الحجر على بطنه ابن أبى الدنيا أيضا هكذا وللبخارى من حديث أنس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين وقال حديث غريب

القامة والنصف الاسفل بحاله فى القيام من غير انطواء الركبتين ويجافى مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع (روى) مصعب ابن سعد قال صليت الى جنب سعد بن مالك فجعلت يدى بين ركبتى وبين فخذى وطبقتهما فضرب بيدى وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يابنى انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالاكف على الركب ويقول سبحان ربى العظيم ثلاثا وهو أدنى الكمال والكمال أن يقول احدى عشرة ومايأتى به من العدد يكون بعد التمكن من

وساكنها

وسا كنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل
الجيران والأخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله
البلا وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا و بعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا
تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلا والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع
فكيف بكم لو عاينتم الأمور و بعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل
فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار
هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا
بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله و إياكم عاملين بكتابه متبعين
لاوليائه حتى يحلنا و إياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال بعض الحكماء الأيام سهام والناس أغراض
والدهر يرميك كل يوم بسهامه و يخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك
مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت
من كل يوم يأتى عليك واستثقلت مر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار و بالسلو عن غوائل الدنيا
وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من
العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب * وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها
فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به
والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت
الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير و إلى الله تصير الأمور وخطب عمر بن عبد العزيز
رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس إنكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به
فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص
ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون
اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال على كرم الله وجهه فى خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم
وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا
طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى
أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا
بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين
لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة
وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا
ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية
و إلى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة
بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا
قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

﴿بيان صفة الدنيا بالأمثلة﴾

اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى
سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند

الركوع ومن غير
أن يمزج آخر
ذلك بالرفع ويرفع
يديه للركوع
والرفع من
الركوع ويكون
فى ركوعه ناظرا
نحو قدميه فهو
أقرب الى الخشوع
من النظر الى
موضع السجود
وانما ينظر الى
موضع سجوده
فى قيامه ويقول
بعد التسبيح
اللهم لك ركعت
ولك خشعت
وبك آمنت ولك
أسلمت خشع
لك سمعى
وبصرى وعظمى
ومخى وعصبى
ويكون قلبه فى
الركوع متصفا
بمعنى الركوع
من التواضع
والاخبات ثم يرفع
رأسه قائلا سمع
الله لمن حمده عالما
بقلبه ما يقول
فاذا استوى قائما
يحمد ويقول
ربنا لك الحمد
ملء السموات
وملء الارض
وملء ماشئت

انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لاتدرك حركته بالبصر الظاهر
بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال

أحلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لايخدع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول

ياأهل لذات دنيا لابقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق

وقيل ان هذا من قوله و يقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل ثنية * ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد إفلاتها) تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ماشبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه مايكره ومايحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم

(مثال آخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها) اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لاأحصيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لايعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر

(مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها) اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلاء بن زياد رأيت في المنام عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها وإقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أوما تعرفني قلت لاأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت ان أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون و يرقصون فلما كانت بحذائي أقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ماصنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل ان أقدم إلى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام و بها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب و إذا لايمر بها أحد الاجرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس و إذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لايعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت قالت أنا الدنيا

(مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها) اعلم أن الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيأ وهي ماقبل وجودك إلى الازل وحالة لاتكون فيها مشاهدا للدنيا وهي مابعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل

(1) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون لم أجد له أصلا

من شيء بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولامعطي لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد فان أطال في النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكررا ذلك مهما شاء فاما في الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع في الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاينظر الله الى من لايقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون في هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوي فيه واليه وله فن

وهي

وهى أيام حياتك فى الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفى الأزل والأبد حتى تعلم انه أقل من منزل قصير فى سفر بعيد ولذلك قال ﷺ (١) مالى وللدنيا وانما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت أيامه فى ضر وضيق أو فى سعة ورفاهية بل لا يبنى لبنة على لبنة توفى رسول الله ﷺ (٢) وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة (٣) ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلابد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان

﴿مثال آخر للدنيا فى لين موردها وخشونة مصدرها﴾ اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه الى سلمان الفارسى بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام

﴿مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها﴾ قال رسول الله ﷺ (٤) انما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون فى نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكما أن المشى على الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم ان الزق ما لم ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبى ﷺ (٥) انما بقى من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله

﴿مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق﴾ قال رسول الله ﷺ (٦) مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك

---

(١) حديث مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ما وضع لبنة على لبنة الحديث ابن حبان فى الثقات وللطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عنى أو سره أن ينظر الى فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة الحديث (٣) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا أبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٤) حديث انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء الحديث ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال فذكره ووصله البيهقى فى الشعب وفى الزهد من رواية الحسن عن أنس
(٥) حديث انما بقى من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه فى موضعين ورجاله ثقات
(٦) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب وأبو نعيم فى الحلية

---

الساجدين من يكاشف أنه يهوى الى تخوم الارضين متغيبا فى أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه فى فضاء الكشف والعيان فتهوى دون هويه أطباق السموات وتمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذاك أقصى ما ينتهى اليه طائر الهمة البشرية وتفى بالوصول اليه القوى الانسانية ويتفاوت الأنبياء والأولياء فى مراتب

الخيط ان ينقطع * (مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك) * قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله (مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها) اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح مايجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل مافقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت الا فقد مافي الدنيا وقد روى أن النبي ﷺ (١) قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالام يصير قال الى ماقد علمت يارسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال أبي بن كعب (٢) قال رسول الله ﷺ ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى مايخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الام يصير وقال ﷺ (٣) ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تستحي واسأل قال اذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى مابخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم (مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة) قال رسول الله ﷺ (٤) ما الدنيا في الآخرة الا كمثل مايجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم بم يرجع اليه (مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) اعلم ان أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ماحمله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه ووبالا فندم على أخذه

---

والبيهقي في شعب الايمان من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ ان مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان ان الله ضرب مايخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة الا كمثل مايجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه مسلم من حديث المستورد بن شداد

---

العظمة واستشعار كنهها الكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ومن الساجدين من يتسع وعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصنفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الانس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والقرار والاسرار والجهار فيكون في سجوده ساجيا في بحر شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها الطوع للروح والقلب لما فيهما من الاهلية والكره من النفس لما فيها من

ولم

ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف و بعضهم تولج الغياض ونسي المركب و بعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه و يهتك عورته و يمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا و بعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل الى المركب بثقل ما أخذه من الازهار والاحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان والاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد أن ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم انه بصير عاقل أن تغره أحجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا و بالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل ﴿ مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم ﴾ قال الحسن رحمه الله (١) بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر و بقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء فقالوا ياهذا فقال علام أنتم فقالوا على ماترى فقال أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيأ قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ماشاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا قال الرحيل قالوا الى أين قالوا الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيأ وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل ﴿ مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها ﴾ اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه و يتركه لمن يلحقه لا ليتملكه و يأخذه فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها و ينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله ﷺ قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لاحمد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث وفيه فقال أي أحد الملكين ان مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا الى مفازة فذكر نحوه أخصر منه واسناده حسن

الاجنبية و يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثا الى العشر الذي هو الكمال و يكون في السجود مفتوح العينين لانهما يسجدان وفي الهوي يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه و يكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود فهو أبلغ في الخشوع للساجد و يباشر بكفيه المصلى ولا يلفهما في الثوب و يكون رأسه بين كفيه و يداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما و يقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه و بصره فتبارك الله أحسن الخالقين

بالعوارى ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

﴿ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد ﴾

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة ما هى وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلابد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هى فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك إلا أن جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام ﴿ القسم الاول ﴾ ما يصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيآن العلم والعمل فقط وأعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح فى لذته لانه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بينى و بين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال ﷺ (١) حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا لأنا لسنا فى هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا ﴿ القسم الثانى ﴾ وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعدّ فضولا أو فى محل الحاجة نظر طويل اذ روى عن عمر رضى الله عنه انه استعمل أبو الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا أنفق عليه درهمين فكتب اليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عويمر قد كان لك فى بناء فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فاذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك الى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه ﴿ القسم الثالث ﴾ وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لابد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأوّل لانه معين على القسم الأوّل ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الادناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه

(١) حديث حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة النسائى والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم فى النكاح

وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فحسن * روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده ذلك ويجافى مرفقيه عن جنبيه ويوجه أصابعه فى السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الارض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالاصابع الي القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف

والحب لايحصل الابالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الابدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت * أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد و بين عذاب الله كما ورد في الاخبار (١) ان أعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه و بين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه و بينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا و يبغض اليه ملاذها و يقطعه عنها وكل ذلك لايمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لاتنال الا بقوت وملبس ومسكن و يحتاج كل واحد الى أسباب فالقدر الذي لابد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وان أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى مايعرض صاحبه لعذاب الآخرة و يسمى ذلك حراما والى مايحول بينه و بين الدرجات العلا و يعرضه لطول الحساب و يسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا عذاب (٢) فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله ﷺ (٣) حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب الا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان مايفوت من الدرجات العلا في الجنة ومايرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لابقاء لها ومنغصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في فوات سعادة لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر الى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه وهو المعني بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه (٤) هذا من النعيم الذي تسئل عنه أشار به الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان

ضمهما وتفرجهما و يقول رب اغفرلي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا و يكره الاقعاء في القعود وهو ههنا أن يضع أليتيه على عقبيه ثم اذا أراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة و يفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيآت على تدريج طبقات السموات

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولاحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر اذا دخل الانسان قبره فان كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام الحديث واسناده صحيح
(٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفا على علي بن أبي طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (٤) حديث هذا من النعيم الذي تسئل عنه تقدم في الاطعمة

عليه السلام فى ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى(١) زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما (٢) وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه و يلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا * فان قلت فما الذى هو لله * فاقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وأنواع التنعمات فى المباحات وهى الدنيا المحضة المذمومة فهى الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهى لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه و بقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال ﷺ (٣) من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة اليه لأمر الآخرة و يعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ــ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ــ ومجامع الهوى خمسة أمور وهى ما جمعه الله تعالى فى قوله ــ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ــ والاعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى ــ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ــ فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله و بين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم و يقرب منه و ينبغى أن يحذر منه و بينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم فى الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة حتى ان أويسا القرنى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتى عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج أول الاذان و يأتى الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها فى الفرات و يلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك

---

(١) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما محمد بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يارسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق ابن اسحاق معنعنا وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبى ﷺ كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول و يتأدب مع من يقول و يدر كيف يقول و يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم و يمثله بين عينى قلبه و يسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد فى السماء ولا فى الارض من عباد الله الا و يسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية و يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة و يرفع المسبحة فى الشهادة فى الا الله لا فى كلمة النفى ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب اليها و يدعو فى آخر صلاته لنفسه

لباسه وكان ربما رماه الصبيان فيرمونه و يظنون أنه مجنون فيقول لهم يا إخوتاه ان كنتم ولا بد أن ترمونى فارمونى بأحجار صغار فانى أخاف أن تدموا عقبى فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله ﷺ أمره فقال (١) انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر أقرنى أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى فوصفه له فقال نعم وماذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله ﷺ (٢) يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ و يغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذى نعت لى فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى فقلت حياك الله من رجل ومددت يدى لأصافحه فأبى أن يصافحنى فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت و بكى فقال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن دلك على قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفنى ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآنى فقلت من أين عرفت اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم قال نبأنى العليم الخبير وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ان الارواح لها أنفس كأنفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا و يتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون و يتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك قال انى لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه و بلغنى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا أخى إقرأ على آية من القرآن أسمعها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فانى أحبك فى الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدى على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان و يوشك أن تموت فاما إلى جنة و إما إلى نار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجى الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد ﷺ وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفيى ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه إلى ربى ونعى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبى ﷺ ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين

(١) حديث إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به الى أويس القرنى تقدم فى قواعد العقائد لم أجد له أصلا

(٢) حديث عمر يدخل الجنة فى شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورويناه فى جزء ابن السماك من حديث أبى أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر واسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل فى آخره فكان المشيخة يرون ان ذلك الرجل عثمان بن عفان

وللمؤمنين وان كان اماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن وراءه فان الامام المتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسأل لهم و يعرض حاجتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا و بهذا وصفهم الله تعالى فى كلامه بقوله سبحانه كأنهم بنيان مرصوص وفى وصف هذه الامة فى الكتب السالفة صفهم فى صلاتهم كصفهم فى قتالهم ( حدثنا ) بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو عبد الرحمن محمد ابن عيسى بن شعيب المالينى قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن

مابقيت وانذر قومك إذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا وإياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله على في دارك دار السلام واحفظه مادام في الدنيا حيثما كان رضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين وأجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لاأراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني أكره الشهرة والوحدة أحب الى اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وأدعو لك ان شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل مالا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

﴿ بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده ﴾

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك أما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ماعلى الارض ثلاثة أقسام * المعادن والنبات والحيوان أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا الا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها * العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله

محمد المظفر الواعظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر ابن العباس السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا مجاهد بن موسى قال ثنا معن هو ابن عيسى أنه سأل كعب الاحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر لطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولاسخاب في الاسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يحمدون الله في كل سراء ويكبرون الله

باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الالعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى وأعني بالدابة البدن فانه لايبقى الابطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لايبقى الجمل في طريق الحج الابعلف وماء وجلال ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولايزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل اليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في السفر الآخرة لايشتغل بتعهد البدن الابالضرورة كما لايدخل بيت الماء الالضرورة ولافرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته مايدخل بطنه فقيمته مايخرج منها وأكثر ماشغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو أن الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لايؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة ومايكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل أيضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ماخلقه الله من صيد أومعدن أوحشيش أوحطب فالفلاح يحصل النباتات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل مانبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ماخلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ إما من النبات وهو الاخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لايعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين أحدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الاباجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لامحالة والواحد لايشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل بل لايمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل

على كل نجد يوضؤن أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في جو السماء فالامام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظائف الأدب ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد وتسري من البعض الى البعض أنوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين في أقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان بل يمدهم الله

واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها وتحتاج الآلة الى حداد ونجار و يحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لواجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به و بما معه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هذا فى المنزل وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون فى الحاجات و يتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والأراضى والمياه وهى لا تفى بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا هلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق و يلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى و يحتاجون الى المعاش و يحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التى لا مالك لها ان كانت أو تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة لصناعات أخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا و يختار لكل واحد ما يليق به و يراعى النصفة فى أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح و بعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة و يدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب الا و ينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية

تعالى بالملائكة الكرام كما أمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المسومين فحاجاتهم الى محاربة الشيطان أمس من حاجاتهم الى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فتداركهم الاملاك بل بأنفاسهم الصادقة تماسك الافلاك فاذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه و ينوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمنى الجن و يجعل خده مبينا لمن على يمينه بالواء عنقه و يفصل بين هذا السلام والسلام عن

لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالى فهذه هى الحرف والصناعات الا أنها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان إليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا أن النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت إلى آلته فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوق الاغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى أبيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى النقدين فان من يريد أن يشترى طعاما بثوب فمن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لان الحاجة إليه تدوم وأبقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهى معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير * أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد * وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل اما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا أو سلالا الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها * وأما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيأ فافتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل

يساره فقد ورد النهى عن المواصلة والمواصلة خمس اثنتان تختص بالامام وهو ان لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنتان على المأموم وهو ان لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والمأمومين وهو أن لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمده مدا ثم يدعو بعد التسليم بما يشاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا فى صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملا البر والبحر عبادة وكل المقامات والأحوال زبدتها الصلوات الخمس

بالعجز امابالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون وامابالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهارذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخو برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق وصنعة مايشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه انها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه * فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر الى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولاقدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا و يأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فهو سفر لاينقطع الا بالموت * وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا الامر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولايتنعم فى الدنيا بل السعادة فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام و يظنون انهم اذانالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر * وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار و يترددون فى الاعمال الشاقة ويكتسبون و يجمعون ولايأكلون الاقدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض أو يظفر به من يأكله فى الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه وو باله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى أمثال ذلك ولايعتبرون * وطائفة ظنوا أن السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون فى كسب المعاش و يضيقون على أنفسهم فى المطعم والمشرب و يصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة و يزخرفون أبواب الدور ومايقع عليها أبصار الناس حتى يقال انه غنى وانه ذوثروة و يظنون أن ذلك هى السعادة فهمتهم فى نهارهم وليلهم فى تعهد موقع نظر الناس * وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس و يرون أنهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر فى آخرتهم ومعادهم * ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ماتراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذى يكفى منها وانجرت بهم أوائل

في جماعة وهى سر الدين وكفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ما أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس ابن زكريا قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا يحيى ابن عبد الله قال سمعت أبى يقول سمعت أباهريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرؤا

أسبابها الى أواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقى منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا فلا يبالى الله فى أى واد أهلكه منها فهذا شأن المنهمكين فى أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم فى الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد فى الدنيا أو لم يتعبد فرأوا أن الصواب فى أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالاحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق فى العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع فى الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعى والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف وانما التكاليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجى منها فرقة واحدة وهى السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فانه عليه السلام (١) لما قال الناجى منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابى وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم * تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) حديث افتراق الامة وفيه الناجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة فقالوا من هى يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى ولابى داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جياد

ان شئتم إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

﴿الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها﴾

أحسن آداب المصلى أن لا يكون مشغول القلب بشئ قل أو كثر لان الاكياس لم يرفضوا الدنيا الا ليقيموا الصلاة كما أمروا لان الدنيا وأشغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة فى أوطان القربات واذعانا بالباطن لرب البريات لان حضور الصلاة بالظاهر اذعان الظاهر وفراغ القلب فى الصلاة عما سوى الله تعالى اذعان الباطن فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن حتى لا يختل اذعانهم

## ﴿ كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط * وكاشف الضر بعد القنوط * الذي خلق الخلق * ووسع الرزق * وأفاض على العالمين أصناف الاموال * وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال * وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال أعظم فتنها وأطم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم * ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر ان شاء الله تعالى

### ﴿ بيان ذم المال وكراهة حبه ﴾

قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ـ وقال تعالى ـ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ـ فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل ـ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ـ الآية وقال تعالى ـ ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال تعالى ـ ألهاكم التكاثر * وقال رسول الله ﷺ (١) حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال ﷺ (٢) ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال ﷺ

---

﴿ كتاب ذم البخل وحب المال ﴾

(١) حديث حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جائعان مكان ضاريان

---

فتخرم عبوديتهم فيجتنب أن يكون باطنه مرتهنا بشئ ويدخل الصلاة (وقيل) من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد اذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلي وهو حاقن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخف ولا يصلي أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا رأي لحازق قيل الذي يكون معه ضيق وفي الجملة ليس من الأدب أن يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الاشياء التي ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب (وفي الخبر)

(١) هلك المكثرون الا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم (٢) وقيل يارسول الله أى أمتك شر قال الاغنياء وقال ﷺ (٣) سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم ولايعود مرضاهم ولايتبع جنائزهم ولايوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال ﷺ (٤) دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر وقال ﷺ (٥) يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت أوتصدقت فأمضيت (٦) وقال رجل يارسول الله مالى لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يارسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب ان يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال ﷺ (٧) أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه الى قبره فهو أهله والذى يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم مامنزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندى سواء (٨) وكتب سلمان الفارسى الى أبى الدرداء رضى الله عنهما ياأخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت

---

ولم يقولا فى زريبة وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذى حسن صحيح وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد ماذئبان ضاريان فى زريبة غنم الحديث وللبزار من حديث أبى هريرة ضاريان جائعان واسناد الطبرانى فيهما ضعيف (١) حديث هلك الأكثرون الا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبرانى من حديث عبدالرحمن بن أبزى بلفظ المكثرون ولم يقل فى عباد الله ورواه أحمد من حديث أبى سعيد بلفظ المكثرون وهو متفق عليه من حديث أبى ذر بلفظ هم الأخسرون فقال أبو ذر من هم فقال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا الحديث (٢) حديث قيل يارسول الله أى أمتك شر قال الاغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث عبدالله بن جعفر شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السرى فى الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا وللبزار من حديث أبى هريرة بسند ضعيف ان من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم (٣) حديث سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث أبى أمامة سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمتى وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلا (٤) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر البزار من حديث أنس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان (٥) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبدالله بن الشخير وأبى هريرة وقد تقدم (٦) حديث قال رجل يارسول الله مالى لا أحب الموت الحديث لم أقف عليه (٧) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره الحديث أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه أبوداود الطيالسى وأبو الشيخ فى كتاب الثواب والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفى الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٨) حديث كتب سلمان الى أبى الدرداء وفيه سمعت رسول الله ﷺ يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث * قلت ليس هو من حديث سلمان انما هو من حديث أبى

---

لايدخل أحدكم فى الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلا ينبغى للعبد أن يتلبس بالصلاة الا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلى سكون الاطراف وعدم الالتفات والاطراق ووضع اليمين على الشمال فا أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز وفى رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة فى الصلاة جملة وقد حركت يدى فى الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندنا ان العبد اذا وقف فى الصلاة ينبغى أن يبقى جامدا مجمدا لايتحرك

حق الله فيه ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فيّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال ﷺ (١) اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال ﷺ (٢) لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا ﴿ الآثار ﴾ روى أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وأن يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله مني فأبغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بان تقاك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من المر * ء قميص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه

أو جبين لاح فيه * أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف * حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالي على ما وقع وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي ويروى أن رجلا قال لأبي عبد ربه يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى ابن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله

## ﴿ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم ﴾

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله ﷺ (٣) نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم بأموال وبنين

---

الدرداء أنه كتب الى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (١) حديث اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة يبلغ به وقد تقدم في آداب الصحبة (٢) حديث لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الترمذي والحاكم وصحح اسناده من حديث ابن مسعود بلفظ فترغبوا (٣) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن

---

منه شيء * وقد جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك ﴿ وقد روى ﴾ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال ان الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله ﴿ ونقل عن سفيان ﴾ أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن معاذ ابن جبل أشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته فصلاته

ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال ﷺ (١) كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا
تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح الا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك أنه خير من
وجه وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل
هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه
غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه
هو أن مقصد الاكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام
والاكياس اذ قيل لرسول الله ﷺ (٢) من أكرم الناس وأكيسهم فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم
له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل
البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم
الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان
لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم
الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن
وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها
وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم
والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشئ وغايته
ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه
فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن
سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى
المقصد المذموم (٣) فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع
مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية
فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام (٤) اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا
إلا ما يتمحض خيره وقال اللهم (٥) أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم
ﷺ فقال واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة أجل من أن
يخشى عليها أن تعتقد الالهية في شئ من هذه الحجارة إذ قد كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وانما معنى عبادتهما
حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا ﷺ (٦) تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا
انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو
عابد صنم أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك الا أن الشرك شركان شرك خفي

---

العاص بسند صحيح بلفظ نعما وقالا للمرء (١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في
شعب الايمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال
أكثرهم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكيس ورواه ابن أبي الدنيا في
الموت بلفظ المصنف واسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر
تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بقية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا متفق عليه
من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم
وصحح اسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث البخاري
من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتقش وانما علق آخره بلفظ تعس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم

---

باطلة قال بعضهم
لان ذلك عدوه
عملا وقيل في
تفسير قوله تعالى
والذين هم على
صلاتهم دائمون
قيل هو سكون
الاطراف
والطمأنينة
(قال) بعضهم اذا
كبرت التكبيرة
الاولى فاعلم أن الله
ناظر الى شخصك
عالم بما في ضميرك
ومثل في صلاتك
الجنة عن يمينك
والنار عن شمالك
وانما ذكرنا أن
تمثل الجنة والنار
لان القلب اذا شغل
بذكر الآخرة
ينقطع عنه
الوسواس فيكون
هذا التمثيل
تداويا للقلب
لدفع الوسوسة
(أخبرنا) شيخنا
ضياء الدين أبو
النجيب السهروردي
اجازة قال أنا عمر
ابن أحمد الصفار
قال أنا أبو بكر

لايوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب النمل وشرك جلى يوجب الخلود فى النار نعوذ بالله من الجميع

﴿ بيان تفصيل آفات المال وفوائده ﴾

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره ﴿أما الفوائد﴾ فهى تنقسم الى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وأما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة أنواع ﴿النوع الاول﴾ أن ينفقه على نفسه اما فى عبادة أو فى الاستعانة على عبادة أما فى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما وأما فيما يقوى به على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط ﴿النوع الثانى﴾ ما يصرفه الى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام * أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم * وأما المروءة فنعنى بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف فى ضيافة وهدية واعانة وما يجرى مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا أن هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها * وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله ﷺ (١) ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة * وأما الاستخدام فهو أن الاعمال التى يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غيره خسران ﴿النوع الثالث﴾ ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب فى الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين الى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال فى الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة فى القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية ﴿وأما الآفات﴾ فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث ﴿الأولى﴾ أن تجر الى المعاصى فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصى وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع فى شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة

(١) حديث ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم

ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فاما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخراز اذا ركع فالادب فى ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى فى ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل الا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون فى قلبه شئ أعظم من الله ويصغر فى نفسه حتى يكون أقل من الهباء واذا رفع رأسه وجد الله يعلم انه

الضراء ﴿الثانية﴾ انه يجر إلى التنعم فى المباحات وهذا أوّل الدرجات فتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير و يلبس الثوب الخشن و يترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى ملكه فاحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا و يمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه و يجره البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات و يخوض فى المرا آة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه و يتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلابد وأن ينافقهم ويعصى الله فى طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الأولى وهى مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة و ينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصى التى تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدى أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه واصلاحه ﴿الثالثة﴾ وهى التى لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ماشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام فى المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل ان أخذه من حله فقال يضعه فى غير حقه فقيل ان وضعه فى حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى و يصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم فى الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان فى الخراج وخصومة الاجراء على التقصير فى العمارة وخصومة الفلاحين فى خياناتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشى وهكذا سائر أصناف الاموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف مما يعثر عليه وفى دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الاموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال وكسبه فاذا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقى إلى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه انه على ذلك قدير

﴿بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى أيدى الناس﴾

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه فى كتاب الفقر ولكن ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن و يقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا و يرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق إلى الكثير أوطول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله ﷺ (١) لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب (٢) وعن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناه يعلمنا مما أوحى إليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان ولو كان له الثانى لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس
(٢) حديث أبى واقد الليثى ان الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لاقام الصلاة و إيتاء الزكاة الحديث أحمد والبيهقى فى الشعب بسند صحيح

سبحانه وتعالى يسمع ذلك (وقال) أيضا و يكون معه من الخشية ما يكاد يذوب به (قال) السراج إذا أخذ العبد فى التلاوة فالادب فى ذلك أن يشاهد و يسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى وقال السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفى كل شئ غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس والعقل اللذين دخلوا فى الصلاة بهما فاذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبدا فى

ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب (١) وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب وقال ﷺ (٢) منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال ﷺ (٣) يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال ﷺ (٤) طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ﷺ (٥) مامن أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال ﷺ (٦) ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال (٧) ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ (٨) ان روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (٩) كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصاري أن اعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله عظني وأوجز فقال (١٠) إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله ﷺ (١١) تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال

---

(١) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله ان الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه علي بن زيد متكلم فيه (٢) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٣) حديث يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه (٥) حديث مامن أحد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة أنه كان أوتي في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية نفيع بن الحارث عن أنس ونفيع ضعيف (٦) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصحح اسناده وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش (٨) حديث ابن مسعود ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٩) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (١٠) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه واجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وتقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (١١) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدهم وهي عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

---

الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع شعب حضور القالب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لان عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا

فلقد

فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه (الآثار) قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر * اقنع بعيشك ترضه
واترك هواك تعيش حر * فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنيا كم مالم تبتلوا به وخيرما ابتليتم به ماخرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ماقسم له من الرزق أومارزق وكتب بعض بني أمية الى أبي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء أي شئ أسر للعاقل وأي شئ أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ماقدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في دهره شيأ يؤرقه

وقد قيل أيضا

حتى متى أنا في حل وترحال * وطول سعي وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ماحالي
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ماقد كفيته وكأن ماغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي أن رجلا صاد قنبرة فقالت ماتريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي أما واحدة فاعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على مافاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت ياشقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات

خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف (وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجليه خطيئة أصابها حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم

الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذ الا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبدالله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشئ يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شئ ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان قال بعض الحكماء من عجيب أمر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من أين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده الى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير

## ﴿ بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة ﴾

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور * الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الادام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله ﷺ (١) ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال ﷺ (١) ما عال من اقتصد وقال ﷺ (٢) ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ (٤) الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة وفي الخبر

(١) حديث ان الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وتقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمت الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبدالله بن سرجس وقال التؤدة بدل

فقال ان أقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروى) عن أبي عمرو بن العلاء انه قدم للامامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا اماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط (وقال) عليه السلام ان العبد اذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى تنتهي الى السماء وحتى تصل الى الله

(١) التدبير نصف المعيشة وقال ﷺ (٢) من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال ﷺ (٣) اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من أهم الامور * الثاني أنه اذا تيسر له في الحال مايكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل و يعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل ـ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ـ وذلك لان الشيطان يعده الفقر و يأمره بالفحشاء و يقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب و يضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال ور بما لا يكون وفي مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله ﷺ فقال لهما (٤) لا تيأسا من الرزق ماتهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله ﷺ بابن مسعود وهو حزين فقال له (٥) لا تكثر همك مايقدر يكن وماترزق يأتك وقال ﷺ (٦) ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ـ ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب ـ فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لاجله وقال ﷺ (٧) أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقدا لضرورته بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال أبو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيأ منهما هو لي فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث أن يعرف مافي القناعة من عز الاستغناء ومافي الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا

---

الهدي الصالح وقال من أربعة (١) حديث التدبير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين (٢) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله (٣) حديث اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٤) حديث لا تيأسا من الرزق ماتهزهزت رؤسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابني خالد وقد تقدم (٥) حديث لا تكثر همك ماقدر يكن وما ترزق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحبته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المغافري مرسلا (٦) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٧) حديث أبى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث علي باسناد واه ورواه ابن الجوزي في

---

فتشفع لصاحبها واذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي الى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الداراني) اذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بيني و بين عبدي فاذا التفت يقول الله ارخوها فيما بيني و بينه وخلوا عبدي وما اختار لنفسه (وقال أبو بكر الوراق) ربما أصلي ركعتين فأنصرف منهما وأنا أستحيي من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا العظيم الأدب عنده ومعرفة كل انسان بأدب

أم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال ﷺ (١) عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره * الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والاعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الأنبياء والأولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء * الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر (٢) أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر الى من هو دوني لا إلى من هو فوقي أي في الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٣) اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم ان غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

## ﴿ بيان فضيلة السخاء ﴾

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الانبياء عليهم السلام وهو أصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي ﷺ (٤) حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله ﷺ

الموضوعات (١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الاوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي ﷺ في أثناء حديث وفيه زفر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي ﷺ (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي ﷺ أن أنظر الى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوقي أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم (٤) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدي والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة وسيأتي بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد

الصلاة على قدر حظه من القرب * وقيل لموسى ابن جعفر ان الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرهم بين يديك قال ان الذي أصلي له أقرب الي من الذي يمشي بين يدي * وقيل كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا أراد أن يخرج الى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقف * وروى عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ انه قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل وقد ورد في لفظ آخر منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف

(١) قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ (٢) ماجبل الله تعالى ولياله الاعلى حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يارسول الله أي الاعمال أفضل (٣) قال الصبر والسماحة وقال عبدالله بن عمر قال رسول الله ﷺ (٤) خلقان يحبهما الله عزوجل وخلقان يبغضهما الله عزوجل فاما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده (٥) قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٦) السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدري قال النبي ﷺ (٧) يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (٨) تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ

(١) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى ان هذا دين رضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق الدارقطني في المستجاد وقد تقدم (٢) حديث عائشة ماجعل الله ولياله الاعلى السخاء وحسن الخلق الدارقطني في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدي من رواية بقية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٣) حديث جابر أي الايمان أفضل قال الصبر والسماحة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الايمان وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عبسة بلفظ ما الايمان قال الصبر والسماحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق واسناده صحيح (٤) حديث عبدالله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمي دون قوله في آخره وإذا أراد الله بعبد خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمي كذبه أبو داود وموسى بن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الاصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبدالله بن عمرو وروى الديلمي أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس اليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٥) حديث المقدام بن شريح عن أبيه عن جده ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له يوجب الجنة إطعام الطعام وافشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٦) حديث أبي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطني في المستجاد وفيه عبدالعزيز بن عمران الزهري ضعيف جدا (٧) حديث أبي سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والخرائطي في مكارم الاخلاق والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء فجعله عبدالرحمن السدي وقال انه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبدالملك بن الخطاب وقد غمزه ابن القطان وتابعه عليه عبدالغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجاني والازدي ورواه الحاكم من حديث علي وقال انه صحيح الاسناد وليس كما قال (٨) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق وقال الخرائطي أقيلوا السخي زلته وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه باسناد ضعيف

والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر قال الخواص ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لنقصان فرائضه فان لم ينوها لم يحسب له منها شيء بلغنا ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين ﴿وقال﴾ أيضا انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين احداهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق وفتح العين في الصلاة أولى من

بيده كما اشار وقال ابن مسعود قال ﷺ (١) الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال ﷺ (٢) إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها وقال أنس ان رسول الله ﷺ (٣) لم يسأل على الاسلام شيأ إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفاقة وقال ابن عمر قال ﷺ (٤) إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها إلى غيره وعن الهلالى قال أتى رسول الله ﷺ (٥) بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال ﷺ نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال ﷺ (٦) إن لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ (٧) طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال ﷺ (٨) من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لاتأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ (٩) الجنة دار الاسخياء وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (١٠) إن السخى

تغميض العين الا ان يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وان تثاءب فى الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم فى الصلاة غيره ﴿قيل﴾ ذهب المزحوم بصلاة المزاحم ﴿وقيل﴾ من ترك الصف الاول مخافة أن يضيق على أهله فقام فى الثانى أعطاه الله مثل ثواب الصف الاول من غير أن ينقص من أجورهم شئ ﴿وقيل﴾ ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل ﴿وروت﴾ عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ

---

ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الدارقطنى (١) حديث ابن مسعود الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت الذى يغشى وفى حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة الى سنام البعير ولأبى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذى فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٢) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالى الأمور ويكره سفسافها الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل وللطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل ابن سعد ان الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأمور وفى الكبير والبيهقى معالى الأخلاق الحديث واسناده صحيح وتقدم آخر الحديث فى أخلاق النبوة (٣) حديث أنس لم يسأل على الاسلام شيأ إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة (٤) حديث ابن عمر إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبرانى فى الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتى وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله بن زيد الحمصى ضعفه الأزدى (٥) حديث الهلالى أتى النبى ﷺ بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكر له سخاء فيه لم أجد له أصلا (٦) حديث إن لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح لم أقف له على أصل (٧) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وأبو على الصدفى فى عواليه وقال رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان وانهم لمشاهير ثقات الا المقدام بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه (٨) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ماعظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمر باسناد منقطع وفيه حليس بن محمد أحد المتروكين ورواه العقيلى من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروى من وجوه كلها غير محفوظة (٩) حديث عائشة الجنة دار الاسخياء ابن عدى والدارقطنى فى المستجاد والخرائطى قال الدارقطنى لايصح ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال الذهبى حديث منكر ما آفته سوى جحدر *قلت رواه الدارقطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الموقرى وهو ضعيف جدا (١٠) حديث أبى هريرة إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذى وقال غريب

قريب

قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل وقال ﷺ (١) اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله وقال ﷺ (٢) ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ (٣) ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم أعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها وقال ﷺ (٤) كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال ﷺ (٥) كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال ﷺ (٦) كل معروف فعلته الى غني أو فقير صدقة وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله ﷺ (٧) بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك فقال ﷺ ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت ﴿الآثار﴾ قال علي كرم الله وجهه اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وأنشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية * وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر

---

ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه بهذه الزيادة الدارقطني فيه (١) حديث اصنع المعروف الى أهله والى من ليس من أهله الدارقطني في المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا وتقدم في آداب المعيشة (٢) حديث ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسماحة الانفس الحديث الدارقطني في المستجاد وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري أورد ابن عدي له مناكير وفي الميزان انه ضعيف منكر الحديث ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفيه صالح المري متكلم فيه (٣) حديث أبي سعيد ان الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف الحديث الدارقطني في المستجاد من رواية أبي هرون العبدي عنه وأبو هرون ضعيف ورواه الحاكم من حديث علي وصححه (٤) حديث كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدي والدارقطني في المستجاد والخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الأولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٥) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن ارطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد النميري ضعيف (٦) حديث كل معروف فعلته الى غني أو فقير صدقة الدارقطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والخرائطي كلاهما في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين (٧) حديث جابر بعث رسول الله ﷺ بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم الحديث وفيه فقال ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت الدارقطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله

---

كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة ﴿وسئل﴾ الجنيد ما فريضة الصلاة قال قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك اذا هانت عليك صلاتك ﴿وقيل﴾ أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب ﴿وقال﴾ أبو الخير الاقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني

في المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل * ورفع رجل الى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عزوجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخى من يبتدئ بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصرى ما السخاء فقال أن تجود بمالك في الله عزوجل قيل فما الحزم قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وان الله عزوجل يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رضى الله عنه رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وروى ان الاحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

وسمى واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيأ وقال الاصمعى كتب الحسن بن على الى الحسين بن على رضوان الله عليهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صررا الى إخوانه وقال قد كنت أسأل الله تعالى لاخوانى الجنة في صلاتى أفأبخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس اليك قال من كثرت أياديه عندى قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادى عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل أمكننى من نفسه حتى أضع معروفى عنده فيده عندى مثل يدى عنده وقال المهدى لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس في دارى فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها * لله أو لذوى القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا

## ﴿ حكايات الاسخياء ﴾

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت * وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندى اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ماهذا فاخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه أوموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم * وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن على لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية

استوصيت ربي فاوصاني بالصلاة وقال لي ان أقرب ما أكون منك وأنت تصلي (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة ﴿وقيل﴾ ان محمد ابن يوسف الفرغاني رأى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال أقوم بالامر وأمشي بالخشية وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها الى ربي وأحفظها أيام حياتي وأرجع باللوم على نفسي وأخاف أن لا تقبل مني وأرجو

قال الحسن ان علينا دينا فلابد لنا من اتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فرواعليه بختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ماهذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد * وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي انه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو الذي أطلق مافي يديك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ماأنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وان لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ (١) قال للزبير بن العوام يازبير اعلم ان مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون اياي بالحديث أحب إلي من الجائزة وهي مائة ألف درهم * وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له ياهذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل ومافي ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلثمائة ألف درهم فاحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ماعندنا درهم فقال أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم * واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده مايجهزها به فقام عبدالله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه مايشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر مايشغل مؤمنا عن عبادة ربه ومابنا من الكبر مالانخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا * وحكي انه لما أجدب الناس بمصر وعبدالحميد بن سعد أميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم إلى أن رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته * وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن أبي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا فقال فعلت وحقه لاعطينك مايليها وكان ذلك أضعاف ماطلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ماعندي ماأعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لايتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس * وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن إذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل الامير البستان أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها

أياجود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فأخذها ووضع الامير الخشبة

(١) حديث أنس يازبير اعلم ان مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش الحديث وفي أوله قصة مع المأمون الدارقطني فيه وفي اسناده الواقدي عن محمد بن اسحاق عن الزهري بالعنعنة ولايصح

ان تقبل مني وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمني وأعلمها من سألني وأحمد ربي إذ هداني فقال محمد ابن يوسف مثلك يصلح أن يكون واعظا وقوله تعالى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشئ من الدنيا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وقال أيضا ان الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لايفعل ذلك فهي خداج أي ناقصة * وقد ورد أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان في أقطار الأرض خوفا

تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على ان أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار ※ وقال أبو الحسن المدائنى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمى بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفينى قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبى أنت وأمى أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخى قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفى شاة وألفى دينار فأمر لها عبد الله بألفى شاة وألفى دينار وقال لها لو بدأت بى لأتعبتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار ※ وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشى وحدك فقلت أقيك بنفسى وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك ※ وحكى ان قوما من العرب جاؤا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فرأى رجل منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبى وكان السخى الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له فى النوم نعم فباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره فى النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيأ وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيرى بنجيبه فى النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ابنى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه ※ وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى ※ واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبى معيط داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان المال والدار لهم جميعا ※ وقيل بعث هرون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيتى فقال يا أمير المؤمنين ان لى من غلتى كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم وحكى انه لم تجب

منـه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس قيل يضرب بينه و بينه سرادق لا ينظـر إليـه وواجهـه الجبار بوجهـه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فاذا لم يكن فى قلبه أكبر من الله تعالى يقول صـدقت الله فى قلبـك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش و يكشف له بذلك النـور ملـكوت السموات والارض و يكتب له حشو ذلك النور حسنات وان الجاهل الغافل إذا قام الى الصـلاة احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الله عـلى قلبـه فاذا كان شئ فى قلبـه

عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار * وحكى ان امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيأ من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا * وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى في علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا أمير المؤمنين مامددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيأ فاستكثرت شيأ أعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيأ كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال

اني سمعت مع الصباح مناديا * يامن يعين على الفتى المعوان

ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل له انهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برىء قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده * وعن أبي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ أبو سعد الحركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيأ فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شئ فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لي شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى أن يفتح عليك بشئ قال فأخذته وانصرفت فأصلحت مااتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ماقلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن أحضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أي هؤلاء أسخى * وروي أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته فأتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه أي أراد به هذا وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى ـ وكان أبوهما صالحا ـ وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشئ بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فأراد أن ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام

أكبر من الله تعالى عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه من الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه * وفي الخبر لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء والقلوب الصافية التي كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في

الخياط اليه فسوى زره فأخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه

يالهف قلبي على مال أجود به * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ماليس عندي لمن احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ * وعن أبي ثور قال أراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيأ من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال نخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ماوجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا اذا حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول

أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لاتطاوعني ببخل * ومالي لايبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة ألف أخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى * ودخل أبو تمام على ابراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله مايصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب اليه يقول

ان حراما قبول مدحتنا * وترك مانرتجي من الصفد
كالدراهم والدنانير في البيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونقول نحن كأننا لم نفعل

وروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال ياغلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان قال أربعمائة ألف * وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ماسألني بها أحد قبلك ان لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل مايبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني * وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ماجاء بك قال علي أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعطيته اذ شق عليك فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين

## ﴿ بيان ذم البخل ﴾

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من

الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لاسبيل للشيطان اليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لاتنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخلف شئ من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس الى أن يتجاوز السموات ويقف أمام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج

فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة - وقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال ﷺ (١) إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال ﷺ (٢) إياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال ﷺ (٣) لايدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال ﷺ (٤) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ﷺ (٥) ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال ﷺ (٦) مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيأ الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال ﷺ (٧) خصلتان لاتجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ﷺ (٨) اللهم اني أعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وقال ﷺ (٩) إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لايحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وقال ﷺ (١٠) شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع * وقتل شهيد على عهد رسول الله ﷺ فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال ﷺ (١١) وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لايعنيه أو يبخل بما لاينقصه وقال جبير بن مطعم

---

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فان الشح الحديث ولابي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم من حديث أبي هريرة بلفظ حرماتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لايدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا منان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهي عند الترمذي وله ولابن ماجه لايدخل الجنة سيئ الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث ان الله يبغض ثلاثا الشيخ الزاني والبخيل المنان والفقير المختال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخيل المنان وقال فيه الغني الظلوم وقد تقدم وللطبراني في الاوسط من حديث علي ان الله ليبغض الغني الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لاتجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الاذكار (٩) حديث إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش (١٠) حديث شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد (١١) حديث وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لايعنيه أو يبخل بما لاينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وللبيهقي في الشعب من حديث أنس ان أمه قالت لينهك الشهادة وهو عند الترمذي الا أن رجلا قال له ابشر بالجنة

---

الليل في النهار وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب ﴿وما ذكرنا﴾ من أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا ان المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى واذا حصل الذكر فأي حاجة الى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا الى أباطيل الخيال ومحوا الرسوم والاحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقا أدتهم الى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لانهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضيل النوافل واغتروا

(١) بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من خيبر اذ علقت برسول الله ﷺ الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف ﷺ فقال أعطونى ردائى فوالذى نفسى بيده لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر رضى الله عنه (٢) قسم رسول الله ﷺ قسما فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال انهم يخيرونى بين أن يسألونى بالفحش أو يبخلونى ولست بباخل وقال أبو سعيد الخدرى (٣) دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ماصنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فاخبره بما قالا فقال ﷺ لكن فلان أعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان أحدكم ليسألنى فينطلق فى مسألته متأبطها وهى نار فقال عمر فلم تعطيهم ماهو نار فقال يأبون الا أن يسألونى و يأبى الله لى البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (٤) الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا ان الله عز وجل خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا ان السخاء من الايمان والايمان فى الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا ان البخل من الكفر والكفر فى النار وقال ﷺ (٥) السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة الا سخى والبخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار الا بخيل وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٦) لوفد بنى لحيان من سيدكم يا بنى لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال ﷺ وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفى رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال عليه السلام وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال على رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٧) ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٨) السخى الجهول أحب الى الله من العابد البخيل وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم (٩) الشح

---

(١) حديث جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من حنين علقت الأعراب به الحديث البخارى وتقدم فى أخلاق النبوّة (٢) حديث عمر قسم النبى ﷺ قسما الحديث وفيه ولست بباخل مسلم (٣) حديث أبى سعيد فى الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله ﷺ دينارين فلقيهما عمر فاثنيا وقالا معروفا الحديث وفيه و يأبى الله لى البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبزار نحوه ولم يقل أحد انهما سألاه ثمن بعير ورواه البزار من رواية أبى سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٤) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردرس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أقف له على اسناد (٥) حديث السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج فى الجنة الا سخى الحديث تقدم دون قوله فلا يلج فى الجنة الى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده (٦) حديث أبى هريرة من سيدكم يا بنى لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بنى سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التى قال فيها سيدكم عمرو بن الجموح فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن (٧) حديث على ان الله ليبغض البخيل فى حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أجد له اسنادا (٨) حديث أبى هريرة السخى الجهول أحب الى الله من العابد البخيل الترمذى بلفظ وللجاهل سخى وهو بقية حديث ان السخى قريب من الله وقد تقدم (٩) حديث أبى هريرة لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد النسائى

---

يسير روح الحال وأهملوا فضل الاعمال ولم يعلموا ان لله فى كل هيئة من الهيآت وكل حركة من الحركات أسرارا وحكما لا توجد فى شئ من الاذكار فالاحوال والاعمال روح وجسمان ومادام العبد فى دار الدنيا اعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تزكو بالاحوال والاحوال تنمو بالاعمال

﴿الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره﴾

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل مافى عمل ابن آدم شئ الا ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لايدخله

والايمان لايجتمعان فى قلب عبد وقال أيضا (١) خصلتان لايجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ﷺ (٢) لاينبغى لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا وقال ﷺ (٣) يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروى ان رسول الله ﷺ (٤) كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى ذنبى فقال ﷺ وما ذنبك صفه لى فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون فقال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لى ذنبك قال يارسول الله انى رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتينى يسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار فقال ﷺ إليك عنى لاتحرقنى بنارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله فى النار ويحك أما علمت ان البخل كفر وان الكفر فى النار ويحك أما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿الآثار﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها ازينى فتزينت ثم قال لها اظهرى أنهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها فى الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها أظهرى سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله تعالى وعزتى لأسكننك بخيلا وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لو كان البخل قميصا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر وقال محمد ابن المنكدر كان يقال إذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدى بخلائهم وقال على كرم الله وجهه فى خطبته انه سيأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لان الشحيح هو الذى يشح على ما فى يد غيره حتى يأخذه ويشح بما فى يده فيحبسه والبخيل هو الذى يبخل بما فى يده وقال الشعبى لاأدرى أيهما أبعد غورا فى نار جهنم البخل أو الكذب وقيل ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندى تكلم فقال خير الناس من ألفى سخيا وعند الغضب وقورا وفى القول متأنيا وفى الرفعة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لايرحمه وقال الضحاك فى قوله تعالى إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لايبصرون الهدى وقال كعب مامن صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعى سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان فى عينى لعظم الدنيا فى عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه وقال أبو حنيفة رحمه الله لاأرى أن أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لايكون مأمون الامانة وقال على كرم الله

---

وفى اسناده اختلاف (١) حديث خصلتان لايجتمعان فى مؤمن الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٢) حديث لاينبغى لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٣) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم من الشح الحديث وفيه لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذى من حديث أبى بكر لايدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٤) حديث كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى الحديث فى ذم البخل وفيه قال إليك عنى لاتحرقنى بنارك الحديث بطوله وهو باطل

---

قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لى فلا يقتص أحد منه شيأ (وفى الخبر) الصوم لى وأنا أجزى به قيل أضافه إلى نفسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل فى تفسير قوله تعالى السائحون الصائمون لانهم ساحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل فى قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هم الصائمون لأن الصبر إسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغا ويجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه فى قوله تعالى فلا

وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي ﷺ (١) انك إذا لبخيل ومدحت امرأة عند رسول الله ﷺ (٢) فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال فما خيرها إذا وقال بشر النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الاحب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا أبرارا وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه ولقي يحيى ابن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلي المؤمن البخيل وأبغض الناس إلي الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك

﴿ حكايات البخلاء ﴾

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيا ما أكلت فقال هاه أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك * وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيأ قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم أخا له ولم يطعمه شيأ فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت المقلي * ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق قال أنا والله ما أقدر على ابرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة ويسألونه اعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل * ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فاذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل إلا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ان مس عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطي ستين ألفا فأعطاها أربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق بمواعيده منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

﴿ بيان الايثار وفضله ﴾

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فأرفع درجة السخاء الايثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي

تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم (وقال) يحيى بن معاذ اذا ابتلي المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلي بحرص الاكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن الشيطان والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في

لا أصل له (١) حديث انك لبخيل ٧ (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي ﷺ

٧ قول العراقي انك لبخيل هكذا بالنسخ من غير ذكر راو ولم يخرجه الشارح أيضا فلينظر اه مصححه

الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل
يمسك المال و يمرض فلا يتداوى و يشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها فهذا
بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا
يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال
ـ و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ وقال النبي ﷺ (١) أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته
وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله ﷺ (٢) ثلاثة أيام متوالية حتى
فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا (٣) ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله
شيأ فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج
وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ
لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ـ و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ فالسخاء
خلق من أخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من أدب رسول الله ﷺ حتى
سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى ـ و إنك لعلى خلق عظيم ـ وقال سهل بن عبد الله التستري قال موسى عليه السلام
يارب أرني بعض درجات محمد ﷺ وأمته فقال ياموسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من
منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة
كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق
اختصصته به من بينهم وهو الايثار ياموسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته
و بوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل
فيه اذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني
والثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال
ماهي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان أشبع وهو جائع قال فما انت صانع اليوم قال
أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام
ومافيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه أهدى الى رجل من أصحاب رسول الله
ﷺ رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى
تداوله سبعة أبيات ورجع الى الأول و بات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله ﷺ (٤) فأوحى الله

ﷺ فقالوا صوامة قوامة الا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان (١) حديث أيما رجل اشتهى شهوة
فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف
وقد تقدم (٢) حديث عائشة ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متواليات ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على
أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشبع رسول الله ﷺ
ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وللشيخين ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة ليال تباعا حتى قبض
زاد مسلم من طعام (٣) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى أهله
الحديث في نزول قوله تعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث
بات علي على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله الى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما
أطول من الآخر الحديث في نزول قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله أحمد مختصرا من حديث
ابن عباس شرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم
أقف لهذه الزيادة على أصل وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر

الروح ترده الملائكة
و ينهزم الشيطان
من جائع نائم
فكيف اذا كان
قائما ويعانق
الشيطان شبعانا
قائما فكيف اذا
كان نائما فقلب
المريد الصادق
يصرخ الى الله
تعالى من طلب
النفس الطعام
والشراب *
دخل رجل إلى
الطيالسي وهو
يأكل خبزا يابسا
قد بله بالماء مع
ملح جريش فقال
له كيف تشتهي
هذا قال أدعه حتى
أشتهيه (وقيل)
من أسرف في
مطعمه ومشربه
يعجل الصغار والذل
اليه في دنياه قبل
آخرته (وقال)
بعضهم الباب
العظيم الذي
يدخل منه الى الله
تعالى قطع الغذاء
(وقال بشر) ان

تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما
يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب
آخيت بينه وبين نبيى محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه
فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب والله
تعالى يباهى بك الملائكة فأنزل الله تعالى ـ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ـ
وعن أبى الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا فى قرية بقرب الرى ولهم أرغفة معدودة
لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه
شيأ إيثارا لصاحبه على نفسه * وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شئ فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه
ثم اعتذر اليه * وقال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان
به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فاشار الى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى الى
أن انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته
فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين
وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل فى مرضه فشكا اليه الحاجة
فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا
الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر
الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت
الكلاب فى الميتة فمازالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى أكلت الميتة وبقى العظم ورجعت الكلاب
الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فأكل مما بقى عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من
أخبار الايثار وأحوال الأولياء فى كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل
فيما يرضيه عز وجل

## ﴿ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما ﴾

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا
وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس
فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان إلا ويجد من نفسه حب المال ولاجله يحفظ
المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب
البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك فما البخل الذى يوجب الهلاك وما حد السخاء الذى يستحق به العبد صفة
السخاء وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير
كاف فان من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك
من يسلم إلى عياله القدر الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلا
ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذى
يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه ان أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة
كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب
بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا فى الجود
فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود
السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل

فيعطى

الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذوالنون ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو هممت بمعصية وروى القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره قال قلت سبحان الله فبأى شئ كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء وكان لنا جيران من الانصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منائح فربما واسونا بشئ * (وروى) أن حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت لابيها ان الله قد أوسع الرزق فلو

فيعطى عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ماخلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى مالا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذلم يؤمر رسول الله ﷺ الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفى ان يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخى بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال الامن حيث يراد المال له وهو صرفه الى مايجب صرفه اليه * فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله * فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف أو الذى يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل * وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه مالا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح فى الضيافة من المضايقة مالا يستقبح فى المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب اذ يستقبح فى الاطعمة مالا يستقبح فى غيرها ويستقبح فى شراء الكفن مثلا أو شراء الاضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل او موسر أو فقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروأة أهم من حفظ المال والمضايق فى الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدى الواجب ويحفظ المروأة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته فى الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه ان كان فى جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة فى العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع

أكلت طعاما أكثر من طعامك ولبست ثيابا ألين من ثيابك فقال انى أخاصمك الى نفسك ألم يكن من أمر رسول الله ﷺ كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لاشاركنه فى عيشه الشديد لعلى أصيب عيشة الرخاء وقال بعضهم مانخلت لعمر دقيقا الا وأنا له عاص (وقالت) عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة رضى الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظمأ (وقيل) ظهر ابليس

المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عرض هذا هو الحقيقة ولا يتصوّر ذلك الا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع ينا له من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت وأشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيأ بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل و يسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك

## ﴿ بيان علاج البخل ﴾

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان * أحدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام (١) الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة * السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده و بقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات و يصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه و بين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير و بالصبر وتعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن

(١) حديث الولد مبخلة زاد في رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزنة رواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الاسود بن خلف واسناده صحيح

ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ماهذه قال الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم اني لأشبع أبدا قال ابليس لا جرم إني لا أنصح أحدا أبدا ﴿ وقال ﴾ شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لا تجمعوا بين الادمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد افسدت

ورث و بأن يعلم انه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير و ينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه و يعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل فى الاخبار الواردة فى ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه مامن بخيل الا و يستقبح البخل من غيره و يستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر فى قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه و يعالج أيضا قلبه بأن يتفكر فى مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يصده عنه * حكى أن أبا الحسن البوشنجى كان ذات يوم فى الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عنى القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسى أن تتغير وكان قد خطر لى بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه فى الماء كان أولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء و يزيله بعلاجه و يكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبى عند الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدى اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها و يسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا أن هذا مفيد فى حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة و يزيد فى أخرى مثلها الا ان علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى أن يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض مايقال ان الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى أن تغلب احداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها و يجعل الاضعف قوتا للاقوى الى أن لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضى لامحالة أعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضى امساك المال فاذا منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى و يصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لاحيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية فى معالجة علة البخل فى المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم فى مريد فرحه بزاويته ومافيها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه وأخرجه عن جميع ماملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره و يلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له ألف متاع كان له ألف

معدته ألوان الاغذية فيكره للمريد أن يوالى فى الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا وقال عليه السلام ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال فتح الموصلى صحبت ثلاثين شيخا كل يوصينى عند مفارقتى إياه بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل

(الباب الاربعون فى اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار) جمع من المشايخ

محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك * حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم يرله نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أوفقرا قال كيف قال ان كسر كان مصيبة لاجبرلها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة أولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة الله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لايحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لايمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه و يضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما أمسكه لحاجته فليس ببخل ومالا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة

﴿ بيان مجموع الوظائف التى على العبد في ماله ﴾

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي و يستخرج منها الترياق و يأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لايدري ولا يخلو أحد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف ﴿الاولى﴾ أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وانه لم يحتج اليه حتى يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه ﴿ الثانية ﴾ أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان و يجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التى فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذى فيه الذلة وهتك المروءة وما يجرى مجراه ﴿ الثالثة ﴾ في المقدار الذى يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان حقا و يجيء من جملة المحققين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد ﴿ الرابعة ﴾ أن يراعي جهة المخرج و يقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء ﴿ الخامسة ﴾ أن يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة و يترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له اذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أوما يعين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الا كل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين ومافضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لايتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية و يتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به و يظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل

هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت

الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى (وكان) أبو عبد الله بن جابار قد صام نيفا وخمسين سنة لايفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطر فاعة من ذلك أياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد ﴿ روى ﴾ أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه أبو قتادة

وكما يستحيل أن يتشبه الاعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه
العامى بالعالم الكامل فى تناول المال

## ﴿بيان ذم الغنى ومدح الفقر﴾

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا
عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات
الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على
بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبى
رحمه الله حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال وأغوار العبادات
وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام
قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون
تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم
لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى
الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول
لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم
آخرتكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون
الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى
عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم
وأجوافكم منه وحشة متعطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم
فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم
الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحرث رحمه الله اخوانى
فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا
الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله وبعد فانى رأيت الهالك
المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصى والى البوار والتلف مصيره فرح
الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيالها من مصيبة ما أفظعها
ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله اخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله
فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت
لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون
ويحك أيها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك
لانك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى
أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم الى قلة
الرغبة والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما
جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح للامة اذ نهاهم
(1) عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب
السماء على رسول الله ﷺ فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل

(1) حديث النهى عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين
الحديث ولأبى نعيم والخطيب فى التاريخ والبيهقى فى الزهد من حديث الحارث بن سويد فى أثناء الحديث لا تجمعوا

قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذى يكره واذا أفطر هذه الايام فليس هو الصوم الذى كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر * ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم يوما ويفطر يومين

فقد زعمت أن الله عزوجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهالتك أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ودّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أباذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان أباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله ﷺ يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أباذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال (١) الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أباذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني ان لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطان ثم قال يا أباذر أنت تريد الاكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج * وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله ﷺ فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله ﷺ (٢) يقول اني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان أرقاءها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعيا * وبلغنا أن النبي ﷺ (٣) قال لعبد الرحمن بن عوف أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها الا حبوا * ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله ﷺ (٤) وبشراه بالجنة أيضا يوقف في عرصات القيامة

ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان يأكل أكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكي) عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه أفطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان بأقل من فضل الصوم غير أن هذا الافطار يحتاج الى علم فقد يكون الداعي الى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لي سنين

مالا نأ كلون وكلاهما ضعيف (١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وانكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة الا في قول الحارث بن أسد المحاسبي بلغني كما ذكره المصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخصر من هذا ولفظ كعب اذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهبا الحديث وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين شعثا الحديث في أن عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث انه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها الا حبوا البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن ابن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيف فيه خالد ابن أبي مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة

وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى فى سبيل الله سمحا منع من السعى إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم أنك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمرى لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفى الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله فى أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا فى نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك أنت ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شئ أصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شئ أصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شئ حزنوا واذا كان عندهم شئ فرحوا وأنت لست كذلك قال انى اذا أصبحت وليس عند عيالى شئ فرحت اذ كان لى برسول الله ﷺ أسوة واذا كان عند عيالى شئ اغتممت اذ لم يكن لى بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت انك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضدا لأحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذى النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ (١) قال شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم فربت عليه أجسامهم * وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث فى الدنيا أحب اليك من النقلة الى جوار الله فانت تكره لقاء الله والله للقائك أكره وأنت فى غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا أن رسول الله

---

من حديث سعيد بن زيد قال البخارى والترمذى وهذا أصح (١) حديث شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره فى أوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة

---

ما أكلت شيأ بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم الى الشئ فأراه من فضل الله ونعمته وفعله فأوافق الحق فى فعله (وذكر) أنه فى ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر ومن عادته تقديم الطعام اليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لى على تصرفى فى أخذ الرمانة (ورأيت) الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام فى اليوم مرات أى وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لان حاله مع الله كان ترك الاختيار فى

ﷺ (١) قال من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه و بلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على مافاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ماتعنى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ماجمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضى المخلوقين مساخطا لله تعالى كيما تكرم وتعظم و يحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكأن العبيد أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك أف لك متلوثا بالاقذار وتحتج بمال الأبرار هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا الزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين مافاتهم من الدنيا ونهمتهم مازوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله و بعد فانك ان زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك و يحك كن على يقين أن جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ (٢) قال من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات و بذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى أيحل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله و يحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة و بلغنا أن بعض الصحابة قال ماسرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لانى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول عبدى من أين اكتسبت وفي أي شئ أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال و يحك أين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شئ من الحق في أمرك وأحوالك ان

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد المحاسبي كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير بنحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث

مأكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل انه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شئ وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق اليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الاصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون الاطعمة ويأتون بها اليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم و ينقض الحق على محبتى الصوم بفعله فاوافق الحق في

ظلمت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك انى لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله ﷺ (١) انه قال من نوقش الحساب عذب وقال عليه السلام (٢) يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشئ مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شئ من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم اختل ولم أباه في شئ فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك ان تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه قال فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون يارب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيأ من الفرائض ولم يختل في شئ فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسئل ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار أسوة فان أبيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيأ من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شئ من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الاموال إذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا احبس عليك للمسألة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا أن رسول الله ﷺ (٣) قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام (٤) يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الاول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله ﷺ وجل المتقين (٥) لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا

---

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار بطوله لم أقف له على أصل (٣) حديث يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلفظ فقراء مكان صعاليك ولهما وللنسائى في الكبرى من حديث أبى هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمر ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة بأربعين خريفا (٤) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون الحديث لم أر له أصلا (٥) حديث ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة ماء وعسل الحديث في دفع النبي ﷺ الدنيا عن نفسه وقوله اليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الاسناد قلت

---

قوله (وحكى) عن بعض الصادقين من أهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا في رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لان صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لى ان هذا ان قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بموافقة العلم امضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف

ذات يوم عند رسول الله ﷺ وما معه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عني فقلت له فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت إن تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله ﷺ يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطأن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت و بعد فان زعمت أنك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لماله مؤثر على نفسه لا تخشى الفقر ولا تدخر شيأ لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك أيها المغرور فتدبر الامر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو أن رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل * وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه أبر به و بلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال أن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل * وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتأسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا أن رسول الله ﷺ (١) قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك و يصبح راضيا عن ربه ـ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ـ ألا يا أخي متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك أيها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا

كان والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب وقال بعضهم اذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شئ من الدنيا وقيل اذا كان جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه يهتموا لافطاره ويتكلفوا الرفق به ولا يحملوا حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره الا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتأدب به و يصوم بصيامه وحكي عن أبي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما

بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء الحديث عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء

باسماء تك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب الى الفضل من طلب لجج جمع المال * اخوانى اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم فى المباح لهم ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال فى دهرنا فأعاذنا الله واياكم منه و بعد فان لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته آمين * هذا آخر كلامه وفيه كفاية فى اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه و يشهد لذلك جميع الاخبار التى أوردناها فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب الفقر والزهد و يشهد له أيضا ماروى عن أبى امامة الباهلى (١) أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبى الله تعالى أما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ولافعلن ولأفعلن قال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة و يدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار فى المدينة وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال مافعل ثعلبة بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بامره كله فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى ـ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ـ وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب و بفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ماهذه الاجزية ماهذه الاجزية ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام الى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسى بها طيبة وانما هى لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسليمى فأخبراه بالذى صنع ثعلبة و بالذى صنع السليمى فأنزل الله تعالى فى ثعلبة ـ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه و بما كانوا يكذبون ـ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل منه شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد فى خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله ﷺ الفقر لنفسه

فى الجنة الحديث ولم أره فى معاجم الطبرانى (١) حديث أبى امامة أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبرانى بسند ضعيف

بالبصرة وكان لايأكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته فى كل شهر أربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف و يبيعها وكان الشيخ أبو الحسن ابن سالم يقول لا أسلم عليه الا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له فى ذلك لانه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما أخلص لله عبد قط الا أحب ان يكون فى جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسى بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه

ولأهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله ﷺ (١) منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام فقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي إلا عباءة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا بإذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكني أضع في هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذانك الرجلان لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها * وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من

---

(١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحديث بطوله وفيه لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي ﷺ ذات يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتي سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وإسناده صحيح

وأكله فرآه إنسان فاتبع أثره وجاء برزق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنايتك ورفقك فقال أنا تائب من جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روي أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض

دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا إنما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأيما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل و بالله التوفيق تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه و يليه كتاب ذم الجاه والرياء

﴿كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذى لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت فهو أغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فقد قال رسول الله ﷺ (١) إن أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية التى هى أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من أواخر غوائل النفس و بواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير و إظهار العمل

﴿كتاب ذم الجاه والرياء﴾

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومن

ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو يومين وكان يكره بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذى الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الاشهر الحرم وورد فى الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام ﴿الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه﴾ آداب الصوفيه فى الصوم ضبط

والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء و بالغوا فى التقريظ والاطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه فى المحافل غاية الاكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى أغراضه موقرين فأصابت النفس فى ذلك لذة هى أعظم اللذات وشهوة هى أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصى والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها فى الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله و بعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التى تعمى عن دركها العقول النافذة القوية و يرى أنه مخلص فى طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الاعمال وقد أثبتت اسمه فى جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذى هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه و يتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين ﴿الشطر الاول﴾ فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة و بيان فضيلة الخمول و بيان ذم الجاه و بيان معنى الجاه وحقيقته و بيان السبب فى كونه محبوبا أشد من حب المال و بيان أن الجاه كمال وهمى وليس بكمال حقيقى و بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم و بيان السبب فى حب المدح والثناء وكراهية الذم و بيان العلاج فى حب الجاه و بيان علاج حب المدح و بيان علاج كراهة الذم و بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم فهى اثنا عشر فصلا منها تنشأ معانى الرياء فلابد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه

﴿بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت﴾

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (١) حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالاصابع فى دينه ودنياه إلا من عصمه الله وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ (٢) بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالاصابع فى دينه ودنياه ان الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلا ولا بأس به إذ روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع فى دينه والفاسق فى دنياه وقال على كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السختيانى والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان إذا كثرت حلقته

---

طريقه عند البيهقى فى الشعب بلفظ المصنف (١) حديث أنس حسب امرئ من الشر الا من عصمه أن يشير الناس إليه بالاصابع فى دينه ودنياه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد فى آخره ان لا ينظر الى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبى هريرة رواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التى فى آخره وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إثما ورواه ابن يونس فى تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسره دينه بالبدعة ودنياه بالفسق واسنادهما

---

الظاهر والباطن وكيف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالأقسام ﴿سمعت﴾ ان بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون الا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الادب ان يمسك المزيد عن المباح ويفطر بحرام الآثام ﴿قال﴾ أبو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن

قام مخافة الشهرة وعن أبي العالية انه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغاق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن * وروى أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال ان استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسئل فافعل وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الابصار تمتد إليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث أوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين

## ﴿ بيان فضيلة الخمول ﴾

قال رسول الله ﷺ [(١)] رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ [(٢)] رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال ﷺ [(٣)] ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ وقال أبو هريرة قال ﷺ [(٤)] إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال ﷺ [(٥)] إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه الا لهوانها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره * وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند

---

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الاسناد ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم بنحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم اني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبي هريرة ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم الحديث ٧ (٥) حديث ان من أمتي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها إياه لهوانه عليه

---

٧ قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير راو وقال الشارح بيض له العراقي فليعلم

---

فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر والا فاذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فرت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الافعال والاقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا أقهرت لله تعالى في شئ واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته

قبر رسول الله ﷺ فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي ﷺ فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك الا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يارب ان كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى أتيتك في حاجة فقال ماهى قال تخصني بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الارض وقال أبو أمامة قال رسول الله ﷺ (٢) يقول الله تعالى ان أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله ﷺ بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك وكان الخليل ابن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن أدهم ماقرت عينى يوما في الدنيا قط الامرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن فجرني المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد * فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم و يثاب على ذلك

## ﴿ بيان ذم حب الجاه ﴾

قال الله تعالى ـ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ـ جمع بين ارادة الفساد والعلو و بين أن الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعا وقال عز وجل ـ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون ـ وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال

وافتقاده لا يختص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها لا عبد لا يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع في صومه من ملاعبة الاهل والملامسة فان ذلك أنزه له ــــوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو أدعى الى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على الصيام ﴿وروى﴾ أنس ابن مالك عن رسول الله ﷺ قال تسحروا فان في السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر

(١) حديث معاذ بن جبل ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقي متروك (٢) حديث أبي أمامة ان أغبط أوليائي عندى مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذى وابن ماجه باسنادين ضعيفين

رسول الله ﷺ (١) حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال ﷺ (٢) ماذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع افسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال ﷺ لعلى كرم الله وجهه (٣) انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه

﴿ بيان معنى الجاه وحقيقته ﴾

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الاموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كما لاعنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ماليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص اما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال فى صورة أو قوة فى بدن أو شئ مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله فى القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم

﴿ بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة ﴾

اعلم أن السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا فى المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض فى أعيانهما اذلا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هى والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك فى السبب

أو يأكل لقيمات ان كانت النفس تنازع ليصفوله الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لاجل السنة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا اسحق بن موسى الانصارى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عزوجل

---

(١) حديث المال والجاه ينبتان النفاق الحديث تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع الحديث ولابى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويصم

اقتضى الاشتراك فى المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه * الاول أن التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لوقصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذى لايتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب * الثانى هو أن المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق و يغصب و يطمع فيه الملوك والظلمة و يحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن و يتطرق اليه أخطار كثيرة وأما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهى على التحقيق خزائن عتيدة لايقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدى النهاب والغصاب وأثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهى محفوظة محروسة بأنفسها والجاه فى أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله * الثالث ان ملك القلوب يسرى وينمى و يتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الالسنة لامحالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره و يقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك إذا استطار فى الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد الى واحد و يتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيأ فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه أبدا فى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال فى مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال و إذا فصلت كثرت وجوه الترجيح * فان قلت فالاشكال قائم فى المال والجاه جميعا فلا ينبغى أن يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذى يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفى الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز و إدخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصى البلاد التى يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع و يكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لافائدة فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب * وله سببان أحدهما جلى تدركه الكافة والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فأما السبب الاول فهو دفع ألم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الامل و يخطر بباله أن المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة و يقدر هجوم الحاجات و يقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال و يستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيبت بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى أن يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال رسول الله ﷺ (١) منهومان لا يشبعان

أحب عبادى الى أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله ﷺ يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات ﴿ وفى الخبر ﴾ كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذى يجوع بالنهار و يفطر على الحرام وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام و يفطر على لحوم الناس بالغيبة ﴿ قال ﴾ سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب قال الشيخ أبو طالب

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبرانى من حديث أبى مسعود بسند ضعيف والبزار والطبرانى فى الاوسط

منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه و بلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * وأما السبب الثاني وهو الاقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه و يسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربي أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره (١) اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالأكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أومأ اليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته و يحب كمال ذاته و يلتذ به الا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا أن الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الانسان أن يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك

المكي قرن الله الاستماع الى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال سماعون للكذب أكالون للسحت (وورد) في الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا

من حديث ابن عباس بسندلين وقد تقدم (١) حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم

والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعه عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم أن علمه وأما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ماشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ولو يقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة * القسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماعلى وجه الارض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال ﷺ منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم مالا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لابد من بيانها ان شاء الله تعالى

## ﴿ بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له ﴾

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه * أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب الى الله تعالى * الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ماهي عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب الى الله تعالى * الثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات ﴿ أما المتغيرات ﴾ فمثالها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا

وأفطرتا على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم * وفي الخبر أن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته * والصوفي الذي لا يرجع الى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله بالأدب وهو دائم المراقبة لوقته وهو في افطاره أفضل من الذي له معلوم معدّ فان كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل * حكى عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد

موافقا وتصوّر أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق
بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال
والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والأمم
والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب
﴿القسم الثاني﴾ هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه
معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في
معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت
السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى
ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون
ربنا أتمم لنا نورنا أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي
فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام
ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور
فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة إلا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلا
كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير
والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من
كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية
إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله
وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى
ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان
لم يكن لائقا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال * وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي
للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد
وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى
من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة
القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه
للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة
بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى
معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل
فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان
الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه
شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم
والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء
عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن

خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت صوفي ويشرب بالنهار وضربت بالكوز على الأرض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا * والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان أن النفس إذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل في أن لا تركن النفس إلى عادة ورأوا ان افطار يوم وصوم يوم أشد على النفس * ومن أدب الفقراء ان الواحد إذا كان بين جمع وفي صحبة

النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورده في أقسام الكمال لان حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص في اللذات وفي صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء إلى قوله فأصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه أشار أبو الطيب بقوله

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

الا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة إلى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لانه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين



جماعة لا يصوموا إلا باذنهم وإنما كان ذلك لان قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم بشيء لا يلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بأن الجمع المفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأتي للصائم برزقه الا أن يكون الصائم يحتاج إلى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيخوخة أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يليق أن يأخذ نصيبه فيدخره لان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخر والذي ذكرناه لاقوام هم على غير معلوم

الوجهين فخبهما لاجل التوصل بهما الى مهمات البدن غيرمذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لايوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ومايتوصل به الى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور ومالم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتى * فان قلت طلبه المنزلة والجاه فى قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فأقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان منه مباحان ووجه محظور * أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس إما بالقول أو بالمعاملة * وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم - فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه * والثانى أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لافائدة فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع فان قوله إنى ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب * ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض أو فى غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الاموال

﴿ بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه و بغضها للذم ونفرتها منه ﴾

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب ﴿ السبب الأول ﴾ وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به مدح لايخلو اما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لايخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وكمال ورعه و يكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لايجازف فى القول الاعن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وان صدر ممن يجازف فى الكلام أولا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة و بهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح ﴿ السبب الثانى ﴾ ان المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ و بهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته و ينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر و يضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على

فأما الصوفية المقيمون فى رباط على معلوم فالاليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع فى الافطار وهذا يظهر فى جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار فأما اذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ماصحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة فهو الافضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صائما وأفطر للموافقة وان صام ولم يوافق

أمر حقير فلا يدل المدح الاعلى قدرة قاصرة و بهذه العلة أيضا يكره الذم و يتألم به القلب واذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لان الفائت به أعظم ﴿ السبب الثالث ﴾ أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله و يعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملا فلاجرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس ﴿ السبب الرابع ﴾ أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد فى الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الأربعة قد تجتمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الأولى وهى استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما اذا مدح بانه نسيب أو سخى أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه و بقية اللذات فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله و يعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ بيان علاج حب الجاه ﴾

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لامحالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم و إلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق إلى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له و يكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا أن ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها و يستحقر العاجلة و يكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى ـ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ـ وقال عز وجل ـ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ـ فمن هذا حده

فله وجه * فأما وجه من يفطر و يوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبى الفضل الحافظ المقدسى قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحين العلوى قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله ابن حماد قال ثنا عبدالله بن صالح قال حدثنى عطاء ابن خالد عن حماد ابن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبى سعيد الخدرى قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم انى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف

فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لاثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوي إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم * وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الاحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه الى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وايثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين

﴿ بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم ﴾

اعلم أن أكثر الناس انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم ﴿أما السبب الاول﴾ فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من

لكم ثم تقول اني صائم افطر واقض يوما مكانه * وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال في الجنة فاذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغي أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق أخيه * ومن أحسن آداب

الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغى أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى أن لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغى أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التى مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك اذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى أن يغمك ذلك ولا تفرح به ﴿وأما السبب الثانى﴾ وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به ﴿وأما السبب الثالث﴾ وهو الحشمة التى اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه وقال بعضهم إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور (١) أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله ﷺ فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال ﷺ (٢) مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة وقال عليه السلام (٣) ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال إنى لم آمرك بان تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال إنى لأحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب إلى بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض إليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغى أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته

الفقير الطالب انه اذا أفطر وتناول الطعام بما يجد باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها أو با آيات يتلوها أو بأذكار واستغفار يأتى به فقد ورد فى الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام آداب الصوم كتمانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالى ظهر أم بطن.

﴿الباب الثانى والاربعون فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة﴾ الصوفى بحسن نيته وصحة مقصده

(١) حديث ان رجلا أثنى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجد له أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم (٣) حديث ألا

## ﴿ بيان علاج كراهة الذم ﴾

قد سبق أن العلة فى كراهة الذم هو ضد العلة فى حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لايخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى أن تتقلد منته فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغى أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه فى عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لاتدرى ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغى أن تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة فى الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغى أن تغتنمه وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به * الحالة الثالثة أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبغى أن لاتكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر فى ثلاثة أمور أحدها أنك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء عنه والثانى ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برىء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى تقربك الى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله وأما الثالث فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الأليم فلا ينبغى أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغى أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم (١) اللهم اغفر لقومى اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون لما أن كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا ابراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال علمت انى مأجور بسببه وما نالنى منه إلا الخير فلا أرضى أن يكون هو معاقبا بسببى ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك فى قلبك وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغى أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

## ﴿ بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم ﴾

اعلم ان للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذام والمادح * الحالة الاولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب * الحالة الثانية أن يمتعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ماقبله كمال * الحالة الثالثة وهى أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض

---

لا تمادحوا واذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمادحوا (١) حديث اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون قاله لما ضربه قومه البيهقى فى دلائل النبوة وقد تقدم والحديث فى الصحيح انه

---

ووفور علمه واتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة والصوفى موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه آمرا له قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين فتدخل على الصوفى أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ويحف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل مايستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير

العباد بنفسه و يكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكاية في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك و يقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم و يعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم أو غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم ان الشيطان يخيل اليه أنه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا و يخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى ـ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح و يمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين و يحب الذام اذ يعلم أنه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال ﷺ (١) رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى وقد روى في بعض الأخبار ماهو قاصم لظهور أمثالنا ان صح اذ روى أنه ﷺ (٢) قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الامن فقيل يارسول الله الامن فقال الامن تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لا تفي بها لانها لابد وأن تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل على اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على أن نسوى بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما الدرجات في المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك و يطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور

يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب و به قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب و بهما عمارة الدنيا والآخرة * وقد ورد أرض الجنة قيعان ثباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمى بلطيف حكمته من أخص

(١) حديث رأس التواضع ان يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجد له أصلا (٢) حديث ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس ويل لمن لبس الصوف فخالف قوله فعله ولم يخرجه ولده في مسنده

قاله ﷺ حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه

الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية و بغض السرور واليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لاينتهي به الى أن يغضب على المادح و ينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره و يغضب و يظهر الغضب وهو صادق فيه الا أن يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام وأول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا من في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها و يشكر الذام على ذلك و يعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لايبتلى بفتنة الناس واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لايتفرغ معه لغيره و بينه و بين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيأ منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

## ﴿الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات﴾

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء و بيان حقيقة الرياء وما يرائي به و بيان درجات الرياء و بيان الرياء الخفي و بيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط و بيان دواء الرياء وعلاجه و بيان الرخصة في اظهار الطاعات و بيان الرخصة في كتمان الذنوب و بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات و بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق و بيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة و بعدها وهي عشرة فصول و بالله التوفيق

### ﴿بيان ذم الرياء﴾

اعلم أن الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار ﴿أما الآيات﴾ فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد هم أهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١) نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته وأعماله ﴿وأما الاخبار﴾ فقد قال ﷺ حين سأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس (٢) وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ فاخبر ﷺ أنهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ (٣) من راءى راءى الله به ومن سمع

---

(١) حديث نزول قوله تعالى من كان يرجو لقاء ربه الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعباداته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل اني أقف الموقف أبتغي وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من المستدرك ولعله سقط منه ابن عباس أو أبو هريرة وللبزار من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه انه ﷺ تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتابه فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواه مسلم وسيأتي في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث

---

جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الارضين والسموات جعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمي قال الله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا فكوّن الطبائع وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكوّن بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات مسخرة للآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل الى المعدة وفي المعدة طباع أربع وفي الطعام طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال

سمع الله به وفى حديث آخر طويل (١) ان الله تعالى يقول للملائكته ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين وقال ﷺ (٢) ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عزوجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال ﷺ (٣) استعيذوا بالله عزوجل من جب الحزن قيل وماهو يارسول الله قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين وقال ﷺ (٤) يقول الله عز وجل من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهوله كله وأنا منه برىء وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى المسيح ﷺ اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا ﷺ (٥) لا يقبل الله عزوجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكى ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعنى النبى ﷺ (٦) يقول ان أدنى الرياء شرك وقال ﷺ (٧) أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهى أيضا ترجع الى خطايا الرياء ودقائقه وقال ﷺ (٨) ان فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله ولذلك ورد (٩) ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال ﷺ (١٠) ان المرائى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له (١١) وقال شداد بن أوس رأيت النبى ﷺ يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله قال انى تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال ﷺ

---

ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفى الزهد لابن المبارك ومسند أحمد بن منيع انه من حديث عبد الله بن عمرو (١) حديث ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الاخلاص وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢) حديث ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر الحديث أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٣) حديث استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وماهو قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وضعفه ابن عدى (٤) حديث يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهوله كله الحديث مالك واللفظ له من حديث أبى هريرة دون قوله وأنا منه برىء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (٥) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده هكذا (٦) حديث معاذ ان أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم بلفظ ان اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قبل هذه الورقة (٧) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى أول هذا الكتاب (٨) حديث ان فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه فى حديث سبعة يظلهم الله فى ظله (٩) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفه البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء ان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف يفضل الذكر الخفى الذى لا تسمعه الحفظة على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين درجة (١٠) حديث ان المرائى ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرائى واسناده ضعيف (١١) حديث شداد بن أوس انى

لما

---

مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج واذا أراد الله تعالى افنساء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم ﴿ روى ﴾ عن وهب بن منبه قال وجدت فى التوراة صفة ادم عليه السلام انى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لانى خلقته من التراب وهو

(١) لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء باطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد ما خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبى ﷺ قال لى يا معاذ قلت لبيك بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ (٢) ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر به على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره و بطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم و يعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه انى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى انه أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء

تخوفت على أمتى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا (١) حديث لما خلق الله الارض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب (٢) حديث معاذ الطويل ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله فى صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورده الله تعالى له بعد ذلك عزاه المصنف الى رواية عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه فى الزهد وفى اسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات

يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم باذنى وبهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة الا بالاخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ومسكن الرطوبة فى المرة الصفراء ومسكن الحرارة فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التى

وصيتنا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا أتدري من هن يا معاذ قلت ماهن بأبي أنت وأمي يارسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث ﴿وأما الآثار﴾ فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك وقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا أثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة ابن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شئ لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فأخلصه وقال الضحاك لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيأ اما أن تدعها لي فاعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن وقال الحسن قد صحبت أقواما ان كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها الا المخافة الشهرة وان كان أحدهم ليمر فيرى الاذى في الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا المخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه بمحل الارديا فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من أراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقي عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذاك قال يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن أدهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر

﴿بيان حقيقة الرياء وما يراءى به﴾

جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الامور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الامر وأتعب طلب الحلال * ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأن يبتدئ بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله ﷺ الوضوء

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإرائهم خصال الخير الا أن الجاه والمنزلة تطلب فى القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات وإظهارها فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم والمراءى به هو الخصال التى قصد المرائى اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات ﴿القسم الاول الرياء فى الدين بالبدن﴾ وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذى خفض من صوته أوضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراآة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها ﴿الثانى الرياء بالهيئة والزى﴾ أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من أهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بداله من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقى والكتان الدقيق الابيض والمقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا فى زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه أو الى مافوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة

قبل الطعام ينفى الفقر وإنما كان موجبا لنفى الفقر لان غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالادب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسمى الله تعالى فقوله تعالى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله فى وجوب

والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة و يشتد عليهم لو برزوا للناس
على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة ﴿ الثالث الرياء بالقول ﴾ ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق
بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة واظهار الغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال
السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق
واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث
ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث صحيح أوغير صحيح لاظهار الفضل فيه
والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر * وأما أهل
الدنيا فمرا آتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على أهل
الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب ﴿الرابع الرياء بالعمل﴾ كمرا آة المصلي بطول القيام ومد الظهر
وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات و إظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين
وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة و باطعام الطعام و بالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس
الرأس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع الى
الوقار واطراق الرأس خوفا من أن ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه
ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد
والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه
المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير و يظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه
صار في خلوته أيضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه وأما أهل
الدنيا فمرا آتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ بأطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا
بذلك على الجاه والحشمة ﴿الخامس المرا آة بالاصحاب والزائرين والمخالطين﴾ كالذي يتكلف أن يستزير عالما من
العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته و يترددون اليه أو ملكا
من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ
ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومرا آته تترشح منه عند مخاصمته فيقول
لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ ومايجري مجراه فهذه مجامع
مايرائي به المراؤن وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من
راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة و إنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه
في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد
لذلك غمه و يسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه
لذيذ كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر
الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد
انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقوم
له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامى
وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء ومابه يقع
الرياء * فان قلت فالرياء حرام أومكروه أومباح أوفيه تفصيل * فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن

ذلك وفهم الصوفي
من ذلك بعد القيام
بظاهر التفسير
أن لا يأكل الطعام
إلا مقرونا بالذكر
فقرنه فريضة وقته
وأدبه و يرى أن
تناول الطعام
والماء ينتج من
إقامة النفس
ومتابعة هواها
و يرى ذكر الله
تعالى دواءه وترياقه
﴿ روت ﴾ عائشة
رضي الله عنها
قالت كان رسول
الله ﷺ يأكل
الطعام في ستة نفر
من أصحابه فجاء
إعرابي فأكله
بلقمتين فقال
رسول الله ﷺ
أما إنه لو كان يسمى
الله لكفاكم فاذا
أكل أحدكم
طعاما فليقل

يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة فى قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذى طلبه يوسف عليه السلام حيث قال انى حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهى ويطغى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان فى الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراآة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ﷺ (١) أراد أن يخرج يوما الى الصحابة فكان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله ﷺ عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا فى اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه فى أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا اذ للانسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخى فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان احداهما أن لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الأجر وهذا يبطل عبادته لان الأعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر * والثانى يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بى ومثاله أن يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراآة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه أولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله ﷺ

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الطهارة

بسم الله فان نسى أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب أن يقول فى أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول فى أول نفس الحمد لله اذا شرب وفى الثانية الحمد لله رب العالمين وفى الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما ان للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعايا واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث

(١) الشرك الأصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه في درجات الرياء ان شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراآة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد و يركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد و يركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود و بقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ بل تقول الأنبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الأجر فأما اذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص و يدل على ما نقلناه من الاثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا أجر له فيه أصلا

﴿ بيان درجات الرياء ﴾

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء ﴿ الركن الأول ﴾ نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما أن يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما أن يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما أن تكون ارادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا * الاولى وهي أغلظها ان لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء * الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم * الثالثة أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص * الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء و يثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله ﷺ يقول الله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان

(١) حديث سمى الرياء الشرك الاصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود ابن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصحح اسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر

من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض الى الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ و يرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فالقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف الى القلب أسرع منه الى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القالب

قصد الرياء أرجح ﴿ الركن الثانى ﴾ المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات و إلى الرياء بأوصافها * القسم الأوّل وهو الأغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات * الأولى الرياء بأصل الايمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة و باطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله عز وجل ـ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ـ أى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ـ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه وهو ألدّ الخصام و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ـ الآية وقال تعالى ـ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ـ وقال تعالى ـ يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك ـ والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الاسلام ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة أو يعتقد طى بساط الشرع والأحكام ميلا الى أهل الاباحة او يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين والمرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر * الثانية الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأوّل بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان فى يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبرّ والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل و ينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته فى محمدتهم أشد من رغبته فى ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن أصل الايمان من حيث الاعتقاد * الثالثة أن لا يرائى بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائى بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء و يوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائى جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة و يعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذى قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الاوّل وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات * القسم الثانى الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات * الاولى أن يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل أي أنه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة فاذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدى انسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملأ دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الردىء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث

واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يبقى الاسواء و يذهب الداء و يجلب الشفاء * حكى أن الشيخ محمدا الغزالى لما رجع إلى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو فى صحراء له يبذر الحنطة فى الارض فلما رأى الشيخ محمدا جاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت إشتغاله بالغزالى فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالى عن سبب امتناعه فقال لانى أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو

لاجل الخلق لا كالالعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائى إنما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهى خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت فى هذا الا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها إليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالى به اذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغى أن تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائى فيه حالتان إحداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا * والثانية أن يقول ليس يحضرنى الاخلاص فى تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتى عند الله ناقصة وآذانى الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من ان أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغى أن يستمر على عادته فى الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق * الدرجة الثانية أن يرائى بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد فى الزكاة واعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه * الثالثة أن يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائى به و بعضه أشد من بعض والكل مذموم ﴿الركن الثالث﴾ المرائى لاجله فان للمرائى مقصودا لامحالة وانما يرائى لادراك مال أو جاه أو غرض من الاغراض لامحالة وله أيضا ثلاث درجات * الاولى وهى أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالامانة فيولى القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها أو يسلم اليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أو تسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة فى المعاصى وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أو غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى * الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب فى نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة وكالذى يرغب فى أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم

والعبادة

البركة فيه لكل من يتناول منه شيأ فلا أحب أن أسلمه الى هذا فيبذر بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر ﴿وكان﴾ بعض الفقراء عند الاكل يشرع فى تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى يقول أنا آكل وأنا أصلى يشير الى حضور القلب فى الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقتا كله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى للذكر وحضور

والعبادة ليرغب فى تزويجها بنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه * الثالثة أن لا يقصد نيل حظ وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار وكذلك ان سبق إلى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمى عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان فى خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ من ذلك وكالذى يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو فى الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بأنى صائم ولكن يقول لى عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كى لا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره فى معرض حكاية عرضا مثل أن يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة فى أن يأكل الانسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول ان أمى ضعيفة القلب مشفقة على تظن أنى لو صمت يوما مرضت فلا تدعنى أصوم فهذا وما يجرى مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى الباطن أما المخلص فانه لا يبالى كيف نظر الخلق إليه فان لم يكن له رغبة فى الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة فى الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن فى اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وان من شدته أن فيه شوائب هى أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم

### ﴿بيان الرياء الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل﴾

اعلم أن الرياء جلى وخفى فالجلى هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه وأخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلى لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ومهما لم يؤثر فى الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص فى عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا فى القلب استكنان النار فى الحجر فاظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار

القلب فى الاكل أثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو فى الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحما حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى

بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت و يبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفى بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدؤه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه وأن يسامحوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء (١) اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤن بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب ابن منبه انه قال ان رجلا من السواح قال لاصحابه إنا إنما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال فى أموالهم ان أحدنا إذا لقى أحب أن يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك فى مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها أعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله فى القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق إذ علموا ان الله لا يقبل فى القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده و يشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فانهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربى الخالص لعلمهم بان أرباب البوادى لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد فى البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذى يتزودونه له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسد للعمل بل فيه تفصيل * فان قلت فنرى احدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود و بعضه مذموم * فنقول أولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم فاما المحمود فأربعة أقسام الاوّل أن يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية و يظهر الطاعة

(١) حديث فى الرياء شوائب أخفى من دبيب النمل أحمد والطبرانى من حديث أبى موسى الاشعرى اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل ورواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق وضعفه هو والدارقطنى

قدر فساد الكبد ثقل الهاضمة و يفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الاعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين و يطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الاعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض فى اصلاح الغذاء واستجذاب القوة منه للاعضاء وانقسامه إلى الدم والثفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر

ولا

ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به ☆ الثاني أن يستدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ (١) ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة فيكون الأول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات إلى المستقبل ☆ الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة ☆ الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه ☆ وأما المذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم

﴿ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط ﴾

فنقول فيه إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعت الإخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روي عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله ﷺ (٢) أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله ﷺ ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثا على العمل فإن كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أو يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط

في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وعما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا مما تحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

﴿ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل ﴾ فمن ذلك أن يبتدئ بالملح ويختم به روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ما صمت ولا أفطرت مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطر وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل إني صائم قال بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قال النبي ﷺ لا صام ولا أفطر من صام الأبد ولم أجده بلفظ الخطاب

أجره وعليه الاعادة ان كان فى فريضة وقد قال ﷺ (١) العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوّله أى النظر الى خاتمته وروى أنه (٢) من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقى دون الماضى والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها و يغمرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء قصد أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى الى الاحباط فى أمر هو أهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى أنه محبط لانه نقض العزم الاوّل وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبى أنه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ يارسول الله (٣) أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يضره أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه * أحدها أنه يحتمل انه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه قبل الفراغ * الثانى انه أراد أن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به أجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائى أجران * والثالث أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل الى أبى هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبى صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر أثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به أصل نيته و بقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام وأما الاخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق وأما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغى أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال ان الذى أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب

(١) حديث العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوّله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبى سفيان بلفظ اذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث ان رجلا قال أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى فقال لك أجران الحديث البيهقى فى شعب الايمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن أبى هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذى غريب وقال انه روى عن أبى صالح وهو ذكر أنه مرسل

من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس وروت عائشة رضى الله عنها قالت لدغ رسول الله ﷺ فى ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الابيض الذى يكون فى العجين فجئنا بملح فوضعه فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه و يستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية فى الربط وغيرها ﴿ روى جابر ﴾ عن رسول الله ﷺ أنه قال من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الايدى وروى أنه قيل يارسول الله

مع هـذا الشوب والعلم عنـد الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع اليـه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبـل الفراغ أو بعـد الفراغ ﴿القسم الثالث﴾ الذى يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف فى أنه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه فى أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصـلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد الى الأصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جـدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت أفعالا زائدة فى الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية وأولى الاوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتـداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعـده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لاجل الناس فهـذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فأما اذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى الا أنه ظهر له الرغبة فى المحمدة أيضا فاجتمع الباعثان فهـذا اما أن يكون فى صـدقة وقراءة وما ليس فيـه تحليل وتحريم أو فى عقد صـلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء وأطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وان كان فى صـلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النيـة فلا يخلو اما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه اذ اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هـذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فأما اذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهـذا محل النظر وهو محتمل جـدا فيحتمل أن يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجـه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجـد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فانه مطيع بأصل الصـلاة ومسقط للفرض عن نفسـه وتعارض الاحتمال فى تعارض البواعث فى أصل الصلاة أما اذا كان الرياء فى المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة فى أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهـذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعـد عن القدح فى النية هـذا فى رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليـه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ أثره الى حيث يؤثر فى العمل فبعيـد أن يفسد الصـلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة

---

انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليـه يبارك لـكم فيـه ومن عادة الصوفيـة الاكل على السفر وهو سنة رسول الله ﷺ ﴿أخبرنا﴾ الشيخ أبو زرعة عن المقومى باسناده الى ابن ماجـه الحافظ القزوينى قال أنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبى عن يونس ابن الفرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة قال فعـلام كانوا يأكلون قال على السفر ويصغر اللقمة ويجود الاكل بالمضغ

غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

﴿ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه ﴾

قد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد فى ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا فى شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبى يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة و يرسخ ذلك فى نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء فى قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفى علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه وأصوله التى منها انشعابه والثانى دفع ما يخطر منه فى الحال ﴿ المقام الأوّل ﴾ فى قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة أصول وهى لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما فى أيدى الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ما روى أبو موسى أن أعرابيا سأل النبى ﷺ (١) فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر فى القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع فى الدنيا وقال عمر رضى الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا وقال ﷺ (٢) من غزا لايبغى الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كى لا يبخل وهو ليس يطمع فى الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع فى الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع فى الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل و يفتى بغير علم و يدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هى التى تحرك المرائى الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه فى الشطر الاوّل من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان انما يقصد الشئ و يرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ اما فى الحال واما فى المآل فان علم أنه لذيذ فى الحال ولكنه ضار فى المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن اذا بان له أن فيه سما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه فى الحال من التوفيق وفى الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزى الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يافاجر ياغادر يامرائى أما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت

و ينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين و يقعد على رجله اليسرى و ينصب اليمنى و يجلس جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز نهى رسول الله ﷺ أن يأكل الرجل متكئا وروى أنه أهدى لرسول الله ﷺ شاة فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه يأكل فقال أعرابى ماهذه الجلسة يارسول الله فقال رسول الله ﷺ ان الله خلقنى عبدا ولم يجعلنى جبارا عنيدا * ولا يبتدئ بالطعام حتى يبدأ المقدم أوالشيخ روى حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله ﷺ

(١) حديث أبى موسى أن اعرابيا قال يارسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه (٢) حديث من غزا لايبغى الا عقالا فله ما نوى النسائى وقد تقدم

اليهم

اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة و بما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به و يهوى الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه لا يزيده ذمهم شيأ مالم يكتبه عليه الله ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار ان كان من أهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و يقل نفعه و يكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس و يعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم [(١)] ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله ﷺ كذبت ذاك الله الذي لا إله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فأي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأي شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره و ينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاوّل هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء ﴿وأما الدواء العملي﴾ فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما ﴿المقام الثاني﴾ في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك

طعاما لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ ويأكل باليمين روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطي بشماله وان كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمي وما يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد روى عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ أنه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله حم من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات الا أني لا أعرف لابي سلمة بن عبد الرحمن سماعا من الاقرع ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ فقال رجل ان حمدي

لابد من تعامه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلابد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاوّل العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاوّل معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوّة في دفع الخاطر الاوّل ورده قبل أن يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الاباء والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما فاذا لابد في رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله (١) بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وأكثروا الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة إلى قوّة الشهوة وهذا أيضا لا ينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوّة المعرفة بحسب قوّة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل

قال إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه * ولا يعيب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه * وإذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان * ويلعق أصابعه فقد روى جابر عن النبي ﷺ قال إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لا يدري في أي طعامه تكون

(١) حديث جابر بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس

الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا أنه كاره لحبه وليله اليه وغير محبب اليه فهل يكون فى زمرة المرائين فاعلم أن الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس فى طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية فى أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الاخبار ما روى أن أصحاب رسول الله ﷺ (١) شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح فى مكان سحيق أحب الينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الاصغر أولى وكذلك يروى عن النبى ﷺ فى حديث ابن عباس أنه قال (٢) الحمد لله الذى رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هى من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا مكيدة وهى أنه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه فى الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا فى منزلته عند الله * والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على أربع مراتب * الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته و يطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان فى السلوك * الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته * الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر فى عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة * الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذى يغيظ الشيطان و يقمعه و يوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع * يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره قال الشيطان اللهم اغفر له أى لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد فى حسناته * وقال ابراهيم التيمى ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال أيضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحرث المحاسبى رحمه الله لهذه الاربعة مثالا أحسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فأبى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثانى عليه نهاه

البركة وهكذا أمر عليه السلام باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضى الله عنه أمر رسول الله ﷺ باسلات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال النفخ فى الطعام يذهب بالبركة وروى عبدالله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله ﷺ ينفخ فى طعام ولا فى شراب ولا يتنفس فى الاناء فليس من الادب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل روت

(١) حديث شكوى الصحابة مايعرض فى قلوبهم وقوله ذلك صريح الايمان مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبى ﷺ عن الوسوسة فقال ذلك محض الايمان والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان فى صحيحه ورواه النسائى فيه من حديث عائشة (٢) حديث ابن عباس الحمد لله الذى رد كيد

واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله * فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه إنتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه * قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة إلى الخمر والزنا فصارت الملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر * وذهبت فرقة من أهل الشام الى أن الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيى منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى وأسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى ـ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ـ وقال النبى ﷺ (١) إنه ليغان على قلبى (٢) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله ﷺ وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الامن والسرور بعد أن قال الله لهما ـ ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ـ ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فاذا لم يأمن نبى من الانبياء وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى ـ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ـ وقال عز وجل ـ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ـ والقرآن من أوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من الحب له إمتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى ـ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى ـ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ـ فاذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الا القتل هو شهادة وفى إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم أن ذلك قادح فى التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به

---

أم سعد رضى الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل فانه كان إدام الانبياء قبلى ولم يفقر بيت فيه خل ولا يصمت على الطعام فهو من سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال اذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة

---

الشيطان الى الوسوسة أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بلفظ كيده (١) حديث انه ليغان على قلبى تقدم
(٢) حديث ان شيطانه أسلم فلا يأمر الا بخير تقدم أيضا

والحذر

والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان و يعتقد أن الهادي والمضل هو الله و يرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره الحرث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم و يظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شئ أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة و بذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الأمرين فانا ان نسيناه ربما عارض من حيث لا نحتسب وان تجردنا للذكر كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان و بقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان و يقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله و يكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر و ينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو اذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

## ﴿ بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات ﴾

اعلم أن في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر أحرز العملين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل ﴿ القسم الاول ﴾ اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال

ولا يرفع يده وان شبع حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة * واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والارض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الادب وأهمه أن لا يأكل الا بعد الجوع و يمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله ﷺ ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ومن عادة

النبي ﷺ (١) من سنّ سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لان الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوّة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له أجرها وأجر من عمل بها وقد روي في الحديث (٢) ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به. فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ماهم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الاعلام فان مال قلبه الى أن يكون هو الذي يقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه

الصوفية أن يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ اذا جاء أحدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولي حره ودخانه واذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى أبو سعيد قال كان رسول الله ﷺ اذا أكل طعاما قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوّة

(١) حديث من سنّ سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوّله قصة مسلم من حديث جرير ابن عبد الله البجلي (٢) حديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصرا على الشطر الأوّل بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة يفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية ابن يحيى الصدفي وهو ضعيف

على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيأ والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء ﴿القسم الثاني﴾ أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوى عظيمة الا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي ﷺ يقول قولا قط الا علمت أنه حق وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لاني لا أدري أيهما خير لي وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه (١) ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغداء وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت لا تبكوا علي فاني ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله في بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال شريفة وفيها غاية المراآة إذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار المرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روي أنه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه (٢) وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم

## ﴿بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له﴾

إعلم أن الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه الا اتياني أهلي والبول والغائط الا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه ﴿الاول﴾ أن

(١) حديث عثمان قوله ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ أبو يعلى الموصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وان عثمان قال يا رسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم هما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضا

غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل فقد روي عن رسول الله ﷺ تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الايمان والايمان مع صاحبه في الجنة ويغسل يديه فقد روى أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ من بات وفي يده غمر لم يغسله فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه ومن السنة غسل الايدي في طست واحد وروى ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ أترعوا الطسوش وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين ببلل اليد (وروى) أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا توضأتم

يفرح بستر الله عليه وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر (١) أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان ﴿الثاني﴾ أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال ﷺ (٢) من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه ﴿الثالث﴾ أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان ﴿الرابع﴾ أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصى إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فإنهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وإنما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فإنه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر ﴿الخامس﴾ أن يكره الذم من حيث إن الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع ﴿السادس﴾ أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فإن الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه ﴿السابع﴾ مجرد الحياء فإنه نوع ثامن وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله ﷺ (٣) الحياء خير كله وقال ﷺ (٤) الحياء شعبة من الإيمان وقال ﷺ (٥) الحياء لا يأتي إلا بخير وقال ﷺ (٦) إن الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحيي إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه

(١) حديث إن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بورقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيأ فليستتر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم (٣) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث الحياء شعبة من الإيمان متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٥) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٦) حديث إن الله يحب الحيي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب الغني الحليم المتعفف وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه

فأشربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشياطين قيل لأبي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره وفي غسل اليد يأخذ الأشنان باليمين وفي الخلال لا يزدرد ما يخرج بالخلال من الأسنان وأما ما يلوكه باللسان فلا بأس به ويجتنب التصنع في أكل الطعام بأن يكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فإن الرياء يدخل على العبد في كل شيء وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيته يتصنع في الأكل ومن تصنع في الأكل

به اشتباها عظيما قل من يتفطن له و يدعي كل مراء أنه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص و يتصور أن يخلص معه و يتصور أن يرائى معه و بيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا أنه يستحي من رده وعلم انه لو راسله علي لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال أحدها أن يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي اما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء و يقول ينبغي أن تعطى حتى يثني عليك و يحمدك و ينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء * الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء و يبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص و يقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه * الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الاجانب أو الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومفارقة الذنوب والمرائي يستحي من المباحات أيضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو أو ضاحكا فيرجع الى الانقباض و يزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب ﴿الثامن﴾ أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره و يقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة و يختص ذلك بالائمة أو بمن يقتدى به و بهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفي العاصي أيضا معصيته من أهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل الى الناس أنه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي ﷺ (١) دلني على ما يحبني الله عليه و يحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

﴿ بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات ﴾

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم

لا يؤمن عليه التصنع في العمل وان كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن و يبكي على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك و يقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش و يجتنب الدخول على قوم في وقت أكلهم فقد ورد من مشى الى

(١) حديث قال رجل دلني على ما يحبني الله عليه و يحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيما في أيدي الناس وقد تقدم.

والحج والعزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ماهو لذيذ وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة ﴿القسم﴾ الاول الطاعات اللازمة للبدن التى لاتتعلق بالغير ولالذة فى عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث إحداها مايدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغى أن يترك لانه معصية لاطاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لاتسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية أن ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأوّلها فلا ينبغى أن يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التى ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة أن يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغى أن يجاهد فى الدفع ولا يترك العمل لكى يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فاى فائدة لك فى عمل لااخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلامعنى له ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم ان كان فلايضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا انه مراء أو قالوا انه مخلص واى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال انه مراء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع فى أن يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لايخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لايشتهى الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض ألقى فى قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لانجاة منه إلا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر فى الآخرة ولانفع فيه فى الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالى وان نزغ العدوّ ونازع الطبع فان ذلك لاينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلاتترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد فى العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف فى قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد فى قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث دينى بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع فى العمل لله فلابد أن يبقى معه أصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روى ان ابراهيم النخعى دخل عليه انسان وهو يقرأ فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لايرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمى اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن

طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا الا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار ولايخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار ويجتنب المضيف التكلف الا أن يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولايفعل ذلك حياء وتكلفا واذا أكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه ان كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ﴿وروى﴾ أيضا عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا

ان كان أحدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة * وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يحصى واظهار الحسن البصرى هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الاعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي أن يكون بالاقوياء وأما إطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بكلامه فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك وأما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء وأما قول التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها ﴿ القسم الثاني ﴾ ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال أما الخلافة والامارة فهي من أفضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي ﷺ (١) ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال ﷺ (٢) أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٣) ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل أحدهم وقال ﷺ (٤) أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه أبو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيه من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول ما يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي ﷺ (٥) ما من والى عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علي قال اجلس واكتم علي وروى

(١) حديث ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أر فيه ذكر الاولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل الاصبهاني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا اسحاق بن ابراهيم الديباجي ضعيف أيضا (٥) حديث ما من والى عشرة الا جاء يوم القيامة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبزار

بالآنين ولا جار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب أن لا يستحقر ما يقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول ما ندري أيهم أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه * ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف بها للاعراس والتعازي فما عمل للنوائح لا يؤكل وما عمل لاهل العزاء لا بأس به وما يجري مجراه واذا علم الرجل من حال أخيه انه يفرح بالانبساط اليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج ان

الحسن أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم (١) فقال للنبي خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذقال له النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ياعبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الامارة مع ماورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوى الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها و بمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٣) انا لا نولي أمرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت أن نهي أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض * وأما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة وقال عليه السلام (٥) من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم

يا كل من طعامه بغير اذنه قال الله تعالى أو صديقكم * قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجده ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة وأوكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وان عمل ذلك تصنعا ورياء فهو أقل من التكبر * روى أن الحسن ابن علي مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على

---

وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البزار والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والي ثلاثة الا لقي الله مغلولة يمينه الحديث وقد عزى المصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الا لم يرح رائحة الجنة متفق عليه (١) حديث الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس الطبراني موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفيه الغراب ابن أبي الغراب ضعفه ابن معين وابن عدي وقال أبو حاتم صدوق (٢) حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسل الامارة الحديث متفق عليه (٣) حديث انا لا نولي أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبي موسى (٤) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم واسناده صحيح (٥) حديث من استقضى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء

اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وان تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذراً مرخصاً له في الاهمال أصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثواباً وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار * وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضاً عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا الى ودفن بشر كذا وكذا قمطراً من الحديث وقال يمنعني من الحديث أني أشتهي أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقاً ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثاً وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لان يذكر على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول اذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا أيضاً مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه الى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه * فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق * فنقول قد نهى رسول الله ﷺ (١) عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال (٢) انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وقال (٣) نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعاً وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب حين رأى قوماً يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله ﷺ (٤) عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والاغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني أقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الامتناع بعضهم والا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن

بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل مع الاخوان أفضل من الاكل مع العيال ﴿وروى﴾ أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وامر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت

---

(١) حديث النهي عن طلب الامارة وهو حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسل الامارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله الا من أخذها بحقها وزاد في آخره فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت المرضعة وبئست الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست المرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث النهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم

فى البلد الواحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته فى الظاهر وتخييله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست أقدر على نفسى فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الاخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما أحدثه الوعاظ فى هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصى بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا فى واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه فى كتاب العلم من الوعيد الوارد فى حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا قال المسيح عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون مالا تعملون فياسوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فاى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محلة المتحيرين كانكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بافواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبى هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون * فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم (٣) أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغى أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مرآة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء فى الصلاة لا تترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس فى نفس العلم آفة وانما الآفة فى إظهاره بالتصدى للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له أيضا اتركه مادام يجد فى نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء أما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما اذا خطر له وساوس الرياء فى اثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء فى العبادات ضعيفة وانما تعظم فى الولايات وفى التصدى للمناصب

(١) حديث ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم النسائى وقد تقدم قريبا (٢) حديث لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ خير لك من حمر النعم وقد تقدم فى العلم (٣) حديث أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة فى أوله ولمسلم من حديث أبى هريرة من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه الحديث

العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

﴿ الباب الرابع والاربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه ﴾

اللباس من حاجات النفس وضروراتها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا فى اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة ومآرب مختلفة فالصوفى يرد النفس فى اللباس الى متابعة صريح العلم ﴿ قيل ﴾ لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه

الكبير في العلم و بالجلة فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة * الثانية الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بأدنى قوة * الثالثة وهى متوسطة بين الرتبتين وهو التصدى لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما فى الولايات وأكثر مما فى الصلاة فالصلاة ينبغى أن لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغى أن يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولاة أشبه وأن الحذر منه فى حق الضعيف أسلم والله أعلم * وههنا رتبة رابعة وهى جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فان فى الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفى ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة فى الدنيا وان من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى وقال أبو الدرداء مايسرنى انى أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما انى لا أحرم البيع والشراء ولكنى أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس فى دوام ذكر الله أفضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام ياطالب الدنيا ليبر بها تركك لها أبر وقال أقل مافيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فامامن يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لاخلاف فى أنه أفضل و بالجلة مايتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب أن يعمل و يدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن مافيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل مايدل عليه نور العلم دون مايميل إليه الطبع و بالجلة مايجده أخف على قلبه فهو فى الاكثر أضر عليه لان النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه وان كان لا يبعد ذلك أيضا فى بعض الاحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفى واثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع مايريبه الى مالا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف فى أن تفرقة المال فى المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب أن الافضل الكسب والانفاق أو التجرد للذكر وذلك لما فى الكسب من الآفات فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من امساكه بكل حال * فان قلت فبأى علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص فى وعظه غير مريد رياء الناس * فاعلم أن لذلك علامات احداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى أن الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى أن لا يحب اتباع الناس له فى الطريق والمشى خلفه فى الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن أبى مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى و بين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى و بينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت فى نفسى لابلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه أن يزيد فى كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال

من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال لانه ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أى لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لان طهارة الثوب شرط فى صحة الصلاة وماعدا هذين النظرين فنظره فى كونه يدفع الحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس و بعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول

صدق الشيخ و بر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله ﷺ (١) أن مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ماحملناه من أمر الناس ماغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افترا الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكلف فرسا و بغلا وأكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزا عدو الله كذا وكذا و إذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس أما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شئ والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون و يتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين

﴿بيان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ومالا يصح﴾

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق و يمنعه الاشتغال و يغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم و يشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الاطعمة و يشق عليه الصبر عنها فاذا أعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي

وزيادة ونظرا الى الخلق والصادق لا ينبغي أن يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد (وحكي) أن سفيان الثوري رضي الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه و يغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت أني ألبسه لله والآن فاأغيره الا لنظر الخلق فلا أنقض النية الاولى بهذه والصوفية خصوا بطهارة الاخلاق ومارزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد الذي هيأه الله تعالى لنفوسهم

(١) حديث ان مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الاذكار والدعوات

الباعث فهذا وأمثاله من الاسباب يتصوّر وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه الاعلى ذوي البصائر فاذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان عليه السلام لابنه لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها أن يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روي عن ذي النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر

وفي طهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لان التناسب الواقع في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشئ من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع إلى التناسب رشح حال سلفهم في وجود التناسب

التكلف فقال ياشيخ الذى يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء فى الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق (١) وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهى مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك فى كل ما يخطر لك وانظر ماهو ومن أين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شئ من الرياء الذى هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهى مقبولة أم لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر فى اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب اما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك ان يرى الناس انى أخشاك وأنت لى ماقت وكان من دعاء على بن الحسين رضى الله عنهما اللهم انى أعوذ بك ان تحسن فى لامعة العيون علانيتى وتقبح لك فيما اخلو سريرتى محافظا على رياء الناس من نفسى ومضيعا لما أنت مطلع عليه منى أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى اليك بأسوأ عملى تقربا الى الناس بحسناتى وفرارا منهم اليك بسيآتى فيحل بى مقتك ويجب على غضبك أعذنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا اسرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففى الخبر (٢) ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه أغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ماهو أخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع فى ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه

﴿ بيان ماينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه ﴾

اعلم ان أولى مايلزم المريد قلبه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ولايقنع بعلم الله الامن لايخاف الا الله ولايرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فان كان فى هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التى لايقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما فى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الامر ينبغى ان يثبت قدمه ويتذكر فى مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لايقدرون لى على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولاينبغى

قال أبو سليمان الدارانى يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغى أن يكون مأكوله من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى أحد الطرفين امافى طرف الثوب لموضع نظر الخلق واما فى طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس أبو سليمان الدارانى ثوبا غسيلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من

(١) حديث تعوذوا بالله من خشوع النفاق البيهقى فى الشعب من حديث أبى بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الايادى ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر المصنف هذا الحديث هنا وكانه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه انه الرياء بالمثناة وانما هو الربا بالموحدة والمرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ الربا سبعون حوبا أيسرها ان ينكح الرجل أمه وفى اسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال الربا ثلاثة وسبعون بابا واسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين فى أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على انه الرياء

أن ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك أحوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص أحوج * وقد روى تميم الدارى عن النبي ﷺ (١) أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فألقي في النار فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل وأما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته مايترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده الا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في أنه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الأجر فهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو أن لا يحبط ذلك أجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فأدلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ فقال يرحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الى فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده على فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت اليه فقلت ويلك أي شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحمني أما ترحم اخوتك أما ترحم عيالنا فأكثرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها انت هنيأ مريأ وأسئل عنها أنا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الدارى في اكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة

هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميص في الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الأبواب (وكان) أبو عبد الله الرفاعي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق

بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم ور بما يفيد ور بما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا انقداعلى توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم لله و يعبد لله و يخدم المعلم لله لا يكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث ان رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي و يطوفون حولها و يعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او أزيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت اليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي أدلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين الف دينار لأعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان و بادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى له أن لا يخيب سعيه الا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه انما حصل بأن يعدو كثيرا او يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغني زيادة هزة في نفسه لا كراهة إلا إذا كان في الغني زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الاغنياء أكثر فهو مراء أو طماع و إلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة و يحبب الى القلب المسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغني أكثر مما يستروح إلى الفقير وقد حكي أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري كان يجلسهم وراء الصف و يقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة إكرام للغني إذا كان أقرب اليك

المسكنة ثم يخرج بين العشاءين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة * حكي أن جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بشر ابن الحرث فقال لهم ياقوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به و يكرم له والله ليظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت ياغلام مثلك من يلبس المرقعة فكان أحدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذي عليه

أوكان بينك و بينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لووجدت تلك العرقة فى فقير لكنت لاتقدم الغنى عليه فى اكرام وتوقير البتة فان الفقير أكرم على الله من الغنى فايثارك له لا يكون إلا طمعا فى غناه ورياء له ثم إذا سويت بينهما فى المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفى أوطمع خفى كما قال ابن السماك لجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغنى بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة فى أيام متقاربة وتكون فى الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن فى بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه فى كل ساعة لو اتسع فى الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر فى توالى الاوجاع والالآم عليه وأداء ذلك إلى الموت المفرق بينه و بين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىء و بدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة أمره و بما أعد له من النعيم المقيم فى رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا و بهم رؤفا وعليهم عطوفا ولوشاء لأغناهم عن التعب ولكن أراد أن يبلوهم و يعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة مايلهيه عن سائر اللذات و يقويه على اماتة الشهوات و يتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا و يقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم أشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصوّر العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفعه عن مراده دافع الغنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله و بهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدى القياصرة عظمة وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وارجاؤه وعلى آله

(وروى) أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رؤس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب ان أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع (وحكى) عن الجريرى قال كان فى جامع بغداد رجل لاتكاد تجده الافى ثوب واحد فى الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على

وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فقد قال رسول الله ﷺ (١) قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال ﷺ (٢) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ﴿الشطر الأول﴾ من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

## ﴿بيان ذم الكبر﴾

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله ﷺ (٣) لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (٤) يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ (٥) يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله ﷺ (٦) لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال ﷺ (٧) يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول

---

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته الحاكم في المستدرك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قذفته في النار وقال مسلم عذبته وقال رداؤه وازاره بالغيبة وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الايمان من طريقه باسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب (٧) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب

---

مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس الا ثوبا واحدا الى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبو يزيد ولم يترك الا قيصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه الى صاحبه * وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا انه بقي زمانا لا يلبس الثوب الا مستأجرا حتى انه لم يلبس على ملك نفسه شيأ (وقال أبو حفص الحداد) اذا رأيت وضاءة الفقير في ثوبه فلا ترج خيره

وكلت

وكات بثلاثة بكل جبار عنيد و بكل من دعامع الله الها آخر و بالمصور بن وقال ﷺ (١) لايدخل الجنة بخيل ولاجبار ولاسيء الملكة وقال ﷺ (٢) تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لايدخلنى الا الضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال ﷺ (٣) بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى بئس عبد عتاو بغى ونسى المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال (٤) بلغنا أنه قيل يارسول الله ماأعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمروان رسول الله ﷺ (٥) قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلاإله إلا الله فان السموات والارضين ومافيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لاإله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والارضين ومافيهن كانتا حلقة فوضعت لاإله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله و بحمده فانها صلاة كل شئ و بها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال ﷺ (٦) أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال ﷺ (٧) ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال ﷺ (٨) يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ (٩) يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان أباك حدثنى عن أبيه عن النبى ﷺ (١٠) أنه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار

(١) حديث لايدخل الجنة جبار ولابخيل ولاسيء الملكة تقدم فى أسباب الكسب والمعاش والمعروف خائن مكان جبار (٢) حديث تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث بئس العبد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذى من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس اسناده بالقوى ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه ورواه البيهقى فى الشعب من حديث نعيم بن همار وضعفه (٤) حديث ثابت بلغنا انه قيل يارسول الله ماأعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت البيهقى فى الشعب هكذا مرسلا بلفظ تجبر (٥) حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخارى فى كتاب الأدب والحاكم بزيادة فى نقله قال صحيح الاسناد (٦) حديث أهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث عبد الله بن عمرو وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعى ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ مستكبر (٧) حديث ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبى ثعلبة الخشنى بلفظ الى ومنى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبى ثعلبة وقد تقدم فى رياضة النفس أوّل الحديث (٨) حديث يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا فى صور الرجال الحديث الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال حسن غريب (٩) حديث أبى هريرة يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر الحديث البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون واسناده حسن (١٠) حديث أبى موسى ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبرانى والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه بن معين وابن حبان وأورد له فى الضعفاء هذا الحديث

وقيل مات ابن الكرنبى وكان أستاذ الجنيدى وعليه مرقعة قيل كان وزن فرد كمه وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزى القراء ويكون نيتهم فى ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم و بين التراب

فاياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال ﷺ (١) ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم وقال ﷺ اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال (٣) من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول (الآثار) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل فى وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقد قال محمد بن الحسين بن على ما دخل قلب امرىء شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالى وفخوخا وان من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

﴿بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب﴾

قال رسول الله ﷺ (٤) لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال ﷺ (٥) بينما رجل يتبختر فى بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله ﷺ (٦) يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروى أن رسول الله ﷺ (٧) بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال ﷺ (٨) اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض

(١) حديث ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم البيهقى فى الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقفل مكان يطبق وفيه أبان بن أبى عياش وهو ضعيف (٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبى ﷺ فى أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة ولأصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذى هو أشهر حديث فى هذا الباب (٣) حديث من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر المصنف لهذا الحديث هنا موافق للمشهور فى الرواية انه الكبر بالموحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزى فى جامع المسانيد عن الدار قطنى قال انما هو الكنز بالنون والزاى وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث فى تفسير والذين يكنزون الذهب والفضة (٤) حديث لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث بينما رجل يتبختر فى برديه قد أعجبته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث ابن عمر لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء رواه مسلم مقتصرا على المرفوع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم ان المار رجل من بنى ليث غير مسمى (٧) حديث ان رسول الله ﷺ بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أيعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث بشر بن جحاش (٨) حديث اذا مشت أمتى المطيطاء الحديث الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر المطيطاء بضم الميم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مثناة من تحت مصغرا ولم يستعمل مكبرا

حائلا ويكون لبس أبى حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم فى ذلك فلا يعترض عليهم غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفى شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية فى ذلك فلحسن النية فى ذلك

قال ابن الاعرابى هى مشية فيها اختيال وقال ﷺ (١) من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان (الآثار) عن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بانفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله ان يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلى وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ـ ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر إزاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا ويروى أن مطرف بن عبد الله ابن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر واذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم

## ﴿ بيان فضيلة التواضع ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) مازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله وقال ﷺ (٣) مامن أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال ﷺ (٤) طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وعن أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ (٥) عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيأ من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ماهذا قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيأ من عسل فوضعه وقال أما انى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وروى أن النبى ﷺ

---

(١) حديث من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان أحمد والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر (٢) حديث مازاد الله عبدا بعفو الا عزا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث مامن أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها الحديث العقيلى فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة والبيهقى أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٤) حديث طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب المصرى والبزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه فى العلم وبعضه فى آفات اللسان (٥) حديث أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ عندنا بقباء وكان صائما الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقباء وقال الذهبى فى الميزان انه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله ﷺ بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما انى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد دون قوله ومن بذر أفقره الله وذكرا فيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم فى ذم الدنيا

---

وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته بل يلبس مايدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك انه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية فى الثوب الذى أدخله الله عليه يخرجه الا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه الا أن يلبس الثوب الذى ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس

(١) كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكره فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال ﷺ (٢) خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ (٣) الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغنى أن النبى ﷺ (٤) قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال ﷺ (٥) أربع لا يعطيهم الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا وقال ابن عباس قال رسول ﷺ (٦) اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال ﷺ (٧) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ويروى أن رسول الله ﷺ (٨) كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبى ﷺ الى جنبه وقال ﷺ (٩) انه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشئ فى يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبى ﷺ (١٠) لأصحابه يوما مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال ﷺ (١١) اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم

ما يتفق من غير تعمد تكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس وكان الشيخ على بن الهيتى يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكل فى لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الاقدام فى ذلك يطول (وكان) الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق اليه الثوب الناعم فيلبسه ولو كان يقال له ربما يسبق الى

(١) حديث السائل الذى كان به زمانة منكرة وانه ﷺ أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلا والموجود حديث أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٢) حديث خيرنى ربى بين أمرين عبدا رسولا وملكا نبيا الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف (٣) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين مرسلا وأسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الاسناد (٤) حديث اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه المسعودى مختلف فيه (٥) حديث أربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا الطبرانى والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشئ قال الحاكم صحيح الاسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان يروى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٦) حديث ابن عباس اذا تواضع العبد رفع الله رأسه الى السماء السابعة البيهقى فى الشعب نحوه وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور (٧) حديث ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة الحديث الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصى وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٨) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جدرى فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبى ﷺ الى جنبه لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٩) حديث انه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشئ فى يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه غريب (١٠) حديث مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع غريب أيضا (١١) حديث اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار غريب أيضا

وصغار

وصغار ( الآثار ) قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا
تكبر وعدا طوره رهصه الله في الأرض وقال اخسأ أخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى انه
لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد
جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي
يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة
قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادات
التواضع وقال يوسف بن أسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد
وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من
أجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس
لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة
من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام اذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك وقال كعب ما أنعم الله على عبد من
نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على
عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان
شاء الله أو يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة
وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك في شرفك أشرف لك من
شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في
ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون
بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف
حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره أن يراك الأغنياء في
الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وروى انه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون
التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا
وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق
الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال أبو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا
من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة
لولا أني كنت معهم اني أخشى انهم حرموا بسببي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه
وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النمري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال
مالك بن دينار لو أن مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقني الى الباب الا رجلا
بفضل قوة أو سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من أحب الرياسة لم يفلح أبدا
وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت امامنا فادع
الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال ان الله عز وجل
رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة
التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود
ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب
رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال لي ما أحسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم
في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى

بواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا نلقى الأحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحب أن يختار الله هيئة مخصوصة فيكثر اللجا الى الله والافتقار اليه ويسأله أن يريه أحب الزي الى الله تعالى وأصلحه

يعرف نفسه وقال أبو يزيد مادام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال أبو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ماقدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء أحسن والتكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء أقبح ويقال لاعز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال أبو على الجوزجانى النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به فى ذلك فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد فى نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل * وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا أنه روى عن النبى ﷺ (١) أنه قال يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ماتكلمت عليكم وقال الجنيد أيضا التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لايثبت نفسه ولايراها شيأ حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذاهم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر اليه وأتأمله فقال لى مالك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل فقلت مافعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعى هيبة الأمير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيبكم لومات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافى يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ماترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسى رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكننى خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق

﴿ بيان حقيقة الكبر وآفته ﴾

اعلم أن الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لايستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولايكفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه

(١) حديث يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذى من حديث أبى هريرة اذا اتخذ الفىء دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث على بن أبى طالب اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكرها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبى نعيم فى الحلية من حديث حذيفة من اقتراب

لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى زى بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم وإيقان ولا يبالى بما لبسه ناعما لبس أو خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه وهو باله يوافقه الله تعالى فى ارادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام

فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لأن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي ﷺ (١) أعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر أنف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شئ من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ (١) لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شئ من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها و يعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت

الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى الى مراده ومحابه غيران ههنا مزلة قدم الكثير من المدعين (حكي) عن يحيى بن معاذ الرازي أنه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره ثم صار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لابي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق اليه علم ماسرف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو

الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيهما فرج بن فضالة ضعيف (١) حديث أعوذ بك من نفخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه

على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الآخرون أن من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله ﷺ حد الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال (١) من سفه الحق وغمص الناس

﴿ بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه ﴾

اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الاعلى اذا استنكف أن يكون عبد الله ولذلك قال تعالى ـ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ـ وقال تعالى ـ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ـ الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل حائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ـ ان أنتم الا بشر مثلنا ـ ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ـ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ـ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ـ وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى ـ واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق ـ فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم ـ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي ﷺ اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى ـ أهم يقسمون رحمة ربك ـ وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله ﷺ (٢) كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء أشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ـ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله ـ ما عليك من حسابهم ـ وقال تعالى ـ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدرهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه ﷺ محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع

أهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو الاحب والاولى والاسلم للعبد والابعد من الآفات ﴿قال مسلمة بن عبد الملك﴾ دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت نفعل ان شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة لم آمركم ان تغسلوه قالت والله ماله قميص غير هذا ﴿وقال﴾ سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ريحانة هكذا (٢) حديث قالت قريش لرسول الله ﷺ كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى ـ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ـ مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص الا انه قال فقال المشركون وقال ابن ماجه قالت قريش

لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم
وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثانى فهو أيضا
عظيم من وجهين * أحدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف
العاجز الذى لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فى صفة لا تليق الا بجلاله
ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم
تهدفه للخزى والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى
العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته أى انه خاص صفتى ولا يليق الا بى والمنازع فيه منازع
فى صفة من صفاتى واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذى يسترذل
خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له فى
بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله
العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله فى حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين
منازعة نمروذ وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك فى استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته فى
أصل الملك * الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو الى مخالفة الله تعالى فى أوامره لان المتكبر اذا سمع
الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين فى مسائل الدين يزعمون
أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم
أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين
والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون - فكل
من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة
من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها
فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من
الناس فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك
نفسك وقال ﷺ (1) لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبى ﷺ لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما
رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضرب ابليس
مثلا لهذا وما حكاه من أحواله الا ليعتبر به فانه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال أنا خير منه خلقتنى من نار
وخلقته من طين فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له
فجره ذلك الى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد
عظيمة ولذلك شرح رسول الله ﷺ الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله
(2) انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال ﷺ لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص
الناس وفى حديث آخر (3) من سفه الحق وقوله وغمص الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير
منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهى الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه

(1) حديث قال لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (2) حديث قول ثابت بن قيس بن شماس انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ما ترى الحديث وفيه الكبر من بطر الحق وغمص الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بحديثين (3) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس تقدم معه

ركبتيه وبكى ثم دعا باطماره رثة فلبسها (وقيل) لما مات أبو الدرداء وجد فى ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف (وقال زيد بن وهب) لبس على ابن أبى طالب قميصا رازيا وكان اذا مده بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتعيبونى على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدى بى المسلم (وقيل) كان عمر رضى الله عنه اذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء (وروى) عن رسول الله ﷺ انه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه و بين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى و يتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه و بين الله تعالى ورسله

﴿ بيان ما به التكبر ﴾

اعلم أنه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة أسباب ﴿الاول﴾ العلم وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال ﷺ (١) آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله و يستعظم نفسه و يستحقر الناس و ينظر اليهم نظره الى البهائم و يستجهلهم و يتوقع أن يبدؤه بالسلام فان بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه ببشر اوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده و يداعليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله وانه ينبغي أن يرقوا له و يخدموه شكراله على صنيعه بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم و يزورونه فلا يزورهم و يعودونه فلا يعودهم و يستخدم من خالطه منهم و يستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا و يقتضي أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال * فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم ان لذلك سببين * أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ فأما ماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا * السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الأخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام ـ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ـ وقال عز وجل ـ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ ووصف

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم ان تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم وروى ان رسول الله ﷺ احتذى نعلين فلما نظر اليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له في ذلك فقال خشيت ان يعرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لايبيتان في منزلي لما تخوفت المقت من الله تعالى من أجلهما فاخرجهما فدفعهما الى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشتري له نعلان مخصوفتان وروى أن رسول الله ﷺ لبس الصوف واحتذى المخصوف وأكل مع العبيد واذا كانت النفس تحل

(١) حديث آفة العلم الخيلاء * قلت هكذا ذكره المصنف والمعروف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء هكذا رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بسند ضعيف وروى عنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفي لايدرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب الميزان

أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال ﷺ فيما رواه العباس رضي الله عنه (١) يكون قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لاتكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن اماما غيري أولتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم أفضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما أعز على بسيط الارض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم انه لايحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله (٢) سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره * فنسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله ﴿الثاني﴾ العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال ﷺ إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لايخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال ﷺ (٤) كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله الى درجته في العمل وما أجدره اذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله الى حد الاهمال كما روي أن رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل

الآفات فالوقوف على دسائسها وخفي شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالاليق والاجدر والاولى الاخذ بالاحوط وترك ما يريب إلى مالا يريب ولايجوز للعبد الدخول في السعة الابعد اتقان علم السعة وكمال تزكية النفس وذلك إذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لايرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل) من رق ثوبه رق دينه وقد يرخص في

---

(١) حديث العباس يكون قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر (٣) حديث اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر

العاصى إذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى أن رجلا فى بنى اسرائيل أتى عابدا من بنى اسرائيل (١) فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله إليه أيها المتألى على بل أنت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى أن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخز أى ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف و يرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك فى أنه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدى و يقول سترون ما يجرى عليه و إذا أصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله فى مقت الله بأعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببى ولومات عطاء لتخلصوا وماقاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا و باطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصى وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر بخير للنبى ﷺ (٢) فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله ﷺ بنور النبوة ما استكن فى قلبه سفعة فى وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات * الدرجة الاولى أن يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا أنه يجتهد و يتواضع و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية * الثانية أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه وأدنى ذلك فى العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه و يقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب قال رسول الله ﷺ (٣) التقوى ههنا وأشار إلى صدره فقد كان رسول الله ﷺ

ذلك لمن لا يلتزم بالزهد و يقف على رخصة الشرع (روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبى عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة فى حق من يلبسه لا بهوى نفسه فى ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد (روى) أبو هريرة أن رسول الله

(١) حديث الرجل من بنى اسرائيل الذى وطئ على رقبة عابد من بنى اسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة فى قصة العابد الذى قال للعاصى والله لا يغفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة واسناده حسن (٢) حديث ان رجلا ذكر بخير للنبى ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان الحديث أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٣) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم

اكرم

(١) أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه ﷺ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء اذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله ﷺ (٢) لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله ﷺ يقول انه من أهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل ﴿الثالث﴾ التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا أرمني من أنت ومن أبوك فانا فلان بن فلان وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال قاولت رجلا عند النبي ﷺ (٣) فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف

ﷺ قال أزرة المؤمن الى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في ردائه اذ أعجبه رداؤه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة والاحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته في مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه وفي كل الاحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى ﴿الباب الخامس﴾

(١) حديث كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٣) حديث أبي ذر قاولت رجلا عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه ان النبي ﷺ قال له انظر فانك

أن العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ماروى أن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ (١) فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي ﷺ افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذى افتخر بل التسعة من اهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله ﷺ (٢) ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدوف بآنافها القذر ﴿الرابع﴾ التفاخر بالجمال وذلك أكثر مايجرى بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبي ﷺ (٣) فقلت بيدى هكذا أى انها قصيرة فقال النبي ﷺ قد اغتبتها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت أيضا قصيرة لماذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة فى جنب نفسها فقالت ماقالت ﴿الخامس﴾ الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت ومامعك وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أنفق فى اليوم مالا تأكله فى سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الإشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حتى أجابه فقال ان ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى اخبارا عن تكبره فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارون انه لذو حظ عظيم ﴿السادس﴾ الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف ﴿السابع﴾ التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ماهو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع مايتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشئ منه على من لايدلى به أو على من يدلى بماهو دونه فى اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه انه هو الاعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شئ قدير

## ﴿بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له﴾

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما مايظهر من الاخلاق والافعال فهى ثمرة ونتيجة وينبغى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد

---

لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى (١) حديث ان رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أب لك الحديث عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند من حديث أبى ابن كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٢) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان الحديث أبو داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث أبى هريرة (٣) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي ﷺ فقلت بيدى هكذا أى انها قصيرة الحديث تقدم فى آفات اللسان

والار بعون فى ذكر فضل قيام الليل﴾ قال الله تعالى اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان نزلت هذه الآية فى المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ فوسوس لهم الشيطان انكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبى الله وقد غلب المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف

وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر كما سيأتى معناه فانه اذا أعجب بنفسه و بعلمه و بعمله أو بشئ من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما أما السبب الذى فى المتكبر فهو العجب والذى يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء ❊ أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر فى الأعمال والاقوال والاحوال ❊ وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر على من يرى انه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ فى قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه أو بغضه له و يحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد فى التقدم عليه وان علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وان ظلمه فلا يعتذر إليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد و يدعو الحسد أيضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقى فى رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا و بغيا عليه فهو يعرض عنه و يتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله باخلاق المتكبرين وان كان فى باطنه ليس يرى نفسه فوقه ❊ وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه أفضل منه وليس بينه و بينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له فى الاستفادة خيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذى يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمى الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب و يترفع عليه فى المجالس و يتقدم عليه فى الطرق ولا يرضى بمساواته فى الكرامة والتوفير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر فى باطنه لمعرفته بانه كاذب فى دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر إنما يطلق فى الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر فى الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمى متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

﴿ بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر ﴾

اعلم ان التكبر يظهر فى شمائل الرجل كصعر فى وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفى أقواله حتى فى صوته ونغمته وصيغته فى الايراد و يظهر فى مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفى تعاطيه لافعاله وفى سائر تقلباته فى أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر فى بعض و يتواضع فى بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد و بين يديه قوم قيام وقال أنس (١) لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ❊ ومنها أن لا يمشى الا ومعه غيره يمشى خلفه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذا كان لا يتميز عنهم فى صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله ﷺ (٢) فى بعض الاوقات يمشى مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم و يمشى فى

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم فى آداب الصحبة وفى أخلاق النبوة (٢) حديث كان فى بعض الأوقات يمشى مع الاصحاب فيأمرهم

ترجون الظفر عليهم فأنزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادى فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الدواب وملؤا الاسقية ولبد الارض حتى ثبتت به الاقدام قال الله تعالى و يثبت به الاقدام إذ يوحى ربك إلى الملائكة انى معكم أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر و بطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل النعاس رحمة وأمنة للصحابة خاصة فى تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والنعاس قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم

غمارهم إما التعليم غيره أولينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب (١) كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين * ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روى ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه ابراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن أبي روّاد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا أعرف رجلا منكم شرا مني وقال أنس (٢) كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر (٣) دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله ﷺ وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته * ومنها أن لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى ان عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أوّل نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا * ومنها أن لا يأخذ متاعه (٤) ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للامير يا ابن أبي مالك وعن الاصبغ ابن نباتة قال كأني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمل * ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي ﷺ (٥) البذاذة من الايمان فقال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب علي كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ماداما نقيين ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين

---

بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشي إلى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال اني سمعت خفق نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء (١) حديث اخراجه الثوب الجديد في الصلاة وابداله بالخليع قلت المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق أو نزع الخيصة ولبس الأنبجانية وكلاهما تقدم في الصلاة (٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ الحديث تقدم في آداب المعيشة (٣) حديث الرجل الذي به جدري واجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا (٤) حديث حمله متاعه الى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وتقدم (٥) حديث البذاذة من الايمان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي امامة بن ثعلبة وقد تقدم

عن منازعات النفس لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب إذ في شكايتها وتعبها تكدير القلب وباحترامها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن

فقال ان لى نفساذوّاقــة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الاتاقت الى الطبقة التى فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطباق تاقت الى ماعند الله عزوجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبدالعزيز الجمعة ثم جلس وعليه قيص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل ياأمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلولبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وان أفضل العفو عند القــدرة وقال ﷺ (١) من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخره عبقرى الجنة * فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقــد سئل نبينا ﷺ (٢) عن الجمال فى الثياب هــل هو من الــكبر فقال لا ولــكن من سفه الحق وغمص الناس فــكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التــكبر فى حق كل أحــد فى كل حال وهو الذى أشار اليــه رسول الله ﷺ وهو الذى عرفــه رسول الله ﷺ (٣) من حال ثابت بن قيس اذ قال انى امرؤ حبب الى من الجمال ماترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتــكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الــكبر وقــد يكون ذلك من الــكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قــد يكون من التواضع وعلامة المتــكبر أن يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال فى كل شئ ولو فى خلوته وحتى فى ستور داره فذلك ليس من التــكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب وقول نبينا ﷺ انه ليس من الــكبر يعنى ان الــكبر لا يوجبه ويجوز أن لا يوجبه الــكبر ثم يكون هو مورثا للــكبر وبالجملة فالاحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقــد قال ﷺ (٤) كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غــير سرف ولا مخيلة (٥) ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبدالله المزنى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التــكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم تأتونى وعليــكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الاصل وقد أوردنا مانقل عن السلف من احتمال الاذى فى كتاب الغضب والحســد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع ســيرة النبى ﷺ فيــه فينبغى ان يقتدى به ومنه ينبغى ان يتعلم وقد قال أبو سلمة قلت لابى سعيد الخدرى ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال ياابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شئ من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة (٦) ما كان يعالج رسول الله ﷺ فى بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأ كل مع خادمه ويطحن عنه اذا أعيا ويشترى الشئ من السوق ولا يمنعه من الحياء ان يعلقه بيــده أو يجعله فى طرف ثوبه وينقلب الى أهله يصافح الغنى والفقير

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو سعيد المالينى فى مسند الصوفية وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفى اسناده نظر (٢) حــديث سئل عن الجمال فى الثياب هل هو من الــكبر فقال لا الحديث تقدم غــير مرة (٣) حــديث ان ثابت بن قيس قال للنبى ﷺ انى امرؤ حبب الى الجمال الحديث هو الذى قبله سمى فيه السائل وقد تقدم (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما المصنف حديثا واحدا (٦) حديث أبى سعيد الخدرى وعائشة قال الخدرى لأبى سلمة عالج فى بيتك من الخدمة ما كان رسول الله ﷺ يعالج فى بيته كان يعلف الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن أبى سعيد فقالت ما أخطأ ولقــد قصر أوما أخبرك انه لم يمتلئ قط شــبعا الحديث بطوله لم أقف لهما على اسناد

الارادة وصــدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتــدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجــود الروح والانس فان النوم طبعــه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحــرارة واليبس الحادث فى المــزاج فان نقص عن الثلث يضر الدماغ ويخشى منــه اضطراب الجسم فاذا ناب عــن النوم روح القلب وأنســه لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس باردة رطبــة كطبيعــة النوم وقــد تقصر مدة طول الليل بوجــود الروح فتصــير بالروح أوقات الليــل

والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب اذا دعي وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما أخبرك أن رسول الله ﷺ لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لأحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر أياما يسيرة أحب الي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من أحواله ﷺ يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله ﷺ ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلو نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال أبو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد ﷺ لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيأ ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من تلك الصفة وكيف لي ان أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها الا أن تكون تبغض الدنيا فانك اذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يا رب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له﴾

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب

الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لاهل الروح (نقل) عن علي ابن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال أبو سليمان الداراني أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لاهل الليل (وقال) بعض

الثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره (المقام الاوّل) فى استئصال أصله وعلاجه علمى وعملى ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلمى فهو أن يعرف نفسه و يعرف ربه تعالى و يكفيه ذلك فى ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وانه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع فى اثارة التواضع والمذلة و يكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فان فى القرآن علم الأوّلين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره فقد أشارت الآية إلى أوّل خلق الانسان و إلى آخر أمره و إلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أوّل الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أوّل وأى شئ أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء ثم من أقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيأ مذكورا فما صار شيأ مذكورا إلا وهو على أخس الاوصاف والنعوت إذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته و بضعفه قبل قوّته و بجهله قبل علمه و بعماه قبل بصره و بصممه قبل سمعه و ببكمه قبل نطقه و بضلالته قبل هداه و بفقره قبل غناه و بعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه أوّلا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة إلى ما تيسر له فى مدة حياته إلى الموت وكذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه أحياه بعد أن كان جمادا ميتا ترابا أوّلا ونطفة ثانيا وأسمعه بعد ما كان أصم و بصره بعد ما كان فاقد البصر وقوّاه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره و إلى السبيل كيف يسره و إلى طغيان الانسان ما أكفره و إلى جهل الانسان كيف أظهره فقال أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم و بصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى ذاته لا شئ وأى شئ أخس من لا شئ وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيأ وانما خلقه من التراب الذليل الذى يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه و يعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته أوّلا فقال ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أوّلا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الاخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بانفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوّله ولا حول ولا قوّة إلا بالله نعم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى و ينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها و يعطش كرها و يمرض كرها و يموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشئ

العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الاسحار فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب الغافلين وقد ورد ان الله تعالى أوحى فى بعض ما أوحى الى بعض أنبيائه ان لى عبادا يحبونى وأحبهم و يشتاقون الىّ واشتاق اليهم و يذكرونى وأذكرهم و ينظرون الىّ وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى

فيجهله و يريد أن يذكر الشئ فينساه و يريد أن ينسى الشئ و يغفل عنه فلا يغفل عنه و يريد أن يصرف قلبه
إلى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه و يشتهي الشئ
وربما يكون هلاكه فيه و يكره الشئ وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه و يستبشع
الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يامن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه و بصره وتفلج أعضاؤه و يختلس
عقله و يختطف روحه و يسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك
لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فاي شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط
أحواله فليتأمله وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى ثم أماته فاقبره ثم إذا شاء أنشره ومعناه
انه يسلب روحه وسمعه و بصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى
الا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول
نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه و يصير رميما رفاتا و يأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه
فيقلعهما و بخديه فيقطعهما و بسائر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان و يكون جيفة يهرب منه الحيوان
و يستقذره كل انسان و يهرب منه لشدة الانتان وأحسن أحواله ان يعود إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه
الكيزان و يعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان في
أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء
فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة و يخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة
وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم
تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر و يرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد
وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت
تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك
فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر
الصحيفة و يشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح في لحظة
واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون
كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار
فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع اذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير
لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا
ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله
في العاقبة الا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح و يبطر وكيف يتكبر و يتجبر وكيف يرى
نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا أن يعفو الله الكريم بفضله و يجبر
الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة الا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق
بجنايته ضرب ألف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر أن يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من
الخلق وليس يدري أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد
مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا
وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القامع لاصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل
ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله

أوكارها فاذا جنهم
الليل واختلط
الظلام وخلا كل
حبيب بحبيبه
نصبوا الى أقدامهم
وافترشوا لي
وجوههم وناجوني
بكلامي وتملقوا الى
بانعامي فبين
صارخ و باك و بين
متأوه وشاك بعيني
ما يتحملون من
أجلي و بسمعي
ما يشكون من
حبي أول ما أعطيهم
أن أقذف من
نوري في قلوبهم
فيخبرون عني
كما أخبر عنهم
والثاني لو كانت
السموات السبع
والارضون وما
فيها في موازينهم
لاستقللتها لهم
والثالث أقبل
بوجهي عليهم
أفترى من
أقبلت بوجهي
عليه أيعلم أحد
ما أريد أن أعطيه

ﷺ (١) حتى أنه كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به الى العتق فى الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى (٢) قال حكيم بن حزام بايعت النبى ﷺ على أن لا أخر الا قائما فبايعه النبى ﷺ عليه ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت ﴿المقام الثانى﴾ فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الاسباب السبعة * الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا فى صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذى ينسب اليه حيا لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بولى أفترى أن الدودة التى خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التى من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثانى أن يعرف نسبه الحقيقى فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله التراب المهين الذى يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن أين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقى للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ أخبره عدول لا يشك فى قولهم انه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم أفترى أن ذلك يبقى شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر فى أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم

(١) حديث كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم فى آداب المعيشة (٢) حديث حكيم بن حزام بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخر الا قائما الحديث رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه ارسال خفى

فالصادق المريد اذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره فى حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته * وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز أن يكون لمعنيين أحدهما ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين فى القلب تزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشراقا وتكتسب

بهخسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذاعرف أنه فى نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التى يتنزه عنها هو فى نفسه * السبب الثانى التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار فى جميع أجزائه الرجيع فى أمعائه والبول فى مثانته والمخاط فى أنفه والبزاق فى فيه والوسخ فى أذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين و يتردد كل يوم إلى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا فى حال توسطه وفى أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال أنس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر الينا أنفسنا و يقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ماهذه مشية من فى بطنه خرء إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوّله ووسطه ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التى لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن فى أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن وكلون الازهار فى البوادى فبينما هو كذلك إذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها * السبب الثالث التكبر بالقوة والايدى و يمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد فى يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الذباب شيأ لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت فى أنفه أو نملة دخلت فى أذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لأعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجبر فى مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى أن يفتخر بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم * السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع الكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان أبقاه لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد مملوك لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لابد وأن يزول كبره ومثاله أن يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وان أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه وأخذ جميع ما فى يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه و ينكل به لتفريطه فى أمواله وتقصيره فى طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا فى منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد

مشكاة القالب نورا وضياء كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وقال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فنور اليقين من نور الله فى زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب وأيضا يلين القلب بنار النور ويسرى لينه الى القلب فيلين القلب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهما قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وصف الجلود باللين كما

بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص ألبتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره * السبب السادس الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال ﷺ (1) يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال ابن عباس رضي الله عنهما أوتي بلعم كتابا فأخلد إلى شهوات الارض أي سكن حبه إليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذى لا يأتيه فهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذى هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتني لم تلدني أمي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول ياليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أوكل ويقول الآخر ليتني لم أك شيأ مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذى هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الامر وبلغ به الجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدرى من أي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه

(1) حديث يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة بن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتقدم في العلم

وصف القلوب بالآين فاذا امتلأ القلب بالنور ولان القالب بما يسرى فيه من الانس والسرور يندرج الزمان والمكان في نور القلب ويندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الارض أرض القالب بنور ربها إذ يصير القلب سماء والقالب أرضا ولذة تلاوة كلام الله في محل المناجاة تستركون الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود في مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حسيس وفي مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث

وبذنوب فى باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة * الامر الثانى أن العالم يعرف أن الكبر لايليق إلا بالله عزوجل وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى فلابد وان يكلف نفسه مايحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن أنه لاذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى فى رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بان يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا مما يبعثه على التواضع لا محالة * فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع أكثر * فاعلم أن ذلك انما يمكن بالتفكر فى خطر الخاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه إذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لايدرى ذلك فكم من مسلم نظر إلى عمر رضى الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين إلا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا إلى العاقبة وجميع الفضائل فى الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد أن لايتكبر على أحد بل ان نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر منى وان نظر إلى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم فكيف أكون مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر قال مايدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم ان الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوف عاقبته لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر إذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى هم غيره حتى كأن كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره * فان قلت فكيف أبغض المبتدع فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض * فاعلم ان هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن فى نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان التكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والتكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لايميز بينهما الا الموفقون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها التفاتك الى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك والثانى أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لاتعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه * فان قلت فكيف أغضب مع هذه الاحوال * فأقول تغضب لمولاك وسيدك اذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت فى غضبك لاترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من

خفايا

---

نفس وذلك هو الفضل العظيم * الوجه الثانى لقوله عليه السلام من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه أن وجوه أموره التى يتوجه إليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه ويكون معانا فى مصدره ومورده فيحسن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم فى سلك السداد مسددا أقواله لان الاقوال تستقيم باستقامة القلب

(الباب السادس والاربعون فى ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم)

فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب

خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فإن كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لا محالة من الغلام فإذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع وأما المغرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر ﴿السبب السابع﴾ التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى ـ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ وقال ﷺ (١) فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فإن قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له * فإن قلت فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي * فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله وأما المكشوف حاله فإن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطا في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم

الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا مجيء الليل وصلاة المغرب مقيما في ذلك على أنواع الأذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فإنه إذا واصل بين العشاءين ينغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فإن ذلك كله أثر وخدش في القلوب حتى النظر إليهم يعقب كدرا في القلب

نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشر فقال
العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي
أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك
وتمنى أن يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة و يقول لعل بر
هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه و بين الله فيرحمه الله و يتوب عليه و يختم له باحسن
الاعمال و بري ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فاحبطتها ثم قال فحينئذ
كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه و بالجملة فمن جوّز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الازل بشقوته
فما له سبيل الى أن يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو
الفضيلة كما روى ان عابدا أوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله
فاخبره انه يصوم النهار و يكتسب فيتصدق ببعضه و يطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس
هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذي بوجهك فأتاه
فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس الا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه
الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أي انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم
من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل في أهلنا مشفقين وقد وصف
الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدؤب بالاشفاق فقال
تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به
القضاء في الازل و ينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك
فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار
الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب
لا غير الا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة
عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي أن يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل
وتجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس و بيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة
على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة * الامتحان الاول أن يناظر في مسألة مع واحد من
أقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه
وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه و يشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبأن
يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من
الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء و يقر على نفسه بالعجز و يشكره على الاستفادة و يقول ما أحسن
ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر
من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل
عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة و يثقل عليه في الملأ فليس فيه كبر وانما
فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس و يذكر القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله
لا عند الخلق الى غير ذلك من أدوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه
الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان * الامتحان الثاني أن يجتمع
مع الاقران والامثال في المحافل و يقدمهم على نفسه و يمشي خلفهم و يجلس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك
فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس

يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر الى الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر و بالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الاثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين و يقيد عن قيام الليل سيما اذا كان عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا معين على قيام الليل * حكى لي بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء

فى صف النعال أو يجعل بينه و بين الاقران بعض الارذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغى أن يقدم أقرانه و يجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن * الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير و يمر الى السوق فى حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث فى الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التى تزيل داء الكبر * الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى — الا من أتى الله بقلب سليم و يروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى غلمانك و بنيك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسى هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهى صادقة أم كاذبة وفى الخبر (١) من حمل الفاكهة أو الشئ فقد برئ من الكبر * الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك فى الملأ رياء وفى الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال ﷺ (٢) من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام (٣) انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف وأعقل البعير وألعق أصابعى وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتى فليس منى وروى أن أبا موسى الاشعرى قيل له ان أقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء وما يكون فى الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

﴿ بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع ﴾

اعلم أن هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذى يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفى الأمور ذميم وأحب الامور الى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أى وضع شيأ من قدره الذى يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطى كل ذى حق حقه فينبغى أن يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال واجابة دعوته والسعى فى حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره فاذا سبيله فى اكتساب التواضع أن يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى

الآخرة ومرة فى أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فالوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر فى تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فان التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه الا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتعمل للنوم و يستجلبه ليقوم فى وقته المعهود والا فالنوم عن الغلبة هو الذى يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قيل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق

---

(١) حديث من حمل الشئ والفاكهة فقد برئ من الكبر البيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة وضعفه بلفظ من حمل بضاعته (٢) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بزيادة فيه وفى اسناده القاسم اليعمرى ضعيف جدا (٣) حديث انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته

أحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن أن تذل نفسه الى أن يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل الى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع

﴿الشطر الثانى من الكتاب﴾ فى العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته و بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما و بيان علاج العجب على الجملة و بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

## ﴿بيان ذم العجب وآفاته﴾

اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى ـ و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ـ ذكر ذلك فى معرض الانكار وقال عز وجل ـ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ـ فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى ـ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال ﷺ (١) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لأبى ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال (٢) اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لاتنال الا بالسعى والطلب والجد والتشمر والقانط لايسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لايطلب والمحال لايطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى ـ فلاتزكوا أنفسكم ـ قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن أسلم لاتبروها أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله ﷺ (٣) يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال مازال يعرف فى طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله ﷺ والنأو هو العجب فى اللغة الا أنه لم ينقل فيه انه أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لان أبيت نائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال ﷺ (٤) لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب أكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك مارأيت منى فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ماصار اليه وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى ـ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبى ثعلبة اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث وقى طلحة رسول الله ﷺ بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخارى من رواية قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ (٤) حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبى الصهباء قال البخارى منكر الحديث وقال أحمد حسن الحديث ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث

والمن

بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه واذا أزعجت بصدق العزيمة لاتسترسل فى الاستقرار وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع لان الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران نظر الى تحت لاستيفاء الاقسام البدنية ونظر الى فوق لاستيفاء الاقسام العلوية الروحانية فارباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى

والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

﴿ بيان آفة العجب ﴾

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لانه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له وأما العبادات والأعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان أكثر سعيه ضائعا فان الأعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وان كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

﴿ بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما ﴾

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والاخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيأ فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تدل بعملك وفي الخبر (١) ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب

(١) حديث ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجد له أصلا

---

الاقسام العلوية الرحمانية فاعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب وللآدمي بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الانسان فارباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما حتى قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون

أبي سعيد بسند ضعيف جدا

والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه والله تعالى أعلم

﴿ بيان علاج العجب على الجملة ﴾

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذى به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث انه منه و بسببه و بقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لامدخل له فى الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه واليه و باختياره حصل و بقدرته تم فينبغى أن يتأمل فى قدرته وارادته وأعضائه وسائر الاسباب التى بها يتم عمله انها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى أن يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغى أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغى أن يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا أنه تفطن فى صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة ولما آثرنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هى من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أوهى عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما أعطانى غلاما لانى صاحب فرس فاما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى أن يعجبك جوده وفضله لانفسك وأما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور فى حق الملوك ولا يتصور فى حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان أعجبت بعبادتك وقلت وفقنى للعبادة لحبى له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك و بوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده * فان قلت لا يمكننى أن أجهل أعمالى وانى أنا عملتها فانى أنتظر عليها ثوابا ولولا انها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب وان كانت الأعمال منى و بقدرتى فكيف لا أعجب بها * فاعلم ان جوابك من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من أبصار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو أردت ان تنفى شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجه فى الخلق شيأ بعد شئ هو الذى خيل لك انك أوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل

حكم هؤلاء الذين قاموا الليل بالعلم فهم اوضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرا حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع ﴿ومن ذلك﴾ أن يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب الى من أن أرى وسادة فانها تدعونى إلى النوم ولتغيير العادة فى الوسادة والغطاء والوطاء تأثير فى ذلك ومن ترك شيأ من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته

هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر الى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك باعطاء الخازن المفاتيح أو بما اليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة وانما الشأن كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك بنفسه اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما والى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له مابال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأتي ليلة إلا وانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وانسان من آل داود صائم

يثيبه على ذلك بتيسير ما رام ﴿ ومن ذلك ﴾ خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار (قال) بعضهم لان أنقص من عشائي لقمة أحب إلى من أن أقوم ليلة والأحوط أن يوتر قبل النوم فانه لايدري ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم إلا وهو

وفى رواية ماتمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلى واما يصوم واما يذكرك فأوحى الله تعالى اليه ياداود ومن أين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بى ولولا عونى اياك ماقويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ أضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بنى اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق و يعقوب فقال انى ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتنى صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فانى لم أخبرهم بأى شئ أبتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم وأنا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله ﷺ (١) يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال الهى انك ابتليتنى بهذا البلاء وماورد على أمر الا آثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أنى لك ذلك أى من أين لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ـ وقال النبى ﷺ لاصحابه وهم خير الناس (٢) مامنكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذى بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لايبالى أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لايبالى أن يعود ويسترجع ماوهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال والله تعالى أعلم

## ﴿ بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه ﴾

اعلم أن العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله فمابه العجب ثمانية أقسام * الأول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ماذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى أقذار باطنه وفى أول أمره وفى آخره وفى الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت فى التراب وأنتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع * الثانى البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم من أشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت فى عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال (٣) لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتنى صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم فى الحروب وإلقاء النفس فى التهلكة والمبادرة إلى الضرب

(١) حديث قولهم يوم حنين لانغلب اليوم من قلة البيهقى فى دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلا أن رجلا قال يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله ﷺ فانزل الله عز وجل ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ولابن مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل نفروا فيه الفرج بن فضالة ضعفه الجمهور (٢) حديث مامنكم من أحد ينجيه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخارى من حديث أبى هريرة

على الطهارة (قال) رسول الله ﷺ اذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق والمريد المتأهل اذا نام فى الفراش مع الزوجة ينتقض وضوؤه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل فى التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما اذا استرسل فى الالتذاذ وغفل فتحتجب الروح أيضا لمكان ملاقفته ومن الطهارة التى تثمر صدق الرؤيا

والقتل

والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ماذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وانه اذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه * الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى أهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على مارزق من العقل ويتفكر انه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن أن يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم أنه ما أوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لايدرى فان القاصر العقل قط لايعلم قصور عقله فينبغى أن يعرف مقدار عقله من غيره لامن نفسه ومن أعدائه لامن أصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لايظن بنفسه الاالخير ولايفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا * الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجات آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لابالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى أى لاتفاوت فى أنسابكم لاجتماعكم فى أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لابالنسب فقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله ﷺ (١) من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد ابن أسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبى ﷺ (٢) ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية أى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبى ﷺ (٣) يامعشر قريش لاتأتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يامحمد يامحمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى (٤) وأنذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ اعملا لانفسكما فانى لا أغنى عنكما من الله شيأ فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال ﷺ (٥) بعد قوله لفاطمة وصفية انى لاأغنى عنكما من الله شيأ الا

---

(١) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكثرهم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت آخر الكتاب (٢) حديث ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية الحديث أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ورواه الترمذى أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب (٣) حديث يامعشر قريش لايأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبرانى من حديث عمران بن حصين الا انه قال يامعشر بنى هاشم وسنده ضعيف (٤) حديث لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٥) حديث قوله بعد قوله المتقدم لفاطمة وصفية الا ان لكما رحما سأبلها ببلالها مسلم

---

طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتنزه عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد ورد من أوى الى فراشه لاينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم واذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ فى النوم وانتقشت فيه عجائب الغيب وغرائب الأنباء ففى الصديقين من يكون له فى منامه مكالمة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه فى المنام ويعرفه ويكون موضع ما يفتح له فى نومه من الأمر والنهى كالأمر والنهى الظاهر يعصى الله تعالى

أن لكم رحما سأبلها ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام (١) أترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله ﷺ والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته لان الذنوب منقسمة الى مايوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى مايعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى مايشفع فيه والى مالا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لامحالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله ﷺ أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وماسمعوه من وعد رسول الله ﷺ اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم

* الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وماجرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولأنكر على من نسبه اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير أحب اليه من الانتساب اليهم فحق أولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض

* السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن أكثر أموالا وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ماذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيأ وهو في أحوج أوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية فأي خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك

* السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا

---

(١) حديث أترجوا سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه اصيرم بن حوشب عن اسحاق بن واصل من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها وكلاهما ضعيف جدا

---

ان أخل بهما بل تكون هذه الأوامر آكد وأعظم وقعا لان المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة والتائب من الذنب كمن لاذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى فاذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الارادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلى العبد في بعض الأحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل

أكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله ﷺ (١) رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت أن يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر فى آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله و ينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة فى القيامة والى ان المال غادورائح ولا أصل له والى أن فى اليهود من يزيد عليه فى المال والى قوله عليه الصلاة والسلام (٢) بينما رجل يتبختر فى حلة له قد أعجبته نفسه اذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة أشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال أبو ذر كنت مع رسول الله ﷺ (٣) فدخل المسجد فقال لى يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لى يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ماذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال فى أخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله * الثامن العجب بالرأى الخطأ قال الله تعالى ــ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ــ وقال تعالى ــ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ــ وقد أخبر رسول الله ﷺ (٤) أن ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لان صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه إلا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغى الى العارف و يتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه أبدا لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلى صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به و يتبع سنة السلف و يؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا و يشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة فى أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال * تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده

المتيقظين وهكذا اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج فى تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففى ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه * روى أن رسول الله ﷺ كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه و يستقبل القبلة فى نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كالملحود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبى وبك أرفعه اللهم ان أمسكت

(١) حديث رأى النبى ﷺ رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فانقبض منه الحديث رواه أحمد فى الزهد (٢) حديث بينما رجل فى حلة قد أعجبته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبى ذر كنت مع النبى ﷺ فدخل المسجد فقال لى يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن حبان فى صحيحه (٤) حديث انه يغلب على آخر هذه الامة الاعجاب بالرأى هو حديث أبى ثعلبة المتقدم فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وهو عند أبى داود والترمذى

نفسى فاغفر لها وارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رهبة منك ورغبة اليك لاملجأ ولامنجى منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذى حكم فقهر الحمد لله الذى بطن خبيرا الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير اللهم انى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## ﴿ كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات الى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور * وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور ﴿أما بعد﴾ فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلانعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة ولاوسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولانقمة أعظم من الكفر والمعصية ولاداعى اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فالاكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء والمغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا واذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلابد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل مايكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان أكثر ممايحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصا وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الاموال والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المسجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين مايسعى فيه لنفسه وبين مايسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لاتتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

## ﴿ بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته ﴾

اعلم ان قوله تعالى ـ فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ـ وقوله تعالى ـ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى ـ الآية كاف فى ذم الغرور وقدقال رسول الله ﷺ (١) حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمق واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال ﷺ (٢) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ماورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل اذ

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

(١) حديث حبذا نوم الاكياس وفطرهم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بنحوه وفيه انقطاع وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان

الجهل

الجهل هو ان يعتقد الشئ و يراه على خلاف ماهو به والغرور هو جهل الاان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولاتكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس إلى مايوافق الهوى و يميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير اما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأ كثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطؤن فيه فأ كثر الناس إذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور ﴿المثال الاوّل﴾ غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى إذا خير فلابد من إيثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلانترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو أن يصدق الله تعالى فى قوله ماعندكم ينفد وماعند الله باق وفى قوله عز وجل وماعند الله خير وقوله والاخرة خير وأبقى وقوله وماالحياة الدنيا إلامتاع الغرور وقوله فلاتغرنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله ﷺ (١) بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال (٢) نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور و ينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لايدرى وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس و يورث السكون إليه وان كان صاحبه لايشعر به ولايقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولايقول النقد خير من النسيئة فلاأتركه وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار و يتعبون فى الأسفار نقد الأجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل

نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد ابن أوس (١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله ﷺ وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور فى السنن من ذلك قصة اسلام الانصار و بيعتهم وهى عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به و يقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه الحديث وهى عند أحمد باسناد جيد (٢) حديث قول من قال له نشدتك الله أبعثك رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس فى قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للنبى ﷺ آلله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفى آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبرانى من حديث ابن عباس فى قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وان ندع اللات والعزى قال نعم الحديث

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه و يقرأ خمس آيات من البقرة الاربع من الأول والآية الخامسة ان فى خلق السموات والارض وآية الكرسى وآمن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفث بهن فى يديه و يمسح بهما وجهه وجسده وأن أضاف إلى ماقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن و يقول اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال

ليأخذ مالانهاية له ولاحد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذاقد غلط فى قوله النقد خير من النسيئة فهـذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هى مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك وهـذا القياس أكثر فسادا من الأول لان كلا أصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه على شك والمتفقه فى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبة العلم على الشك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك فى الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة الى مايقال من أمر الآخرة فان كان ماقيل فيه كذبا فما يفوتنى إلا التنعم أيام حياتى وقد كنت فى العدم من الأزل الى الآن لا أتنعم فاحسب انى بقيت فى العدم وان كان ماقيل صدقا فابقى فى النار أبد الآباد وهذا لايطاق ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ماقلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ماقلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وماقال هذا عن شك منه فى الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور * وأما الأصل الثانى من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لايعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلانى فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقى سوادى أو معتوه يكذبهم فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال انهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لاعلم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر فى علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع فى الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة فى البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول الصبى وقول السوادى لايزيل طمأنينة القلب الى مااتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبى الذى استرقته الشهوات لايشكك فى صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجلة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لامحالة والغرور يزول به * وأما المدرك الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحى للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبى عليه السلام لأمر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فقط وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لاعن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم

اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى اللهم لاتؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين (ورد) أن من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى اليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك فى

الخلق ولله الخلق والامر فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان
وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار
أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد
عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه
اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم ﷺ
وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه أمر
رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي الا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته
فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له - ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم
أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها
اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع
ألفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار
الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا
وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء * ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود
أن غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون
بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم
مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لان أصل الايمان يعصمهم
عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير
من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال تعالى - واني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - ان رحمة الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي ﷺ (١) الاحسان أن
تعبد الله كأنك تراه وقال تعالى - والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر - فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده
فهؤلاء أيضا مغرورون أعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة
فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا * ولنذكر
للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم
انه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين
المتحاورين اذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا - وجملة أمرهما كما نقل
في التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امرأة على
ألف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى
واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور
العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وان كان
فليكونن لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لأوتين مالا وولدا فقال
الله تعالى ردا عليه - أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا - وروى عن خباب بن الارت أنه قال (٢) كان لي
على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لي فقلت اني آخذه في الآخرة فقال لي اذا صرت الى الآخرة فان لي

---

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث خباب
ابن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه الحديث في نزول قوله تعالى أفرأيت الذي كفر

---

الهواء وكتب لهم ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتمم المائة بلا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

﴿الباب السابع والاربعون في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل﴾

اذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بهما قبل الخروج الى

هنالك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله ـ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ـ وقال الله تعالى ـ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ـ وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من أقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة و ينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ـ و يقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ـ فقال تعالى جوابا لقولهم ـ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ـ ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم و يستحقرونهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا و يقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه فى قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وانما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما أحسن الى والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما و يحب الآخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب و يلزمه المكتب و يحبسه فيه ليعلمه الأدب و يمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره و يسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب و يأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله (١) فان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر وكان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا أقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه ـ اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ـ فأجاب الله عن ذلك كلا أى ليس كما قال انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين أن ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة أو بالتقليد أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله و يدرك ذلك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى و يصدق رسوله وقد قال تعالى ـ أيحسبون أن ما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ـ وقال تعالى ـ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ـ وقال تعالى ـ فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ـ وفى تفسير قوله تعالى ـ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ـ أنهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى ـ انما نملى لهم ليزدادوا اثما ـ وقال تعالى ـ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ـ الى غير ذلك مما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله و بصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره

الجماعة كيلا يظن الناس أنهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم أنهما سنة واذ اصلى المغرب يصلى ركعتى السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبا فى صحيفتى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

بآياتنا الآية البخارى ومسلم (١) حديث ان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة ابن النعمان

ولا

ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة و ينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض وما جرى لهم كيف أحسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ـ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ـ وقال تعالى ـ انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فهل الكافرين أمهلهم رويدا ـ فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل باهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذا من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند ذلك المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور ﴿ المثال الثاني ﴾ غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من أحب انسانا أحب أولاده وان الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين فقال رب ان ابني من أهلي فقال تعالى يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وأن ابراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه وأن نبينا ﷺ [1] وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه و يستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع و يبغض العاصي فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب الى الولد لأوشك ان يسري البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه و يروى بشرب أبيه و يصير عالما بتعلم أبيه و يصل الى الكعبة و يراها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيأ وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب * فان قلت فأين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا الا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب * فاعلم أن الشيطان لا يغوي الانسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي ﷺ كشف عن ذلك فقال [2] الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ـ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ـ يعني ان الرجاء بهم أليق وهذا لانه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى ـ جزاء بما كانوا يعملون ـ وقال تعالى ـ وانما توفون أجوركم يوم القيامة ـ أفترى أن من استؤجر على اصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط

(١) حديث انه ﷺ استأذن أن يزور قبر أمه و يستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا

محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي اليها اللهم احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لي بها أماني وتجاوز عني يا أرحم الراحمين فان واصل بين العشاءين في مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف

كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن المستأجر كريم أفتراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وأنزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم الى أن يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون أي علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وكلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير أي ألم نسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير * فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود * فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله يغفر الذنوب جميعا وان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى ـ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم ـ أمرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الامام للصلاة لاجله الى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور الثاني أن تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ـ الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ـ فالرجاء الأول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار أبد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف

ومواصلة العشاءين وان رأى انصرافه الى منزله وأن المواصلة بين العشاءين في بيته أسلم لدينه وأقرب الى الاخلاص وأجمع للهم فليفعل * وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة

اغـتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العـمل فـالا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافـة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهـم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعى للآخرة فذلك غرور فقد أخبر ﷺ (١) وذكر ان الغرور سيغلب على قلوب آخر هـذه الامة وقد كان ماوعـد به ﷺ فقـد كان الناس فى الاعصار الاول يواظبون على العبادات و يؤتون ما آتوا قلوبهـم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات و يبكون على أنفسهم فى الخـلوات وأما الآن فترى الخلق آمنـين مسرورين مطمئنين غـير خائفين مع اكبابهم على المعاصى وانهما كهم فى الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهـم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من فضـله وكرمه مالم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هـذا الامر يدرك بالمنى و ينال بالهوينى فعـلام ذا كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هـذه الامور فى كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله ﷺ (٢) فيما رواه معقل ابن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيـه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لاخوف معه ان أحسن أحـدهم قال يتقبـل منى وان أساء قال يغفر لى فاخـبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخو يفات القرآن ومافيه و بمثله أخـبر عن النصارى إذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الـكتاب يأخذون عرض هـذا الادنى و يقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الـكتاب أى هم علماء و يأخـذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقـد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيـد والقرآن من أوله الى آخره تحـذير وتخو يف لايتفـكر فيه متفـكر الا و يطول حزنه و يعظم خوفه ان كان مؤمنا بمـا فيه وترى الناس يهذونه هـذا يخرجون الحروف من مخارجها و يتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهـم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لايهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم غرور يزيد على هـذا فهذه أمثلة الغرور بالله و بيان الفرق بين الرجاء والغرور و يقرب منـه غرور طوائف لهـم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة و يظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن مافى كفة السيئات أكثر وهـذا غاية الجهل فترى الواحـد يتصدق بدراهم معدودة من الحـلال والحرام و يكون مايتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعـل ماتصدق به من أموال المسلمين وهو يتـكل عليه و يظن ان أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحـلال وماهو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة مـيزان وفى الـكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الـكفة الثقيلة بالـكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته أكثر من معاصيه لانه لايحاسب نفسـه ولا يتفقد معاصيه واذا عمـل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين و يمزق أعراضهم و يتـكلم بمـا لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد و يكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لـكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الـكرام الـكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهـذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ماورد من عقوبة المغتابين والـكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الـكلام مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الـكرام الـكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هـذيانه الذى زاد على تسبيحه لـكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته ومانطق به فى

(١) حديث ان الغرور يغلب على آخر هذه الامة تقدم فى آخر ذم الـكبر والعجب وهو حديث أبى ثعلبة فى اعجاب كل ذى رأى برأيه (٢) حديث معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل

البروج والطارق ثم ركعتين بعـد ركعتين يقرأ فى الاولى عشر آيات من أول سـورة البقرة والآيتين والهـكم اله واحد الى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفى الثانية آية الـكرسى وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قـل هو الله أحد و يقرأ فى الركعتين الأخيرتين من سـورة الزمر والواقعة و يصلى بعـد ذلك ماشاء فان أراد أن يقرأ شيأ من حزبه فى هـذا الوقت فى الصلاة أو غيرها وان شاء صـلى

فقراته كان يعده و يحسبه و يوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه و يحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذه الامصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فماهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى و يتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

﴿ بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف ﴾

﴿ الصنف الاول ﴾ أهل العلم والمغترون منهم فرق ﴿ ففرقة ﴾ أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله و بصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الادواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى فى طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها و يعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغنى عنه من مرضه شيأ هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيأ الا أن يزن الذهب و يشترى الدواء و يخلطه كما تعلم و يشربه و يصبر على مرارته و يكون شربه فى وقته و بعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه أصلا فمها ظن أن ذلك يكفيه و يشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى ـ قد أفلح من زكاها ـ ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب و يتلو عليه الاخبار الواردة فى فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه وأهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرنى فضائل العلم وتنسينى ماورد فى العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأى خزى أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ [1] من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال أيضا [2] يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار فى الرحى وكقوله عليه الصلاة والسلام [3] شر الناس العلماء السوء وقول أبى الدرداء و يل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وو يل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات أى ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ [4] أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وأمثاله مما أوردناه فى كتاب العلم فى باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى الا أن هذا فيما لا يوافق

عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن وفى هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقرآن حزبه أو مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل أن يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير أو آية أخرى فى معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففى ذلك جمع للهم وظفر بالفضل ثم يصلى قبل العشاء أربعا و بعدها

(١) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى الحديث تقدم فى العلم (٢) حديث يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم فى العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة

هوى العالم الفاجر وماورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى مايهواه وذلك عين الغرور فانه إن نظر بالبصيرة فمثاله ماذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله و بصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل و يضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه. ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف مايحبه ويكرهه ومايغضب عليه ومايرضى به أو عرف ذلك الا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع مايغضب به وعليه وعاطل عن جميع مايحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع مايحبه متوسلا إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه و بلده وصورته وشكله وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ماعرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة مايكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره فى التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامى دون المعانى إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الاسد عاقل ثم لايتقيه ولايخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لايخافه وكأنه ماعرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولايبالى و يعلم انه مسخر فى قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولااعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة الفقيه لايدارى ولايمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين ﴿وفرقة أخرى﴾ أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهوة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولايلتفت إلى قوله ﷺ [1] أدنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام [2] لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام [3] الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام [4] حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التى أوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله ﷺ [5] إن الله لاينظر الى صوركم ولاالى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الاعمال وماتعهدوا القلوب والقلب هو الاصل إذ لاينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص و باطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين و باطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره و باطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولايخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤسه وأطرافه فلاتزال تقوى أصوله فتنبت لان مغارس

---

عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه (١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم فى ذم الجاه والرياء (٢) حديث لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم فى العلم وغيره (٤) حديث حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب الحديث تقدم (٥) حديث ان الله لاينظر إلى صوركم الحديث تقدم

---

ركعتين ثم ينصرف الى منزله أو موضع خلوته فيصلى أربعا أخرى وقد كان رسول الله ﷺ يصلى فى بيته أول مايدخل قبل أن يجلس أربعا ويقرأ فى هذه الاربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وان أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسى وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلى بعد الاربع احدى عشرة ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من

المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة الامع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ايزيل ماعلى ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء و بقي يتناول مايزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن ﴿وفرقة أخرى﴾ علموا أن هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا أنهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاماهم فاعظم عند الله من أن يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ماهذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام أنف المخالفين من المبتدعين واني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور أن عدوّه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله و يسخر به و ينسى ان النبي ﷺ بماذا نصر الدين و بماذا أرغم الكافرين ونسي ماروى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أوفيمن رد عليه شيأ من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من أهل العلم أومنع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا و يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو أخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أووعظ أوغيره وكذلك يدخل على السلطان و يتودد اليه و يثني عليه و يتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى أن يأخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الامر وقوع الخلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة و يرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا

القرآن من والسماء والطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وان قرأ من سورة الملك الى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قبل هو الله أحد الى عشر مرات الى أكثر ولا يؤخر الوتر الى آخر التهجد الا أن يكون واثقا من نفسه في عادتها

والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقة أخرى) أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا انه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبتت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن انه قد اقتلعها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه

بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر الى آخر التهجد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) اذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ماشاء ويوتر في آخر ذلك واذا كان الوتر من أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما باذا زلزلت وألهاكم وقيل فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لاغير ذلك وكثيرا ما رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيتهما وان قرأ في كل ليلة

إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذى يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعله يجتهد فى تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعساه غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف فى الحكمة فأوحى الله إلى نبى زمانه قل له قد ملأت الأرض نفاقا وانى لا أقبل من نفاقك شيأ ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه أكثر تبعا أو غيره فيفرح ان كان أتباعه أكثر وان علم أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد فى نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا ينشمر لقضاء حوائجه كما كان ينشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أنفع له فى دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه فى هذه الفئة وسلامته عنها فى تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادى الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن فى دينه وفى ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسى ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وان أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه فى ذلك فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له إلا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الأقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكى لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا فى العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه * فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشى الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألنى عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافى فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شئ من ذلك قط فى عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان فى المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدرى ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه فى جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن

المسبحات وأضاف اليها سورة الاعلى فتصير ستا فقد كان العلماء يقرؤن هذه السور ويترقبون بركتها فاذا استيقظ من النوم فمن أحسن الادب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله ويصرف فكره الى أمر الله قبل أن يجول الفكر فى شئ سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشئ اذا نام ينام على محبة الشئ واذا انتبه يطالب ذلك الشئ الذى كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام الى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر

أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ورب ماطعن في المحدثين وقال إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ـ والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولاشك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شئ ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الأقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما أدلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما أبدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم * وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم * أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما أتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة * وأما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه أهم الامور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الأول فان النبي ﷺ شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات

ان كان همه الله فهمه هو والا فهمه غير الله والعبد اذا انتبه من النوم فباطنه عائد الى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فارا الى ربه بباطنه خوفا من ذكر الاغيار ومهما وفى الباطن بهذا المعيار فقد انتقى طريق الانوار وطرق النفحات الالهية فجدير أن تنصب اليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موئلا ومآبا ويقول باللسان الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ويقرأ العشر الأواخر من سورة آل

والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة مايدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة إذ روى أبو امامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال (١) ماضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل (٢) وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون و يختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ألهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله ﷺ وقد بعث الى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لالزام والحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب و يستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الارض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا فى المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فمالنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا فى يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ فى تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا فى بدعته فاشتغالى بمخاصمة نفسى ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لوكنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو الى السنة بترك السنة فالاولى أن أتفقد نفسى وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم فى أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لانهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب و يظنون أنهم ما تبحروا فى علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل فى طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى و يرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين و يرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين و يرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب و يرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص فى الوصف و يصف الرياء و يذكره وهو يرائى بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء و يصف الزهد فى الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار و يخوف بالله تعالى وهو منه آمن و يذكر بالله تعالى وهو له ناس و يقرب الى الله وهو منه متباعد و يحث على الاخلاص وهو غير مخلص و يذم الصفات المذمومة وهو بها متصف و يصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذى يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت و يزعم أن غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل تقدم فى العلم وفى آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون و يختصمون فغضب حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان الحديث تقدم

فهؤلاء

عمران ثم يقصد الماء الطهور وقال الله تعالى و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الماء القرآن والاودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير أجدر فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن و يذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير أن يكون من رجز الشيطان

فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لان المرغب فى الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما المخوف مايتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله فما الذى تركه من محاب نفسه لاجله ويدعى الخوف فما الذى امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذى تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالاكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم فى الآخرة يفتضحون بل يطرحون فى النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون فى قلوبهم شيأ ضعيفا من أصول هذه المعانى وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعانى فظنوا انهم ماقدروا على وصف ذلك ومارزقهم الله علمه ومانفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحب والخوف بل فى القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف فى قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لايقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لايفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقه فى الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله رحمة الله عليهم ﴿ وفرقة أخرى ﴾ منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الندور فى بعض أطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم بالاسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا ﴿ وفرقة أخرى ﴾ منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم فى ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم فى المحاريب وبعضهم فى الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام أهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم ﴿ وفرقة أخرى ﴾ استغرقوا أوقاتهم فى علم الحديث أعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة

لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض فكانت القبضة جلدة الارض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى انى خالق بشرا من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة عبارة عن باطنه وآدميته والآدمية مجمع الاخلاق الجيدة وكان التراب موطئ أقدام ابليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة فى طينة الآدمى * ومنها الصفات المذمومة والاخلاق الرديئة * ومنها الغفلة والسهو فان استعمل الماء

العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد و يرى الشيوخ ليقول أنا أروي عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعي من الاسناد ماليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل و يظنون أن ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب و يشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب المعالي منها ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث إذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله ﷺ فيحفظه كما سمعه و يرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله ﷺ سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله ﷺ وهو أن تصغي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان * أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال * والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره و يكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيأ يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ـ ولا تقف ما ليس لك به علم ـ وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح وأقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ثم اذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله ﷺ (١) نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع

وقرأ القرآن أني بالمطهرين جيعا و يذهب عنه رجز الشيطان وأثروا أنه و يحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بازاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند

(١) حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد بن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود قال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس

فهذا أخس أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا أن للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك فى حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضا أحاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط الا أن يقرع سمعه دمدمة وان كان لايدرى مايجرى وصحة السماع لاتعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرنا مقطوع به فى قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل وفى افناء أعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الاخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام (١) من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور ﴿وفرقة أخرى﴾ اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلابد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الاحاديث والكتاب ومن النحو مايتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لاتتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معانى الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعانى وانما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج الى أن يشرب السكنجبين ليزول مابه من الصفراء وضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والادب والقرا آت والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى مافوقه ومافوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى مافوقه ومافوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ماوراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب أو فى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات ومايعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة فى أنها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثانى محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن

الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان فى هذه المواطن ولو ان المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس فى مباح من كلام أو مساكنة الى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء لثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لايزال بخفة حركته يجلو البصر ومايعقلها الا العالمون فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض

(١) حديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسلا وقد تقدم

اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به ﴿وفرقة أخرى﴾ عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه و بين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساؤا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الاالاكياس منهم فنشير الى أمثلة * فمن ذلك فتواهم بان المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه و بين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لاعلى طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالابراء لاعن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لايطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك لايحل أن يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لايعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه فلافرق بين هذا و بين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولافرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لايمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ماجاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فاجابه لبيك يانبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال اني أسأت إليك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يانبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له مافعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يانبي الله فقال اني أذنبت اليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال ألا تسألني ماذلك الذنب قال ماهو يانبي الله قال كذا وكذا وذكر شان المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا ألا تجيبني قال يانبي الله ماهكذا يفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في الآخرة فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لاتفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لاتكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به ان مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته الى المبيع لاعلى هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم (١) ثلاث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة

ولأنتباه من النوم لكان أزيد في تنوير قلبه ولكان الاجدر أن العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله ويجدد غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال الله تعالى منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة قدم الانابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة أن رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الامة وللخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالاولى وتلجئهم

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة

والفقهاء

والفقهاء المغرورون لايميزون بين الامانى والفضول والشهوات و بين الحاجات بل كل مالاتتم رعونتهم الابه يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها فى العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ماتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعداذلك فهو فضوله وشهوته ولوذهبنا نصف غرور الفقهاء فى أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول ﴿الصنف الثانى﴾ أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الاالاكياس وقليل ماهم ﴿فمنهم فرقة﴾ أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولايرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع و يقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولوانقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة اذتوضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه (1) وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة و يخرجها عن وقتها وان لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لمافاته من فضيلة أوّل الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الاأن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ولايقدر على صد العباد الابما يخيل اليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك ﴿وفرقة أخرى﴾ غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلايدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة و يخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى أوّل الصلاة ثم يغفلون فى جميع الصلاة فلايحضرون قلوبهم و يغترون بذلك و يظنون أنهم اذا أتعبوا أنفسهم فى تصحيح النية فى أوّل الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم ﴿وفرقة أخرى﴾ تغلب عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلايزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته لايهمه غيره ولايتفكر فيماسواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الابما جرت به عادتهم فى الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فاخذ يؤدى الرسالة و يتأنق فى مخارج الحروف و يكررها و يعيدها مرة بعد أخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بان تقام عليه السياسة و يرد الى دار المجانين و يحكم عليه بفقد العقل ﴿وفرقة أخرى﴾ اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجرى به وقلبه يتردد فى أودية الامانى اذلايتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره و يتعظ بمواعظه و يقف عند أوامره ونواهيه و يعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ماأمره به مولاه الاأنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له

(1) حديث النهى عن الاسراف فى الوضوء الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث أبى بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث وتقدم فى عجائب القلب

الى سلوك طريق الاعلى فاذاقام الى الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا و يقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات و يقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد عليه السلام حق اللهم لك أسلمت و بك آمنت وعليك

صوت طيب فهو يقرؤه و يلتذبه و يغتر باستلذاذه و يظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذة في صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذبه ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذلم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته ﴿وفرقة أخرى﴾ اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أوصاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء و بطونهم عن الحرام عند الافطار وألسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض و يطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور ﴿وفرقة أخرى﴾ اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام و يضيعون في الطريق الصلاة والفرائض و يعجزون عن طهارة الثوب والبدن و يتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه فهو مغرور ﴿وفرقة أخرى﴾ أخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس و يأمرهم بالخير و ينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن و يظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد و يظن أنه على خير وانما غرضه أن يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان أورع وأعلم منه ثقل عليه ﴿وفرقة أخرى﴾ جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم و باطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفه ان فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى و يقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور و يمد عين طمعه الى أوساخ أموال الناس واذا جمع من ذلك شيأ شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال انه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور ومامن عمل من الأعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ماسبق في الكتب ﴿وفرقة أخرى﴾ زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الامرين و باء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لابد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة و يؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء و يخشن معهم الكلام و ينظر اليهم بعين الاستحقار و يرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم و يعجب بعمله و يتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال تأخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا و يرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين

توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لااله الا أنت اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لايهدي لاحسنها الاأنت واصرف عني سيئها لايصرف عني سيئها الاأنت أسألك مسئلة البائس المسكين وأدعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخير المسؤلين ويا أكرم المعطين ثم يصلي ركعتين تحية الطهارة يقرأ في الاولى بعد الفاتحة ولو أنهم اذظلموا أنفسهم الآية وفي الثانية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما و يستغفر

له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفى العباد من يشدد على نفسه فى أعمال الجوارح حتى ربما يصلى فى اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو فى جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدرى أن ذلك مهلك وان علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ بأحوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الاكياس أفضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلوا هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الارض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدرى أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه ﴿وفرقة أخرى﴾ حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى اول الوقت وينسى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه (١) ماتقرب المتقربون الى بمثل أداء ماافترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ماقام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على مادونه وتقديم مايفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله ﷺ (٢) فقيل له من أبر يارسول الله قال أمك ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغى أن يبدأ فى الصلة بالأقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالأتقى والأورع وكذلك من لا يفى ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغى أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة فى نفسه وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب فى جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور فى غاية الغموض لان المغرور فيه فى طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هى أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه فى حق من بقى عليه شغل من الطاعات والمعاصى الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة مايحتاج اليه غيره فى حوائجه فمعرفة مايحتاج هو اليه فى قلبه أولى به الا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بهم دينه ﴿الصنف الثالث﴾ المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ﴿ففرقة منهم﴾ وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وفى ألفاظهم وفى آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفى أحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله فى الجيب كالمتفكر وفى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث الى غير ذلك من الشمائل

(١) حديث ماتقرب المتقربون الى بمثل أداء ماافترضت عليهم البخارى من حديث أبى هريرة بلفظ ماتقرب الى عبدى (٢) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذى والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم فى آداب الصحبة

بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين ان أراد يقرأ فيهما بآية الكرسى وآمن الرسول وان أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله ﷺ انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الاولين وهكذا يتدرج الى أن يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فان فى ذلك فضلا كثيرا والله أعلم ﴿الباب الثامن والاربعون فى تقسيم قيام الليل﴾ قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل فى تفسير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل فى تفسير

والهيئات فهما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيأ منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين و يتنافسون في الرغيف والفلس والحبة و يتحاسدون على النقير والقطمير و يمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شئ من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت أسماؤهم في الديوان و يقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها الى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال أبياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر أنفذت الى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع و ينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذى لا ينظر الى الزى والمرقع بل الى سر القلب ﴿وفرقة أخرى﴾ زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابريسم وظن أحدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة و يطلبون رغد العيش و يأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة و يظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم ﴿وفرقة أخرى﴾ ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ لانه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها و يظن أن ذلك أعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته و يلازمهم أياما معدودة و يتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي و يخبر عن سر الاسرار و يستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون و يقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون و يدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه ﴿وفرقة أخرى﴾ وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي و بعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا

بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو ﴿وفي الخبر﴾ عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد ﴿وقد كان﴾ جميع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد بن المسيب وفضيل ابن عياض ووهيب ابن الورد وأبو سليمان الداراني وعلى بن بكار وحبيب العجمي وكهمس بن المنهال وأبو حازم ومحمد ابن المنكدر وأبو حنيفة رحمه الله وغيرهم عدهم وسماهم بانسابهم الشيخ أبو طالب

قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل انما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لاوزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء أصنافهم يطول ﴿ وفرقة أخرى ﴾ جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكرهه الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها ﴿ وفرقة أخرى ﴾ ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدرى المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن أن بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور ﴿ وفرقة أخرى ﴾ ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة ﴿ وفرقة أخرى ﴾ اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه ﴿ وفرقة أخرى ﴾ جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت

---

المكى فى كتابه قوت قلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه وأقل الاستحباب سدس الليل فاما أن ينام ثلث الليل الاول ويقوم نصفه وينام سدسه الآخر أو ينام النصف الاول ويقوم ثلثه أو ينام السدس * روى ان داود عليه السلام قال يارب انى أحب أن أتعبد لك فأى ياوقت أقوم فأوحى الله تعالى اليه ياداود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره نام أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع الى حوائجك ويكون القيام بين نومتين والا فيغالب النفس من أول الليل ويتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل

قالو بهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها و يتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك ﴿وفرقة أخرى﴾ جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا و يظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر و يعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون أن الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به أنه نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى إلا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس و بينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور و يتخيل اليه في أول ما كان يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى اليه و يقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا أحب الآفلين إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول وأول الحجب بين الله و بين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى أعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم و يحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد يده اليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف و يصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل ﴿الصنف الرابع﴾ أرباب الاموال والمغترون منهم فرق (ففرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة و يكتبون أساميهم بالآجر عليها

ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول * وقد ورد لا تكابدوا الليل * وقيل لرسول الله ﷺ ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فلينم ﴿وقال عليه السلام﴾ لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغي له أن يطلع الفجر وهو نائم الا أن يكون قد سبق له في الليل قيام طويل فيعذر في ذلك على انه اذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق في الليل

ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين * أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لابقاء الخير * والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك (وفرقة أخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين * احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس * والثاني أنه يصرف الى [1] زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا أهلكه بذنوب أهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيأ وان أحب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ [2] اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله ﷺ [3] لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث أنه رأى المنكر واتكل عليه (وفرقة أخرى) ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر

(1) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (2) حديث اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء (3) حديث الحسن مرسلا لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه لم أجده

يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم الى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما يصلي بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله ﷺ فانه يجد بذلك ترويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي أول نومة فان انتبهت ثم عدت الى نومة أخرى فلا أنام الله عيني (وحكى) لي بعض الفقراء عن شيخ له انه كان يأمر الاصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة (وقد جاء) في الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين (وقيل) في تفسير قوله تعالى تؤتي الملك

ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشئ فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأي شئ تبتغي بحجك تزهدا أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضات الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل الا عمل المتقين ﴿وفرقة أخرى﴾ من أرباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء ﴿وفرقة أخرى﴾ غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا بأداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الاموال أيضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور ﴿وفرقة أخرى﴾ من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجالس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيأ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيأ فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا * فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات * فأقول الانسان إذا فترت همته في شئ أظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى أن الانسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها



من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب الاحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وقوف في مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذي له ذلك ينبغي أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل من حال رسول الله ﷺ وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه وقد يقول

واذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا أراد أن يأخذ الحيات والافاعي و يعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها واذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه الاشغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها * فان قلت قد قربت الامر فيه مع انك أكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور * فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لابد منها * أما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لابد منه في أصل الفطرة فهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله ﷺ (١) تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وماقسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء أنه قيل يارسول الله (٢) أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ انما يجزى على قدر عقله وقال أنس أثني على رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا خيرا فقال رسول الله ﷺ (٣) كيف عقله قالوا يارسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله ﷺ (٤) اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال أرجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدرك لها الثاني المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا مالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة وكمال

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من رواية طاوس مرسلا وفي أوله قصة واسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث ابي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه انما يجزى على قدر عقله الخطيب في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء (٣) حديث أنس أثني على رجل عند النبي ﷺ فقال كيف عقله الحديث داود بن المحبر في كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم في العلم (٤) حديث أبي الدرداء كان اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه

بعض من يحاج في ذلك ان رسول الله ﷺ فعل ذلك تشريعا فنقول مابالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم ان رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الايواء الى جناب القرب واستواء النوم واليقظة استيلاء وابتلاء حالي وهو تقيد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد والاقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الاعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانا رأينا من الاصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور ( قيل ) للحسن ياأباسعيد انى ابيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم قال

المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب فى هذا الكتاب إلا فى علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه فى الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته فى الامور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب اليه من الآخرة وهوى نفسه أحب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فى طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى لابد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الانواع التى أشرنا اليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التى ذكرناها * فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذى يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق إلا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى فى أمرهم سكارى فى دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفى أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة فأقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة

والرحمة

ذنوبك قيدتك فليحذر العبد فى نهاره ذنوبا تقيده فى ليله * وقال النووى رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته فقيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت فى نفسى هذا مراء (وقال بعضهم) دخلت على كرز ابن وبرة وهو يبكى فقلت ما بالك أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت وما ذاك قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته (وقال بعضهم) الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لان المراعى المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الاعلى جاهل بحاله أو مهمل حكم

والرحمة من غير طمع فصار أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بابدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم نخدموه وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل مايحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ماوجده من الغضب بادر الشيطان نخيل إليه أن ذلك غضب لله لانه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد فى الأعمال والاوراد لاجل ذلك والشيطان يخيل إليه إنك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا فى بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لامحالة إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغى أنه يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك فى نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء * فان قلت فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس * فاقول اذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم أما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التى لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضىء لغيره ويحترق فى نفسه * فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب * فاقول قد قال رسول الله ﷺ (١) حب الدنيا رأس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه ﷺ علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر مافى حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم فى كتاب ذم الدنيا

﴿ تم الجزء الثالث من تخريج أحاديث الاحياء للحافظ العراقى ويليه الجزء الرابع وأوله كتاب التوبة ﴾

وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام ووضع الرأس على الوسادة اذا كان ذا عزيمة فى ترك الوسادة وقد يتمهد للنوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة الى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بانواع الرفق من الفراش الوطىء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله اذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم

ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لاتزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولايدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كالايدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فانما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ فاما ان تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فان قلت * فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح اونصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذى يخاف عليه وما الذى بقى بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار * فاعلم أنه بقى عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتنى وأفلت منى بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عندالله قدرك ومحلك اذ قواك على قهرى ومكنك من التفطن لجميع مداخل غرورى فيصغى اليه ويصدقه ويعجب بنفسه فى فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت أنك بعلمك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لامحيص عنه وخوف لانجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لايفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الأمور بخواتيمها تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه فى أول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ تم طبع الجزء الثالث من احياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع * وأوله كتاب التوبة ﴾

من نام يسبق القائم لوفر علمه وحسن نيته (وفى الخبر) اذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وان توضأ انحلت عقدة أخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلان خبيث النفس (وفى خبر آخر) ان من نام حتى يصبح بال الشيطان فى أذنه والذى يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بامور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولايهمل فيهمل

# فهرست

# الجزء الثالث

﴿ وهو الربع الثالث من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى ﴾

صحيفة



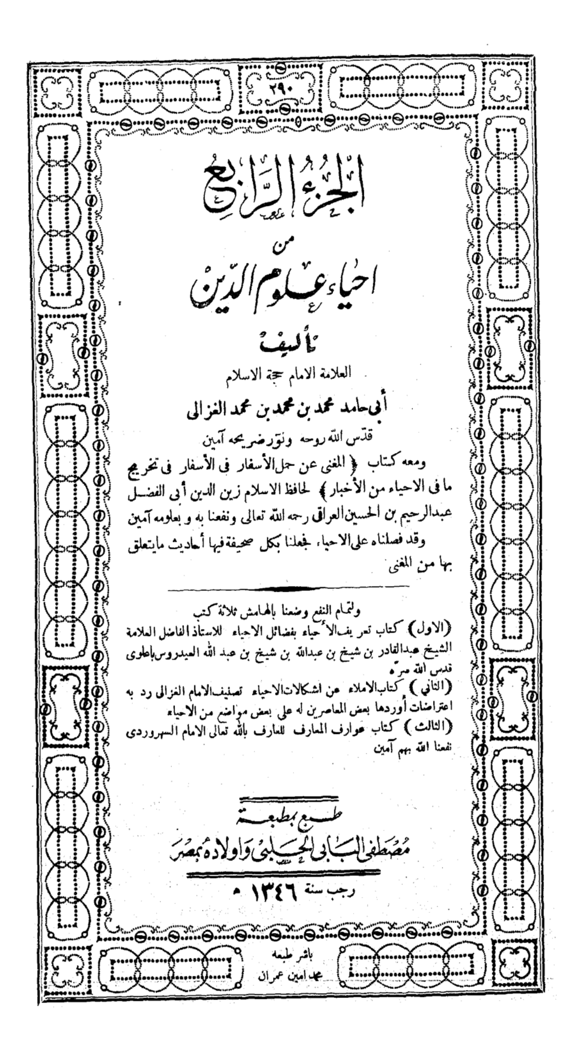
صحيفة

صحيفة



صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾





# الجزء الرابع

من

# احياء علوم الدين

تأليف

العلامة الامام حجة الاسلام

أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى

قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

ومعه كتاب ﴿ المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار ﴾ لحافظ الاسلام زين الدين أبى الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقى رحمه الله تعالى ونفعنا به و بعلومه آمين

وقد فصلناه على الاحياء فجعلنا بكل صحيفة فيها أحاديث ما يتعلق بها من المغنى

ولتمام النفع وضعنا بالهامش ثلاثة كتب

(الاول) كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للاستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى قدس الله سره

(الثاني) كتاب الاملاء عن اشكالات الاحياء تصنيف الامام الغزالى رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحياء

(الثالث) كتاب عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردى نفعنا الله بهم آمين

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر

رجب سنة ١٣٤٦ هـ

ناشر طبعه

محمد امين عمران




{ كتاب التوبة وهو الأول من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين }

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب * وبذكره يصدر كل خطاب * وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الثواب * وباسمه يتسلى الأشقياء وان أرخى دونهم الحجاب * وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الأرباب ومسبب الأسباب ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب * ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب * انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب * وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب { أما بعد } فان التوبة عن الذنوب * بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب * مبدأ طريق السالكين * ورأس مال الفائزين * وأول اقدام المريدين * ومفتاح استقامة المائلين * ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين * وما أجدر بالأولاد * الاقتداء بالآباء والأجداد فلا غرو أن أذنب الآدمي واجترم * فهي شنشنة يعرفها من أخزم * ومن أشبه أباه فما ظلم * ولكن الأب اذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم * فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم * ولقد قرع آدم سن الندم * وتندم على ما سبق منه وتقدم * فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم * بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين * والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين * والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين * فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان * والمتجرد للشر شيطان * والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان * فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان * واصطحب فيه سجيتان * وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك أو الى آدم أو الى الشيطان * فالتائب قد أقام البرهان * على صحة نسبه الى آدم بملازمة حد الانسان * والمصر على الطغيان * مسجل على نفسه بنسب الشيطان * فاما تصحيح النسب الى الملائكة



بالتجرد

{ الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب فيه والعمل }

قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار أجمع المفسرون على أن أحد الطرفين أراد به الفجر وأمر بصلاة الفجر واختلفوا في الطرف الآخر قال قوم أراد به المغرب وقال آخرون صلاة العشاء وقال قوم صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل صلاة العشاء ثم ان الله تعالى أخبر عن عظيم بركة الصلاة وشرف فائدتها وثمرتها وقال ان الحسنات يذهبن السيئات أي الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات (وروى) ان أبا اليسر كعب

بالتجرد لمحض الخير خارج عن حيز الامكان * فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين * نار الندم أو نار جهنم فالاحتراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان واليك الآن اختيار أهون النارين * والمبادرة الى أخف الشرين * قبل أن يطوى بساط الاختيار * ويساق الى دار الاضطرار * اما الى الجنة واما الى النار * واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان (الركن الأول) في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها اذا صحت كانت مقبولة (الركن الثاني) فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر (الركن الثالث) في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة (الركن الرابع) في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين * ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة ان شاء الله عز وجل (الركن الأول) في نفس التوبة

## ﴿بيان حقيقة التوبة وحدها﴾

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم الأول والحال الثاني والفعل الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت ﴿أما العلم﴾ فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات وأعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام (١) الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل ابن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت وأكل

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح اسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

ابن عمرو الانصاري كان يبيع التمر فأتت امرأة تبتاع تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فهل لك فيه رغبة قالت نعم فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم أتى النبي عليه السلام وقال يارسول الله ما تقول في رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق شئ مما يفعل الرجال بالنساء الا ركبه غير انه لم يجامعها قال عمر ابن الخطاب لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله ﷺ عليه شيأ وقال أنتظر أمر ربي وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة

الحلال وكأنه أشار الى المعنى الثالث من التوبة والأقاويل فى حدود التوبة لاتنحصر واذا فهمت هذه المعانى الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ماقيل فى حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة

﴿ بيان وجوب التوبة وفضلها ﴾

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالاخبار (١) والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة فالسالك اما أعمى لايستغنى عن القائد فى خطوه واما بصير يهدى الى أوّل الطريق ثم يهتدى بنفسه وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لايقدر على مجاوزة التقليد فى خطوه فيفتقر الى أن يسمع فى كل قدم نصا من كتاب الله اوسنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسيرهذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزئ بأدنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وهذا لايحتاج الى نص منقول فى كل واقعة فمن هذا حاله اذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أوّلا بنور البصيرة الى التوبة ماهى ثم الى الوجوب مامعناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ماهو واجب فى الوصول الى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشئ وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان مالاغرض لنا آجلا وعاجلا فى فعله وتركه فلامعنى لاشتغالنا به أوجبه علينا غيرنا أولم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة الى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة فى دار البقاء الا فى لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه يشقى لامحالة محول بينه وبين مايشتهى محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم أنه لامبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفانى والاكباب على حب مالابد من فراقه قطعا وعلم أنه لامقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التى هى إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلايشك فى أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد ومالم يتوجع فلايرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلايشك فى أن المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ففى التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى ــ وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ــ وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى ــ ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ــ الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ــ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ــ وقال عليه السلام (٢) التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لاذنب له وقال رسول الله

(١) الأخبار الدالة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر المزنى ياأيها الناس توبوا الى الله الحديث ولابن ماجه من حديث جابر ياأيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعيف (٢) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لاذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالشطر الثانى دون الاوّل وأما الشطر الأوّل فروى ابن أبى الدنيا فى التوبة وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف ان الله

والسلام العصر فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية فقال النبى عليه السلام أين أبو اليسر فقال هاأناذا يارسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يارسول الله هذا لهخاصة أولنا عامة فقال بل للناس عامة * فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا فى أوّل الليل ثم يؤذن ان لم يكن أجاب المؤذن ثم يصلى ركعتى الفجر يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل ياأيها الكافرون وفى الثانية قل هو الله أحد وان أراد قرأ فى الاولى

صلى الله عليه وسلم (١) لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله تعالى أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الألفاظ قال من شدة فرحه اذا أراد شكر الله أنا ربك وأنت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عزوجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام ياجبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الأمة على وجوبها اذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ماسبق من التقصير في سابق الأحوال وذلك لا يشك في وجوبه وأما التندم على ماسبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لامحالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله * فان قلت تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب * فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي الابصار وماسوى هذا ضلال فان قلت أفليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولابد من حصوله عند تمام أسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لامحالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما أيضا من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في المآل ولا يخلق العلم أيضا الا بأسباب أخر

---

يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلى بسند ضعيف من حديث علي ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب (١) حديث لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس زاد مسلم في حديث أنس ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بدون هذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبي هريرة مختصرا

---

قولوا آمنا بالله وما أنزل الآية في سورة البقرة وفي الاخرى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى بما يتيسر له من العدد وان اقتصر على كلمة أستغفر الله لذنبي سبحان الله بحمد ربي أتى بالمقصود من التسبيح والاستغفار (ثم يقول) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقنني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم

ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي أبدا يستتبع الارادة الجازمة والقدرة والارادة أبدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا تخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا تخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا أن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا أن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا أن العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وأما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وماقتلت اذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لابد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلف أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ماهو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا أنه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ماهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك

أعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك وأسألك ياقاضي الامور وياشافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فأنا راغب اليك

وان الندم داخل فى الوجوب لكونه واقعا فى جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينها وماهذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

﴿ بيان أن وجوب التوبة على الفور ﴾

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصى مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصى عن وجوبه هو الذى عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لاتتعلق بعمل بل هى من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصى عن عهدته مالم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام (١) لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وما أراد به نفى الايمان الذى يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصى وانما أراد به نفى الايمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصى بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها اماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نقى البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذى ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا لأصل الروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التى تخلف عنها الأعضاء التى تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا أصل الايمان وهو مقصر فى الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان فى مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت فى اليقين أصله ولم تنتشر فى الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة لا ماسقى بالطاعات على توالى الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصى للمطيع انى مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار

وسوف ترى اذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط العارفين خوفا من دواعى الموت ومقدماته الهائلة التى لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصى اذا كان لايخاف الخلود فى النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك فى الشهوات المضرة اذا كان لايخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبا لايقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت وكذلك العاصى يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود فى النار فالمعاصى للايمان كالمأكولات المضرة للابدان فلا تزال تجتمع فى الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصى فاذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم ومايضره من المأكولات فى كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك واذا كان متناول السم اذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه

(١) حديث لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبى هريرة

فيه وأسألك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء منى ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم

المشرف على هلاك لايفوت عليه الاهذه الدنيا الفانية فتناول سموم الدين وهى الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان الخوف من هـذا السم فوات الآخرة الباقية التى فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفى فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذى تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر ألبته فالبدار البدار الى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه الاطباء واختيارهم ولاينفع بعده الاحتماء فلاينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ولايغرنك لفظ الايمان فتقول المراد بالآية الكافر اذ بين لك أن الايمان بضع وسبعون بابا وان الزانى لايزنى حين يزنى وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذى هو شعب وفروع سيحجب فى الخاتمة عن الايمان الذى هو أصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التى هى حروف وفروع سيساق الى الموت المعدم للروح التى هى أصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولاوجود للفرع دون الاصل ولافرق بين الاصل والفرع الافى شئ واحد وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعى وجود الاصل وأما وجود الاصل فلايستدعى وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلايستغنى أحدهما عن الآخر وان كان أحدهما فى رتبة الاصل والآخر فى رتبة التابع وعلوم المعاملة اذالم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فان هى لم تعمل عملها الذى تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد فى عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردنا من الاخبار فى كتاب العلم

﴿بيان أن وجوب التوبة عام فى الاشخاص والاحوال فلاينفك عنه أحد ألبتة﴾

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فعمم الخطاب ونور البصيرة أيضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولايتصوّر ذلك الامن عاقل ولاتكمل غريزة العقل الابعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين وأصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة فاذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لايثبت أحدهما للآخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل فى الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وألف لامحالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذى هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدى أعدائه شيأ فشيأ على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز اللعين موعده حيث قال لأحتنكن ذريته الاقليلا وان كمل العقل وقوى كان أوّل شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولامعنى للتوبة الاهذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس فى الوجود آدمى الاوشهوته سابقة على عقله وغريزته التى هى عدة الشيطان متقدمة على غريزته التى هى عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا فى حق كل انسان نبيا كان أوغبيا فلاتظنن أن هـذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل

فلاتحسبن هندا لها الغدر وحدها * سجية نفس كل غانية هند

بل هو حكم أزلى مكتوب على جنس الانس لايمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة الالهية التى لامطمع فى تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فاذا بلغ مسلما تبعا لأبويه غافلا عن حقيقة اسلامه

به سبحان الذى لاينبغى التسبيح الاله سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى الجود والكرم سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعل لى نورا ولهذا الدعاء أثر كثير ومارأيت أحدا حافظ عليه الا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية الصادقين بعضهم بعضا بحفظه

وعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغنى عنه اسلام أبويه شيأ ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله فى المنع والاطلاق والانفكاك والاسترسال وهو من أشق أبواب التوبة وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل أن التوبة فرض عين فى حق كل شخص لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم فخلقة الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد أصلا وأما بيان وجوبها على الدوام وفى كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه إذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد فى القرآن والاخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا فى بعض الاحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو فى حق الآدمى عن هذا النقص وانما يتفاوتون فى المقادير وأما الأصل فلا بد منه ولهذا قال عليه السلام (١) انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة الحديث ولذلك أكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال فى الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وأنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد أطلقت القول بوجوب التوبة فى كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ إدراك الكمال غير واجب فى الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة فى كل حال فاعلم أنه قد سبق أن الانسان لا يخلو فى مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع عن نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس فى وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص فى جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفى فى تدارك اتباع الشهوات تركها فى المستقبل بل لا بد من محو تلك الاريان التى انطبعت فى القلب كما لا يكفى فى ظهور الصور فى المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها فى المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاريان وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصى والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه السلام (٢) أتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغنى العبد فى حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا فى قلب حصل أولا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة فأما التصقيل الأوّل ففيه يطول الصقل إذ ليس شغل الصقل فى إزالة الصدإ عن المرآة كشغله فى عمل أصل المرآة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة فأما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان أحدهما ما يدخل فى فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذى لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدى ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية

والمحافظة عليه منقول عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد المسجد للصلاة فى الجماعة ويقول عند خروجه من منزله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ويقول فى الطريق اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب إلا أنت (وروى) أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال من

(١) حديث انه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأغر المزنى الا أنه قال فى اليوم مائة مرة وكذا عند أبى داود وللبخارى من حديث أبى هريرة انى لأستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة وفى رواية البيهقى فى الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم فى الأذكار والدعوات (٢) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذى من حديث أبى ذر بزيادة فى أوّله وآخره وقال حسن صحيح وقد تقدم فى رياضة النفس

فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثانى هو الذى لابد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة فى الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة فى صلاة التطوع أى لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فأما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط فى وجود الانسان يعنى انه شرط لمن يريد أن يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته و يتوصل بها الى درجات العلا فى الدنيا فاما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين و يد ورجل فأصل الواجبات الداخلة فى فتوى العامة لا يوصل الا الى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وماوراء أصل النجاة من السعادات التى بها تنتهى الحياة يجرى مجرى الاعضاء والآلات التى بها تتهيأ الحياة وفيه سعى الأنبياء والأولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم للاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام الى أن توسد حجرا فى منامه فجاء اليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذى حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم فى الدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم أفترى أن عيسى عليه السلام لم يعلم ان وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبا فى فتاوى العامة أفترى أن نبينا محمدا ﷺ (١) لما شغله الثوب الذى كان عليه علم فى صلاته حتى نزعه (٢) وشغله شراك نعله الذى جدده حتى أعاد الشراك الخلق لم يعلم أن ذلك ليس واجبا فى شرعه الذى شرعه لكافة عباده فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الالانه رآه مؤثرا فى قلبه أثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذى قد وعد به أفترى أن الصديق رضى الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه فى حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب فى فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الالسر وقر فى صدره عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله و بطريق الله و بمكر الله و بمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة أن تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور فهذه أسرار من استنشق مبادى روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك فى طريق الله تعالى فى كل نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق أبو سليمان الدارانى حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره الا على تفويت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقى من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لامحالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد وأى جوهر أنفس من هذا فاذا ضيعتها فى الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكى على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه و بين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك قال بعض العارفين ان

قال ذلك إذا خرج إلى الصلاة وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله تعالى عليه بوجهه الكريم حتى يقضى صلاته واذا دخل المسجد أو دخل سجادته للصلاة يقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى فى الدخول واليسرى فى الخروج من المسجد أو السجادة فسجادة الصوفى بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلى صلاة الصبح فى جماعة فاذا سلم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده

(١) حديث نزعه ﷺ الذى كان عليه فى الصلاة تقدم فى الصلاة أيضا (٢) حديث نزعه الشراك الجديد واعادة الشراك الخلق تقدم فى الصلاة أيضا

ملك

ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة مالو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ـ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ـ وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ـ فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد ياملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الاحوال فاذا زهقت نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال ـ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ـ وقوله إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ـ ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال ﷺ أتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يابني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر (١) إن أكثر صياح أهل النار من التسويف فما هلك من هلك إلا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر قال بعض العارفين إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الالهام أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر إلى كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء أو أضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ أوفوا بعهدي أوف بعهدكم ـ وبقوله تعالى ـ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

## ﴿ بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لامحالة ﴾

اعلم أنك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما أن استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لامحالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية

(١) حديث ان أكثر صياح اهل النار من التسويف لم أجد له أصلا

الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون و يقرأ هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسما الى آخرها فاذا فرغ منها يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد صلاة تكون له رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه عنا أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل على

والتطهير وأما القبول فبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لامرد له وهو المسمى فلاحا في قوله قد أفلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا أسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لايزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لايزول الا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لاينظف الثوب أصلا مالم يغير صفة الثوب باستعمال مايضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لايشهد له الكتاب والسنة لايوثق به وقد قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقال تعالى ـ غافر الذنب وقابل التوب ـ الى غير ذلك من الآيات وقال ﷺ لله أفرح بتوبة أحدكم الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال ﷺ (١) ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال ﷺ (٢) لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال أيضا (٣) ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال ﷺ (٤) كفارة الذنب الندامة وقال ﷺ التائب من الذنب كمن لاذنب له ويروى (٥) ان حبشيا قال يارسول الله اني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يارسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ويروى (٦) ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لاخرجت من

---

(١) حديث ان الله يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث وفي رواية للطبراني لمسيء الليل أن يتوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة واسناده حسن بلفظ لو أخطأتم وقال ثم تبتم (٣) حديث ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ولأبي نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره أحزنه فاذا نظر الله اليه أنه أحزنه غفر له الحديث وفيه صالح المري وهو رجل صالح لكنه مضعف في الحديث ولابن أبي الدنيا في التوبة من حديث ابن عمر ان الله لينفع العبد بالذنب يذنبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلي (٤) حديث كفارة الذنب الندامة أحمد والطبراني وهق في الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك اليشكري ضعيف (٥) حديث ان حبشيا قال يارسول الله اني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم الحديث لم أجد له أصلا (٦) حديث ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لاخرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد ان الشيطان قال وعزتك يارب لاأزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لاأزال أغفر لهم مااستغفروني أورده المصنف بصيغة ويروى كذا ولم يعزه الى النبي ﷺ فذكرته احتياطا

قلب

---

جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد الى يوم الدين اللهم صل على روح محمد في الارواح وصل على جسد محمد في الاجساد واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم اني أصبحت لاأستطيع دفع ماأكره ولاأملك نفع ماأرجو وأصبح الامر

قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة مادام الروح فيه وقال ﷺ (١) ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى (وأما الآثار) فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين إني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب ويروى أن نبيا من أنبياء بني اسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم أوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما اني قد كنت مشفقا منه قال فيغفر له ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغني أن توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم أرق أفئدة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة أي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وأنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة * فان قلت أفتقول ما قالته المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله فأقول لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به ارادته

(١) حديث ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذي وتقدم قريبا

بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسئ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها وما عملت فيه من سيئة فاغفر لي إنك غفور رحيم ودود رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا اللهم اني أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك من شر طوارق الليل

الازلية فواجب كونه لامحالة * فان قلت فما من تائب إلا وهو شاك فى قبول توبته والشارب للماء لا يشك فى زوال عطشه فلم يشك فيه فأقول شكه فى القبول كشكه فى وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانا وشروطا دقيقة كما سيأتى وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذى يشك فى دواء شربه للاسهال فى أنه هل يسهل وذلك لشكه فى حصول شروط الاسهال فى الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك فى قبولها لا محالة على ما سيأتى فى شروطها ان شاء الله تعالى

﴿ الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها ﴾

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشئ إلا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى فى ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من أولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط أقسامها والله الموفق للصواب برحمته

﴿ بيان أقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد ﴾

اعلم أن للانسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه فى كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب فى أربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من أخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط فى المعجون منه أثرا من الآثار كما يقتضى السكر والخل والزعفران فى السكنجبين آثارا مختلفة * فاما ما يقتضى النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهى المهلكات العظيمة التى هى كالامهات لاكثر المعاصى كما استقصيناه فى ربع المهلكات * الثانية هى الصفة الشيطانية التى منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال * الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات * الرابعة الصفة السبعية ومنها تتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج فى الفطرة فالصفة البهيمية هى التى تغلب أولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل فى الخداع والمكر والحيلة وهى الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهى الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها فى القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح ﴿ قسمة ثانية ﴾ اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب فى المعاصى وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى

والنهار ومن بغتات الامور وفجاءة الاقدار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أعوذ بك ان أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك وعظمت نعماؤك أعوذ بك من شر ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة اللهم إنى أعوذ من مباهاة المكثرين والازراء على المقلين وان أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وأن

وأقرب وقد جاء في الخبر (١) الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم و بين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فظالم العباد أي لابد وأن يطالب بها حتى يعفى عنها ﴿قسمة ثالثة﴾ اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف إذ قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال ﷺ (٢) الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن إلا الكبائر وقد قال ﷺ فيما رواه (٣) عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن أربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة وقال أبو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار (٤) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره * وأربع في اللسان وهي شهادة

---

(١) حديث الدواوين ثلاثة ديوان يغفر الحديث أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة وفيه صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان ورواه الطبراني (٢) حديث الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس رواه البخاري (٤) الاخبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي طالب المكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره وشهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس والسحر وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا والزنا واللواط والقتل والسرقة والفرار من الزحف وعقوق الوالدين انتهى وسأذكر ما ورد منها مرفوعا وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات ولهما من حديث أبي بكرة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور ولهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس انما هي أربع لا تشركوا بالله شيأ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر وفيه موقوفا على عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر وكلاهما ضعيف وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن ان رجلا قال يا رسول الله ما الكبائر قال الشرك بالله والاياس

---

أقول في العلم بغير علم أو أعمل في الدين بغير يقين أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره

الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو يعلم * واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط * واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة * وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان سألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسبادفيضربهما و يجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لاشك في أنه أكبر من أكل ماله كيف وفي الخبر

من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل وفيه صالح بن حبان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أولهن الاشراك بالله وفيه والانتقال إلى الاعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف وللطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حثمة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه والرجوع إلى الاعرابية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الاشعري ضعفه الدارقطني وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكر منها واستحلال البيت الحرام وللطبراني من حديث واثلة ان من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على مالم أقل وله أيضا من حديثه ان من أكبر الكبائر أن ينتفي الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل و بين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق و في الصحيحين من حديث ابن عباس أنه ﷺ مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولأحمد في هذه القصة من حديث أبي بكرة أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولأبي داود والترمذي من حديث انس عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها سكت عليه أبو داود واستغربه البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لا صغيرة مع اصرار وفيه أبو شيبة الخراساني والحديث منكر يعرف به ﴿وأما الموقوفات﴾ فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الاشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الاشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا والسحر والزنا واليمين الغموس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متعمدا وأشياء مما فرضها الله ونقض العهد وقطيعة الرحم وروى ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح مختلف فيه وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لا صغيرة مع الاصرار واسناده جيد فقد اجتمع من المرفوعات والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون الا أن بعضها لا يصح اسناده كما تقدم وانما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد في المرفوع وما ورد في الموقوف وللبيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضا فيه عن ابن عباس قال كل ما نهى الله عنه كبيرة والله أعلم

بكرة أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيهما لله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم انا نسألك بأن لك الحمد لا اله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ياحي ياقيوم ياحي حين لاحي في ديمومة ملكه وبقائه ياحي محيي الموتى ياحي مميت الاحياء

من الكبائر (١) السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال (٢) أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل مانهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر فى السرقة أهى كبيرة أم لا لايصح مالم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا لامطمع فى تعريفه الا بعد تقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده فى السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من المضافات ومامن ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى مادونه وصغير بالاضافة الى مافوقه فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالاضافة الى النظرة صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان أن يطلق على ماتوعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعنى بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ماأوجب الحد عليه مصيرا الى أن ماعجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ماورد فى نص الكتاب النهى عنه فيقول تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لامحالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن أيضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لاحرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شئ من هذه الاحتمالات نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله ﷺ الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم الكبائر والحق فى ذلك ان الذنوب منقسمة فى نظر الشرع الى مايعلم استعظامه اياها والى مايعلم انها معدودة فى الصغائر والى مايشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع فى معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله ﷺ بان يقول انى أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها فان لم يرد هذا بل ورد فى بعض الالفاظ (٣) ثلاث من الكبائر وفى بعضها (٤) سبع من الكبائر ثم ورد أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطمع فى عدد مالم يعده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس فى طلبها نعم لنا سبيل كلى يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف أيضا أكبر الكبائر فاما أصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته

* وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وأنه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى ليكونوا عبيدا لى ولا يكون العبد عبدا مالم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء ولكن لا يتم هذا الا فى الحياة

(١) حديث من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم عزاه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس لأحمد وأبى داود من حديث سعيد بن زيد والذى عندهما من حديثه من أربى الربا استطالة فى عرض المسلم بغير حق كما تقدم (٢) حديث أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة انكم تعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر أحمد والبزار بسند صحيح وقال من الموبقات بدل الكبائر ورواه البخارى من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عبادة ابن قرص وقال صحيح الاسناد (٣) حديث ثلاث من الكبائر الشيخان من حديث أبى بكرة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا الحديث وقد تقدم (٤) حديث سبع من الكبائر طب فى الاوسط من حديث أبى سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله فى الكبير من حديث عبد الله بن عمر من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عدهن سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث أبى هريرة اجتنبوا السبع الموبقات

ووارث الارض والسماء اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا اله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم اللهم انى أسألك باسمك الاعظم الأجل الاعز الاكرم الذى اذا دعيت به أجبت واذا سئلت به أعطيت يانور النور يامدبر الامور ياعالم مافى الصدور ياسميع ياقريب يامجيب الدعاء يالطيفا لما يشاء يارؤف يارحيم ياكبير ياعظيم ياألله يارحمن ياذا الجلال والاكرام الم الله لا اله الا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم يا الهى واله كل شئ الها واحدا لااله الا انت اللهم انى أسألك باسمك يا ألله الله الله

الدنياوهوالمعنى بقوله عليه السلام (١) الدنيامزرعة الآخرة فصارحفظ الدنيا أيضامقصودا تابعاللدين لأنه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيابالآخرة شيآن النفوس والأموال فكل مايسد باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه مايسد باب حياة النفوس ويليه مايسد باب المعايش التى بهاحياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلهاوهذه ثلاثة أمور لايتصوّر أن تختلف فيها الملل فلايجوز أن الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله أو يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب * الأولى مايمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذالحجاب بين الله وبين العبدهوالجهل والوسيلة المقربة له اليه هوالعلم والمعرفة وقربه بقدرمعرفته وبعده بقدر جهله ويتلوا الجهل الذى يسمى كفرا الأمن من مكرالله والقنوط من رحمته فان هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصوّر أن يكون آمنا ولا أن يكون آيسا ويتلوهذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه ومراتب ذلك لاتنحصر وهى تنقسم الى مايعلم انها داخلة تحت ذكرالكبائر المذكورة فى القرآن والى مايعلم انه لايدخل والى مايشك فيه وطلب دفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع * المرتبة الثانيه النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لامحالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذحياة الدنيالاتراد الالآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلوهذه الكبيرة قطع الاطرف وكل مايفضى الى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ويقع فى هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لواجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود وأما الزنا فانه لايفوت أصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التى لاينتظم العيش الابها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولاينتظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لايتصوّر أن يكون الزنا مباحا فى أصل شرع قصد به الاصلاح وينبغى أن يكون الزنا فى الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولايمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب مايكاديفضى الى التقاتل وينبغى أن يكون أشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته * المرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلايجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغى أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الاأن الاموال اذا أخذت أمكن استردادها وان أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغى أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق أحدها الخفية وهى السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك الثانى أكل مال اليتيم وهذا أيضا من الخفية وأعنى به فى حق الولى والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهوصغير لايعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة فى الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه الثالث تفويتها بشهادة الزور الرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولايجوز أن تختلف الشرائع فى تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد فى بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم فى مصالح الدنيا تأثيرها وأما أكل الربا فليس فيه الاأكل مال الغير بالتراضى مع الاخلال بشرط

(١) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا وروى العقيلى فى الضعفاء وأبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزوّد منها لآخرته الحديث واسناده ضعيف

الله الذى لااله الا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لااله الا هو رب العرش الكريم أنت الاوّل والآخر والظاهر والباطن وسعت كل شئ رحمة علما كهيعص حم عسق الرحم نيا واحد ياقهار ياعزيز ياجبار ياأحد ياصمديا ودود ياغفور هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى أعوذ باسمك المكنون المخزون المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس يادهر ياديهور ياديهار ياأبد ياأزل يامن لم يزل ولا يزال ولايزول هو ياهو لااله الا هو يامن

وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه و بغير
رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر
عنه فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه
نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظن الى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تختص الكبيرة
بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي القذف والشرب
والسحر والفرار من الزحف وحقوق الوالدين * أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من
الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لان العقل محفوظ كما أن النفس محفوظة بل لا خير
في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجرى في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب
ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع
الحد به يدل على تعظيم أمره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار
الشرع فان ثبت اجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال * وأما القذف فليس فيه إلا تناول
الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب وأعظمها التناول بالقذف بالاضافة الى فاحشة
الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار
لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز أن تختلف فيه الشرائع
فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد اذا رأى انسانا يزني
فله أن يشهد و يجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان
على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع
فاما من ظن أن له أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر *
وأما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض
أو غيره * وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف
واذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب أموالهم واخراجهم من مساكنهم
و بلادهم واجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر اذا لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه
فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر * فاذا رجع حاصل الامر
الى أنا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم أنه لا تكفره قطعا والى
ما ينبغي أن تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفي والاثبات و بعضه مشكوك فيه وهو
شك لا يزيله الا نص كتاب أو سنة واذا لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال * فان قلت فهذا اقامة برهان على
استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده * فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا
فيجوز أن يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا
من حيث انها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة أن
الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا أمر يتعلق بالآخرة والابهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر
فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى
— ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم — ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس
فان مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى
تكفيره فان كان عنينا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا

لا هو الا هو يا من
لا يعلم ما هو الا
هو يا كان يا
كينان يا روح يا
كائن قبل كل
كون يا كائن بعد
كل كون يا مكونا
لكل كون أهيا
أشراهيا أدوناى
أصبؤت يا مجلى
عظائم الامور
فان تولوا فقل
حسبي الله لا إله
إلا هو عليه
توكلت وهو رب
العرش العظيم
ليس كمثله شيء
وهو السميع
البصير اللهم صل
على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم
وآل إبراهيم
و بارك على محمد
وعلى آل محمد كما
باركت على
إبراهيم وآل
إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم
إني أعوذ بك
من علم لا ينفع
وقلب لا يخشع
ودعاء لا يسمع
اللهم إني أعوذ

لا يصلح للتكفير أصلا وكل من يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والأوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفات فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ (١) الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما * فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا * فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم أرد شهادته فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نفيا وإثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال وسماع الغيبة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على المصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لعز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل فإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها الأثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

## ﴿ بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا ﴾

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت وأعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فإنا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال تعالى ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال ﷺ (٢) الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم إلا الأمثال المحوجة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأعني بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به أفواه

بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم وأعوذ بك من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والذل والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الأسقام اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم إني أسألك الصلاة

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الإسناد (٢) حديث الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يعزى إلى علي بن أبي طالب

الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن فى رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنى أصب الزيت فى الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها أمك سبيت فى صغرك لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد الى الأصل فنظر فاذا جاريته كانت أمه وقد سبيت فى صغره وقال له آخر رأيت كأنى أقلد الدر فى أعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله الى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعنى بالمثل أداء المعنى فى صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذى يراد الختم له وليس للانبياء أن يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم فى النوم والنائم لا يكشف له عن شئ الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال ﷺ [1] قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وهو من المثال الذى لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذى يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة فى النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصبعا تعالى الله عن قوله علوا كبيرا وكذلك فى قوله ﷺ [2] ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل فى صفات الالهية حتى فى الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد فى أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله ﷺ [3] يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح فيثور الملحد الأحمق ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدرى المسكين ان من قال رأيت فى منامى أنه جىء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذى فى البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع اليأس منه فاذن المعبر صادق فى تصديقه وهو صادق فى رؤيته وترجع حقيقة ذلك الى ان الموكل بالرؤيا وهو الذى يطلع الارواح عند النوم على ما فى اللوح المحفوظ عرفه بما فى اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا انما يكلمون الناس فى الدنيا وهى بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعانى الى أفهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالامثلة وثبوت المعانى فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر ﷺ بقوله قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد أشرنا الى حكمة ذلك فى كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب المثال فلتفهم من المثل الذى نضربه معناه لا صورته * فنقول الناس فى الآخرة ينقسمون أصنافا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة فى هذا المعنى أصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا أنا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس ينقسمون فى الآخرة بالضرورة الى أربعة أقسام هالكين ومعذبين وناجين

---

(١) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٢) حديث ان الله خلق آدم على صورته تقدم
(٣) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح متفق عليه من حديث أبى سعيد

---

على محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وأسألك ما سألك عبدك ونبيك محمد ﷺ وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله يا نور

وفائزين ومثاله في الدنيا أن يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون و يعذب بعضهم مدة ولايقتلهم فهم المعذبون و يخلي بعضهم فهم الناجون و يخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في أصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة أو تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لاتحصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب ألف سنة الى سبعة آلاف سنة (١) وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها ﴿الرتبة الاولى﴾ وهي رتبة الهالكين ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لاتكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لاينال أصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين و بأنبيائه المرسلين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لامحالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه و بين مايشتهيه لامحالة فهو لامحالة يكون محترقا نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وانما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فأما الحور العين والفواكه فقد لايشتهيها وأما النار فقد لايتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لاشغل لها الامع الاجسام وألم الاجسام يستحقر مع ألم الفؤاد ولذلك قيل

وفي فؤاد المحب نار جوى * أحر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لايحس به لفرط غلبة مافي قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لايشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله ﷺ (٢) الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الامن حيث انه يفرق بين جزأين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب و بين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاما من تأليف الاجسام فهو أشد ايلاما ان كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لايدرك من لاقلب له شدة هذا الألم و يستحقره بالاضافة الى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان و بين ألم

---

(١) حديث ان آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة (٢) حديث الغضب قطعة من النار الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم

السموات والأرض ياجمال السموات والأرض ياعماد السموات والأرض يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياصريخ المستصرخين ياغوث المستغيثين يامنتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروّح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء وأرحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة ياأرحم الراحمين اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقلني عثراتي اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي اللهم اني ضعيف

الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال العدوّ فى الميدان مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء و بين فعل جميل يقهر به الأعداء و يفرح به الأصدقاء لآثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التى لا يناسبها ولا يلذها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا فى اللسان والسمع الا فى الآذان فلا تكون هذه الصفة إلا فى القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن الصور والألوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست أعنى بالقلب هذا الذى تكتنفه عظام الصدر بل أعنى به السر الذى هو من عالم الأمر وهو اللحم الذى هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الأعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والأمر جميعا ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه قل الروح من أمر ربى هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبا وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التى إذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادى روائح المعنى المطوى تحت قوله ﷺ إن الله خلق آدم على صورته ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين فى طريق تأويله وان كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين فى التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر وان اشتركوا فى مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهى حكمته يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس فى أمر هو أعلى من علوم المعاملات التى نقصدها فى هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسله ﷺ لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها

﴿الرتبة الثانية﴾ رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الايمان ولكن قصر فى الوفاء بمقتضاه فان رأس الايمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد إلا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذى لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحد من السيف مثل الصراط الموصوف فى الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو فى أمر يسير إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو فى فعل قليل وذلك قادح فى كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضى لا محالة نقصانا فى درجات القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب أمرين أحدهما قوة الايمان وضعفه والثانى كثرة اتباع الهوى وقلته و إذ لا يخلو بشر فى غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لأنا تيقنا أنا على النار واردون وشككنا فى النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد (١) فيمن يخرج من النار بعد ألف عام أنه ينادى ياحنان يامنان قال الحسن ياليتنى كنت ذلك الرجل * واعلم ان فى الاخبار مايدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف فى المدة بين اللحظة و بين سبعة آلاف سنة

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى ياحنان يامنان أحمد وأبو يعلى من رواية أبى ظلال القسملى عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون

نقوّ فى رضاك ضعفى وخذ إلى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقوّنى اللهم انى ذليل فاعزنى اللهم انى فقير فاغننى برحمتك ياأرحم الراحمين اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفرلى ذنوبى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى و يقينا صادقا حتى أعلم انه لن يصيبنى الا ما كتب لى والرضا بما قسمت لى ياذا الجلال والاكرام اللهم ياهادى المضلين و ياراحم المذنبين ومقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع

حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث و بين اللحظة و بين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد و إن الاختلاف بالشدة لانهاية لاعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة فى الحساب كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين فى الاعمال بالمناقشة فى الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بنوع آخر من العذاب و يتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث فى غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة فى عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهى بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا الار باب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد و بقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت و بقوله تعالى وأن ليس للانسان إلا ما سعى و بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ـ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ إلى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لاظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ (١) سبقت رحمتى غضبى وقال تعالى و إن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من أحكم أصل الايمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعنى الاركان الخمسة ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة فى الحساب فقط فانه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته إذ ورد فى الاخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغى أن يكون بعد ظهور الرجحان فى الميزان و بعد الفراغ من الحساب فى عيشة راضية نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله فى جنات عدن أو فى الفردوس الاعلى فكذلك يتبع أصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدى كايمان العوام يصدقون بما يستمعون و يستمرون عليه وايمان كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ماهو عليه فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس فى الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين فى المعرفة بالله تعالى لاتنحصر إذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة و بحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم و بقدر ماسبق لهم من الله تعالى فى الازل فالطريق إلى الله تعالى لانهاية لمنازله فالسالكون سبيل الله لانهاية لدرجاتهم وأما المؤمن ايمانا تقليديا من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالاعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعنى الاركان الخمسة التى هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فامامن ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لاذنب له والثوب المغسول كالذى لم يتوسخ أصلا وان مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت اذر بما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لاسيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما

(١) حديث سبقت رحمتى غضبى مسلم من حديث أبى هريرة

الاحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لااله الا هو أنت الوكيل واليك المصير يامن لايشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولاتشتبه عليه الاصوات و يامن لاتغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات و يامن لايتبرم بالحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم انى أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا

فهو قابل للانحلال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا أن يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون فى درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون فى أعلى عليين ففى الخبر (١) آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فان هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوى عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل فى الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت فى كفة الميزان والجمل فى الكفة الأخرى عشر عشيره بل هو موازنة معانى الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فان روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبى بل القروى والبدوى ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب فى قوله انى أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبى ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل فى قلبه النور الذى يدرك به أرواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله ﷺ فى هذه الموازنة اذ يقول ﷺ (٢) الجنة فى السموات كما ورد فى الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا فى الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبى تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوى وكما أن الجوهرى مرحوم اذا بلى بالبدوى والقروى فى تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذا بلى بالبليد الابله فى تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال ﷺ (٣) ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل والأنبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب وما قاساهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله و بلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الازلى وهو المعنى بقوله عليه السلام (٤) البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذى ينزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم اذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما أوذى رسول الله ﷺ بكلام بعض الناس قال (٥) رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر فاذا لا تخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا تخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين

متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم انى أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد وأسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقرب إلى حبك اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة

---

(١) حديث ان آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة فى السموات خ من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال الحديث ابن حبان فى الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس الا أنه قال عالم تلاعب به الصبيان وفيه أبو البحترى واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الاولياء ثم الأمثل فالأمثل الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبى وقاص وقال قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الأولياء وللطبرانى من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر البخارى من حديث ابن مسعود

ولذلك قلما ينفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وأنواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المعتاض عن الجل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذر بن المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه السلام انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك فى الحواس الخمس وانما أنت مفارق للحمار بسر الهى عرض على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا فى عالم ذلك السر الذى فارقت به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذى أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسى الله اذ ليس ذات الله مدركا فى هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسى الله أنساه الله لا محالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الافق الاعلى وخان فى الامانة التى أودعه الله تعالى وانعم عليه كافرا لا نعمه ومتعرضا لنقمته الا أنه أسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب الفانى وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين الى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين أنهم عند ربهم الا أنهم منكوسون قد انقلبت وجوههم الى أقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول الى منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا فى عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدى الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق فى التوحيد وكمال التوحيد أن لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجرى عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتى تحقيقه فى التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن فى قلبه مثقال دينار من ايمان فهو أول من يخرج من النار وفى الخبر يقال (١) أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من ايمان وآخر من يخرج من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا فى الموازنة بين أعيان الاموال وبين النقود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذى لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففى الآثار ان العبد ليوقف بين يدى الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تعالى ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض اخوانه اغتابه ثم أرسل اليه يستحله فقال لا أفعل ليس فى صحيفتى حسنة أفضل منها فكيف أمحوها وقال هو

اللهم اقسم لى من خشيتك ما تحول به بينى وبين معصيتك ومن طاعتك ما يدخلنى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب الينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء الشكر

(١) حديث أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من ايمان الحديث تقدم

وغيره ذنوب اخوانى من حسناتى أريد أن ازين بها صحيفتى فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد فى المعاد فى درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهى حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب فى أكثر الاحوال ولكن قد تتوق الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية فى أرواح الاحياء وغموض الاسباب التى رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز فى الآخرة لهما أسباب خفية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفى المفضى الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضى الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الالهية الأزلية التى لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا أن نجوّز العفو عن العاصى وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى فى القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد الا بسبب خفى فيه يقتضى العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى ـ وما ربك بظلام للعبيد ـ ولا قوله تعالى ـ ان الله لا يظلم مثقال ذرة ـ وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذى يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ـ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشأن فى انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصوّر فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ـ ما كذب الفؤاد ما رأى ـ ﴿الرتبة الثالثة﴾ رتبة الناجين وأعنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة فى أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون فى منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف (١) وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على العين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا فى عالم النبوّة ويبعد أن ترتقى اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار فى حق الصبيان أيضا متعارضة حتى قالت عائشة رضى الله عنها (٢) لما مات بعض الصبيان عصفور من

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف البزار من حديث أبى سعيد الخدرى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبرانى من رواية أبى معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن المدنى عن أبيه مختصرا وأبو معشر نجيح السندى ضعيف ويحيى بن شبل لا يعرف وللحاكم عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت سيئاتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبى عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال فى الصراط عليه العباس وحمزة وعلى وجعفر الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين (٢) حديث عائشة انها قالت لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك وقال ما يدريك رواه مسلم قال المصنف والأخبار فى حق الصبيان متعارضة * قلت روى البخارى من حديث سمرة بن جندب فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فابراهيم

بحسن العبادة اللهم انى أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما احينى حياة السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفنى وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه ياخير الرازقين وأحسن التوابين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت . واغفر ما قدرت وطيب مارزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا إله إلا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير

عصافير الجنة فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال ومايدريك فاذا الاشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام

﴿الرتبة الرابعة﴾ رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون ومايلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره مافصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجله قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين - وقوله عزوجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصوّر أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شئ سواه حتى عن أنفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصوّر أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصوّر أن تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصوّر أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات والله الموفق بلطفه

﴿بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب﴾

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب * منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار

---

عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة فقيل يارسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين وللطبراني من حديثه سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضعيف يرويه عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان وللنسائي من حديث الأسود بن سريع كنا في غزاة لنا الحديث في قتل الذرية وفيه ألا ان خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث واسناده صحيح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحد ليس مولود يولد الا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت ابن الحرث الأنصاري كانت يهود اذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي ﷺ كذبت يهود مامن نسمة يخلقها الله في بطن أمه الا انه شقي أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن لهيعة ولأبي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والموؤدة في النار وله من حديث عائشة قلت يارسول الله ذراري المؤمنين فقال مع آبائهم فقلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت يارسول الله أين أطفالي منك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأين أطفالي قبلك قال في النار قلت بلا عمل قال لقد علم الله ما كانوا عاملين واسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة في أولاد المشركين هم من آبائهم وفي رواية هم منهم

---

خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم اني أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم اني أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به اللهم اني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ فقويت بها على معصيتك اللهم اني أستغفرك من كل عمل عملته لك فخالطه ماليس لك اللهم اني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه وأعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم احفظنا فيما أمرتنا

فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها أمثالها لو تصوّر ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ (١) خير الأعمال أدومها وان قل والأشياء تستبان بأضدادها وان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع فى تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تأثيره فى اظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما يتصوّر الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزنى الزانى بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره * ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الأثر فى القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه فى الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجرى فى الغفلة وقد جاء فى الخبر (٢) المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهى كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم للتابعين انكم لتعملون أعمالا هى فى أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوز فى أمثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف * ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها فى تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمفارقته إياه كما يقول أما رأيتنى كيف مزقت عرضه ويقول المناظر فى مناظرته أما رأيتنى كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل فى التجارة أما رأيت كيف روّجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته فى ماله وكيف استحمقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به فى الحمل عليها فينبغى أن يكون فى مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدوّ عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذى يفرح بان ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه * ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله إياه ولا يدرى أنه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن أن تمكنه من المعاصى عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ـ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ـ ومنها أن يأتى الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه أو يأتيه فى مشهد غيره فان ذلك جناية منه

---

(١) حديث خير الأعمال أدومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم (٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخارى من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبى ﷺ والآخر عن نفسه فذكر هذا وحديث لله أفرح بتوبة العبد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقى فى الشعب من هذا الوجه موقوفا ومرفوعا

---

واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما أعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين ويا شاكر الشاكرين بذكرك ذكروا وبفضلك شكروا يا غياث يا مغيث يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأهلك ولا الى أحد من خلقك فأضيع اكلأنى كلاءة الوليد ولا تخل عنى وتولنى بما تتولى به عبادك الصالحين أنا عبدك وابن عبدك ناصيتى بيدك جار فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك نافذ فى مشيئتك ان تعذب فأهل ذلك أنا وان ترحم فأهل ذلك أنت فافعل اللهم يا مولاى يا الله يارب ما أنت له أهل ولا تفعل اللهم يارب يا الله

على ستر الله الذي سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر وفي الخبر (١) كل الناس معافى إلا المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله و يتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل و يستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولابد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى ـ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف ـ وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه * ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الانكار عليهم واطلاق اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم و يبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه وفي الخبر (٢) من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ قال تعالى ـ ونكتب ما قدموا وآثارهم ـ والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس و يل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها و يحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق و يغرق أهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني و بينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار فبهذا يتضح ان أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه و يقتدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام و يكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح و إما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

﴿ الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر ﴾

قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه و بين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط فلابد من بيانها ( أما العلم ) فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي ( وأما الندم ) فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته و بكاؤه وأي عزيز أعز عليه من نفسه وأي عقوبة أشد من النار وأي شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأي مخبر أصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا أن مرض ولده المريض لا يبرأ وانه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر

ما أنا له أهل انك أهل التقوى وأهل المغفرة يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك يا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(١) حديث كل الناس معافى إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كل أمتي وقد تقدم
(٢) حديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبدالله وقد تقدم في آداب الكسب

(١) جالسوا التوّابين فانهم أرق أفئدة ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب فى قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفى الاسرائيليات ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والارض ماقبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه * فان قلت فالذنوب هى أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها * فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو فى غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذى ليس فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغى أن يدوم الى الموت وينبغى أن يجد هذه المرارة فى جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم فى العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث انه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار فى كل ذنب (وأما القصد الذى ينبعث منه) وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال وله تعلق بالماضى وهو تدارك مافرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت * وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضى أن يرد فكره الى أوّل يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ماالذى قصر فيه منها والى المعاصى ما الذى قارفه منها فان كان قد ترك صلاة أو صلاها فى ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك فى عدد مافاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه أداه ويقضى الباقى وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحرى والاجتهاد وأما الصوم فان كان قد تركه فى سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسى النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحرى والاجتهاد ويشتغل بقضائه وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أوّل ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة فى مال الصبى فيؤدى ماعلم بغالب الظن انه فى ذمته فان أداها لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف الى الاصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء * وأما الحج فان كان قد استطاع فى بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف اليه من الزكاة أو الصدقات مايحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام (٢) من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما المعاصى فيجب أن يفتش من أوّل بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر فى جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود

(١) حديث جالسوا التوّابين فانهم أرق أفئدة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبدالله رواه ابن أبى الدنيا فى التوبة قال جالسوا التوّابين فان رحمة الله الى النادم أقرب وقال أيضا فالموعظة الى قلوبهم أسرع وهم الى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمعة وأرق قلبا (٢) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا الحديث تقدم فى الحج

وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر فى الخدمة وايذاع الشكر فى النعمة وأسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن المنقلب اليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم اللهم اغفر لى ولوالدى ولمن توالدا وارحمهما كما ربيانى صغيرا

في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها و بأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله ﷺ (١) اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله - تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن و بمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله و بأن يكتب مصحفا و يجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك أيضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه و بين الله تعالى و يدل على أن الشئ يكفر بضده ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال ﷺ (٢) من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها (٣) اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع * فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة * فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال أجر مائة شهيد فاذن الهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه و بين الله تعالى وأما مظالم العباد ففيها أيضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي أضدادها فيقابل ايذاءه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على أكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد و بهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الاموال أو الاعراض أو القلوب أعني به الايذاء المحض أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه

(١) حديث اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وتقدم أوله في آداب الكسب و بعضه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس (٢) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم في طلب المعيشة طس وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وتقدم في النكاح (٣) حديث اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الغموم تقدم أيضا في النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحزن

واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين ياخير الغافرين (ولما كان) الدعاء مخ العبادة أحببنا أن نستوفي من ذلك قسما صالحا نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه قوت القلوب وعلى نقله كل الاعتماد وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات منفردا أو في الجماعة اماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء

(الباب الخامس في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات) فمن ذلك أن

فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه فى التوبة ان يفضح نفسه و يهتك ستره و يلتمس من الوالى استيفاء حق الله تعالى بل عليه ان يتستر بستر الله تعالى و يقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب فالعفو فى محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان رفع أمره هذه الى الوالى حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ماروى (١) ان ماعز بن مالك أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنيت وانى أريد ان تطهرنى فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يارسول الله انى قد زنيت فرده الثانية فلما كان فى الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقائل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ماتوبة أصدق من توبته فقال رسول الله ﷺ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم (٢) وجاءت الغامدية فقالت يارسول الله انى قد زنيت فطهرنى فردها فلما كان من الغد قالت يارسول الله لم تردنى لعلك تريد ان تردنى كما رددت ماعزا فوالله انى لحبلى فقال ﷺ أما الآن فاذهبى حتى تضعى فلما ولدت أتت بالصبى فى خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبى فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتت بالصبى وفى يده كسرة خبز فقالت يانبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه فسبها فسمع رسول الله ﷺ سبه إياها فقال مهلا ياخالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (وأما القصاص وحد القذف) فلابد من تحليل صاحبه المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب أو خيانة أو غبن فى معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فان مايجب فى مال الصبى يجب على الصبى اخراجه بعد البلوغ ان كان الولى قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوى فى الحقوق المالية الصبى والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أول يوم حياته الى يوم توبته قبل أن يحاسب فى القيامة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه فى الدنيا طال فى الآخرة حسابه فان حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامى أصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف فى نواحى العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه مايقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين أرباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيآت أرباب المظالم فيهلك بسيآت غيره فهذا طريق كل تائب فى رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر فى الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغى أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذى كان فى المعاصى فى متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة فى ذمته أما أمواله الحاضرة فليرد الى المالك مايعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحلال بالحرام فعليه ان يعرف قدر الحرام بالاجتهاد و يتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله فى كتاب الحلال والحرام (وأما الجناية) على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم أو يعيبهم فى الغيبة فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره

(١) حديث اعتراف ماعز بالزنا ورده ﷺ حتى اعترف أربعا وقوله لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحصيب (٢) حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله ﷺ لقد تابت توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذى قبله

يلازم موضعه الذى صلى هو فيه مستقبل القبلة الا أن يرى انتقاله الى زاوية أسلم لدينه لئلا يحتاج الى حديث أو التفات الى شئ فان السكوت فى هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين تجده أهل المعاملة وأرباب القلوب وقد ندب رسول الله ﷺ الى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة الى المفلحون والآيتين وإلهكم إله واحد وآية الكرسى والآيتين بعدها وآمن الرسول والاية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وإن ربكم الله الذى خلق السموات والارض الى المحسنين ولقد جاءكم رسول الى

ولايتدارك الابتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا في القيامة وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته
وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لايكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب
نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته
على الغير مالو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم
أذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا أن يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها
بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما
ذكر جنايته وعرفه المجنى عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به
ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه مايستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل
من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان أبى الا الاصرار فيكون
تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور
قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى اذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضا في القيامة
بحكم الله به عليه كمن أتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم
عليه بالقبض منه شاء أم أبى فكذلك يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين وفي المتفق عليه
من الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ (١) قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة
وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
قال لافقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال له انه قتل مائة نفس فهل له
من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله عز وجل
فاعبد الله معهم ولاترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه
لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا مابين الارضين فالى أيتهما كان أدنى
فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة
اقرب منها بشبر فجعل من أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي وقال قيسوا
مابينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لاخلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة
فلابد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد
مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق أن لايعود الى تلك الذنوب ولا الى أمثالها كالذي يعلم في مرضه أن
الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما أنه لايتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان
كان يتصور أن تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لايكون تائبا مالم يتأكد عزمه في الحال ولايتصور أن يتم ذلك
للتائب في أول أمره الا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال
أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس المعاصي أكل الحرام فكيف يكون تائبا مع
الاصرار عليه ولايكتفي بالحلال وترك الشبهات من لايقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات وقد قال
بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع
سنين لم يعد اليه أبدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما أن يتعلم مايجب عليه في المستقبل ومايحرم عليه حتى يمكنه
الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب

(١) حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين فسأل عن أعلم أهل الارض الحديث هو متفق عليه كما قال المصنف من حديث أبي سعيد

الآخر وقل ادعوا الله الآيتين وآخر الكهف من ان الذين آمنوا وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك الى آخر السورة ولقد صدق الله وأول سورة الحديد الى بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو أنزلنا ثم يسبح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمد مثله ويكبر مثله ويتمها مائة بلا إله إلا الله وحده لاشريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو من المصحف أو يشتغل بأنواع الاذكار ولايزال كذلك من غير فتور وقصور ونعاس فان

والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ
الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده
كعدمه فما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان
أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز
بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله فان قال من ذهب الى أنها لا تصح اني أردت به أن
التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها
دون الزنا ان كان توجعه لأجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على
قتله بالسكين لأن توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه
وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم
بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز
هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين
واحد وانما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذا
معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات
فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول نقول ان العقد لا يصح أي لم تترتب عليه
الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا أن ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك
السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم
واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما أن تكون عن
الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر
فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب الى تطرق العفو اليها
فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه كالذي يجني على أهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون
خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن
الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن أحد منهم معصوما فلا
تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على
وجه يشعر معه انه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال
وجوده وان أكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر * الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر
دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب
والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا أيضا ممكن كما في تفاوت
الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر
التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه اذا زال عقله
ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا
في المستقبل وندما على الماضي * الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة
كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر الى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا ممكن ووجه
امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه
في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب
قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة

النوم في هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم فليقم في مصلاه قائما مستقبل القبلة فان لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة ففي ادامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين وأثر ذلك في حق من يجمع في الاذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فاذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه وتبتني أوقات النهار جميعا على

أقوى منه بأن لم يعارضه الاماهو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق فى نفسه ان قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلا ينبغى أن أخلع العذار وأرخى العنان بالكلية بل أجاهده فى بعض المعاصى فعسانى أغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلى و يصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب الى الله تعالى مالم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بان يقول لله تعالى على أمران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا ملى فى أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الآخر فانا أقهره فيما أقدر عليه وأرجو بمجاهدتى فيه أن يكفر عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجودها والخوف اذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبى ﷺ الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها و بهذه المعانى تبين سقوط قول القائل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لانها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرض الى سخط الله تعالى نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط و يتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة الذنوب تأثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه و يترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذى حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن أن يتوب عن شئ ولا يتوب عن مثله بل لابد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقى عليه اما فى شدة المعصية واما فى غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله فى الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد أطاع الله فى جميع الاوامر والنواهى * فان قلت هل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنة * فأقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ومالا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكنى أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق بها ضرر الزنا الذى قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فانى أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف فى انه لو تاب قبل طريان العنة و مات عقيب التوبة كان من التائبين وان لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان تبلغ قوة الندم فى حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهى شيأ يقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة فى هذا كله ترجع الى ان ظلمة المعصية تمحى عن القلب بشيئين أحدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك فى المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل مالم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه فى عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر بقى فى نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها و يمنعها فأيهما أفضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى ان المجاهد أفضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لانه لو فتر فى توبته كان أقرب الى السلامة من المجاهد

هذا البناء فاذا قارب طلوع الشمس يبتدئ بقراءة المسبعات العشر وهى من تعليم الخضر عليه السلام علمها ابراهيم التيمى وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ و ينال بالمداومة عليها جميع المتفرق فى الأذكار والدعوات وهى عشرة أشياء سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والصلاة على النبى وآله و يستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات و يقول سبعا اللهم افعل بى وبهم عاجلا

الذى هو فى عرضة الفتور عن المجاهدة وماقاله كل واحد من الفريقين لايخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذى انقطع نزوع نفسه له حالتان * احداهما أن يكون انقطاع نزوعه إليها بفتور فى نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين وأعنى بقوة الدين قوة الارادة التى تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا أسلم اذ لو فتر لايعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين أفضل من الفحل لانه فى أمن من خطر الشهوة والصبى أفضل من البالغ لانه أسلم والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لاعدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز فى الاخطار وأن العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذى ليس له فرس ولا كلب أفضل فى صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من أن يعضه الكلب و يعتدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد ﴿الحالة الثانية﴾ ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع فلاتهيج الا بالاشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لايستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت ومادمت فى المجاهدة فانت بعد فى طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد فى صف القتال ولايدرى كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ولقد زل فى هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات و إماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل فى اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات * فان قلت فما قولك فى تائبين أحدهما نسى الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينه ولايزال يتفكر فيه و يحترق ندما عليه فأيهما أفضل فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولايهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لايهمه أمر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازله أحواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم فالطرق الى الله تعالى كثيرة وان كانت مختلفة فى القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك فى أصل الهداية فاقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال فى حق المبتدئ لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلاتقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغى أن لايعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادى الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ماسبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق المسافر عن الطريق

وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة بما أنت له أهل ولاتفعل بنا يامولانا مانحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم ( وروى ) ان ابراهيم التيمى لما قرأ هذه بعد ان تعلمها من الخضر رأى فى المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والانبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل انه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة الى أن تطلع الشمس قدر رمح (روى) عن رسول الله ﷺ انه قال لأن أقعد

الى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فلوجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد أشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم الى الدرجات اللائقة بأممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال ﷺ (١) أما اني لا أنسى ولكني أنسى لأشرع وفي لفظ انما أسهو لأسن ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة أما ترى الاب اذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال ﷺ (٢) للحسن كخ كخ لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فاياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فانها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

## ﴿ بيان أقسام العباد في دوام التوبة ﴾

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات * الطبقة الاولى ان يتوب العاصي و يستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوّة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله ﷺ (٣) سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر

(١) حديث أما اني لا أنسى ولكن أنسى لأشرع ذكره مالك بلاغا بغير اسناد وقال ابن عبد البر لا يوجد في الموطأ الا مرسلا لا اسناد له وكذا قال حمزة الكناني انه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الانماطي وقد طال بحثي عنه وسؤالي عنه للائمة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا (٢) حديث أنه قال للحسن كخ كخ لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٣) حديث سبق المفرّدون المستهترون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم

في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب ثم يصلي ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله ﷺ انه كان يصلي الركعتين وبهاتين الركعتين تتبين فائدة رعاية هذا الوقت واذا صلى الركعتين بجمع همّ وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا اذا كان صادقا والذي يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الاولى آية الكرسي وفي الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والارض الى آخر

نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها والى من لاينفك عن منازعة النفس ولكنه يلي بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة و باختلاف المدة و باختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلى وأفضل اذ كل سيئة فانما يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذى ارتكبه العاصى أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه و يكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لاينكر عظم أثره لوفرض ولكن لاينبغى للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع فى الانكفاف فانه لايؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية و ينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه و يسعى مع ذلك فى كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته فى الابتداء ﴿الطبقة الثانية﴾ تائب سلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات وترك كبار الفواحش كلها الا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لاعن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى أحواله من غير أن يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التى تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هى النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ماتستهدف له من الاحوال الذميمة لاعن تصميم عزم وتخمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهى أغلب أحوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمى قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك فى غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى ـ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة ـ فكل المام يقع بصغيرة لاعن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فأثنى عليهم مع ظلمهم لانفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علىّ كرم الله وجهه (١) خياركم كل مفتن تواب وفى خبر آخر (٢) المؤمن كالسنبلة يفىء أحيانا و يميل أحيانا وفى الخبر (٣) لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة أى الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على أن هذا القدر لاينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذى يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق فى أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه فى الدين هو الذى لايؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبى ﷺ (٤) كل بنى آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون المستغفرون وقال أيضا (٥) المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أى واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم

(١) حديث على خياركم كل مفتن تواب البيهقى فى الشعب بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن كالسنبلة تفىء أحيانا وتميل أحيانا أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس والطبرانى من حديث عمار بن ياسر والبيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وكلها ضعيفة وقالوا تقوم بدل تفىء وفى الأمثال للرامهرمزى اسناد جيد لحديث أنس (٣) حديث لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذى واستغربه والحاكم وصحح اسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون * قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخارى (٥) حديث المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالا فسعيد

الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله على نعمه فى يومه وليلته ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ المعوذتين فيهما فى كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله تعالى من شر يومه وليلته ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر ما يجرى به الليل والنهار ان ربى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الأوليين اللهم انى أصبحت لا

مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة أصلا ﴿الطبقة الثالثة﴾ أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه الشهوة في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الازل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الازل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ـ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ـ فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال ﷺ (١) ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة ما قبله اذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع في المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر ﴿الطبقة الرابعة﴾ أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه كما لا يستحيل أن يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجده وأن يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما أن من خرب بيته وضيع ماله

(١) حديث ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله سبعين سنة ولمسلم من حديث أبي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وشهر مختلف فيه

أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبحت مرتهنا بعملي وأصبح أمري بيد غيري فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسئ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم اني أعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم ثم يصلي ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمله في يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الاطلاق والا فالاستخارة التي وردت بها الاخبار بدل تخيرهم

وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجده تحت الأرض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعد عند أرباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ماهذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الاسباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد أخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد في الآخرة وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر في الدنيا وينسى قوله تعالى ـ وفي السماء رزقكم وما توعدون ـ فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلا تحت قوله تعالى ـ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا أي أبصرنا انك صدقت اذ قلت وأن ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

﴿ بيان ما ينبغي أن يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة أو عن المام بحكم الاتفاق ﴾

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فالحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها فأما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات * واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والاذكار * واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب اذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يوما وفي بعض الآثار (١) تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين

---

(١) أثران من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا فلعل المصنف عبر بالأثر لارادة الموقوف فذكرته احتياطا والا فالآثار ليست من شرط كتابي

---

هي التي يصليها أمام كل أمر يريده ويقرأ في هاتين الركعتين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول فيه كل قول وعمل أريده في هذا اليوم اجعل فيه الخيرة * ثم يصلي ركعتين أخريين يقرأ في الاولى سورة الواقعة وفي الاخرى سورة الاعلى ويقول بعدها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعل حبك أحب الاشياء الي وخشيتك أخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عيني بعبادتك

وفى بعض الاخبار (١) تصلى أربع ركعات وفى الخبر (٢) اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفى الخبر الصحيح (٣) ان رجلا قال لرسول الله ﷺ انى عالجت امرأة فأصبت منها كل شئ الا المسيس فاقض على بحكم الله تعالى فقال ﷺ أوما صليت معنا صلاة الغداة قال بلى فقال ﷺ ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على أن مادون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله ﷺ الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغى أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد فى دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفى الخبر (٤) المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم أنه قد ورد فى فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها فى كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ فقال تعالى ـ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ـ فكان بعض الصحابة (٥) يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقى الاستغفار معنا فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله فى سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة فى نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة فى فضل الاستغفار حتى قال ﷺ (٦) ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى أواخرها ولذلك قال سهل لابد للعبد فى كل حال من مولاه فاحسن أحواله أن يرجع اليه فى كل شئ فان عصى قال يارب استر على فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب على فاذا تاب قال يارب ارزقنى العصمة واذا عمل قال يارب تقبل منى وسئل أيضا عن الاستغفار الذى يكفر الذنوب

---

(١) حديث التكفير بصلاة أربع ركعات ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل من أصحاب النبى ﷺ يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك فقال له النبى ﷺ صل أربع ركعات فأنزل الله عزوجل وأقم الصلاة طرفى النهار الآية واسناده جيد (٢) حديث اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية البيهقى فى الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبرانى من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة السر بالسر الحديث (٣) حديث ان رجلا قال يارسول الله انى عالجت امرأة فأصبت منها كل شئ الا المسيس الحديث فى نزول ان الحسنات يذهبن السيئات متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أوما صليت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبى أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث (٤) حديث المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله ابن أبى الدنيا فى التوبة ومن طريقه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمستهزئ بربه وسنده ضعيف (٥) حديث بعض الصحابة فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبى موسى الأشعرى ورفعه الترمذى من حديثه أنزل الله على أمانين الحديث وضعفه وابن مردويه فى تفسيره من قول ابن عباس (٦) حديث ما أصر من استغفر الحديث تقدم فى الدعوات

---

واجعل طاعتك فى كل شئ منى يا أرحم الراحمين ثم يصلى بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيأ من حزبه من القرآن ثم بعد ذلك ان كان متفرغا ليس له شغل فى الدنيا يتنقل فى أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر الى وقت الضحى وان كان ممن له فى الدنيا شغل اما لنفسه أو لعياله فليمض لحاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغى أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت الى جهة الا بعد أن يصلى ركعتين ليقيه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت الا ويصلى ركعتين ليقيه الله سوء المدخل بعد أن يسلم على من فى المنزل من الزوجة

فقال أوّل الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذى هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا فى قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل أيضا عن قوله ﷺ التائب حبيب الله فقال إنما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر فى قوله تعالى ــ التائبون العابدون الآية ــ وقال الحبيب هو الذى لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود أن للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات فبعضه محو لاصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغى أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى ــ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ــ صدق وانه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح فى الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير الى أن يثقل فترفع كفة السيئات فاياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصى فلا تنفيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر فى كل ساعة الا على خيط واحد وتقول أى غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك فى الثياب ولا تدرى المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلا بل اقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان فى تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة إلى السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبى عثمان المغربى إن لسانى فى بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل فقال اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك فى الخير وعوده الذكر ولم يستعمله فى الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعوّد الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصى فمن تعوّد لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوّد فقال أستغفر الله ومن تعوّد الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعوّد الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعوّد الفضول قال لعنه الله فيعصى فى إحدى الكلمتين ويسلم فى الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معانى قوله تعالى ــ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ــ ومعانى قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ــ فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار فى الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف فى الدنيا الادنى الطاعات وتضعيف الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فاياك وان تلمح فى الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات فان هذه مكيدة روّجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر فاى خير فى ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق فى هذه المكيدة الى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات * اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هى كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم انفك من وجهين فأضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه * وأما الظالم المغرور فاستشعر فى نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه

وغيرها وان لم يكن فى البيت أحد يسلم أيضا ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وان كان متفرغا فأحسن أشغاله فى هذا الوقت الى صلاة الضحى الصلاة فان كان عليه قضاء صلى صلاة يوم أو يومين أو أكثر والا فليصل ركعات يطوّلها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يختم القرآن فى الصلاة بين اليوم والليلة والا فليصل أعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التى فى القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وأمثال هذه الآية

* وأما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة أصلا وأصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم ذم مايذم وحمد مايحمد والا جهلت معنى ماقال القائل الصادق حسنات الأبرار سيئات المقربين فان هذه أمور تثبت بالاضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي أن لاتستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيأ فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلاتحقروا منها شيأ فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولي الله تعالى وزاد وخبأ إجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الاجابة فيه

## ﴿ الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار ﴾

اعلم ان الناس قسمان * شاب لاصبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ (١) تعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر * والقسم الثاني هو الذي لايخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لايحصل الا بالدواء ولايقف على الدواء من لايقف على الداء اذ لامعنى للدواء الا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولايبطل الشئ الا بضده ولاسبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولايضاد الغفلة الا العلم ولايضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى ـ وأولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ـ فالدواء إذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء أصلان أحدهما العلم والآخر الصبر ولابد من بيانهما فان قلت أينفع كل علم لحل الاصرار أم لابد من علم مخصوص * فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الاصرار * فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون أقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بأمور ﴿الاول﴾ أن يصدق على الجملة بان للمرض والصحة أسبابا يتوصل اليها بالاختيار على مارتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان بأصل الطب فان من لايؤمن به لايشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه ممانحن فيه الايمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو المعصية وهذا هو الايمان بأصل الشرائع وهذا لابد من حصوله اما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الايمان ﴿الثاني﴾ أنه لابد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لايلبس ولايكذب فان ايمانه بأصل الطب لاينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه ممانحن فيه العلم بصدق الرسول ﷺ والايمان بان كل مايقوله حق وصدق لاكذب فيه ولاخلف ﴿الثالث﴾ أنه لابد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء

(١) حديث يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة

يقرأ في كل ركعة آية منها اما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلي بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وصلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة الى مائتين الى خمسمائة الى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا الى أهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى (قال سهل بن عبدالله التستري) لايكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر

فتكون

فتكون شدة الخوف باعثة له على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج ﴿الرابع﴾ أن يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرف أولاً تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شئ ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بأنها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه ذلك وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر الى أن يسئل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون إلا جهالا فلابد من تبليغ الدعوة اليهم في الأصل والفرع والدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الابدان والعلماء أطباء والسلاطين قوّام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل احداها أن المريض به لا يدري أنه مريض * والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال * والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذلم ينصحوا لم يغشوا واذلم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك ألذ في الاسماع وأخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دوا آن ولكن لشخصين متضادي العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج

والمغرب يصلى الضحى فهذا الوقت أفضل الاوقات لصلاة الضحى قال رسول الله ﷺ صلاة الضحى اذا رمضت الفصال وهو أن ينام الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس وقيل الضحى اذا ضحيت الاقدام بحر الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك ان كان هناك حق يقضى مما ندب اليه من زيارة أو عيادة يمضي فيه والا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا والا فباطنا وترتيب ذلك انه يصلي ما دام منشرحا

أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع فى قبول التوبة فيتوب فأما معالجة المغرور المسترسل فى المعاصى بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والاغبياء فاذا فساد الاطباء هى المعضلة الزباء التى لا تقبل الدواء أصلا * فان قلت فاذكر الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الواعظ فى طريق الوعظ مع الخلق * فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة فى حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهى أربعة أنواع الأول أن يذكر ما فى القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله ﷺ (١) ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ياليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ياليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفى بعض الروايات ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر ياليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصى الا استأذن مكانه من الارض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدى وأمهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب إلى فأغفر له ولعله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢) الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفى حديث مجاهد (٣) القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع وقال الحسن ان بين العبد و بين الله حدا من المعاصى معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والاخبار والآثار فى ذم المعاصى ومدح التائبين لا تحصى فينبغى أن يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله ﷺ (٤) فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه (النوع الثانى) حكايات الانبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع فى قلوب الخلق مثل أحوال آدم ﷺ فى عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روى انه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده و بدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الاكليل عن جبينه ونودى من فوق العرش اهبطا من جوارى فانه لا يجاورنى من عصانى قال

ونفسه عجيبة فان سئم ينزل من الصلاة الى التلاوة فان مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فان سئم التلاوة أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة فان سئم الذكر يدع ذكر اللسان و يلازم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى اليه فادام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله فان عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوساوس وتزاحم فى باطنه حديث النفس فلينم ففى النوم السلامة والاكثرة حديث النفس تقسى القلب ككثرة الكلام لانه كلام من غير لسان فيحترز عن

(١) حديث ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف ان لله ملكا ينادى فى كل ليلة أبناء الاربعين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا الحديث (٢) حديث عمر الطابع معلق بقائمة من قوائم العرش فاذا انتهكت الحرمات الحديث ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٣) حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة قلت هكذا قال المصنف وفى حديث مجاهد وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه فى شعب الايمان للبيهقى من قول حذيفة (٤) حديث انه ﷺ ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة البخارى من حديث عمرو ابن الحرث قال ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولمسلم من حديث عائشة ما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى حديث أبى الدرداء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم فى العلم

فالتفت

فالتفت آدم الى حوّاء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يوما وقيل لأن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال أطعمونى فانى سليمان بن داود شج وطرد وضرب وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته فطردته و بصقت فى وجهه وفى رواية أخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه الى أن أخرج الله الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين أيام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم فى عذركم الآن ان هذا أمر كان من السماء ولا بد منه وروى فى الاسرائيليات ان رجلا تزوّج امرأة من بلدة أخرى فارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيا فى بنى اسرائيل وفى قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك الله على علم الغيب قال بترك المعاصى لاجل الله تعالى وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر الى قميصه نظرة وكان جديدا فكأنه أعجبه قال فوضعته الريح فقال لم فعلت هذا ولم آمرك قالت انما نطيعك إذا أطعت الله وروى أن الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه السلام أتدرى لم فرقت بينك و بين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له وتدرى لم رددته عليك قال لا قال لانك رجوتنى وقلت ــ عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ــ و بما قلت اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك اذكرنى عند ربك قال الله تعالى ــ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم فى أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة أشد وأكبر فهذا أيضا مما ينبغى أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فانه نافع فى تحريك دواعى التوبة ﴿النوع الثالث﴾ أن يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل فى أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغى أن يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل فى الدنيا شؤمها فى غالب الامر كما حكى فى قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى انه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال ﷺ (١) ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود انى لاحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام (٢) من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا فى الوجه ونقصانا فى المال انما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت فى مثله أو شر منه وهو كما قال لان اللعنة هى الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون وحكى عن بعض العارفين انه كان يمشى فى الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشى فى وسط الوحل و يبكى و يقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع فى ذنب وذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا وهو اشارة الى أن الذنب تتعجل

(١) حديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده واللفظ له الا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا تقدم

ذلك قال سهل ابن عبد الله أسوأ المعاصى حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر فى باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد أن يصلى من صلاة الضحى الى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة أو يقرأ فى كل ركعتين جزأ من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى و بعد الفراغ من أعداد أخر من الركعات

عقوبته بالاعجار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ماأنكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى وقال آخر أعرف العقوبة حتى فى فأر بيتى وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت أنظر اليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى فأخذ بيدى فاستحييت منه فقلت ياأباعبدالله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة وقال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وقال لايفوت أحدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفى الخبر (١) ماأنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم وفى الخبر (٢) يقول الله تعالى ان أدنى ماأصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى * وحكى عن أبى عمرو بن علوان فى قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائما ذات يوم أصلى فخامر قلبى هوى طاولته بفكرتى حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدى كله فاستترت فى البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله فى الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الى فاشخصنى من الرقة فلما أتيته قال لى أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدى الله تعالى فلولا انى دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة فى آفات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنب فى الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته فان ابتلى بشئ كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وان أصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته ﴿النوع الرابع﴾ ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء فى غير موضعه بل ينبغى أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله ﷺ (٣) حيث قال له واحد أوصنى يارسول الله ولا تكثر على قال لا تغضب (٤) وقال له آخر أوصنى يارسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما فى أيدى الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك ومايعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع أوصنى فقال أوصيك أن تكون ملكا فى الدنيا والآخرة قال وكيف لى بذلك قال الزم الزهد فى الدنيا فكأنه ﷺ توسم فى السائل الأول مخايل الغضب فنهاه عنه وفى السائل الآخر مخايل الطمع فى الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع فى السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصنى فقال كن رحيما أكن لك بالجنة زعيما فكأنه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن أدهم أوصنى فقال اياك والناس وعليك بالناس ولابد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النسناس وماأراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الياس فكأنه تفرس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب

---

(١) حديث ماأنكرتم من زمانكم فبما أنكرتم من أعمالكم البيهقى فى الزهد من حديث أبى الدرداء وقال غريب تفرد به هكذا العقيلى وهو عبدالله بن هانئ * قلت هو متهم بالكذب قال ابن أبى حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل (٢) حديث يقول الله ان أدنى ماأصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذة مناجاتى غريب لم أجده (٣) حديث قال رجل أوصنى ولا تكثر على قال لا تغضب تقدم (٤) حديث قال له آخر أوصنى قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد تقدم

---

حسن (قال سفيان) كان يعجبهم اذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يعين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس اذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار تجد فى الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان فى أول النهار فيكون للصادق فى النهار نهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالى والدؤب فى العمل وينبغى أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون

على حاله فى وقته وكان الغالب أذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله الى عائشة رضى الله عنها أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول (١) من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله الى الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التى تكون الولاة بصددها وهى مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت اليه مرة أخرى أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيأ والسلام فاذا على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان * فان قلت فان كان الواعظ يتكلم فى جمع أو سأله من لا يدرى باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل * فاعلم أن طريقه فى ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق فى الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان فى علوم الشرع أغذية وأدوية فالاغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل ومثاله ماروى أن رجلا قال لأبى سعيد الخدرى أوصنى قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك فى أهل الأرض وذكر لك فى أهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان * وقال رجل للحسن أوصنى فقال أعز أمر الله يعزك الله وقال لقمان لابنه يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين * وقال أيضا لابنه يابنى لا تضحك من غير عجب ولا تمش فى غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ماقدمت ومال غيرك ماتركت يابنى ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبى حازم أوصنى فقال كل مالوجاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل مالوجاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فأجتنبه * وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصنى فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام أوصنى فقال اجتهد فى رضا خالقك بقدر ما تجتهد فى رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف أوصنى فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لابد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لابد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لابد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى أما بعد فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما فى يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يسأله أن يعظه فكتب اليه أما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات أمامك ولابد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فأقلع واذا جهلت فاسأل واذا غضبت فامسك * وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عدى بن أرطاة أما بعد فان الدنيا عدوة أولياء

(١) حديث عائشة من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس الحديث الترمذى والحاكم وفى مسند الترمذى من لم يسم

وقت الاستواء مستقبل القبلة ذاكرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفى النهار وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل فسبح أراد العشاء الاخيرة وأطراف النهار أراد الظهر والمغرب لان الظهر صلاة فى آخر الطرف الاول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب فصار الظهر آخر الطرف الاول والمغرب آخر الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الاول وقد عاد بنوم النهار

الله وعدوّة أعداء الله فاما أولياؤه فغمتهم وأما أعداؤه ففرّتهم وكتب أيضا الى بعض عماله أما بعد فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تأتى الى الناس شيأ الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل آخذ للظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغى أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التى يشترك الكافة فى الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصى واستسرى الفساد و بلى الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون أبياتا و يتكلفون ذكر ماليس فى سعة علمهم و يتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف فاذن كان طلب الطبيب أوّل علاج المرضى وطلب العلماء أوّل علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله ﴿الأصل الثانى الصبر﴾ ووجه الحاجة اليه أن المريض انما يطول مرضه لتناوله مايضره وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه فى كتاب رياضة النفس * وحاصله أن المريض اذا اشتدت ضراوته لمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه فى صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوّة الخوف على الالم الذى يناله فى تركه فلابد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة فى المعاصى كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه فى السعى وراء شهوته فينبغى أن يستشعر ضرر ذنبه بان يستقرى المخوفات التى جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فاذا اشتد خوفه تباعد من الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر إليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لايتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد فأوّل الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم و ينبعث من تمامه لامحالة خوفه واذا قوى الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعى لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى فلا يغنى عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وانما لله الآخرة والأولى * فان قلت فقد رجع الأمر كله إلى الايمان لان ترك الذنب لايمكن الا بالصبر عنه والصبر لايمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون الا بالعلم والعلم لا يحصل الا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكان من أصر على الذنب لم يصر عليه الا لأنه غير مؤمن * فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب فى الآخرة ولكن سبب وقوعه فى الذنب أمور * أحدها أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثره بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر * الثانى أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهى فى الحال آخذة بالمخنق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والالاف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى ـ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ـ وقال عز وجل ـ بل تؤثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله ﷺ (١) حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله ﷺ (٢) ان الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام

جديدا كما كان بنوم الليل ويصلى فى أوّل الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله ﷺ وهذه صلاة الزوال قبل الظهر فى أوّل أوقاتها ويحتاج أن يراعى هذه الصلاة أوّل الوقت بحيث يفطن للوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء فيشرع فى صلاة الزوال ويسمع الاذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة الظهر فان وجد فى باطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى ويتضرع إليه ولا يشرع فى صلاة الظهر الا بعد أن يجد الباطن عائدا

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث ان الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فأنظر اليها الحديث أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وقدم فيه ذكر الجنة

اذهب

اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد فاذا كون الشهوة مرهقة فى الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران فى الاسترسال مع حصول أصل الايمان فليس كل من يشرب فى مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر فى حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الألم المنتظر * الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو فى الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان * الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء أصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح فى أصل ايمانه وهو كونه شاكا فى صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذى يحذره الطبيب عن تناول ما يضره فى المرض فان كان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالى به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة * فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه فى السبب الاول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وان غدا للناظرين قريب وان الموت أقرب الى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه أبدا فى دنياه يتعب فى الحال لخوف أمر فى الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسى الاسفار لاجل الربح الذى يظن أنه قد يحتاج اليه فى ثانى الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصرانى بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد ألذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت ألمه لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده فى الدنيا الى عدمه أزلا وأبدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمى لم تقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلى ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات عندى دون قول نصرانى يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الاعوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندى أخف من عذاب المرض وكل يوم فى الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا أقدر على ترك لذاتى أيام العمر وهى أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد واذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار واذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر فى أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لان المسوف يبنى الأمر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقى فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعرى هل عجز فى الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التى أكدها الانسان بالعادة كالتى لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة فى أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق وما مثال المسوف الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود اليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز فى أرض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة فى بلده وترك ذخائر أمواله فى صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال

الى حاله من الصفاء والذائقون حلاوة المناجاة لابد أن يجدوا صفو الانس فى الصلاة ويتكدرون بيسير من الاسترسال فى المباح ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الأبرار سيآت المقربين فلا يدخل الصلاة الا بعد حل العقد واذهاب الكدر وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع الى الله تعالى ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل والولدان أن يكون فى مجالسته غير راكن اليهم كل الركون بل يسترق

انتظر من فضل الله تعالى ان يسلط غفلة أوعقوبة على الظالم الناهب حتى لايتفرغ الى دارى أواذا انتهى الى دارى مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقدحكى فى الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا أنتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه فى غاية الحماقة والجهل اذقد لايكون ولا يكون وأما الخامس وهوشك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التى تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ماقاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أوتقول أعلم انه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد فى مكانين فى حالة واحدة فان قال أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكانه لاوجود لمثل هذا فى العقلاء وان قال أناشاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك فى البيت لحظة انه ولغ فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أوتتركه وان كان ألذ الأطعمة فيقول أتركه لامحالة لانى أقول ان كذب فلا يفوتنى الاهذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فتفوتنى الحياة والموت بالاضافة الى ألم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال له ياسبحان الله كيف تؤخر صدق الانبياء كلهم مع ماظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعنى بهم جهال العوام بل ذوى الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فمايقول فليس فى العقلاء الامن صدّق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا فى كيفيته فان صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى أبد الآباد بل لوقدّرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدّرنا طائرا يلتقط فى كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيأ فكيف يفتر رأى العاقل فى الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى المعرى

قال المنجم والطبيب كلاهما * لاتبعث الأموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أوصح قولى فالخسار عليكما

ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ماقلت فقد تخلصنا جميعا والافقد تخلصت وهلكت أى العاقل يسلك طريق الامن فى جميع الاحوال * فان قلت هذه الامور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فمابال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وماعلاج القلوب لردها الى الفكر لاسيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله * فاعلم ان المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر فى عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين فى الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر فى أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة * والثانى أن الفكر شغل فى الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات ومامن انسان إلاوله فى كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه أوفى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك وأما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت ومابعده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت ومابعده ومتألم به وأما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهى مشوبة بالمكدرات فمافيها لذة صافية عن كدر وكيف وفى التوبة عن المعاصى والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولولم يكن للمطيع جزاء على عمله إلامايجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بماينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لاتكون فى ابتداء التوبة ولكنها بعد مايصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ماعودتها تتعود والخير

القلب فى ذلك نظرات الى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة الا أن يكون قوى الحال لايحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل فى الصلاة لايجدها ويجد باطنه وقلبه لانه حيث استروحت نفس هذا الى المجالسة كان استرواح نفسه منغمرا بروح قلبه لانه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظرة الى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الالهية فلا ينعقد على باطنه عقدة وصلاة الزوال التى ذكرناها تحل العقد وتهيئ الباطن لصلاة الظهر فيقرأ فى صلاة الزوال بمقدار سورة

عادة والشر لجاجة فاذا هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه و يعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق اذ التوفيق هو التأليف بين الارادة و بين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روى في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بنى فقال علي رضي الله عنه بنى على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الاماني فأخذته الحسرة والندامة و بدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر في التوبة كاف واذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلابد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى

## ﴿كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله أهل الحمد والثناء المنفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء (أما بعد) فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار (١) وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما أحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى

(الشطر الأول) في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر و بيان حده وحقيقته و بيان كونه نصف الايمان و بيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته و بيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف و بيان مظان الحاجة الى الصبر و بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

### ﴿بيان فضيلة الصبر﴾

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

البقرة في النهار الطويل وفي القصير ما يتيسر من ذلك قال الله تعالى وعشيا وحين تظهرون وهذا هو الاظهار فان انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرض وقرأ الدعاء الذي بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر فحسن وكذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ دعا به الى صلاة الفجر ثم اذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي و يسبح ويحمد و يكبر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا ولو قدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الادعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له همة ناهضة



(١) حديث الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس و يزيد ضعيف

وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول (وأما الاخبار) فقد قال ﷺ (١) الصبر نصف الايمان على ما سيأتي وجه كونه نصفا وقال ﷺ (٢) من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب الي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروى (٣) جابر أنه سئل ﷺ عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا (٤) الصبر كنز من كنوز الجنة (٥) وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله ﷺ (٦) الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا ﷺ (٧) أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقي وان من أخلاقي اني أنا الصبور (٨) وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال ﷺ مؤمنون ورب الكعبة وقال ﷺ (٩) في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله ﷺ (١٠) لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى ﴿وأما الآثار﴾ فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الايمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال أيضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى وقال واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة

---

(١) حديث الصبر نصف الايمان أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصرا ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة الطبراني في مكارم الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كنز من كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث سئل مرة عن الايمان فقال الصبر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ويزيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج (٧) حديث أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس لا أصل له مرفوعا وانما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (٨) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله الحديث الطبراني في الاوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء (٩) حديث في الصبر على ما تكره خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (١٠) حديث لو كان الصبر رجلا لكان كريما الطبراني من حديث عائشة وفيه صبيح ابن دينار ضعفه العقيلي

---

وعزيمة صادقة لا يستكثر شيأ لله تعالى ثم يحيي بين الظهر والعصر كما يحيي بين العشاءين على الترتيب الذي ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والمراقبة ومن دام سهره ينام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر والعصر ولو أحيا بين الظهر والعصر بركعتين يقرأ فيهما ربع القرآن أو يقرأ ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وان أراد أن يحيي هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال اذا كان صائما وان لم يكن صائما فأي وقت

صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق

﴿ بيان حقيقة الصبر ومعناه ﴾

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة و بحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة أما في البهائم فلنقصانها وأما في الملائكة فلكمالها و بيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف وأما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده و يؤيده و يقويه بجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها

تغير فيه الفم وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام الى الفرائض يستحب (قيل) ان الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وقيل هو خبر وان أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الاولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (ثم) في الثانية ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (ثم) ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة (ثم) ربنا لا تزغ قلوبنا الآية (ثم) ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية (ثم)

وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت أن رتبة الملك الهادى أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك أن جانب اليمين الذى هو أشرف الجانبين من جنبتى الدست ينبغى أن يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران فى الغفلة والفكر وفى الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيآت باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبون فلاثباتهما الحسنات والسيآت وانما يكتبان فى صحائف مطوية فى سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه فى هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ماتعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شئ من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار فى هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة فى القيامة الصغرى ومرة فى القيامة الكبرى وأعنى بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال ﷺ (١) من مات فقد قامت قيامته وفى هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أما فى القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان أرضك الخاصة بك تزلزل فى الموت فانك تعلم أن الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة فى حقه لأنه انما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك أرضى مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك والأرض التى أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء أبدا متزلزل وأنت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهى أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا الى جميع أجزائك فاذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى ألقت مافيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاهوال ولكنى أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب فى حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانها قد كسفت فى حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلى جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هى القيامة

(١) حديث من مات فقد قامت قيامته ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف

ربنا آمنا بما أنزلت (ثم) أنت ولينا فاغفر لنا (ثم) فاطر السموات والارض أنت ولي (ثم) ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن الآية (ثم) وقل رب زدني علما (ثم) لا اله الا أنت سبحانك (ثم) رب لا تذرني فردا (ثم) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (ثم) ربنا هب لنا من أزواجنا (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (ثم) يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي الآية من سورة الاحقاف (ثم) ربنا اغفر لنا

الصغرى والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص و بطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا فى وصفها فانا لم نذكر عشر عشير أوصافها وهى بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو فى الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم وله فى سلوكه الى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذى يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة فى اثنتين واليه الاشارة بقوله تعالى ـ وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين و بين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أوما سمعت قول سيد الانبياء (١) كفى بالموت واعظا أوما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال ﷺ (٢) اللهم هوّن على محمد سكرات الموت أوما تستحى من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ـ فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أفيظنون أنهم فى الدنيا خالدون أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لأنا جعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون

*ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى أمور هى أعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيأ على الصبيان والمجانين اذ قد ذكرنا أن الحسنة فى الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة فى الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمرى انه قد تظهر مبادئ اشراق نور الهداية عند سن التميز وتنمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها فى الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر فى الآخرة بل على القيم العدل والولى البر الشفيق ان كان من الأبرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الاخيار أن يكتب على الصبى سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولى هذا سمته فى حق الصبى فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها فى حق الصبى فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع

ولاخواننا الذين الآية (ثم) ربنا عليك توكلنا (ثم) رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا مهما يصلى فليقرأ بهذه الآيات و بالمحافظة على هذه الآيات فى الصلاة مواطئا للقلب واللسان يوشك أن يرقى الى مقام الاحسان ولو ردد فرد آية من هذه فى ركعتين من الظهر أو العصر كان فى جميع الوقت مناجيا لمولاه وداعيا وتاليا ومصليا والدؤب فى العمل واستيعاب أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح الا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقصاء فى

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر ضعيف ورواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد (٢) حديث اللهم هوّن على محمد سكرات الموت الترمذى وقال غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أعنى على سكرات الموت

النبيين والمقربين والصديقين واليه الاشارة بقوله ﷺ (١) أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار الى أصبعيه الكريمتين ﷺ

﴿ بيان كون الصبر نصف الايمان ﴾

اعلم أن الايمان تارة يختص فى اطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللاعمال أبواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه فى كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) أن يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما فقال من أقل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره * الاعتبار الثانى أن يطلق على الأحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع مايلاقيه العبد الى ماينفعه فى الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالاضافة الى مايضره حال الصبر وبالاضافة الى ماينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطرى الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا الى رسول الله ﷺ ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال ﷺ بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغى أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

﴿ بيان الاسامى التى تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر ﴾

اعلم أن الصبر ضربان أحدهما ضرب بدنى كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطى الأعمال الشاقة امامن العبادات أومن غيرها واما بالاحتمال كالصبر عن الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة وان كان عن احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلما ويضاده التذمر وان كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان فى اخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه أكثر أعماله وأعزها كما قال

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم

الزهد فى الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى ومتى بقى على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لايدوم روحه فى العمل بل ينشط وقتا ويسأم وقتا ويتناوب النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شئ من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا واذا صح فى الزهد والتقوى فان ترك العمل بالجوارح لايفتر عن العمل بالقلب فمن رام دوام الروح واستحلاء الدؤب فى العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لايزول ولكن تزول متابعته والنبى عليه السلام مااستعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعته

(١) الحج عرفة وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى ـ والصابرين في البأساء ـ أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة ـ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ـ فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن أن هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد وأن يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى ـ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ـ فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه

## ﴿ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف ﴾

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال ( أحدها ) أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الأقلون فلاجرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية * الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ـ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ـ وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال ﷺ (٢) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال أنا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ما حقه ان لا يتسلط عليه وانما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه الى أبغض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى أبغض إله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض * الحالة الثالثة أن يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد مثله لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيأ منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يعمر وتقدم في الحج (٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الغرور

فقال أعوذ بك من هوى متبع ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح مطاع ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعا للهوى باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر اليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والاكل وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل الا في الدنيا * ثم يصلي العبد قبل العصر أربع ركعات فان أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر

قوله تعالى ـ خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ ـ على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل

ولم أر فى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

و ينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد و يسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس و يخص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى ـ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوى يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه فى مصارعته اعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين و باعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتى فى كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال ﷺ (١) اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على الثلاثة مقامات * أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين * وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين * وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين فى كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجرى فى صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا * واعلم ان الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم * فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة و يسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغى أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

﴿ بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه فى حال من الأحوال ﴾

اعلم أن جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذى يوافق هواه والآخر هو الذى لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد منهما وهو فى جميع الاحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر ﴿ النوع الاوّل ﴾ ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك فى ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافى لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ـ وقال عز وجل ـ ان من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم ـ وقال ﷺ (٢) الولد مبخلة مجبنة محزنة

(١) حديث اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث الولد مجبنة مبخلة محزنة أبو يعلى الموصلى من حديث أبى سعيد وتقدم ،

فى تنوير الباطن وتكميل الصلاة و يقرأ فى الاربع قبل العصر اذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم و يصلى العصر و يجعل من قراءته فى بعض الايام والسماء ذات البروج وسمعت ان قراءة سورة البروج فى صلاة العصر أمان من الدماميل و يقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والدعاء وما يتيسر له من ذلك فاذا صلى العصر ذهب وقت التنفل بالصلاة و بقى وقت الاذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يزهده فى الدنيا و يسدد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين المتكلمين بما يقوى عزائم المريدين فاذا صحت نية القائل

(١) ولما نظر عليه السلام الى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة انى لما رأيت ابنى يتعثر لم أملك نفسى أن أخذته ففى ذلك عبرة لأولى الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن اليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه فى الفرح بها ولا ينهمك فى التنعم واللذة واللهو واللعب وأن يرعى حقوق الله فى ماله بالانفاق وفى بدنه ببذل المعونة للخلق وفى لسانه ببذل الصدق وكذلك فى سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتى وانما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء (النوع الثانى) مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار فى ازالته كالتشفى من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام (القسم الأول) ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التى توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان (الضرب الاول) الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهى مضمرة ما أظهره فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره اذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم فى خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية فى رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته فى ثلاث أحوال الاولى قبل الطاعة وذلك فى تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعى الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال (٢) انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وقال تعالى ـ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات * الحالة الثانية حالة العمل كى لا يغفل عن الله فى أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلازم الصبر عن دواعى الفتور الى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا أى صبروا الى تمام العمل * الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى فى قوله ـ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ـ فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثانى) المعاصى فما أحوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصى فى قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال ﷺ (٣) المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصى

(١) حديث لما نظر الى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب (٢) حديث انما الاعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٣) حديث المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشطر الاول والنسائى

والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الاذكار وان عدمت هذه المجالسة وتعذرت فليتروح بالتنقل فى أنواع الاذكار وان كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه فى هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه فى أول النهار ولا يخرج من المنزل الا وهو على الوضوء وكره جمع من العلماء تحية الطهارة بعد صلاة العصر وأجازه المشايخ والصالحون ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ما شاء الله حسبى الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وأنت أخرجتنى وليقرأ الفاتحة والمعوذتين ولا يدع أن يتصدق كل يوم

مقتضى باعث الهوى وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وأنواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه وهي ضد ما أمر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها وهي أكبر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر (١) من أن الغيبة أشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا الا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شئ معين لم يتصور فتور الوسواس عنه ﴿القسم الثاني﴾ ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذى بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا إذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون (٢) وقسم رسول الله ﷺ مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فاخبر به رسول الله ﷺ فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور أي تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال ﷺ (٣) صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا ﴿القسم الثالث﴾ ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من

في الكبرى بالشطر الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جيدين وقد تقدما (١) حديث ان الغيبة أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان (٢) حديث قسمه مرة مالا وقول بعض الاعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٣) حديث صل من قطعك الحديث تقدم

بما يتيسر له ولو تمرة أو لقمة فان القليل بحسن النية كثير وروى أن عائشة رضي الله عنها أعطت السائل عنبة واحدة وقالت ان فيها لمثاقيل ذر كثير * وجاء في الخبر كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته ويكون من ذكره من العصر إلى المغرب مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فقد ورد عن رسول الله ﷺ ان من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد

الفضائل على ماقبلها وهى من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال ﷺ (١) أسألك من اليقين ماتهون على به مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال أبو سليمان والله مانصبر على مانحب فكيف نصبر على مانكره وقال النبي ﷺ (٢) قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال ﷺ (٣) انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ﷺ (٤) مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله و إنا إليه راجعون - اللهم اؤجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك وقال أنس حدثنى رسول الله ﷺ (٥) ان الله عز وجل قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا قال تعالى جزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى وقال ﷺ (٦) يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عوّاده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولاذنب له وان توفيته فالى رحمتى وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزعه عنه أبدا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى خطبته ماأنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ماعوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضى لايتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلى رحمه الله فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أحباؤك جاؤك زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل ساعة و يطالعها وكان فيها - واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا - و يقال ان امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيمالم ينل وحسن الرضا فيما قدنال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا ﷺ (٧) من اجلال الله

---

(١) حديث أسألك من اليقين ماتهون به علىّ مصائب الدنيا الترمذى والنسائى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذى وقد تقدم فى الدعوات (٢) حديث قال الله اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة من حديث على دون قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد المالينى فى مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم فى الدعوات (٤) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله - انا لله وانا اليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٥) حديث أنس ان الله قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه الحديث الطبرانى فى الاوسط من رواية أبى ظلال القسملى واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة رواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمتى عبدى لم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يارسول الله وان كانت واحدة قال وان كانت واحدة وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف (٦) حديث يقول الله اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عوّاده أبدلته لحما خيرا من لحمه الحديث مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقى موقوفا على أبى هريرة (٧) حديث من اجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولاتذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لاتتحدث بمصيبتك ولابوجعك ولاتزكى نفسك

---

بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لااله الا الله الملك الحق المبين فقد ورد ان من قال فى يومه مائة مرة لااله الا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد فى يومه أفضل من عمله و يقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ومائة مرة لااله الا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة أستغفر الله العظيم الذى لااله الا هو الحى القيوم واسأله التوبة ومائة مرة ماشاء الله لاقوة الا بالله ورأيت بعض الفقراء من المغرب

ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد أخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله أحوج اليها مني وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار * فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روى (١) عن الرميصاء أم سليم رحمها الله انها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله قد قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع اذ يكون من جميع الحاضرين لاجل الموت سواء ولان البكاء توجع القلب على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي ﷺ فاضت عيناه فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه بل يقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به

بكمه وله سبحة فيها ألف حبة في كيس لهذكر أن ورده أن يديرها كل يوم اثنتي عشرة مرة بأنواع الذكر (ونقل) عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده بين اليوم والليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم والليلة وليقل مائة مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان (روى) ان بعض الابدال بات على شاطئ

(١) حديث الرميصاء أم سليم توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت الحديث طب ومن طريقه ابو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف

فى مخالفته ولا يزال فى شغل دائم فالشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصوّر نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه وسلامة فلا ينبغى أن يطمع فى سجوده لأولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الأرض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولو جعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصوّر ذلك كما أن الانبطاح بين يدى المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغى أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين فى الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء فى القدح فانك ان أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت فى غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم فى الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ــ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ــ وقال ﷺ (١) ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج أفراخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع ألبتة بل تسرى شيأ فشيأ على الاتصال فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشال مجال إذا لم تكن شهوة فاذا إذا تأملت علمت أن أعدى عدوّك شهوتك وهى صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هى نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

﴿ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه ﴾

اعلم أن الذى أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا أو ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التى منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان أقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق فى بعض الامثلة فنقول إذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع

البحر فسمع فى هذه الليل هذا التسبيح فقال من الذى أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهليهيائيل فقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (وروى) ان عثمان رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال سألتنى عن شئ عظيم ما سألنى غيرك هو لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول

---

(١) حديث ان الله يبغض الشاب الفارغ لم أجده

باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور أحدها أن ننظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلابد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة الثاني قطع أسبابه المهيجة في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال رسول الله ﷺ (١) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان أو الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل مايشتهيه الطبع في المباحات من جنسه مايغني عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال ﷺ (٢) عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشئ قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب وأما تقوية باعث الدين فانما تكون بطريقين أحدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر أن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته مالا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له مايبقى بعد موته أبد الدهر ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فقوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال - وانكم اذا لمن المقربين - والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لاعلاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي مالم تصر الهموم هما

(١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم الحديث تقدم في النكاح

ولاقوة إلا بالله عزوجل وأستغفر الله الاول الآخر الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسي أعطي ست خصال فأول خصلة ان يحرس من ابليس وجنوده الثانية ان يعطى قنطارا من الأجر الثالثة يرفع له درجة في الجنة الرابعة يزوجه الله من الحور العين الخامسة اثنا عشر ملكا يستغفرون له السادسة يكون له من الأجر كمن حج واعتمر ويقول أيضا في هذا الوقت وفي أول النهار اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني

واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك مالم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى
ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه
دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة
فى كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن
هو الذى يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو فى
جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من
مخالط اذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الانواع الشاغلة * وأما النوع الثانى
فهو ضرورى أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيئة ذلك أيضا تحوج الى
شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر
الاوقات ان لم تهجم به ملمة أو واقعة وفى تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار
الله تعالى فى ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق
والانتهاء الى هذا هو أقصى المقامات التى يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ماينكشف ومبالغ مايرد
من لطف الله تعالى فى الاحوال والأعمال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل
الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازى أعمال
الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد فى أن يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى أسفل سافلين لا ينجذب الى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق
الجاذبة هو المراد بقوله ﷺ ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات
والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال الله تعالى ـ وفى السماء رزقكم وما توعدون ـ وهذا من أعلى أنواع الرزق
والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول
الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذى يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر
ولا يدرى متى يقدر الله أسباب المطر الا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه لا يخلى سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو
سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش
الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار فى أوقات الربيع
وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات فى الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما فى يوم
عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدر بها
الامطار فى أوقات الاستسقاء وهى لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة
منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك
فى قلبك وانما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى أن تنكسر
الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل واقرب من
استرسالها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا فى القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع
معارف الايمان تذكرا فقال تعالى ـ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ـ وقال تعالى ـ وليتذكر أولوا الألباب ـ
وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ـ فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر
درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كما هو مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا الى
الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى حب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر
مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق

وأنت تحيينى أنت
ربى لارب لى سواك
ولا اله الا أنت
وحدك لاشريك
لك ويقول ماشاء
الله لاقوة الا بالله
ماشاء الله كل نعمة
من الله ماشاء الله
الخير كله بيد
الله ماشاء الله
لايصرف السوء
الا الله ويقول
حسبى الله لا إله إلا
هو عليه توكلت
وهو رب العرش
العظيم ثم يستعد
لاستقبال الليل
بالوضوء والطهارة
ويقرأ المسبعات
قبل الغروب
ويديم التسبيح
والاستغفار بحيث
تغيب الشمس
وهو فى التسبيح
والاستغفار ويقرأ
عند الغروب أيضا
والشمس والليل
والمعوذتين
ويستقبل الليل
كما استقبل النهار

قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فكما أن الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل ينبغى أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر ولا يتخللهما شئ كما لا يتخلل بين الليل والنهار شئ والذكر جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا والله الموفق المعين

﴿ الباب الحادى والخمسون فى آداب المريد مع الشيخ ﴾

أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه وقد

وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهى الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من أمر ربى وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر اذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الابقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وأمنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التى فى طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضر وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور فى الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال ﷺ والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين بقوله تعالى - كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال تعالى - ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا - وقال تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق أرسل الله الملائكة الى الرسل وأوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لا أصل له ان سلم ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم - يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل - فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وابراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم أن يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة أما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وقرة عين أخفيت فى هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم فى التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهما تسلم وتتم الأسباب ينقضى العمر - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس - فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح - والزهد فى الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما أعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بانه يصير مملوكا وينال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبد لى فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم عبيد لى فهذا اذا هو الملك فى الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك فى الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل

الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن المال والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وأن يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور * أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله فى سعة الأرض اذ قال تعالى ـ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ـ * الثانى ان يكلف نفسه فى أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل فى مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغى ان يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة * الثالث ان يراعى فى ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض و يسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيأ فشيأ الى ان يقمع تلك الصفات التى رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله ﷺ (١) ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى واليه الاشارة بقوله عليه السلام (٢) لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر فى جميع الأقسام التى فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيأ لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير فى العادات فان الصبى يحمل على التعلم فى الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض العارفين انه سأل الشبلى عن الصبر أيه أشد فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل فى معنى قوله تعالى ـ اصبروا وصابروا ورابطوا ـ اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل فى معناه

والصبر عنك فمذموم عواقبه * والصبر فى سائر الاشياء محمود

وقيل أيضا

الصبر يجمل فى المواطن كلها * الا عليك فانه لا يجمل

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره

(الشطر الثانى) من الكتاب فى الشكر وله ثلاثة أركان (الاول) فى فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه (الثانى) فى حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة (الثالث) فى بيان الافضل من الشكر والصبر

﴿ الركن الاول فى نفس الشكر ﴾

﴿ بيان فضيلة الشكر ﴾

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى ـ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين

(١) حديث ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقى من حديث جابر وتقدم فى الاوراد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه من شاده يغلبه تقدم فيه

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم روى عن عبد الله ابن الزبير قال قدم وفد على رسول الله ﷺ من بنى تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تقدموا لا تتكلموا بين يدى كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله فنهوا عن تقديم الاضحية على رسول الله

وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين ـ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ـ قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر
طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى ـ وقليل من عبادي الشكور ـ وقد قطع
الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء
والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى ـ فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ـ وقال فيكشف ما تدعون
اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء
وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى ـ والله شكور حليم ـ وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة
فقال تعالى ـ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ـ وقال ـ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ـ (وأما الاخبار)
فقد قال رسول الله ﷺ (١) الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن (٢) عطاء انه قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة
فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت قلت اني
أحب قربك لكني أوثر هواك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت
دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة
فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل
ذلك وقد أنزل الله تعالى علي ـ ان في خلق السموات والارض ـ الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع
أبدا والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله
تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى ـ وقودها الناس والحجارة ـ فانا أبكي من خوفه فسأله أن يجيره من النار فاجاره
ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد
كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه ﷺ انه قال (٣)
ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين
يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال ﷺ (٤) الحمد
رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى
الله تعالى اليه أيضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر
أستزيدهم بالنظر الى أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه أي المال نتخذ فقال عليه السلام
(٥) ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر
نصف الايمان

## ﴿ بيان حد الشكر وحقيقته ﴾

(١) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنه وفي اسناده اختلاف (٢) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فقالت وأي أمره لم يكن عجبا الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأي أمره لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث (٣) حديث ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى الى الجنة الحمادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور (٤) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجد له أصلا وفي الصحيح من حديث أبي هريرة الكبر رداؤه الحديث وتقدم في العلم (٥) حديث عمر ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا الحديث تقدم في النكاح

ﷺ وقيل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الكلبي لا تسبقوا رسول الله بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله الا بمراجعة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقيل لا تقدموا الأعشوا بين يدي رسول الله ﷺ وروى أبو الدرداء قال كنت أمشي أمام أبي بكر فقال لي رسول الله ﷺ تمشي امام من هو خير منك

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولابد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ماقيل فى حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه (فالاصل الأول) العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة فى حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التى بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لابد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الأمور لابد من معرفتها هذا فى حق غير الله تعالى فاما فى حق الله تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى فى معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لامقدس الا الواحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل مافى العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة فى الرتبة الثالثة اذ ينطوى فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله ﷺ حيث قال (١) من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال ﷺ (٢) أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال (٣) ليس شئ من الاذكار يضاعف مايضاعف الحمد لله ولا تظنن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها فى القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التى هى من أبواب الايمان واليقين * واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفى الشرك فى الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره أو وكيله دخلا فى تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به فى النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا فى حق الملك نعم لايغض من توحيده فى حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذى كتبه بقلمه وبالكاغد الذى كتبه عليه فانه لايفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لايثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضا مضطران من جهة الملك فى الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيأ فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا فى توحيده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا فى يد الكاتب وأن الحيوانات التى لها اختيار مسخرات فى نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعى عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذى لايجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما فى يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعى وألقى فى نفسه أن خيره فى الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده فى الحال والمآل لايحصل الا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لايجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه فى العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته فى منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل

(١) حديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات الحديث تقدم فى الدعوات (٢) حديث أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شئ من الأذكار يضاعف مايضاعف الحمد لله لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر عن ابراهيم النخعى يقال ان الحمد أكثر الكلام تضعيفا

فى الدنيا والآخرة وقيل نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فاذا سئل الرسول عليه السلام عن شئ خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المريد فى مجلس الشيخ ينبغى أن يلزم السكوت ولا يقول شيأ بحضرته من كلام حسن الا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له فى ذلك وشأن المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق اليه فتطلعه الى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من

اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى وهو يرجوها وانما الذى أنعم عليك هو الذى سخره لك وألقى فى قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال الله عزوجل اعلم أن كل ذلك منى فكانت معرفته شكرا فاذا لا تشكر الا بان تعرف أن الكل منه فان خالجك ريب فى هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك فى الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الأصل ﴿الأصل الثانى﴾ الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا فى نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان حاويا شرطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذى يريد الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه * أحدها أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح * الوجه الثانى أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس فى صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا أو استحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل فى قلب الملك * الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ليخرج فى خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقى الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله فى قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة فى معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الانعام فى المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام فى الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث أنه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى والنزول فى جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وأمارته أن لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله فى صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلى رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يتلذ فى حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلى الاشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فمعزى فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه ﴿الأصل الثالث﴾ العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم

فضل الله وتطلعه الى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شئ لنفسه وذلك جناية المريد وينبغى أن يكون تطلعه الى مهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج الى السؤال باللسان فى حضرة الشيخ بل يباديه بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه الى الله ويستمطر ويستسقى لهم فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذين الى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح به عليه لان الشيخ يعلم تطلع الطالب

وهذا العمل يتعلق بالقلب و باللسان و بالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال ﷺ (١) لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذى أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك و بيده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلى والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ـ ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ـ وقال تعالى ـ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ـ فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هى أصول معانى الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فأما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معانى الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك فى الشكر طفيليا اشارة الى أن معنى المعرفة من معانى الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب على أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد فى حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذى يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغى أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جميع المعانى التى شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا الا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ فى ان اسم الشكر فى وضع اللسان هل يشمل جميع المعانى أم يتناول بعضها مقصودا و بقية المعانى تكون من توابعه ولوازمه ولسنا نقصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة فى شئ والله الموفق برحمته

## ﴿ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى ﴾

لعلك يخطر ببالك أن الشكر انما يعقل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم فى قلوب و يظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التى هى اعانة لهم على بعض أغراضهم

(١) حديث قال ﷺ لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذى أردت منك الطبرانى فى الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه قال فى الثالثة أحمد الله وهذا معضل ورواه فى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمر وليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله اليك وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ورواه مالك فى الموطأ موقوفا على عمر باسناد صحيح

الى قوله واعتداده بقوله والقول كالبذر يقع فى الارض فاذا كان البذر فاسدا لا ينبت وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقى بذر الكلام عن شوب الهوى و يسلمه الى الله و يسأل الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحى فكما لا يخون جبريل فى الوحى لا يخون الشيخ فى الالهام وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهرا و باطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس

أو بالمثول بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا سجدا فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع اذ لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ولاحظ لله تعالى في أفعالنا كلها * الوجه الثاني أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه أو أعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة أخرى فيؤدي الى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك فأوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك شكرا * فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما أوحي اليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكأن الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه * فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وأن كل شئ هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لان الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ — انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب — فقال واعجباه أعطى وأثنى اشارة الى انه اذا أثنى على اعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فان أحبه فما أحب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة قول العارفين أن يكونوا اضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين

في القول بشيئين أحدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وما هذا من شأن الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما يجري على لسانه راقد النفس تشغله مطالعة نعم الحق في ذلك فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعجب فيكون الشيخ لما يجري به الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعا كأحد المستمعين (وكان) الشيخ أبو السعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يليق اليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فاشكل

آمنوا يضحكون واذامروابهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذارأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وماأرسلوا عليهم حافظين - ثم بين ان ضحك العارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة - قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون - فهذا أحد النظرين * النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الاوجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبدوهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتا العينين لأنهم نفوا ماهو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لاثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا الا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود و بين الموجد وليس فى الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان - كل من عليها فان فلا يبقى الاوجه ربك ذوالجلال والاكرام - الفريق الثانى ليس بهم عمى ولكن بهم عور لأنهم يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذى قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش أدرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا ورباؤبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل فى حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد فى أنواره فيقل عمشه و بقدر مايزيد فى بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى فان بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو فينمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا فى وجود ماسوى الله تعالى دخل فى أوائل التوحيد و بينهما درجات لاتحصى فبهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الأبصار والأنبياء هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الأقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان - قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى - فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الأكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لايثبت وفيهم من يلوح له ذلك و يثبت زمانا ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأو العلا حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب (١) قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله ﷺ أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهى الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال وأعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله ﷺ لاأحصى خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثنيت على نفسك بيان أنه المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وأن - كل شئ هالك الاوجهه - فكان أول مقاماته نهاية

ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم مايقول كيف يكون كمستمع لايعلم حتى يسمع منه فرجع الى منزله فرأى ليلته فى المنام كأن قائلا يقول له أليس الغواص يغوص فى البحر لطلب الدر ويجمع الصدف فى مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لايراه إلا اذا خرج من البحر و يشاركه فى رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام اشارة الشيخ فى ذلك فأحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والجمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولا وفعلا (وقيل أيضا) فى قوله تعالى لاتقدموا

(١) حديث قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقو بتك الحديث

مقامات الموحدين وهو أن لا يرى الا الله تعالى وأفعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان ﷺ لا يرقى من رتبة الى أخرى الا ويرى الأولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه واليه الاشارة بقوله ﷺ (١) انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة فكأن ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أولها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك (٢) ولما قالت عائشة رضى الله عنها أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا ومعناه أفلا أكون طالبا للمزيد فى المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ واذا تغلغلنا فى بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر فى ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فأقول يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية فى خدمته والثانية أن لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد فى ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فمنزل العباد من الله تعالى فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال * ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة اولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التى أرادها الملك منه وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد فى بعده منه فهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته فى محبته أى فيما أحبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته أى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته اذ أهملها وعطلها وان كان هذا دون مالو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم فى القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله فى نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال ـ لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا ـ الآية فاذا نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها فى معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان

بين يدى الله ورسوله لا تطلبوا منزلة وراء منزلته وهذا من محاسن الآداب وأعزها وينبغى للمريد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريد فى حسن الارادة وهذا يعز فى المريدين فارادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه ويكون قائما بأدب الارادة قال السرى رحمه الله حسن الأدب ترجمان العقل وقال أبو عبدالله ابن حنيف قال لى رويم يا بنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا * وقيل التصوف كله أدب لكل

(١) حديث انه ليغان على قلبى الحديث تقدم فى التوبة وقبله فى الدعوات (٢) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو فى الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبة

عطلها ولم يستعملها فى طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق فى الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله فى الاسباب التى استعملها فى الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها فى طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو أنه إذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثانى فانا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذى أعطى وهو الذى أثنى وصار أحد فعليه سبب الانصراف فعله الثانى إلى جهة محبته فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بأنك شاكر اثبات شيئية لك وأنت شئ اذ جعلك خالق الاشياء شيأ وانما أنت لا شئ اذا كنت أنت ظانا لنفسك شيأ من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذى جعل الاشياء أشياء فأنت شئ اذ جعلك شيأ فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ تحقيقا والى هذا أشار ﷺ حيث قال (١) اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له يا رسول الله ففيم العمل اذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول ﷺ فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهى أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الأول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أى هو شرط ومعنى كونه شرطا أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه * فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما الينا شئ فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى * فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقى فى حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم أجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من أحد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى كان ثابت بن قيس بن شماس فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت فكان اذا كلم انسانا جهر بصوته وربما كان يكلم النبى ﷺ فيتأذى بصوته فأنزل الله تعالى الآية تأديبا له ولغيره (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح

(١) حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له متفق عليه من حديث على وعمران بن حصين

ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لاذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لايسمعون هذا النداء الاذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لاينفعهم الكشف فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فانه أصل أسباب الهلاك

﴿بيان تميز مايحبه الله تعالى عما يكرهه﴾

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لايتم الابمعرفة مايحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى فى محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك امابترك الاستعمال أو باستعمالها فى مكارهه ولتمييز مايحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثانى بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبنى على معرفة جميع أحكام الشرع فى أفعال العباد فمن لايطلع على أحكام الشرع فى جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا وأما الثانى وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى فى كل موجود خلقه اذ ماخلق شيأ فى العالم الاوفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية أما الجلية فكالعلم بان الحكمة فى خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة فى الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التى تحملها أفهام الخلق دون الدقيق الذى يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى ـ انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا ـ الآية وأما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لايطلع عليها كافة الخلق والقدر الذى يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها وأشار اليه قوله تعالى ـ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ـ فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لاتخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى مايعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لاللبطش واليد للبطش لاللمشى والرجل للمشى لاللشم فأما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والاعصاب والعضلات ومافيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلايعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لايعرفون منها الاقدرا يسيرا بالاضافة الى مافى علم الله تعالى ـ وما أوتيتم من العلم الاقليلا ـ فاذا كل من استعمل شيأ فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولاعلى الوجه الذى أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه مايهلكه ويأخذ ماينفعه لاليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ماينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما مايضره فيهما فقد استعملهما فى غير ماأريدتا به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول الى الله تعالى ولاوصول اليه الابمحبته والانس به فى الدنيا والتجافى عن غرور الدنيا ولا أنس الابدوام الذكر ولامحبة الابالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولايمكن الدوام على الذكر والفكر الابدوام البدن ولايبقى البدن الابالغذاء ولايتم الغذاء الابالأرض والماء والهواء ولايتم ذلك الابخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فلذلك قال تعالى ـ وماخلقت الجن والانس الاليعبدون ماأريد منهم من رزق ـ الآية فكل من استعمل شيأ فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الأسباب التى لابد منها الاقدامه على تلك المعصية * ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفاء

الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى قال حدثنى حابس بن أبى مليكة قال حدثنى عبدالله ابن الزبير أن الاقرع بن حابس قدم على النبى ﷺ فقال أبو بكر استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يارسول الله فتكلما عند النبى ﷺ حتى علت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ماأردت الاخلافى وقال عمر ماأردت خلافك فأنزل الله تعالى الآية فكان عمر

حق

حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلابد بينهما من معاوضة ولابد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشترى دارا بثياب أو عبدا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما أمكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في أعيانهما ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدى ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهى التوسل بهما إلى سائر الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الأشياء والشئ انما تستوى نسبته إلى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعانى في غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدى فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهى لا حرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله ﷺ حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذى عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والمكس والاعمال التى يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدد وانما الاوانى لحفظ المائعات ولا يكفى الخزف والحديد في المقصود الذى أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له (١) من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا

(١) حديث من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم متفق عليه من حديث أم سلمة لم يصرح المصنف بكونه حديثا

بعد ذلك اذا تكلم عند النبى ﷺ لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية آلى أبو بكر أن لا يتكلم عند النبى الا كأخ السرار فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام الا اذا بسطه الشيخ فرفع الصوت تنحية جلباب القلب الوقار والوقار اذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ مالا يستطيع المريد أن يشبع النظر الى الشيخ وقد كنت أحم فيدخل على عمى وشيخى أبو النجيب السهروردى

لغيرهما الا لنفسهما اذ لا غرض فى عينهما فاذا اتجر فى عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشترى به طعاما ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور فى بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض فى أعيانهما وموقعهما فى الأموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذى جاء لمعنى فى غيره وكموقع المرآة من الألوان فاما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم * فان قلت فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله * فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر فى مقصود التوسل إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق فى الحاجات قليلا قليلا ففى المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجرى مجرى وضع الدرهم على الارض وأخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض وأخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوق النفوس اليه الا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردىء فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة فى الردىء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لان الجودة والرداءة ينبغى أن ينظر اليهما فيما يقصد فى عينه وما لا غرض فى عينه فلا ينبغى أن ينظر الى مضافات دقيقة فى صفاته وانما الذى ظلم هو الذى ضرب النقود مختلفة فى الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة فى أعيانها وحقها أن لا تقصد وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز ذلك لانه لا يقدم على هذا الاسماح الا قاصد للاحسان فى القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة وأخراجها فى معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغى أن تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها فى الايدى ويؤخر عنها الاكل الذى أريدت له فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغى أن تخرج عن يد المستغنى عنها الى المحتاج ولا يعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه طعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد فى الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه فى كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت فى الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردىء لا يرضى بها صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوى الردىء فى أصل الفائدة ويخالفه فى وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع فى تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه أقوى من جميع ما أوردناه فى الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله فى التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلابد أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق فى اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال

رحمه الله فيترشح جسدى عرقا وكنت أعنى العرق لتخف الحمى فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ على ويكون فى قدومه بركة وشفاء وكنت ذات يوم فى البيت خاليا وهناك منديل وهبه لى الشيخ وكان يتعمم به فوقع قدمى على المنديل اتفاقا فتألم باطنى من ذلك وهالنى الوطء بالقدم على منديل الشيخ وانبعث من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته (قال ابن عطاء) فى قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم زجر عن الادنى لئلا يتخطى أحد الى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل فى ذلك لا تخاطبوه الا مستفهمين

والاشخاص

والاشخاص فعين المعنى بكمال قوّته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك
قال الله تعالى ـ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ـ ولان أصول هذه المعانى لاتختلف فيها الشرائع وانما تختلف
فى وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى بن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس
المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل فى الحدود داخل فى التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة
الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغى أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل
ماخلق لحكمة فلا ينبغى أن يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من قد عرف الحكمة ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا ـ ولكن لاتصادف جواهر الحكم فى قلوب هى مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لايتذكر الا
أولوا الالباب ولذلك قال ﷺ (١) لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء
واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر
واما كفر إذ لا يتصوّر أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه فى لسان الفقه الذى تناطق به عوام الناس بالكراهة
وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر فأقول مثلا لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة
اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل احداهما أقوى من الأخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه فى الغالب
التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لايأمر الا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك اليدين
الى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المصحف باليسار وأزلت
النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك
اذا بصقت مثلا فى جهة القبلة أو استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى فى خلق الجهات وخلق سعة
العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك فى حركتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ماشرفها بأن وضع فيها
بيتا أضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك فى تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار
اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ماهى شريفة كالطاعات والى ماهى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى
البصاق فاذا رميت بصاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التى بوضعها كمال
عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة
فى الحظوظ ينبغى أن تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل
وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الحنطة وكان
يتصدّق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد أن أكفره بالصدقة
نعم الفقيه لايقدر على تفخيم الامر فى هذه الأمور لانه مسكين بل باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة
الأنعام وهم مغموسون فى ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح أن يقال
الذى شرب الخمر وأخذ القدح بيساره قد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الاخذ باليسار ومن باع
خمرا فى وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع فى وقت النداء
ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب فى قضاء الحاجة من حيث انه لم
يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصى كلها ظلمات بعضها فوق بعض فينمحق بعضها فى جنب البعض فالسيد قد
يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير
اذنه حكم ونكاية فى نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب وتساهلنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه
هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى
درجات القرب نعم بعضها يؤثر فى العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب

(١) حديث لولا ان الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء تقدم فى الصوم

(وقال) أبو بكر
ابن طاهر
لاتبدؤه بالخطاب
ولا تجيبوه الاعلى
حدود الحرمة
ولا تجهروا له
بالقول كجهر
بعضكم لبعض
أى لا تغلظوا له فى
الخطاب ولا تنادوه
باسمه يامحمد
يا أحمد كما ينادى
بعضكم بعضا
ولكن فخموه
واحترموه وقولوا
له يانبى الله يارسول
الله ومن هذا
القبيل يكون
خطاب المريد مع
الشيخ واذا سكن
الوقار القلب علم
اللسان كيفية
الخطاب ولما كلفت
النفوس بمحبة
الأولاد والأزواج
وتمكنت أهوية
النفوس والطباع
استخرجت من
اللسان عبارات
غريبة وهى تحت
وقتها صاغها كلف
النفس وهواها
فاذا امتلأ القلب

الى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير
غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى فى خلق الاشجار وخلق اليد أما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال
المعينة على الطاعة وأما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء
والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود
الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان
فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس فى بقاء الاشرف مدة ما أقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه
الاشارة بقوله تعالى ـ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ـ نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم
أيضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة واحدة ولو خصص واحد بها
من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى الارض وساق اليه
الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك فان نبت ذلك فى موات الارض لا بسعى آدمى اختص
بغرسه أو بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل هو أن
يكون أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذى له ما فى السموات
والأرض وكيف يكون العبد مالكا وهو فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والأرض
مائدة الله وقد أذن لهم فى الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن أخذ لقمة بيمينه
واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان
اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفى بحاجة كل العبيد فالعدل فى التخصيص
عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلى بذلك الاختصاص
عن مزاحمته فهكذا ينبغى ان تفهم أمر الله فى عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه وفى عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله
وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق فى طاعته أموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل
هذا فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس فى استشعار الفقر فى الاستقبال مختلفة وأواخر
الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجرى مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام
غير مهم وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم فى اللعب واللهو واباحتنا ذلك اياهم لا يدل على
أن اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار فى الانفاق على قدر الزكاة لضرورة
ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا
بل الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب
فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان الى حضرة الملك الديان فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج اليه
فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر
الاسباب التى بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه فى الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى فى جميع أنواع
الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفى الا بالقليل وانما أوردنا هذا
القدر ليعلم علة الصدق فى قوله تعالى ـ وقليل من عبادى الشكور ـ وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم
شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخر وراء ذلك تنقضى الاعمار دون
استقصاء مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير
* فان قلت فقد رجع حاصل هذا الكلام الى أن لله تعالى حكمة فى كل شئ وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام
تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى

الحكمة

جرمة ووقارا يعلم
اللسان العبارة
(وروى) لما نزلت
هذه الآية قعد
ثابت بن قيس فى
الطريق يبكى
فمر به عاصم بن
عدى فقال
ما يبكيك يا ثابت
قال هذه الآية
أتخوف أن تكون
نزلت فى أن تحبط
أعمالكم وأنتم
لا تشعرون وأنا
رفيع الصوت على
النبى ﷺ أخاف
أن يحبط عملى
وأكون من أهل
النار فمضى عاصم
الى رسول الله
ﷺ وغلب ثابتا
البكاء فأتى امرأته
جميلة بنت عبد
الله بن أبى ابن
سلول فقال لها
اذا دخلت بيت
فرسى فسدى
على الضبة بمسمار
فضربته بمسمار
حتى اذا خرجت
عطفته وقال

الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يرفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فأين العبد فى البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع فى السير فضلا عن أن يجول فى جوّ الملكوت جولان الطير فنقول ان لله عز وجل فى جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها فى العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم الى مبادى اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض فى نور الشمس ولكن لضعف فى أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها الى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادى حقائقها شيأ ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة فهى توهم منها أمرا مجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرا مجملا عند طالبى الفهم من الألفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا فى حقهم بتسليط الدواعى والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال وظهر على من ارتضاه فى الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى وأعطى النكال ثم قبح وأردى وكان مثاله أن ينظف الملك عنده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تمم زينته قال يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور فى الأزل وهكذا تسلسل الاسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح بالبصر أو هو أقرب ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الأمر الواحد الكلى ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادى الى غير نهاية وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره

لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله ﷺ فلما أتى عاصم النبى وأخبره بخبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذى فيه رآه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان رسول الله يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأخاف ان تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت

لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زيتهم أولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله تعالى واسكتوا (١) واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم

شربنا شرابا طيبا عند طيب * كذاك شراب الطيبين يطيب

شربنا وأهرقنا على الارض فضله * وللارض من كاس الكرام نصيب

فهكذا كان أوّل هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهلاله واذا كنت أهلاله فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والأعمى يمكن أن يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحدّ من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر فهذه أمور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوّة اليقين ولذلك (٢) قيل للنبي ﷺ ان عيسى عليه السلام يقال أنه مشى على الماء فقال ﷺ لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف أنه ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم أحال الارشاد الى جبريل فقال تعالى ـ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ـ وقال تعالى ـ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ـ وأحال الاغواء على ابليس فقال تعالى ـ ليضلهم عن سبيله ـ والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان محتاجا الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف الا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى أحسنهما وأكملهما وأحبهما اليه ولا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولم يكن فعله دون فعلي فانك أخطأت اذ أضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل

---

(١) حديث اذا ذكر القدر فامسكوا الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم ولم يصرح المصنف بكونه حديثا (٢) حديث قيل له يقال ان عيسى مشى على الماء قال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء هذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا الى البحر اذا هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثا فيه ان عيسى قال لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال

---

يبشرى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا على رسول الله فأنزل الله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قال أنس كنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعده رسول الله ﷺ وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام

المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بأمور لامدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا أنك لاترى إلا نفسك فتظن أن مايظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لاتتحرك بأنفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لاتظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لايعلمون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لايعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون أنهم محركون الا أنهم لايعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف بأشخاص أهل الارض لاتدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضا ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ماينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لايعصوا الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وماتوعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لماينزل اليهم من القدر والامر فقيل خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وهذه أمور لايعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لاتحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لوذكرت ماأعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر * ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ماليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم الى الله وأقربهم اليه وأقربهم الى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب ومامنهم الا وله مقام معلوم وأعلاهم في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام وانما علو درجتهم لانهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله تعالى بهم الانبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا ﷺ وعليهم اذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ماأصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد ﷺ كان أفضل من سائر الانبياء فانه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع * واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص رحمه الله امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي ﷺ (١) سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون ومايصلح الله بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وان أساؤا فعليهم الوزر

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يفسدون ومايصلح الله بهم أكثر الحديث مسلم من حديث أم سلمة يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون عليكم أئمة وقال حسن صحيح وللبزار بسند

فقال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وائت أبا بكر خليفة رسول الله عليه السلام فقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان من عبيدي عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ماوصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك ابن أنس رضي الله عنهما لاأعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه فهذه كرامة ظهرت

وعليكم الصبر * وقال سهل من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

﴿ الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر ﴾

وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب

﴿ بيان حقيقة النعمة وأقسامها ﴾

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشئ صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات ﴿القسمة الاولى﴾ ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب لكمال عقله يلمح العاقبة والام لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم أن الام عدو باطنا في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو ﴿قسمة ثانية﴾ اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات

لثابت بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله ﷺ فليعتبر المريد الصادق ويعلم ان الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله وان الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله ﷺ واعتمده مع رسول الله ﷺ فلما قام القوم بواجب الادب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي اختبر قلوبهم وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكما ان اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لتأدب القلب

ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وكان على الرعية الشكر وان جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ الا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع اليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله اصبروا فان جور امامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر حديثا والامارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به

فهو مع هذا التوفيق نعمة فى حقه ورب انسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء فى حقه ﴿قسمة ثالثة﴾ اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لذاته ولغيره * فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التى لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثانى ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا فى ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضى بها لكانت هى والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة فى نفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشئ الذى تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان فى أنفسهما من حيث انهما جوهران بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة فى حق من يقصد أمرا ليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة (قسمة رابعة) اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل فاللذيذ هو الذى تدرك راحته فى الحال والنافع هو الذى يفيد فى المآل والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الأحوال والشرور أيضا تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد * فالمطلق هو الذى اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما فى الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما فى الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف انه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لا محالة * والضرب الثانى المقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة إلى بعض الاحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح فى الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس فى نجاتها والنافع قسمان ضرورى كالايمان وحسن الخلق فى الايصال إلى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه ﴿قسمة خامسة﴾ اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة إلى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجودا وهى أشرفها أما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم وأما شرفها فلانها لازمة لا تزول أبدا

فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ (قال أبو عثمان) الأدب عند الأكابر وفى مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير فى الأولى والعقبى ألا ترى الى قول الله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وكان هذا الحال من وفد بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج إلينا فان مدحنا زين وذمنا شين قال فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وهو يقول انما ذلكم

لافى الدنيا ولافى الآخرة ودائمة لاتمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة قط لايتصوّر أن تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقى أبد الآباد اذا رضى بالخسيس الفانى فى أقرب الآماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته وادباره وأقل أمر فيه ان العلم والعقل لايحتاج الى أعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لاتمتد اليه أيدى السراق بالاخذ ولاأيدى السلاطين بالعزل فيكون صاحبه فى روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف أبدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال أبدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى مواضع وان سماه خيرا فى مواضع وأما قصورا كثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذى لايدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما القصور فطنتهم اذلم تخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذى لايدرك لذة العسل والطيور السمان ولايستلذ الا اللبن وذلك لايدل على انها ليست لذيذة ولااستطابته اللبن تدل على أنه ألذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة أما من لم يحى باطنه كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى ـ فى قلوبهم مرض ـ اشارة الى مرض العقول وقوله عز وجل ـ لينذر من كان حيا ـ اشارة الى من لم يحى حياة باطنة وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان * الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات * الثالثة مايشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهو أشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولاينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وأما شره البطن والفرج فكسره ممايقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لايقوى على كسرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لايقع بها الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى فى أحوال لايقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لاتقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لايحب الا الله تعالى ولايستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لايدرى مالذة المعرفة ومامعنى الأنس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه فى بعض الاحوال الرجوع الى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه فى بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأوّل فان كان ممكنا فى الوجود فهو فى غاية البعد وأما الثانى فالدنيا طافحة به وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ولايتصوّر أن يكون ذلك الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت فى القلة والكثرة وانما تكون كثرته فى الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام فلايزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى أن تقرب الساعة ويقضى الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادى ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لايكثرون فكما لايكون الفائق فى الملك والجمال الا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا فى ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخر عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة

الله الذى ذمه شين ومدحه زين فى قصة طويلة وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والانصار بالخطبة وفى هذا تأدب للمريد فى الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته * سمعت ان الشيخ عبد القادر رحمه الله كان اذا جاء اليه فقير زائر يخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع الى خلوته واذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع

في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لاترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال ـ فاعتبروا يا أولي الابصار ـ ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأفئدة الا ان بينه و بين ادراكه ألمها حجابا فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فاذا قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا (قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم) * اعلم أن النعم تنقسم الى ماهي غاية مطلوبة لذاتها والى ماهي مطلوبة لاجل الغاية أما الغاية فانها سعادة الآخرة و يرجع حاصلها الى أربعة أمور بقاء لافناء له وسرور لاغم فيه وعلم لاجهل معه وغنى لافقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله ﷺ لاعيش الاعيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت (١) حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به (٢) في حجة الوداع وقال رجل (٣) اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال النبي ﷺ وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة وأما الوسائل فتنقسم الى الأقرب الأخص كفضائل النفس والى مايليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى مايليه في القرب و يجاوز الى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة والى مايجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس و بين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي إذا أربعة أنواع (النوع الاول وهو الأخص) الفضائل النفسية و يرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها الى الايمان وحسن الخلق و ينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لايمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله ﷺ اذ قال تعالى ـ أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ـ فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب

انكار لتركه الخروج الى الفقير وخروجه لغير الفقير فانتهى ماخطر للفقير الى الشيخ فقال الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنده أجنبية فنكتفي معه بموافقة القلوب ونقنع بها عن ملاقاة الظاهر بهذا القدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالادب مع الشيخ (قيل) لابي منصور المغربي كم صحبت أبا عثمان قال خدمته لاصحبته فالصحبة مع الاخوان والاقران ومع المشايخ الخدمة

(١) حديث قوله عند حفر الخندق لاعيش الاعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث قوله في حجة الوداع لاعيش الاعيش الآخرة الشافعي مرسلا والحاكم متصلا وصححه وتقدم في الحج (٣) حديث قال رجل اللهم اني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ بسند حسن

الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهى الاسباب التى تجمع بينها و بين مايناسب الفضائل النفسية الداخلة وهى أربعة هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحدة من الاربعة الى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق إذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ماسعى وليس لاحد فى الآخرة الا ماتزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق الى صحة البدن ضرورى وأما الحاجة النافعة على الجلة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة * فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشيرة * فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود أما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى الهيجا بغير سلاح وكبازى يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال ﷺ (١) نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم (٢) نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات فى طلب الأقوات وفى تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ماالنعيم فقال الغنى فانى رأيت الفقير لاعيش له قيل زدنا قال الأمن فانى رأيت الخائف لاعيش له قيل زدنا قال العافية فانى رأيت المريض لاعيش له قيل زدنا قال الشباب فانى رأيت الهرم لاعيش له وكأن ماذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال ﷺ (٣) من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال ﷺ (٤) نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال ﷺ فى الولد (٥) اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعوله الحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد فى كتاب النكاح * وأما الأقارب فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدى فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة فى دينه مالو انفرد به لطال شغله وكل مايفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو اذا نعمة * وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لاينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لاملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين و يطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار فى الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ

(١) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح احمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن العاص بسند جيد (٢) حديث نعم العون على تقوى الله المال أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوى من رواية ابن المنكدر مرسلا ومن طريقه رواه القضاعى فى مسند الشهاب هكذا مرسلا (٣) حديث من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله ابن محصن الانصارى وقد تقدم (٤) حديث نعم العون على الدين المرأة الصالحة لم أجد له اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٥) حديث اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث

وينبغى للمريد انه كلما أشكل عليه شئ من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى واذا أخبره الخضر بسرها رجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة مايوجد من الشيخ فللشيخ فى كل شئ عذر بلسان العلم والحكمة (سأل) بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد فاجابه الجنيد فعارضه فى ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب وقيل من قال لأستاذه لا لا يفلح

حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى و يضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة (١) * فان قلت كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا * فأقول نعم ولذلك قال رسول الله ﷺ (٢) الأئمة من قريش ولذلك كان ﷺ (٣) من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام وقال ﷺ (٤) تخيروا لنطفكم الأكفاء وقال ﷺ (٥) اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله ﷺ والى أئمة العلماء والى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل * فان قلت فما معنى الفضائل البدنية * فأقول لاخفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لايتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال ﷺ (٦) أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحقر من جملته أمر الجمال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيآت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الأرض قبيح الا ووجهه أحسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح

---

مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح (١) حديث ما ناله ﷺ من الاذى ونحوه حتى افتقر الى الهرب والهجرة البخاري ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل الحديث وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شئ يواريه ابط بلال قال الترمذي معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة ومعه بلال وللبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء الى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث وللبزار وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله واسناده صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح (٣) حديث كان ﷺ من أكرم أرومة في نسب آدم الأرومة الأصل هذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي رواية الترمذي ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن أبي وداعة وحسنه ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا (٤) حديث تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عائشة وتقدم في النكاح (٥) حديث اياكم وخضراء الدمن تقدم فيه أيضا (٦) حديث أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ وللترمذي من حديث أبي بكرة ان رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح

---

أبدا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا هناد عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اتركوني ما تركتكم واذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم (قال الجنيد) رحمه الله رأيت مع أبي حفص النيسابوري انسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لأصحابه من هذا فقيل لي هذا انسان يصحب أبا حفص ويخدمنا وقد أنفق

فاستنطقه فاذاهو ألكن فأسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا أشرقت على الظاهر فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال ﷺ (١) اطلبوا الخير عند صباح الوجوه وقال عمر رضي الله تعالى عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجها أولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أنوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه ❋ فان قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله ﷺ (٢) وكذا العلماء قال تعالى ـ ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ـ وقال عز وجل ـ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ـ وقال علي كرم الله وجهه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بأبيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا ❋ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ماهي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة و بالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا أن فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلئ فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله ﷺ وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله ﷺ بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل أحد لما تصور أن ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسولنا ﷺ ولا أن ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون فقد يضر الصبي مالا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبي و يعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها و يشير على الصبي بالهرب و يقبح صورتها في عينه و يعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص إذا علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد

عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه مايسوغ له أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة وقال أبو يزيد البسطامي صحبت أبا علي السندي فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا (وقال أبو عثمان) صحبت أباحفص وأنا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فلم أجعل مكافأتي له على كلامه ان أولي ظهري إليه فانصرفت أمشي إلى خلف ووجهي مقابله حتى غبت عنه واعتقدت أن أحفر لنفسي بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا باذنه فلما رأى ذلك

(١) حديث اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٢) حديث ذم المال والجاه الترمذي من حديث كعب بن مالك ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه وقد تقدم في ذم المال والبخل

من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء عليهم السلام كالصبيان الاغبياء ولذلك قال ﷺ (١) انما أنا لكم مثل الوالد لولده وقال ﷺ (٢) انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ أولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلاجرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله فأما اذا سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام (٣) ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله ﷺ أن الاغنياء يدخلون الجنة بشدة (٤) استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيأ في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه طريقه * فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد والاخفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لأن داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ـ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ـ وقال تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال ﷺ (٥) ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله

(١) حديث انما أنا لكم مثل الوالد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم (٢) حديث انكم تهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ مثلي ومثل الناس وقال مسلم ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة وقال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد * قلت هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه عهد الي أن يكفي أحدكم مثل زاد الراكب (٤) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الاغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فنزل جبريل فقال مره أن يطعم المسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد * قلت كلا فيه خالد بن أبي مالك ضعيف جدا (٥) حديث ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا

مني قربني وقبلني وصيرني من خواص أصحابه الى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ الا وقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل للخدمة وفي السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ الا أن يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال في السماع وتقيده واستغراقه في الشيخ بالنظر اليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الاصغاء الى السماع ومن الأدب أن لا يكتم عن الشيخ شيأ من حاله ومواهب

تعالى أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا * وللهداية ثلاث منازل * الأولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى ـ وهديناه النجدين ـ وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل و بعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى ـ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ـ فأسباب الهدى هي الكتب والرسل و بصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمى القلوب وان كانت لا تعمى الابصار قال تعالى ـ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابهما وعنه العبارة بقوله تعالى ـ انا وجدنا آباءنا على أمة الآية ـ وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى ـ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ وقوله تعالى ـ أبشرا منا واحدا نتبعه ـ فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ وهو المراد بقوله تعالى ـ والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى ـ قل ان هدى الله هو الهدى ـ وهو المسمى حياة في قوله تعالى ـ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ـ والمعنى بقوله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه * وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده و يكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ـ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ـ فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة * وأما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسر الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل ـ إذ أيدتك بروح القدس ـ وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود الهي يسبح في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ـ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ـ فهذه هي مجامع النعم ولن تثبت الا بما يخوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء و يستدعي كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر أسبابا و تستدعي تلك الاسباب أسبابا الى أن تنتهي بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله التوفيق

## ﴿ بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء ﴾

الأثر يتغمدني الله بفضل منه ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث واتفقا عليه من حديث عائشة وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم

الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة و يكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحى من كشفه يذكره ايماء وتعريضا فان المريد متى انطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ تصريحا أو تعريضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق و بالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الأدب أن لا يدخل في صحبة الشيخ الا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وانه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المريد تطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ

اعلم أنا جمعنا النعم فى ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التى بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لابد لها من جسم متحرك هو آلتها ولابد لها من قدرة على الحركة ولابد من ارادة للحركة ولابد من علم بالمراد وادراك له فلابد للأكل من مأكول ولابد للمأكول من أصل منه يحصل ولابد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الادراك ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

﴿ الطرف الأول فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الادراك ﴾

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى لا تنمى ولا تغتذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الارض وهى له آلات فيها يجتذب الغذاء وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة ثم تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط فى أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا أعوزه غذاء يساق اليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة فى طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى فى خلق الحواس الخمس التى هى آلة الادراك فأولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد منه احساس أتم لامحالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التى فى الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع إلا انك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا انك تدرك به الرائحة ولا تدرى انها جاءت من أى ناحية فتحتاج الى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذى شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون فى غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا أنه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك بالبصر الا شيأ حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب فى أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق فى مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا أكلت شيأ أصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلابد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا أدرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدرى كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص

اليه فان المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة والتألف هو الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لان المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ ابو نعيم قال ثنا سليمان بن أحمد قال ثنا أنس بن أسلم قال ثنا عتبة ابن رزين عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغى له أن لا يخذله

اذاقيدت وقدتلقى نفسها فى بئر ولاتدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قدتأ كل البهيمة ماتستلذه فى الحال و يضرها فى ثانى الحال فتمرض وتموت اذليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلافيزك الله تعالى وأ كرمك بصفة أخرى هى أشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها فى الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها واعداد أسبابها فتنتفع بعقلك فى الأ كل الذى هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس فى حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحى المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة و يسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحى العالم فيأخذها وهى مختومة و يسلمها اذليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فاما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذى هو الأمير والملك سلم الا نها آت اليه مختومة فيفتشها الملك و يطلع منها على أسرار المملكة و يحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها فى هذا المقام و بحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الأعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى اتمام التدبيرات التى تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليك فى الادرا كات ولاتظنن أنا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هى بعض الادرا كات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات و بعضها أغشية و بعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت و بعضها كالمشيمة و بعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض و بعضها كأنه الجمد ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلف طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم فهذا فى حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه فى جسم البصر وطبقاته فى مجلدات كثيرة مع أن جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادرا كات

## ﴿ الطرف الثانى فى أصناف النعم فى خلق الارادات ﴾

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل فى الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا فى حقه فاضطررت الى أن يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضى الذى يضطرك الى التناول حتى تتناول و تغتذى فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأ كل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب فى أسفله حتى يفسد فيحتاج الى آدمى يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة و يقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأ كل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى فى خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المنى ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليها من الفقار الذى هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة فى بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع فى بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها

ولا يستأثر عليه فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرا الاسلام ومن الأدب أن يراعى خطرات الشيخ فى جزئيات الامور وكلياتها ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته (قال ابراهيم ابن شيبان) كنا نصحب أباعبدالله المغربى ونحن شبان و يسافر بنا فى البرارى والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة فكان اذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه حال الشيخ نتشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا الى ما كان * ومن أدب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائعه وكشفه

فى اطوار خلقهامضغة وعلقة ثم عظما ولحماودماوكيفيةقسمةأجزائها الى رأس و يد ورجـل و بطن وظهروسائر الأعضاءلقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك فى مبـدا خلقك كل العجب فضـلا عمـا تراه الآن ولـكنا السنا نريد أن نتعرض الا النعم الله تعالى فى الأ كل وحـده كى لا يطول الـكلام فاذاشهوة الطعام أحدضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأتيك المهلـكات من الجوانب فلولم يخلق فيـك الغضب الذى به تدفع كل مايضادك ولا يوافقـك لبقيت عرضة للآفات ولأخذمنك كل ماحصلته من الغذاء فان كل واحـد يشتهى مافى يديك فتحتاج الى داعية فى دفعه ومقاتلته وهى داعيـة الغضب الذى به تدفع كل مايضادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى مايضر و ينفع فى الحال وأما فى المـآل فلا تـكفى فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هـذه الشهوة مثـلا تضرك لا يغنيك فى الاحتراز عنها مالم يكن لك ميـل الى العمل بموجب المعرفة وهـذه الارادة أفردت بها عن البهائم اكراما لبنى آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سميناهذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه فى كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا ﴿الطرف الثالث فى نعم الله تعالى فى خلق القـدرة وآلات الحركة﴾ اعلم أن الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لهـا الا الميل الى الطلب والهرب وهـذا لا كفاية فيه مالم تـكن فيك آلة الطلب والهرب فـكم من مريض مشتاق الى شئ بعيد عنه مدرك له ولـكنه لا يمكنه أن يمشى اليـه لفقد رجله أو لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده أو لفلج وخـدر فيهما فلابد من آلات للحركة وقدرة فى تلك الآلات على الحركة لتـكون حركتها بمقتضى الشـهوة طلبا و بمقتضى الـكراهية هربا فلذلك خلق الله تعـالى لك الاعضاء التى تنظر الى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فمنها ماهو للطلب والهرب كالرجـل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ماهو للـدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوان و فى هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها مايكثر أعداؤه و يبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ماخلق له أربع قوائم ومنها ماله رجلان ومنها مايدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التى بها يتم الأ كل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعـد وحركتك اليـه لا تـكفى مالم تتمـكن من أن تأخـذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله تعالى عليك بخلق اليـدين وهمـا طويلتان ممتدتان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصـل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتد وتنثنى اليـك فلا تـكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الـكف ثم قسم رأس الـكف بخمسـة أقسام هى الاصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الابهام فى جانب و يدور على الاربعـة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمـام غرضك فوضعها وضـعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة فى القبض ثم خلق لهـا أظفارا وأسند اليها رؤس الاصابع حتى لا تنفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تحويها الاصابع فتأخـذها برؤس أظفارك ثم هب انك أخـذت الطعام باليـدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصـل الى المعـدة وهى فى الباطن فلابد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخـل الطعام منه فجعـل الفم منفذا الى المعدة مع مافيـه من الحـكم الـكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام فى الفم وهو قطعة واحـدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسـنان وطبق الاضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الـكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى طحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى مايصلح للـكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل و يتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر الاضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليـدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحى الاسفل متحركا حركة دورية واللحى الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب

دون مراجعـة الشـيخ فان الشيخ علمـه أوسـع و بابه المفتـوح الى الله أكبر فان كان واقعة المريد من الله تعالى يوافقه الشيخ و يمضيها له وما كان من عندالله لا يختلف وان كان فيـه شبهة نزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المـريد علما بصحـة الوقائع والكشوف فالمريد لعـله فى واقعتـه يخامره كـون ارادة فى النفس فيتشبك كـون الارادة بالواقعـة مناما كان ذلك أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المـريد باستئصال شأفة الـكامن فى النفس واذا ذكره للشـيخ فبانى المريد من كون ارادة النفـس مفـقود فى حق

صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل و يدور الاعلى الا هذا الرحى الذى صنعه الله
تعالى إذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب انك
وضعت الطعام فى فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان أو كيف تستجره الاسنان إلى نفسها
أو كيف يتصرف باليد فى داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف فى جوانب الفم و يرد
الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التى ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق
وعجائب قوة النطق والحكم التى لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على
الابتلاع الا بأن ينزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها
و ينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فيثور
الحنكان للخدمة و ينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام المطحون المنعجن
من يوصله الى المعدة وهو فى الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد فى المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف
هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب
الطعام بضغطه فيهوى إلى المعدة فى دهليز المرىء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح
لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على
هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتغلق عليه الأبواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة
التى تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة إذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن
خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام و يصير مائعا
متشابها يصلح للنفوذ فى تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه أجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح
للتغذية فخلق الله تعالى بينها و بين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها
فينتهى الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة فى أجزاء
الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها و ينتشر فى أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم
فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر و يحصل له هيئة الدم الصافى الصالح لغذاء الاعضاء إلا أن حرارة الكبد هى
التى تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد فى جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردى والعكر وهو
الخلط السوداوى والاخرى شبيهة بالرغوة وهى الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق
الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا فى تجويفه فتجذب المرارة
الفضلة الصفراوية و يجذب الطحال العكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من
المائية ولولاها لما انتشر فى تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله سبحانه الكليتين
وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلا
فى تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب ما يليها بعد الطلوع من العروق
الدقيقة التى فى الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم
صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد
الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك فى البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا و باطنا فيجرى الدم
الصافى فيها و يصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث
لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية
فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط
السوداوى حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو

الكلا

الشيخ فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المريد و يتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة ابوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ أن المريد اذا كان له كلام مع الشيخ فى شئ من امر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ فكما أن للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لانه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لانه من معاملة الله

الكلا حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة أما المرارة فانها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء ليحصل له فى ثفل الطعام رطوبة مزلقة و يحدث فى الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى ينـدفع الثفل و ينزلق وتكون صفرته لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها فى كل يوم شيأ الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته و ينبهها و يثيرها و يخرج الباقى مع الثفل وأما الكلية فانها تغتذى بما فى تلك المائية من دم وترسل الباقى الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى فى الاسباب التى أعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن و بواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن و بواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور أخر سواه بل فى الآدمى آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شئ منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الاكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها الا أنك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل و يتعب فينام و يشتهى فيجامع و يستنهض فينهض و يرمح فاذا لم تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذى رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر الا أن من علم شيأ من هذا أدرك شمة من معانى قوله تعالى ـ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ـ ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب و يسرى فى جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهى الى جزء من أجزاء البدن الا و يحدث عند وصوله فى تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا و يحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذى تسميه الأطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذى فى باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة فى سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج فى جملة البيت وكما أن السراج اذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذى تشبث به هذا البخار فى القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذى يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما أن السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون الا بأسباب مقدرة فى علم الله مرتبة و يكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذى أجل له فى أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما أن السراج اذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح وهى أنوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى

تعالى و يسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ فى مخاطبته فقال يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة يعنى أمام مناجاتكم قال عبد الله بن عباس سأل الناس رسول الله ﷺ فاكثروا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسئلة فادبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبى عليه السلام و يغلبون

وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه ـ لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ـ عزوجل فتعسا لمن كفر بالله تعالى وسحقا لمن كفر نعمته سحقا * فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ (١) سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال قل الروح من أمر ربي فلم يصفه لهم على هذا الوجه * فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فأمره سهل نازل * وأما الروح التي هي للاصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر رباني كما قال تعالى ـ قل الروح من امر ربي ـ والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق وأما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شئ من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوّة والولاية نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ماوراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان فكيف بالانتهاء الى ماوراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه أدرك الامر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك في أن خطأه فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيأ لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى من أمر ربي وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى ـ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ـ ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل ﴿ الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الاصول التي يحصل منها الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته ﴾ اعلم أن الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما أدوية واما فواكه وإما أغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول إذا وجدت حبة أوحبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعا فما أحوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك

(١) حديث انه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربي متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القلب

الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما أهل العسرة فلانهم لم يجدوا شيأ وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ونزلت الرخصة وقال تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة لم يناج رسول الله ﷺ الا علي بن أبي طالب فقدم دينارا فتصدق به وقال علي في كتاب الله آية ماعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وروى أن

فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي أنت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شئ بل تحتاج الى شئ مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الاهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى - فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا - ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الأربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار الارض وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في أعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من (١) النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم أمران

(١) حديث النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وللطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان اذا ذكر النجوم فأمسكوا واسنادهما ضعيف وقد تقدم في العلم ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث

رسول الله ﷺ لما نزلت الآية دعا عليا وقال ما ترى في الصدقة كم تكون دينارا قال علي لا يطيقونه قال كم قال علي تكون حبة أو شعيرة فقال رسول الله ﷺ انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية وما نبه الحق عليه بالأمر بالصدقة وما فيه من حسن الأدب وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ والفائدة باقية (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سلمان قال أنا أبو الفضل أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال ثنا مطلب بن شعيب قال حدثنا عبدالله بن صالح قال ثنا ابن لهيعة

عن أبي قبيل عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلماء توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان وعقوق

﴿ الباب الثاني والخمسون في آداب الشيخ وما يعتمده مع الاصحاب والتلامذة ﴾ أهم الآداب أن لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فاذا رأى أن الله تعالى يبعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن

أحدهما أن تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر * والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها الانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ماهو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار الا أن الآثار بعضها معلوم و بعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس و بعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ماخلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله ﷺ الى السماء (١) وقرأ قوله تعالى ـ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ ثم قال ﷺ ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه أن يقرأ و يترك التأمل و يقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والانفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذا المقصود أن غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما أهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات

﴿ الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للاطعمة اليك ﴾ اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الأطعمة و يحول بينهم و بينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع أنهم لا يغنيهم في غالب الامر شئ بل يجمعون فاما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح و يركبوا الاخطار و يغرروا بالارواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت

(١) حديث قرأ قوله تعالى ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي ترك تأملها الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتفكر فيها وفيه أبو جناب يحيي بن أبي حية ضعيف

الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتأمل مايحتاج اليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وماتحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز ﴿الطرف السادس في اصلاح الاطعمة﴾ اعلم أن الذي ينبت في الأرض من النبات ومايخلق من الحيوانات لايمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخر لاتحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى مايحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فأول مايحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الافعال التي ذكرناها ومالم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى أعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت أن رغيفا واحدا لايستدير بحيث يصلح لاكلك يامسكين مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لاتكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد أن تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملا فلولم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلاترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشئ معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من ألحق ذوي الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لوخلا بلدك عن الطحان مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس العمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء ﴿الطرف السابع في اصلاح المصلحين﴾ اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لوتفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لايحويهم مكان واحد ولايجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم — لوأنفقت مافي الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم — فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر أصناف البقاع ممايطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والاسباب وألقى رعبهم

وصدق الارادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة اقبال الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى اليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجأ اليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المريد بالكلمة الا وقلبه ناظر الى الله مستعين به في الهداية للصواب

فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهى الى الملك المقرب الذى لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى أن ينتهى الى حضرة الربوبية التى هى ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى ـ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ـ فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانا فى كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار ـ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ـ فالحمد لله الذى ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

﴿الطرف الثامن فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام﴾ ليس يخفى عليك ماسبق من نعمة الله فى خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحى اليهم ولا تظنن أنهم مقتصرون فى أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة فى ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذى ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما * واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى الا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله الى عشرة الى مائة الى ماوراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف وذلك الغذاء يصير دما فى آخر الامر ثم يصير لحما وعظما واذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهى لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ومجرد الطبع لا يكفى فى ترددها فى أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مخبوزا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع فى الباطن هم الملائكة كما أن الصناع فى الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغى أن تغفل عن نعمه الباطنة فأقول لابد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولابد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره ولابد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولابد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولابد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولابد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولابد من سابع يرعى المقادير فى الالصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبى ما يجمع على فخذه

من القول سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردى رحمه الله يوصى بعض أصحابه ويقول لا تكلم أحدا من الفقراء الا فى أصفى أوقاتك وهذه وصية نافعة لأن الكلمة تقع فى سمع المريد الصادق كالحبة تقع فى الارض وقد ذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فعند الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغى أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما أن اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان

لكبر أنفه و بطل تجويفه وتشوّهت صورته وخلقته بل ينبغي أن يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الانفاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته مايليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة ور بابعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لولم براع هذا الملك العدل فى القسمة والتقسيط فساق الى رأس الصبى وسائر بدنه من الغذاء ماينمو به الا إحدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبى فلا ينتفع بنفسه البتة فرعاة هذه الهندسة فى هذه القسمة مفوّضة الى ملك من الملائكة ولا تظنن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لايدرى مايقول فهذه هى الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت فى النوم تستريح وفى الغفلة تتردّد وهم يصلحون الغذاء فى باطنك ولا خبر لك منهم وذلك فى كل جزء من أجزائك الذى لايتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لايحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموت والأرض مالك الملك ذوا الجلال والاكرام (١) والاخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به فان قلت فهلا فوّضت هذه الأفعال الى ملك واحد ولم أفتقر الى سبعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج الى من يطحن أولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من من يقطعه كرات مدوّرة خامسا ثم الى من يرقها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد و يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال الانس ظاهرا * فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس ومامن واحد منهم الا وهو وحدانى الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى ومامنا إلا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم فى تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لايزاحم السمع فى ادراك الأصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التى هى آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذى يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحدانى الصفة فلم يكن وحدانى الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة و يعصيه أخرى لاختلاف

(١) حديث الأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب انتهى ففى الصحيحين من حديث أبى ذر فى قصة الاسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح الحديث ولهما من حديث أبى هريرة ان لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام وفى الصحيحين من حديث عائشة فى قصة عرضه نفسه على عبد ياليل فنادانى ملك الجبال ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولهما من حديث أنس ان الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو المنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بريدة الاسلمى مامن نبت ينبت إلا وتحته ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبرى وأبو بحر البكراوى واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف وللطبرانى من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف ان الله ملائكة ينزلون فى كل ليلة يحسون الكلال عن دواب الغزاة الادابة فى عنقها جرس وللترمذى وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهود ياأبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب ولمسلم من حديث أبى هريرة بينا رجل بفلاة من الارض سمع صوتا من سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة الحديث

الحق عند العبد فيكون ناظرا الى الله مصغيا اليه متلقيا مايرد عليه مؤدّيا للامانة فيه ثم ينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد و يتفرس فيه بنور الايمان وقوّة العلم والمعرفة مايتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده فن المريدين من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الأبرار ومن المريدين من يكون مستعد صالحا القرب وسلوك طريق المقربين المرادين بعمالة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الأبرار والمقربين مباد ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص

دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لامجال للمعصية فى حقهم فلاجرم لا يعصون الله ماأمرهم و يفعلون مايؤمرون و يسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لا اختلاف فى أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح و ينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك اليهما فى غرض الاكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد مايدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة و باطنة ثم قال ـ وذروا ظاهر الاثم و باطنه ـ فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه فى السموات والأرض وما بينهما فان كل ماخلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى فى كل تطريفة بالجفن نعمتين فى نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى فى سوادها انها تجمع ضوء العين إذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله فى ترتيبها صفا واحدا أن يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التى تتناثر فى الهواء وله فى كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها وله فى اشتباك الاهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ماتتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الأجفان خادمة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والأجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى فى الأجفان ولا تقوم الأجفان الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شئ من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشئ الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة فى الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا و يلعنه ولذلك ورد فى الأخبار (١) أن البقعة التى يجتمع فيها الناس اما أن تلعنهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد (٢) ان العالم يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر (٣) وأن الملائكة يلعنون العصاة فى ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها

(١) حديث ان البقعة التى اجتمع فيها الناس تلعنهم أو تستغفر لهم لم أجد له أصلا (٢) حديث ان العالم ليستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر تقدم فى العلم (٣) حديث ان الملائكة يلعنون العصاة مسلم من حديث أبى هريرة الملائكة تلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لابيه وأمه

وما يصلح له والعجب أن الصحراوى يعلم الأراضى والغروس و يعلم كل غرس وأرضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعلم قطنها وما يتأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم و يأمر كل شخص بما يصلح له فنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من أمره بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة فكان رسول الله ﷺ يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فاما فى رتبة

وكل ذلك اشارة إلى أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما فى الملك والملكوت وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه و يتجاوز عنه وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام يا أيوب مامن عبد لى من الآدميين إلا ومعه ملكان فاذا شكرنى على نعمائى قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكر بن علو رتبة وعندى أنى أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكى عليهم وكما عرفت أن فى كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم أن فى كل نفس ينبسط و ينقبض نعمتين إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك و بانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولوسد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء و برودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفى كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك فى كل لحظة آلاف آلاف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك بل فى كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال الهى كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان أن لينت أصلها وان طمست رأسها وكذا ورد فى الأثر أن من لم يعرف نعم الله الافى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ماذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ماسواه من النعم به فان البصير لاتقع عينه فى العالم على شئ ولا يلم خاطره بموجود الاو يتحقق أن لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع فى غير مطمع

﴿ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر ﴾

أعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة فى اتمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عزوجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الاغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لايعدون مايعم الخلق و يسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة فلذلك لايشكرون على جملة ماذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا فى بيت حمام فيه هواء حار أوفى بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجا بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم فى بعض الاحوال والنعمة فى جميع الاحوال أولى بان تشكر فى بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا أن تعمى عينه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق و بذلها لهم فى جميع الاحوال فلم يعده الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لايشكرون الا المال الذى يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة و ينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا فقال لا فقال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا وحكى أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى فى المنام كأن قائلا يقول له تود انا أنسيناك من القرآن سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سورا ثم قال فعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو فاصبح وقد سرى عنه

الدعوة فقد كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره * ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لايسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ولاتدعى نفسه قوة ظنا منها ان استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لايضره ولا يأخذ منه وانه غير محتاج الى الخلوة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصليها و يدوم عليها وأوقات يخلو فيها فطبع البشر لايستغنى عن

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء و بيده كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع أموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو أمعن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس ور بما لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه أعقل الناس وقل من يسأل الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به و يشكر عليه فان أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده و يبقى شكره لانه في حقه كالباقي وأما الخلق فما من عبد الا و يرى من غيره عيوبا يكرهها وأخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه بريأ عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء وأما العلم فما من احد الا و يعرف من بواطن امور نفسه وخفايا أفكاره ماهو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى أطلع عليه أحد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا وأما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أمورا لو سلب ذلك منه وأعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموما أيضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها باحوال الآدميين أيضا وذلك اما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره واذا كان لا يعرف شخص يرتضي لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في أمر خاص فاذا لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه أليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر أبدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (١) من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لاسيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قيل

(١) حديث من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه المثنى بن الصباح ضعيف

من

السياسة قل ذلك أو كثر لطف ذلك أو كثف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترسل في الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخا للبطالين بلقمة تؤكل عنده وبرفق يوجد منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين فافتتن وأفتن وبقي في خطة القصور ووقع في دائرة الفتور فما يستغني الشيخ عن الاستمداد من الله تعالى والتضرع بين يدي الله بقلبه ان لم يكن بقالبه وقلبه فيكون له في كل كلمة الى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وانما دخلت الفتنة

من شاء عيشا رحيبا يستطيل به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعا * ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال ﷺ (١) من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام (٢) ان القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام (٣) من آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال ﷺ (٤) ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال عليه السلام (٥) كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة ان عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتى عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما فى يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال

اذا ما القوت يأتيك * كذا الصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر ﷺ عن هذا المعنى فقال (٦) من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم فى الايمان الذى به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغى أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق إلى المغرب من أموال واتباع وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضى به إلى قرب الله تعالى فى الآخرة بل لو قيل له لك فى الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم فى الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع و باقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفى مرجوها بمخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقى الزمان إنما خلقت لذات الدنيا الا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغنى حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها فى تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك باغتراره بلذة النظر اليها فى لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقعت أرباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغى أن تقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يفضى إلى لذة فى الآخرة وتألم المقبل يفضى إلى الالم فى الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى — ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون — فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة * فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر * فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف

---

(١) حديث من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٢) حديث ان القرآن هو الغناء الذى لا غناء بعده ولا فقر معه أبو يعلى والطبرانى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ ان القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه قال الدارقطنى رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن الحسن مرسلا وهو أشبه بالصواب (٣) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله البخارى فى التاريخ من حديث رجاء الغنوى بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه وظن ان أحدا أوتى افضل مما أوتى فقد صغر أعظم النعم وقد تقدم فى فضل القرآن ورجاء مختلف فى صحبته وورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٤) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن تقدم فى آداب التلاوة (٥) حديث كفى باليقين غنى الطبرانى من حديث عقبة بن عامر ورواه ابن أبى الدنيا فى القناعة موقوفا عليه وقد تقدم (٦) حديث من أصبح آمنا فى سربه الحديث تقدم غير مرة

---

على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال فى الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تأدبهم بالشيوخ كان الجنيد رحمه الله يقول لأصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لى أفضل من جلوسى معكم ما جلست عندكم فاذا رأى الفضل فى الخلوة يخلو واذا رأى الفضل فى الجلوة يجلس مع الاصحاب فتكون جلوته فى حماية خلوته وجلوته مزيد الخلوته وفى هذا سر وذلك ان الآدمى ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ما أسلفنا من كونه مترددا بين السفلى والعلوى ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر

نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبدا الى من دونه و يفعل ما كان يفعله بعض الصوفيـة اذا كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التى تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل فى صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض و يشكر الله تعالى و يشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم و يعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات و يشكر الله تعالى على نعمة الامن و يحضر المقابر فيعلم ان أحب الاشياء الى الموتى أن يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليتدارك وأما من أطاع فليزد فى طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أ كثر من هذه الطاعات فما أعظم غبنى إذ ضيعت بعض الاوقات فى المباحات وأما العاصى فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان أحب الاشياء اليهم ان يكون قد بقى لهم من العمر ما بقى له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهى أهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى فى بقية العمر بل فى الامهال فى كل نفس من الانفاس واذا عرفت تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزوّد من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر وقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة فكان قد حفر فى داره قبرا فكان يضع غلا فى عنقه و ينام فى لحده ثم يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا ثم يقوم و يقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغى أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفى الخبر (١) ماعظمت نعمة الله تعالى على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى ـ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ فهذا تمام هذا الركن

﴿ الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر و يرتبط أحدهما بالآخر ﴾

﴿ بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شئ واحد ﴾

لعلك تقول ماذكرته فى النعم اشارة الى ان لله تعالى فى كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعى ألما والشكر يستدعى فرحا وهما يتضادان وما معنى ماذكرتموه من أن لله تعالى فى كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه أما فى الآخرة فكسعادة العبد بالنزول فى جوار الله تعالى وأما فى الدنيا فكالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذى يصلح الدين من وجه و يفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق فى الآخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما أبدا وأما فى الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهى التى تفضى الى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التى لا تكون بلاء فى الدين بل فى الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق فى الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان

(١) ماعظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه الحديث ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ الاعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عباس وقال انه موضوع على حجاج الأعور

على صرف الحق ولهذا كان لكل عامل فترة والفترة قد تكون تارة فى صورة العمل وتارة فى عدم الروح فى العمل وان لم تكن فى صورة العمل ففى وقت الفترة للمريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس وركون الى البطالة فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته الى الخلق فأفلح الخلق بقسم فترته وما ضاع قسم فترته كضياعه فى حق المريدين فالمريد يعود من الفترة بقوّة الشدة وحدة الطلب الى الاقبال على الله والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته و يعود الى أوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشرئبة

الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر
قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص
فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول
العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس الى العبد ازالته فاذا يرجع
الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة
الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز أن يكون سببا لهلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده
والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك
ما من بلاء الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح
بدنه وكثر ماله لبطر و بغى قال الله تعالى ـ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ـ وقال تعالى ـ كلا ان
الانسان ليطغى أن رآه استغنى ـ وقال ﷺ (١) ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي
أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان
وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها اذا نعما في حقهم اذ قد سبق
أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء
ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان بأجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه
وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده
وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان
ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله
تعالى وهو يضطر الى أذاه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان اثمه لامحالة أعظم فليس من آذى نبيا أو وليا وهو
يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى أمر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه
بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى
في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا
يستثنى عنه بالظن الا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فان لم تكن
نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار
في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله
تعالى خلق العذاب وعذب طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة انما
يتضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم
اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الارض
يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من أن الله
تعالى لم يخلق شيأ الا وفيه حكمة ولا خلق شيأ الا وفيه نعمة اما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى
البلاء نعمة أيضا اما على المبتلى أو على غير المبتلى فاذا كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع
فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا * فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم
ولا شكر الا على فرح * فاعلم أن الشئ الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث
الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف و بلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل
بها ويشكر عليها * أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها اذ مقدورات الله تعالى

(١) حديث ان الله ليحمي عبده الدنيا الحديث الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم

أكثر من عود الفقير بجدة ارادته من فترته فيعود من الخلق الى الخلوة منتزع الفتور بقلب متعطش وافر النور وروح متخلصة عن مضيق مطالعة الاغيار قادمة بجدة شغفها الى دار القرار * ومن وظيفة الشيخ حسن خلقه مع أهل الارادة والطلب والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للشايخ واستعماله التواضع (حكى) الرقي قال كنت بمصر وكنا في المسجد جماعة من الفقراء جلوسا فدخل الزقاق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه فلما فرغ جاء الينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا أولى

لاتتناهى فلوضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده و يحجزه فليشكر اذلم تكن أعظم منها فى الدنيا * الثانى
انه كان يمكن أن تكون مصيبته فى دينه قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل اللص بيتى وأخذ متاعى فقال
اشكر الله تعالى لودخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة
والسلام فى دعائه اذقال اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ماابتليت ببلاء
الا كان لله تعالى علىّ فيه أربع نعم اذ لم يكن فى دينى واذ لم يكن أعظم منه واذ لم أحرم الرضا به واذ أرجو الثواب
عليه وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان فأرسل اليه يعلمه و يشكو اليه فقال له اشكر الله
فضرب فأرسل اليه يعلمه و يشكو اليه فقال اشكر الله فجيء بمجوسى فحبس عنده وكان مبطونا فقيد وجعل
حلقة من قيده فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى فأرسل اليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج الى أن يقوم
مرات وهو يحتاج أن يقوم معه و يقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال
الى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لوجعل الزنار الذى فى وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذا مامن
انسان قد أصيب ببلاء الا ولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا او باطنا فى حق مولاه لكان يرى انه يستحق
أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق
للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك احداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ
فى شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت
أنتظر أن تصب على النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتبست الامطار
فقال أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر * فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على
معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار * فاعلم أن الكافر قد خبئ له ماهو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر
من الاثم و يطول عليه العقاب كما قال تعالى ـ انما نملى لهم ليزدادوا اثما ـ وأما العاصى فمن أين تعلم ان فى العالم من
هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصى
بالجوارح ولذلك قال تعالى فى مثله ـ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ـ فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم
لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث
فى الشكر وهو انه مامن عقوبة إلا وكان يتصوّر أن تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر
تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلاسبيل الى تخفيفها بالتسلى اذ أسباب التسلى
مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذقال رسول الله ﷺ (١)
ان العبد اذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا * الرابع ان هذه المصيبة والبلية
كانت مكتوبة عليه فى ام الكتاب وكان لابد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو
من جميعها فهذه نعمة * الخامس أن ثوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين أحدهما
الوجه الذى يكون به الدواء الكريه نعمة فى حق المريض و يكون المنع من أسباب اللعب نعمة فى حق الصبى
فانه لوخلى واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والأهل والأقارب
والأعضاء حتى العين التى هى أعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان فى بعض الأحوال بل العقل الذى هو
أعز الامور قد يكون سببا للهلاك فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم فى دين الله

(١) حديث ان العبد اذا أذنب ذنبا فأصابه شدة و بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا الترمذى وابن ماجه
من حديث على من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه
وقال الترمذى من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن
أصاب من ذلك شيأ فعوقب به فهو كفارة له الحديث

بهذا من الشيخ فقال ماعذب الله قلبى بهذا قط يعنى ماتقيدت بان أحترم وأقصد * ومن آداب الشيوخ النزول الى حال المريدين من الرفق بهم و بسطهم (قال بعضهم) اذا رايت الفقير الفقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم * ومن آداب الشيوخ التعطف على الاصحاب وقضاء حقوقهم فى الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على ارادتهم وصدقهم قال بعضهم لاتضيع حق أخيك بما بينك و بينه

تعالى فما من شئ من هذه الأسباب يوجد من العبد الا ويتصوّر أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روى (١) أن رجلا قال لرسول الله ﷺ أوصنى قال لا تتهم الله فى شئ قضاه عليك (٢) ونظر ﷺ الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضى وكان خيرا له * الوجه الثانى ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافى بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة فى حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يأنس بها وصارت سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال ﷺ (٣) الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفى وبقدر حب الدنيا فى القلب يسرى فيه الشرك الخفى بل الموحد المطلق هو الذى لا يحب إلا الواحد الحق فاذا فى البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضرورى وذلك يضاهى فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا أو يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا فانك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء فى الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذى يؤلم فى الحال وينفع فى المآل بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم أنه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه فى المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصوّر منه ان يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه النعم فى البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة * وحكى ان اعرابيا عزى ابن عباس على أبيه فقال

اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزانى أحد أحسن من تعزيته والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله ﷺ (٤) من يرد الله به خيرا يصب منه وقال ﷺ قال الله تعالى إذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا

من المودة (وحكى) عن الجريرى قال وافيت من الحج فابتدأت بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم أتيت منزلى فلما صليت الغداة التفت واذا بالجنيد خلفى فقلت ياسيدى انما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى الى ههنا فقال لى يا أبا محمد هذا حقك وذاك فضلك * ومن آداب الشيوخ انهم اذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا فى مراغمة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة ان يرفقوا به ويوقفوه على حد الرخصة ففى ذلك خير كثير ومادام العبد لا يتخطى حريم الرخصة فهو حر ثم إذا ثبت وخالط

(١) حديث قال له رجل أوصنى قال لا تتهم الله فى شئ قضاه عليك أحمد والطبرانى من حديث عبادة بزيادة فى أوله وفى اسناده ابن لهيعة (٢) حديث نظر الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن الحديث مسلم من حديث صهيب دون نظره الى السماء وضحكه عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث سعد ابن أبى وقاص عجبت من رضا الله للمؤمن ان أصابه خير حمد به وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث من يرد الله به خيرا يصب منه البخارى من حديث أبى هريرة

وقال عليه السلام مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى ـ انا لله وانا اليه راجعون ـ اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال ﷺ قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى وروى (١) أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسمى فقال ﷺ لاخير فى عبد لايذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال رسول الله ﷺ (٢) ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لايبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك وعن (٣) خباب بن الأرت قال أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه فى ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يارسول الله ألا تدعو الله تستنصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له فى الأرض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين مايصرفه ذلك عن دينه وعن على كرم الله وجهه قال أيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على مايفنى وتذرون مايبقى ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ (٤) اذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى لبيك عبدى وسعديك لاتسألنى شيأ الا أعطيتك أو دفعت عنك ماهو خير وادخرت لك عندى ماهو أفضل منه فاذا كان يوم القيامة جئ بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية فى الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون مايذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى ـ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال شكا نبى من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لايطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى اليه ان العباد لى والبلاء لى وكل يسبح بحمدى فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقانى فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له فى الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزيه بحسناته فى الدنيا

---

(١) حديث أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسدى فقال لاخير فى عبد لايذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض والكفارات من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين (٢) حديث ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لايبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك أبو داود فى رواية ابن داسه وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمى عن أبيه عن جده وليس فى رواية اللؤلؤى ورواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يروعنه الا أبو المليح الحسن بن عمر الرقى وكذلك لم يروعن خالد الا ابنه محمد وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن سليم فالله أعلم وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج هو غير خالد بن اللجلاج العامرى ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة من رواية عبد الله بن أبى اياس بن أبى فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقى من رواية ابراهيم السلمى عن أبيه عن جده فالله أعلم (٣) حديث خباب بن الأرت أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد برداء فى ظل الكعبة فشكونا اليه الحديث تقدم (٤) حديث أنس اذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشى عن أنس اخصر منه دون قوله فاذا كان يوم القيامة الى آخره وبكر بن خنيس والرقاشى ضعيفان ورواه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشى ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف

---

الفقراء وتدرب فى لزوم الرخصة يدرج بالرفق الى أوطان العزيمة (قال أبو سعيد ابن الاعرابى) كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ وكان لأبيه نعمة فانقطع الى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسى فربما كان يقع بيد أبى أحمد شئ من الدراهم فكان يشترى له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب أن نرفق به ونؤثره على غيره * ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لانه جاء لله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصا لوجه الله

حتى يلقانى فأجزيه بسيآته وروى أنه (١) لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الأذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعنى أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن (٢) عقبة بن عامر عن النبى ﷺ أنه قال إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ يعنى لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى اذا فرحوا بما أوتوا أى بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة وعن (٣) الحسن البصرى رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فأثر فى وجهه فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال ﷺ اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية فى القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير فالمصائب فى الدنيا بكسب الأوزار فاذا عاقبه الله فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا وان عفا عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن (٤) أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال ما تجرع عبد قط جرعتين أحب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهريقت فى سبيل الله أو قطرة دمع فى سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين أحب الى الله تعالى من خطوة الى صلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن أبى الدرداء قال توفى ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجثيا بين يديه فى زى الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فأفسده فقال للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام لم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بنى لان تكون فى ميزانى أحب الى من أن أكون فى ميزانك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب الى من أن يكون ما أحب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه

---

(١) حديث لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال ابو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض الحديث من رواية من لم يسم عن ابى بكر ورواه الترمذى من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له اسناد صحيح وقال الدارقطنى وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير قال وليس فيها شئ يثبت (٢) حديث عقبة بن عامر اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب بسند حسن (٣) حديث الحسن البصرى فى الرجل الذى رأى امرأة فجعل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط الحديث وفيه اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا أحمد والطبرانى باسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا ووصله الطبرانى أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذى وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذى (٤) حديث أنس ما تجرع عبد قط جرعتين أحب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث على بن أبى طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكى منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى أمامة ما قطر فى الأرض قطرة أحب الى الله عز وجل من دم رجل مسلم فى سبيل الله أو قطرة دمع فى سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكى منكر الحديث

---

تعالى فما يسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات (وقد ورد) ما تصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبثه فى الناس وقد قال الله تعالى تنبيها على خلوص ماله وحراسته من الشوائب انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلا ينبغى للشيخ ان يطلب على صدقته جزاء الا أن يظهر له فى شئ من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الرفق منه او صلاح يتراءى للشيخ فى حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مأمونة الغائلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يؤتكم أجوركم

الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليبتلى العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وماله ذنب وقال الفضيل ان الله عزوجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله عزوجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا فأن منه أنة فأوحى الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على اصبعه حتى قطع شطرين وقال أبو مسعود البلخي من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه عزوجل وقال لقمان رحمه الله لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس أصبحت يوما أشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد وأوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي واشك الي كما لا أشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضائحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة

﴿ بيان فضل النعمة على البلاء ﴾

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاء * فأقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله ﷺ (١) انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة (٢) وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة (٣) وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها (٤) وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني أسألك الصبر فقال ﷺ لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية وروى (٥) الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال

(١) حديث أنه ﷺ كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة أحمد من حديث بشر بن أبي ارطاة بلفظ أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة واسناده جيد ولأبي داود من حديث عائشة اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس ورواه بالعنعنة (٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول اللهم آتنا في الدنيا الحديث ولأبي داود والنسائي من حديث عبدالله بن السائب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين ربنا آتنا الحديث (٣) حديث كان يستعيذ من شماتة الأعداء تقدم في الدعوات (٤) حديث قال علي رضي الله عنه اللهم اني أسألك الصبر فقال ﷺ لقد سألت الله البلاء فسله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وانما قال سمع رجلا وله وللنسائي في اليوم والليلة من حديث علي كنت شاكيا فمر بي رسول الله ﷺ وأنا أقول الحديث وفيه فان كان بلاء فصبرني فضربه برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سلوا الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة باسناد جيد وقد تقدم

ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم معنى يحفكم أي يجهدكم ويلح عليكم قال قتادة علم الله تعالى أن في خروج المال اخراج الاضغان وهذا تأديب من الله الكريم والادب أدب الله * قال جعفر الخلدي جاء رجل إلى الجنيد وأراد أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد لا تخرج من مالك كله احبس منه مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد في طلب الحلال لا تخرج كل ماعندك فلست آمن عليك أن تطالبك نفسك * وكان النبي عليه السلام اذا

مطرف بن عبد الله لان أعافى فأشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر وقال ﷺ فى دعائه (١) وعافيتك أحب الى
وهذا أظهر من أن يحتاج فيه الى دليل واستشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبارين أحدهما بالاضافة الى
ماهو أكثر منه امافى الدنيا أوفى الدين والآخر بالاضافة الى مايرجى من الثواب فينبغى أن يسأل الله تمام النعمة
فى الدنيا ودفع مافوقه من البلاء ويسأله الثواب فى الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على أن يعطى على
الشكر مالايعطيه على الصبر * فان قلت فقد قال بعضهم أودّ أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم
فينجون وأكون أنا فى النار وقال سمنون رحمه الله تعالى

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم انه حكى عن سمنون المحب رحمه الله انه بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد
ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب وأما محبة الانسان ليكون هو فى النار دون
سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة
سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما سمعته من هذا الفن
فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكى ان فاختة كان
يراودها زوجها فتمنعه فقال ماالذى يمنعك عنى ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته
لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يانبى الله كلام العشاق لايحكى وهو كما قال وقال الشاعر

أريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضا محال ومعناه انى أريد مالا يريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذى لم يرده بل
لايصدق هذا الكلام إلا بتأويلين أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذى يتوصل
به الى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا والرضا وسيلة الى وصال المحبوب والوسيلة الى
المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال اذا أسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين يترك الدرهم
فى الحال * الثانى أن يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضاه فقط ويكون له لذة فى استشعاره رضا محبوبه منه
تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور أن يريد مافيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض
المحبين الى أن صارت لذتهم فى البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور بالرضا
فهؤلاء اذا قدروا رضاه فى البلاء صار البلاء أحب اليهم من العافية وهذه حالة لايبعد وقوعها فى غلبات الحب ولكنها
لاتثبت وان ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال
هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لايليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المنان
بفضله على جميع خلقه العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين

## ﴿ بيان الأفضل من الصبر والشكر ﴾

اعلم أن الناس اختلفوا فى ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون
هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن
التحصيل فلامعنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول فى بيان ذلك مقامان ﴿ المقام الأول ﴾
البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر الى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى أن
يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذ الفن من الكلام هو الذى ينبغى أن يعتمده

(١) حديث وعافيتك أحب الى ذكره ابن اسحق فى السيرة فى دعائه يوم خرج الى الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لى وكذا رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من يجهل

أراد أن يعمل عملا تثبت وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه اذا خرج من الشئ يكسبه من الحال مالا يتطلع به الى المال فحينئذ يجوز له أن يفسح للمريد فى الخروج من المال كما فسح رسول الله ﷺ لأبى بكر وقبل منه جميع ماله (ومن آداب الشيخ) اذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو أحس منه بدعوى أو رأى انه داخله عجب ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الاصحاب ويشير الى المكروه الذى يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب الى

الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم والظئر المشفقة لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة الى أن يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله فاذا أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله ﷺ (١) من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر (٢) يؤتى بأشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الارض فيقال له أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى ـ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ وأما قوله (٣) الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله ﷺ (٤) الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله ﷺ (٥) شارب الخمر كعابد الوثن وأبدا المشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله ﷺ الصبر نصف الايمان لا يدل على أن الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم وفي الخبر عن النبي ﷺ (٦) آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي خبر آخر (٧) يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا وفي الخبر (٨) أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فانه مصراع واحد وأول من

(١) حديث من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض الحديث لم أجد له أصلا (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل الحرث بن أبي أسامة في مسنده بالشطر الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضا أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة أزواجهن وفي رواية ما جزاء غزوة المرأة قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن فياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات (٥) حديث شارب الخمر كعابد الوثن ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مدمن الخمر ورواه بلفظ شارب الحرث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمرو وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي ان حديث ابي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان ابن الأصبهاني (٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاما وقال لم يروه الا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة وروى البزار من حديث انس أول من يدخل الجنة من اغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن تميم ضعيف (٧) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٨) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه باب واحد الحديث لم أجد له أصلا ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة تفرقة فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع

المداراة وأكثر أثر التألف القلوب واذا رأى من المريد تقصيرا في خدمة ندبه اليها يحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين والى ذلك ندب رسول الله ﷺ فيما أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الكروخي قراءة عليه قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا رشدين بن سعد عن أبي هلال الخولاني عن ابن عباس ابن جليد الحجري عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل الى النبي عليه السلام فقال

يدخلها اهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام وكل ماورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذى يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم

﴿المقام الثانى﴾ هو البيان الذى نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل أمرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الابهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هى كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين فى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والأحوال تراد للاعمال والأعمال هى الأفضل وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لامحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهى أرفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة لانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة إلى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهى الغاية التى تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هى عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بأنها عين السعادة وانما يشعر بها فى الآخرة فهى المعرفة الحرة التى لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ماعداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها فى الافضاء إلى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضى إلى بعض اما بواسطة أو بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهى أفضل وأما الاحوال فنعنى بها أحوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها فى اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هى أفضل مما دونها لامحالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها فى تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال إليه وكل عمل اما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا واما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول المعصية واسم الثانى الطاعة والمعاصى من حيث التأثير فى ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات فى تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها ذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة وان الحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغنى الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج

الجنة لكما بين مكة وهجر أوكما بين مكة وبصرى وفى الصحيحين فى خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام

يارسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة * وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله ﷺ وهم أحق الناس باحياء سنته فى كل ماأمر وندب وأنكر وأوجب (ومن جملة مهام الآداب) حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من أنواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ فى نفس المريد ما يجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شئ من خوارق العادات ويعرّفه أن الوقوف مع شئ من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرفه أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم

منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمريض الذى يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه
أن ينظر فى المهلك الذى استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه
ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه أن يتصدق بما معه وتفصيل هذا مما ذكرناه فى ربع المهلكات فليرجع اليه
فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز
أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق الا أن الخبز للجائع افضل والماء للعطشان أفضل فان اجتمعا فلينظر الى
الاغلب فان كان العطش هو الأغلب بالماء أفضل وان كان الجوع أغلب فالخبز أفضل فان تساويا فهما متساويان
وكذا اذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين أفضل
أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين مراد له ومايراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لا محالة فاذا فى
بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ويتهيأ القلب بسبب
خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل * فان قلت فقد حث
الشرع على الاعمال وبالغ فى ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى
ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الأفضل * فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على
ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض
القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل
معه المبالغة فى الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على
المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه
لا عيب فيه ولنضرب مثلا أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك فى حفظه بحيث
لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بى إلى تكرار ودراسة
لأنه يظن ان ما يحفظه فى الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل
لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبى المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد
استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول مابالى قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم واعز عند الوالد
وأعلم أن أبى لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفى به وأعلم أنه لا نقصان لأبى بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم
علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء أبيه وعلى كرمه فى العفو عنه
فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدرى وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق
الاباحة وقالوا ان الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار
- واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه - وقالوا أيضا لو شاء
الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين فى كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك
بالصدق واذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لأجل المساكين
والفقراء أو لاجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا فى المساكين ولا حظ لله فينا ولا فى أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا
هلكوا كما هلك الصبى لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة
العلم فى نفسه وتأكده فى قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته فى الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به فى استجراره
إلى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذا المسكين الآخذ لمالك يستوفى بواسطة
المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم
العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض

لا تحصى ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة الاسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لاذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف إلى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الاسرار فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل حتى يضعها فى مواضعها فيجل حال الشيوخ عن اذاعة الاسرار لرزانة

فى أن يصنع شيأ بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام (٢) وسماها أوساخ أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها والمقصود أن الاعمال مؤثرات فى القلب كما سبق فى ربع المهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلى والقانون الاصلى الذى ينبغى أن يرجع اليه فى معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف ولنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول فى كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة فى أحدهما بالحال أو العمل فى الآخر بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب و بعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا ان اعتبرتا فى البلاء والمصائب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى و يسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشئ على نفسه فاذا مجارى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا واما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى و يظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية والآخر أن يستعملهما فى الطاعة وكل أحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان أتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعينين على الطاعة فلابد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره من الأنبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكان الكمال فى أن يسلب الانسان الاطراف كلها و يترك كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الأعضاء آلة فى الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيما هى آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الاقدر الضرورة وهو محتاج الى ماوراءه ففى الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف الى الخيرات أو أن لا تستعمل فى المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذى هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال ألم فى صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى أن شيئين أفضل من شئ واحد وان الجملة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة و بين أبعاضها وأما اذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر

عقولهم وينبغى للمريد أن يحفظ سره من بثه فى ذلك صحبته وسلامته وتأييد الله سبحانه وتعالى له بتدارك المريدين الصادقين فى موردهم ومصدرهم

﴿ الباب الثالث والخمسون فى حقيقة الصحبة ومافيها من الخير والشر ﴾

المقتضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها أعم الاوصاف وقد يدعو اليها أخص الاوصاف فالدعاء بأعم الاوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض والدعاء بأخص الاوصاف كميل أهل كل ملة بعضهم الى بعض ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضهم الى بعض وكميل اهل

(١) حديث النهى عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وسماها أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة ان هذه الصدقة لا تحل لنا انما هى أوساخ القوم وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وفى رواية له أوساخ الناس

والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إياه الى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا الا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الأعمال لا تراد الا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى أفهام الناس من النعمة الأموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر أن يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده واتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجها في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل أداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير الصابر * فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر فان كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الانفاق * فاعلم ان الذي نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له أولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاذا أردت التحقيق ففصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله

المعصية بعضهم الى بعض فاذا علم هذا الاصل وأن الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية بالاعم تارة و بالاخص أخرى فليتفقد الانسان نفسه عند الميل الى صحبة شخص وينظر ما الذي يميل به الى صحبته ويزن أحوال من يميل اليه بميزان الشرع فان رأى أحواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعل الله تعالى مرآته مجلوة يلوح له في مرآة أخيه جميل حسن الحال وان رأى أفعاله غير مسددة فيرجع الى نفسه بالائمة والاتهام فقد لاح له في مرآة أخيه سوء حاله فبالجدير أن يفر منه كفراره من الأسد فانهما اذا اصطحبا ازدادا

وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام (١) من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك فى كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهى درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد فى الأخبار والآثار وقد روى عن بعضهم أنه قال رأيت فى بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال انى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى كذلك كانت تهوانى فاتفق انها زوجت منى فليلة زفافها قلت تعالى حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة قالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة أن لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذا لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله أعلم

## ﴿كتاب الخوف والرجا وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفضائه والعدول عن دار بلائه التى هى مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لأئمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف الى جنته والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته ﴿أما بعد﴾ فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤد فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء الا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما فى كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول فى الرجاء والشطر الثانى فى الخوف ﴿أما الشطر الأول﴾ فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذى يجتلب به الرجاء

### ﴿بيان حقيقة الرجاء﴾

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت وأقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضى العمل وكان الرجاء اسما من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر فى الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وادراكا وانما سمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغلب

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم فى الزكاة



ظلمة واعوجاجا ثم إذا علم من صاحبه الذى مال اليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال طالع ذلك فى مرآة أخيه فليعلم أن الميل بالوصف الاعم مركوز فى جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه أحكام وللنفس بسببه سكون وركون فيسلب الميل بالوصف الاعم جدوى الميل بالوصف الاخص ويصير بين المتصاحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية لايفرق بينها وبين خلوص الصحبة لله الا العلماء الزاهدون وقد يفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما يفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن اهل الفساد علم

ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعافان كان المنتظر مكروها حصل منه ألم في القلب سمي خوفا واشفاقاوان كان محبو باحصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطاروجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هوارتياح القلب لانتظارماهومحبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابدوان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارامع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغروروالحمق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولامعلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلايطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى مايتردد فيه أماما يقطع به فلا اذلا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لاينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الامازرع ولاينموزرع الامن بذر الايمان وقلماينفع ايمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كمالاينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاطيبة وألقى فيهابذراجيدا غير عفن ولامسوس ثم أمده بمايحتاج اليه وهوسوق الماء اليه في أوقاته ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل مايمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لاينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذراصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لارجاء وان بث البذر في أرض طيبة لكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الامطار حيث لاتغلب الامطار ولاتمتنع أيضا سمي انتظاره تمنيالارجاء فاذا اسم الرجاء انمايصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الامالیس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثاله على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الايمان في اتمام أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات أوترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال ﷺ (١) الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة وقال تعالى ـ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ـ وقال تعالى ـ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفرلنا * وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال ماأظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وماتمام النعمة الابدخول الجنة وأما العاصي فاذاتاب وتدارك جميع مافرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة وأماقبول التوبة إذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى ـ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ـ معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وماأراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأمامن ينهمك فيمايكرهه الله تعالى ولايذم نفسه عليه ولايعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة

(١) حديث الأحمق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة

فساد طريقهم فاخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال اليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتسب من طريقهم الفتور في الطلب والتخلف عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الاقسام ويذر منها مايسدفي وجهه المرام قال بعضهم هل رأيت شراقط الامن تعرف ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبة ورأوا الفضيلة في العزلة والوحدة كابراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسلمان الخواص وحكى

وعزم

وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية * قال يحيى بن معاذ من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عزوجل مع الافراط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف أن الارض سبخة وأن الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الأحوال لابد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الأعمال حديث (١) زيد الخيل اذ قال لرسول الله ﷺ جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني منه شئ حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر ﷺ علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

﴿ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه ﴾

اعلم أن العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى أحبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما في وقت الموت قال تعالى ـ لا تقنطوا من رحمة الله ـ فحرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال ﷺ (٢) لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال ﷺ يقول الله عز وجل (٣) أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٤) ودخل ﷺ على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ﷺ ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف

---

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفيه انه قال أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم سماه النبي ﷺ الخير ليس يروى عنه حديث وذكره في حديث يروى فقام زيد الخير فقال يارسول الله الحديث سمعت أبي يقول ذلك (٢) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل ﷺ على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي اسناده جيد

عنه أنه قيل له جاء ابراهيم بن أدهم أما تلقاه قال لان ألقى سبعا ضاريا أحب الي من أن ألقى ابراهيم بن أدهم قال لاني اذا رأيته أحسن له كلامي وأظهر نفسي باظهار أحسن أحوالها وفي ذلك الفتنة وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصمه الله تعالى أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد ابن عبد الباقي اجازة قال أنا الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد قال أنا أبو القاسم اسمعيل بن مسعدة قال أنا أبو عمرو محمد ابن عبد الله بن أحمد قال أنا أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي قال أنا محمد بن بكر بن

الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك وقال سفيان من أذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم وقال تعالى ـ وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ـ وقال ﷺ (١) ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذا رأيت المنكر أن تنكره فان لقنه الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرته لك وفى الخبر الصحيح (٢) ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى و يتجاوز عن المعسر فلقى الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ـ ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال ﷺ (٣) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لك لم تقنط عبادى فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفى الخبر (٤) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى فقال يارب كيف أحببك الى خلقك قال اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل ورؤى أبان بن أبى عياش فى النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال أوقفنى الله تعالى بين يديه فقال ما الذى حملك على ذلك فقلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورؤى يحيى بن أكثم بعد موته فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفنى الله بين يديه وقال ياشيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذنى من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يارب ماهكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى فقلت حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام انك قلت أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبنى فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيى وصدق أنس وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين يدى الولدان الى الجنة فقلت يالها من فرحة * وفى الخبر (٥) أن رجلا من بنى اسرائيل كان يقنط الناس و يشدد عليهم قال فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أو يسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها وقال ﷺ (٦) ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى ياحنان يامنان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتنى بعبدى قال فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان قال فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشى و يلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى أى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تعيدنى اليها بعد اذ أخرجتنى منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

---

(١) حديث ان الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد وقد تقدم فى الامر بالمعروف (٢) حديث ان رجلا كان يداين الناس فيسامح و يتجاوز عن المعسر الحديث مسلم من حديث أبى مسعود حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبى هريرة بنحوه (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث وفيه فهبط جبريل الحديث ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة فأوله متفق عليه من حديث أنس ورواه بزيادة ولخرجتم الى الصعدات أحمد والحاكم وقد تقدم (٤) حديث ان الله تعالى أوحى الى عبده داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى الحديث لم أجد له اصلا وكأنه من الاسرائيليات كالذى قبله (٥) حديث ان رجلا من بنى اسرائيل كان يقنط الناس و يشدد عليهم الحديث رواه البيهقى فى الشعب عن زيد ابن أسلم فذكره مقطوعا (٦) حديث ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى ياحنان يامنان الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله والبيهقى فى الشعب وضعفه من حديث أنس

---

عبد الرزاق قال حدثنا سليمان بن الأشعث قال ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى قال قال ﷺ يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن قال الله تعالى اخبارا عن خليله ابراهيم وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى استظهر بالعزلة على قومه (قيل) العزلة نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر وأهله والفضيلة عزلة الفضول وأهله ويجوز أن يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة

(بيان

﴿ بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب ﴾

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فاما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصى فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل فى حقه الا أدوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فاذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المبالغة فى التخويف أيضا تكاد أن لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنهما لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا اماالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون فى طغيانهم تماديا قال على كرم الله وجهه انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله * ونحن نذكر اسباب الرجاء لتستعمل فى حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لأسباب الشفاء فى حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذى يظن أن كل شئ من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان * وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار * أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه فى أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده فى الدنيا وعجائب حكمه التى راعاها فى فطرة الانسان حتى أعد له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده فى أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة فى الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان أخبر بانه لا يعذب بعد الموت أبدا مثلا أو لا يحشر أصلا فليست كراهتهم للعدم الا لان أسباب النعم أغلب لا محالة وانما الذى يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا فى حال نادرة وواقعة هاجة غريبة فاذا كان حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان أمر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة وسننها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من اقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدى عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذى لا عوض له منه

﴿ الفن الثانى استقراء الآيات والاخبار ﴾ فما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى ـ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ـ وفى قراءة رسول الله ﷺ (١) ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ـ والملائكة يسبحون بحمد ربهم

من الاغيار والعزلة من النفس وما تدعو اليه وما يشغل عن الله فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود قال أبو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة الا بالخلطة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وما سلم الامن جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت وواحد فى العزلة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليلزم الأصل ولا يخالط الا بقدر الحاجة واذا خالط لا يخالط الا بحجة واذا خالط يلازم الصمت فانه أصل والكلام عارض ولا يتكلم الا بحجة فخطر الصحبة كثير يحتاج العبد فيه الى مزيد علم والأخبار والآثار

(١) حديث قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى

و يستغفرون لمن فى الأرض - وأخبر تعالى ان النار أعدها لأعدائه وانما خوف بها أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال تعالى - فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى - وقال عز وجل - وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - و يقال (١) ان النبى ﷺ لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية - وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - وفى تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لا يرضى محمد وواحد من أمته فى النار وكان أبو جعفر محمد بن على يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله - قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى (٢) أبو موسى عنه ﷺ انه قال أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل الله عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفى لفظ آخر (٣) يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وقال ﷺ (٤) الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار وروى فى تفسير قوله تعالى - يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه (٥) ان الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام انى أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت أرحم بهم منى فقال إذا لا نخزيك فيهم وروى عن (٦) أنس أن رسول الله ﷺ سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم الىّ لئلا يطلع على مساويهم غيرى فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم الى غيرى لئلا تنظر الى مساويهم أنت ولا غيرك وقال ﷺ (٧) حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيأ استغفرت الله تعالى لكم (٨) وقال ﷺ يوما يا كريم العفو فقال

في التحذير عن الخلطة والصحبة كثيرة والكتب بها مشحونة وأجمع الاخبار فى ذلك ما أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح باسناده السابق الى أبى سليمان قال حدثنا أحمد بن سلمان النجاد قال ثنا محمد ابن يونس الكريمى قال ثنا محمد بن منصور الجشمى قال ثنا مسلم بن سالم قال ثنا السرى بن يحيى عن الحسن عن أبى الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذى يروغ قالوا

الترمذى من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب (١) حديث ان النبى ﷺ لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزل عليك وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبى حاتم والثعلبى فى تفسيرهما من رواية على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش الحديث (٢) حديث أبى موسى أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها عجل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن الحديث أبو داود دون قوله فاذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفى صحيحه من حديث أبى موسى كما سيأتى ذكره فى الحديث الذى يليه (٣) حديث يأتى كل رجل من هذه الامة بيهوديا أو نصرانيا الى جهنم الحديث مسلم من حديث أبى موسى اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفى رواية له لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حديث الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار أحمد من رواية أبى صالح الاشعرى عن أبى أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث ان الله أوحى الى نبيه ﷺ أنى أجعل حساب أمتك اليك فقال لا يارب أنت خير لهم منى الحديث فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس انه ﷺ سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم الىّ الحديث لم أقف له على أصل (٧) حديث حياتى خير لكم وموتى خير لكم الحديث البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح الا ان عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود وان أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائى فقد ضعفه كثيرون ورواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف (٨) حديث قال ﷺ يوما يا كريم العفو فقال جبريل تدرى ما تفسير يا كريم العفو الحديث لم أجده عن النبى ﷺ

جبريل

جبريل عليه السلام أتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه (١) وسمع النبي ﷺ رجلا يقول اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة قال العلماء قد أتم الله علينا نعمته برضاه الاسلام لنا إذ قال تعالى ـ وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ـ وفي الخبر (٢) اذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته انظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر (٣) لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي الخبر (٤) لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث (٥) ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة وروى (٦) أنس في حديث انه عليه الصلاة والسلام قال اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال أعرابي وان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال النبي ﷺ يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى أن يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها

ومتى ذلك يارسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرتنا بالتزوج قال انه اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة * وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله ورأوا ان الله تعالى منّ على أهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال

---

والموجود أن هذا كان بين ابراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (١) حديث سمع رجلا يقول اللهم اني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم (٢) حديث اذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ان عبدا أصاب ذنبا فقال أي رب أذنبت ذنبا فاغفرلي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنبا فقال الحديث (٣) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث الترمذي من حديث أنس يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن (٤) حديث لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيأ لقيته بمثلها مغفرة وللترمذي من حديث أنس الذي قبله يا ابن آدم لو لقيتني الحديث (٥) حديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه الحديث قال وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه أن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال وليس فيه أنه يأمر صاحب الشمال بالقاء السيئة حتى يلقى من حسناته واحدة ولم أجد لذلك أصلا (٦) حديث أنس اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال أعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد الحديث وفيه ان الله لا يمل من التوبة حتى يمل العبد من الاستغفار الحديث البيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل فقال يارسول الله اني أذنبت ذنبا قال استغفر ربك قال فأستغفر ثم أعود قال فاذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو أربعا قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور المحسور وفيه أبو بدر يسار بن الحكم المصري منكر الحديث وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر أحدنا يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يمل الله حتى تملوا وليس في الحديثين قوله في آخره فاذا هم العبد بحسنة الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة

صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عزوجل (١) وجاء رجل الى النبي ﷺ فقال يارسول الله انى لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلى الا الخمس لا أزيد عليها وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع أين انا إذا مت فتبسم رسول الله ﷺ وقال نعم معى اذا حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ماحرم الله وأن تزدرى بهما مسلما دخلت معى الجنة على راحتى هاتين وفى الحديث (٢) الطويل لانس ان الاعرابى قال يارسول الله من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى فقال ﷺ مم ضحكت يااعرابى فقال ان الكريم إذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي ﷺ صدق الاعرابى ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابى وفيه أيضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى قال الاعرابى ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عزوجل ـ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ـ وفى بعض الاخبار (٣) المؤمن أفضل من الكعبة (٤) والمؤمن طيب طاهر (٥) والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفى الخبر (٦) خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفى خبر آخر يقول الله عزوجل (٧) انما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لاربح عليهم وفى حديث (٨) أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ ماخلق الله تعالى شيأ الا جعل له مايغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفى الخبر المشهور (٩) ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى وعن (١٠) معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه ﷺ قال من قال لا إله إلا الله دخل

سبحانه وتعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وقال تعالى هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم * وقد اختار الصحبة والاخوة فى الله تعالى سعيد ابن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما وفائدة الصحبة انها تفتح مسام الباطن ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض (قيل) أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق

(١) حديث جاء رجل فقال يارسول الله انى لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلى إلا الخمس لا أزيد عليها وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أنس الطويل قال أعرابى يارسول الله من يلى حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المؤمن أفضل من الكعبة ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به الاخيرا وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصى ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم (٤) حديث المؤمن طيب طاهر لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا ينجس (٥) حديث المؤمن أكرم على الله من الملائكة ابن ماجه من رواية أبى المهزم يزيد بن سفيان عن أبى هريرة بلفظ المؤمن أكرم على الله من بعض الملائكة وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف (٦) حديث خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده الى الجنة لم أجده هكذا و يغنى عنه مارواه البخارى من حديث أبى هريرة عجب ربنا من قوم يجاء بهم الى الجنة فى السلاسل (٧) حديث قال الله انما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لاربح عليهم لم أقف له على أصل (٨) حديث أبى سعيد ماخلق الله شيأ الا جعل له مايغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب الميزان ليس بواه ولا بمجهول (٩) حديث ان الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (١٠) حديث معاذ وأنس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبرانى فى الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو فى اليوم والليلة للنسائى بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ ومن حديث أنس أيضا وتقدم فى الاذكار

الجنة (١) ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار (٢) ومن لقى الله لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار (٣) ولا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وفى خبر آخر (٤) لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد (٥) ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى - ان زلزلة الساعة شئ عظيم - قال أتدرون أى يوم هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال مالكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ماحدثتنا بهذا فقال كم أنتم فى الامم أين تأويل وثاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها الا الله تعالى انما أنتم فى سائر الامم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود وكالرقمة فى ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء الى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أوّلا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للاوّل ولكن ذكر فى الأوّل ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتلطف فى استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه وفى الخبر (٦) لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وفى لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفى الخبر (٧) لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب وقال ﷺ (٨) والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفى الخبر (٩) ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول

---

(١) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (٢) حديث من لقى الله لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه ﷺ قال لمعاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار وزاد البخارى صادقا من قلبه وفى رواية له من لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله فى الجنة وللنسائى من حديث أبى عمرة الأنصارى فى أثناء حديث فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى رسول الله لا يلقى الله عبد يؤمن بهما الا حجب عن النار يوم القيامة (٣) حديث لا يدخلها من فى قلبه وزن ذرة من ايمان أحمد من حديث سهل ابن بيضاء من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هى كلمة الاخلاص واسناده صحيح ولكن هذا ونحوه شاذ مخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار واخراجهم بالشفاعة نعم لا يبقى فى النار من فى قلبه ذرة من ايمان كما هو متفق عليه من حديث أبى سعيد وفيه فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه وقال مسلم من خير بدل من ايمان (٤) حديث لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث لما تلا - ان زلزلة الساعة شئ عظيم - قال أتدرون أى يوم هذا الحديث الترمذى من حديث عمران بن حصين وقال حسن صحيح قلت هو من رواية الحسن البصرى عن عمران ولم يسمع منه وفى الصحيحين نحوه من حديث أبى سعيد (٦) حديث لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم وفى لفظ لذهب بكم الحديث مسلم من حديث أبى أيوب واللفظ الثانى من حديث أبى هريرة قريبا منه (٧) حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وتقدم فى ذم الكبر والعجب (٨) حديث والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه (٩) حديث ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف

---

بطروق هبوب الآفات ثم الخلاص منها بالايمان ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتستروح الارواح بالتشام وتتفق فى التوجه الى الرفيق الاعلى ويصير مثالها فى الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام * وورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ المؤمن كثير بأخيه وقال الله تعالى مخبرا عمن لا صديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والحميم فى الاصل الهميم الا انه أبدلت الهاء بالحاء لقرب مخرجهما اذ هما من حروف الحلق والهميم

لهـا رجاء أن تصيبه وفي الخبر (١) ان لله تعالى مائة رحمة ادّخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وفي الخبر (٢) ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام (٣) اعملوا وابشروا واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله وقال ﷺ (٤) انى اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين وقال عليه الصلاة والسلام (٥) بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال ﷺ وعلى كل عبد مصطفى (٦) أحب أن يعلم أهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا إصرا وقال تعالى ـ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ـ وروى (٧) محمد بن الحنفية عن على رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله تعالى ـ فاصفح الصفح الجميل ـ قال ياجبريل وما الصفح الجميل قال عليه السلام إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال ياجبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاقب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل عليه السلام وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هـذا ما لا يشبه كرمي * والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى ﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال على كرم الله وجهه من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما أحب أن يجعل حسابي الى أبوي لأني أعلم ان الله تعالى أرحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى أسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يارب حجبت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت ياابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون مني ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد رحمه الله تعالى

مأخوذ من الاهتمام أي يهتم بأمر أخيه فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة وقال عمر اذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقد قال القائل

واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد واين ذاك الواحد

واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قال ياداود مالى أراك منتبذا وحدك قال الهى قليت الخلق من أجلك فأوحى الله اليه ياداود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصحبه فانه عدوّ يقسى قلبك ويباعدك مني * وقد ورد في الخبر ان احبكم الى الله الذين

(١) حديث ان لله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث اعملوا وابشروا واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله تقدم أيضا (٤) حديث اني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي الحديث الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة واني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ورواه مسلم من حديث أنس وللترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ولابن ماجه من حديث أبي موسى ولأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم (٥) حديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله وللطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة وفيه محمد بن اسحاق رواه بالعنعنة (٦) حديث أحب ان يعلم أهل الكتاب ان في ديننا سماحة أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد (٧) حديث محمد بن الحنفية عن على لما نزل قوله تعالى ـ فاصفح الصفح الجميل ـ قال ياجبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه الحديث ابن مردويه في تفسيره موقوفا على على مختصرا قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي اسناده نظر

ان

ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين ولقى مالك بن دينار أبانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لارجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ماتخرق له كساءك هذا من الفرح وفى حديث ربعى ابن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال انى لقيت ربى عزوجل فحيانى بروح وريحان وربى غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون فلا تغتروا وان محمدا ﷺ ينتظرنى واصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طشت فحملناه ودفناه وفى الحديث (١) ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا فى الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعنى وربى أبعثت على رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد أن يحظر رحمتى على عبادى اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروى أيضا ان لصا كان يقطع الطريق فى بنى اسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل من الحواريين فقال اللص فى نفسه هذا نبى الله يمر والى جنبه حوارى له لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيما للحوارى ويقول فى نفسه مثلى لا يمشى الى جنب هذا العابد قال وأحس الحوارى به فقال فى نفسه هذا يمشى الى جانبى فضم نفسه ومشى الى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ماسلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه فى سياحته وجعله من حوارييه وروى عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته قال فرفع النبى عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى اليه تتألى على فى عبادى انى قد غفرت له ويقرب من هذا ماروى عن (٢) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته فنزل عليه قوله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام وروى فى الاثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة قال فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان المحبة أغلب على الرجى منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه وا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال ﷺ (٣) سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال (٤) اذا سألتم

يألفون ويؤلفون فالمؤمن آلف مألوف وفى هذا دقيقة وهى انه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مألوفا فان هذه الاشارة من رسول الله ﷺ الى الخلق الجبلى وهذا الخلق يكمل فى كل من كان أتم معرفة ويقينا وأرزن عقلا واتم اهلية واستعدادا وكان أوفر الناس حظا من هذا الوصف الانبياء ثم الاولياء وأتم الجميع فى هذا نبينا صلوات الله عليه وكل من كان من الانبياء أتم ألفة كان أكثر تبعا ونبينا ﷺ كان أكثرهم ألفة وأكثرهم تبعا وقال تناكحوا

---

(١) حديث ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا فى الله عزوجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا الحديث أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد جيد (٢) حديث ابن عباس كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ فترك الدعاء عليهم الحديث البخارى من حديث ابن عمر أنه كان اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد مايقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عزوجل ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون ورواه الترمذى وسماهم أباسفيان والحرث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد فتاب عليهم فأسلموا فحسن اسلامهم وقال حسن غريب وفى رواية له أربعة نفر ولم يسمهم وقال فهداهم الله للاسلام وقال حسن غريب صحيح (٣) حديث سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما لم أجده بهذا اللفظ وللترمذى من حديث ابن مسعود سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسئل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ (٤) حديث إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة وسألوا الفردوس

الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يتعاظمه شئ وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدرى ما أقول لكم إلا إنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى اياك مع الاعمال لانى أعتمد فى الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال ان أسلمت أضفتك فمر المجوسى فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابراهيم يسعى خلف المجوسى فرده وأضافه فقال له المجوسى ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى ثم قال أعرض على الاسلام فاسلم ورأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجى فى المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر أهون مما توهمنا ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى وحكى ان أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى فى مرض موته فى منامه كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى شيأ من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور ابن عمار وهو يسأل لفقير شيأ ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع الغلام إليه الدراهم فقال منصور ما الذى تريد أن أدعو لك فقال لى سيد أريد أن أتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال أن يخلف الله على دراهمى فدعا ثم قال الاخرى قال أن يتوب الله على سيدى فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم أبطأت فقص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت لنفسى العتق فقال له اذهب فأنت حر قال وايش الثانى قال أن يخلف الله على الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم وايش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال أن يغفر الله لى ولك وللقوم وللمذكر قال هذا الواحد ليس إلى فلما بات تلك الليلة رأى فى المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان اليك أفترى أنى لا أفعل ما الى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا الميت منك قالت ابنى قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت وايش كان هذا قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكرنى فقلت من أنت فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخى على دجلة اذ مر أحداث فى زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف أما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة فقال القوم انما سألناك أن تدعو عليهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول فى دعائه يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما أحلمك وعزتك انك

الاعلى فان الله لا يتعاظمه شئ مسلم من حديث أبى هريرة اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فان الله عز وجل لا يتعاظمه شئ أعطاه والبخارى من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذى من حديث معاذ وعبادة بن الصامت

تكاثروا فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله ﷺ فقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وانما طلب العزلة مع وجود هذا الوصف ومن كان هذا الوصف فيه أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر فى الابتداء ولهذا المعنى حبب الى رسول الله ﷺ الخلوة فى أول أمره وكان يخلو فى غار حراء ويتحنث الليالى ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلفا مألوفا وقد غلط فى هذا قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب

لتعصي ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك يار بنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي بها يجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيأ من ذلك بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فان أكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا ﴿الشطر الثاني من الكتاب في الخوف﴾ وفيه بيان حقيقة الخوف و بيان درجاته و بيان أقسام المخاوف و بيان فضيلة الخوف و بيان الافضل من الخوف والرجاء و بيان دواء الخوف و بيان معنى سوء الخاتمة و بيان أحوال الخائفين من الانبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ونسأل الله حسن التوفيق

﴿ بيان حقيقة الخوف ﴾

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا أشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله و بين العبد وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف و بالجملة فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود و إنما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوّز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب و بحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحراق القلب وتألمه وذلك الاحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا و بحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه و بربه ولذلك قال ﷺ (١) أنا أخوفكم لله وكذلك قال الله تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ ثم اذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي و يمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيأ هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول

العزلة لمن هذا الوصف فيه أتم من الانبياء ثم الامثل فالامثل ما أسلفنا في أول الباب ان في الانسان ميلا الى الجنس بالوصف الاعم فلما علم الحذاق ذلك ألهمهم الله تعالى محبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف الاعم لترتقي الهمم العالية عن ميل الطباع الى تألف الارواح فاذا وفوا التصفية حقها اشرأبت الارواح الى جنسها بالتألف الاصلي الاولي وأعادها الله تعالى الى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الارواح وظهرت صفة الجبلة من الالفة المكملة آلفة مألوفة فصارت العزلة من أهم الامور عند من

(١) حديث أنا أخوفكم البخاري من حديث انس والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له وللشيخين من حديث عائشة والله اني لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية

السقام وأمانى الصفات فبأن يقمع الشهوات و يكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح و يحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة و يفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات و يكون حاله حال من وقع فى مخالب سبع ضار لايدرى انه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره و باطنه مشغولا بما هو خائف منه لامتسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذى هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله و بعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الاعمال أن يمنع عن المحظورات و يسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف أيضا عما لايتيقن تحريمه و يسمى ذلك تقوى اذ التقوى أن يترك مايريبه الى مالايريبه وقد يحمله على أن يترك مالا بأس به مخافة مابه بأس وهو الصدق فى التقوى فاذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لايبنى مالا يسكنه ولا يجمع مالا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا و يدخل فى الصدق التقوى و يدخل فى التقوى الورع و يدخل فى الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والاقدام و يتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجرى الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربى واما عجمى والعربى اما قرشى أو غيره والقرشى اما هاشمى أو غيره والهاشمى اما علوى أو غيره والعلوى اما حسنى أو حسينى فاذا ذكرت انه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوى وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت انه تقى وورع وعفيف فلا ينبغى أن تظن ان كثرة هذه الاسامى تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب المعانى من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعانى فهذه اشارة إلى مجامع معانى الخوف ومايكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

﴿ بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف ﴾

اعلم أن الخوف محمود ور بما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة أن لاتخلو عن سوط وكذا الصبى ولكن ذلك لايدل على أن المبالغة فى الضرب محمودة وكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لايؤلمها ألما مبرحا فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فأنهم أبعد الناس عن الخوف بل أعنى العلماء بالله و بايامه وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذى

يأ لف فيؤلف ومن أدل الدليل على ان الذى اعتزل آلف ما ألوف حتى يذهب الغلط عن الذى غلط فى ذلك وذم العزلة على الاطلاق من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها فى وقتها والصحبة مرغوبا فيها فى وقتها قال محمد ابن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا وكان بشر ابن الحرث يقول إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه فالانيس بهيئة الله للصادقين رفقا من الله تعالى وثوابا للعبد معجلا والانيس

يكف الجوارح عن المعاصي و يقيدها بالطاعات ومالم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا وأما المفرط فانه الذي يقوى و يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به ومالا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لانه أهون من ألم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط أو أحد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم * فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما * فاعلم أن معنى كونه شهيدا أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالاضافة الى أمور أخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذا الخوف ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره فان لم يحمل الا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء و بغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

﴿ بيان أقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه ﴾

اعلم أن الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما أن يكون مكروها في ذاته كالنار واما أن يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى مكروه في الآخرة كما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت فلابد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين و يقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها

قد يكون مفيدا كالمشايخ وقد يكون مستفيدا كالمريدين فصحيح الخلوة والعزلة لا يترك من غير أنيس فان كان قاصرا يؤنسه الله بمن يتم حاله به وان كان غير قاصر يقيض الله تعالى له من يؤنسه من المريدين وهذا الانس ليس فيه ميل بالوصف الاعم بل هو بالله ومن الله وفي الله * وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول أهل الجنة

بالقساوة أوخوف الميل عن الاستقامة أوخوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة أوخوف أن يكله الله تعالى الى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها فى عباد الله أوخوف البطر بكثرة نعم الله عليه أوخوف الاشتغال عن الله بغير الله أوخوف الاستدراج بتواتر النعم أوخوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدوله من الله مالم يكن يحتسب أوخوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء أوخوف مالايدرى انه يحدث فى بقية عمره أوخوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت أوخوف الاغترار بزخارف الدنيا أوخوف اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته عنه أوخوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أوخوف السابقة التى سبقت له فى الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذى يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر وأعلى الاقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ماسبق به القضاء فى أم الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حزالرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ماالذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة أوغضب وهذا التفات الى السبب فهو أعلى من الالتفات الى ماهو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات الى مايظهر فى الابد واليه أشار النبى ﷺ حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال (١) هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لايزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لايزاد فيهم ولا ينقص وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التى تقتضى الهيبة لامحالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان فى طاعة الصديقين وأما الآخر فهو فى عرصة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ماهو جدير بأن يخاف من غير جناية بل العاصى لوعرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا أنه مخوف فى نفسه لماسخره للمعصية ويسرله سبيلها ومهدله أسبابها فان تيسير أسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية وتجرى عليه أسبابها ولاسبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهدله سبيل القربات فالعاصى قدقضى عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع فالذى يرفع محمدا ﷺ الى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أباجهل فى أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله فان من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذى عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ماالذى أوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وماالذى أوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعى المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث الترمذى من حديث عبدالله

انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين فى الله عزوجل فاذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عزوجل وقال أبو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال له ابشر ثم أبشر فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولايخافون وهم اولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء

الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا اذن الشرع لم يستجرئ على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر (١) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله * والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه منك بل لصفته و بطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلاك ألف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة ﴿ الطبقة الثانية من الخائفين ﴾ أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته أو سؤال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول المطلع أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق واذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتعجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه

## ﴿ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه ﴾

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار * أما الاعتبار فسبيله أن فضيلة الشئ بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الانس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشئ كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى * وأما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى

---

ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب (١) حديث ان الله تعالى أوحى الى داود يا داود خفني كما يخاف السبع الضاري لم أجد له أصلا ولعل المصنف قصد بايراده انه من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا

---

يا رسول الله قال المتحابون في الله عز وجل (وروى) عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل حقت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتباذلين في والمتصادقين في (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي اجازة قال أنا أحمد بن الحسين بن خيرون قال أنا أبو عبد الله أحمد ابن عبد الله المحاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق ابراهيم ابن اسحق الحربي قال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بخير من كثير من

لاخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى ـ وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ـ وقال تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ وصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عز وجل ـ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ـ وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لايشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك (١) لما خير رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولايخفى ماورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله ﷺ حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد ﷺ وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى ـ لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم ـ وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ـ ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ـ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ـ وقال عز وجل ـ وخافون ان كنتم مؤمنين ـ فامر بالخوف وأوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لايتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله ﷺ في فضيلة التقوى (٢) اذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فاذاهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم * قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه الصلاة والسلام (٣) رأس الحكمة مخافة الله وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود (٤) ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلي رحمه الله ماخفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فانه لايبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحي منهم واجلهم أن اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسام اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامي وكذلك ماورد

---

مايعبر بذلك عن الاسرائيليات التي هي غير مرفوعة (١) حديث لما خير في مرض موته كان يقول اسألك الرفيق الأعلى متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه في حجري غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأعلى فعلمت انه لايختارنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث (٢) حديث اذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه اقصاهم كما يسمعه ادناهم فيقول يا أيها الناس انى قد انصت اليكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فأنصتوا الى اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني جعلت نسبا الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك بسند ضعيف والثعلبي في التفسير مقتصرا على آخره اني جعلت نسبا الحديث من حديث ابي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة مخافة الله ابو بكر بن لال الفقيه في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولايصح ايضا (٤) حديث ان اردت ان تلقاني فأكثر من الخوف بعدي قاله لابن مسعود ولم اقف له على اصل

---

الصلاة والصدقة قالوا وماهو قال اصلاح ذات البين واياكم والبغضة فانها هي الحالقة وباسناد ابراهيم الحربي عن عبيدالله بن عمر عن ابي اسامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران بن رباح قال سمعت ابا مسلم يقول سمعت اباهريرة يقول الخبر وفي الخبر تحذير عن البغضة وهو ان يجفو المختلي الناس مقتا لهم وسوء ظن بهم وهذا خطأ وانما يريد ان يخلو مقتا لنفسه وعلما بما في نفسه من الآفات وحذرا على نفسه من نفسه وعلى الخلق ان يعود عليهم من شره فمن كانت خلوته بهذا الوصف لايدخل تحت هذا الوعيد والاشارة بالحالقة يعني ان

فى فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ وقال ﷺ قال الله عزوجل وعزتى (١) لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له آمنين فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال ﷺ (٢) من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ وقال ﷺ (٣) أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذوالنون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذوالنون أيضا ينبغى أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدهم خوفا اليوم وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا أباسعيد كيف نصنع نجالس أقواما يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت (٤) عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله ـ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ـ هو الرجل يسرق و يزنى قال لا بل الرجل يصوم و يصلى و يتصدق و يخاف أن لا يقبل منه والتشديدات الواردة فى الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشئ ثناء على ضده الذى ينفيه وضد الخوف الامن كما أن ضد الرجاء اليأس وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلابد وأن يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان و يجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذى يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفى الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الأسباب و يسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ـ ويدعوننا رغبا ورهبا ـ وقال عزوجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى ـ مالكم لا ترجون لله وقارا ـ أى لا تخافون وكثيرا ما ورد فى القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشئ بما يلازمه بل أقول كل ما ورد فى فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون و يزيدهم خشوعا وقال عزوجل

---

(١) حديث لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين ابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا (٢) حديث من خاف الله خافه كل شئ الحديث أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى امامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين باسناد ضعيف معضل وقد تقدم (٣) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث لم أقف له على أصل ولم يصح فى فضل العقل شئ (٤) حديث عائشة قلت يارسول الله ـ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ـ هو الرجل يسرق و يزنى قال لا الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد * قلت بل منقطع بين عائشة و بين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذى وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبى حازم عن أبى هريرة

---

البغضة حالقة للدين لانه نظر الى المؤمنين والمسلمين بعين المقت (وأخبرنا) الشيخ أبو الفتح باسناده الى ابراهيم الحربى قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال ان لله تعالى ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج وان من دعائه اللهم فكما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين وكيف لا تتألف قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله ﷺ فى وقته العزيز بقاب قوسين فى وقت لا يسعه فيه شئ للطف حال الصالحين وجدهم فى ذلك

أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون وأنتم سامدون ـ وقال ﷺ (١) مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيأ من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال ﷺ (٢) اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال ﷺ (٣) لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع (٤) وقال عقبة بن عامر ماالنجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت (٥) عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال ﷺ (٦) مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت فى سبيل الله سبحانه وتعالى وقال ﷺ (٧) اللهم ارزقنى عينين هطالتين ٢ تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جمرا وقال ﷺ (٨) سبعة يظلهم الله يوم لاظل الاظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر رحمه الله اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغنى أن النار لاتأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله ماتغرغرت عين بمائها الالم يرهق وجه صاحبها قتر ولاذلة يوم القيامة فان سالت دموعه أطفأ الله بأوّل قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى فى أمة ماعذبت تلك الأمة وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق وقال كعب الاحبار رضى الله عنه والذى نفسى بيده لان أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب الى من أن أتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما لان أدمع دمعة من خشية الله احب الى من أن أتصدق بألف دينار * وروى (٩) عن حنظلة قال كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلى فدنت منى المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مامن مؤمن يخرج من عينه دمعة وان كانت مثل راس الذباب الحديث الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه الحديث الطبرانى والبيهقى فيه من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لايلج النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه من حديث ابى هريرة (٤) حديث قال عقبة بن عامر ماالنجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من امتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى لم أقف له على أصل (٦) حديث مامن قطرة احب الى الله من قطرة دمعة من خشية الله الحديث الترمذى من حديث ابى امامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع الحديث الطبرانى فى الكبير وفى الدعاء وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن ورواه الحسين المروزى فى زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلا دون ذكر الله وذكر الدارقطنى فى العلل ان من قال فيه عن ابيه وهم وانما هو عن سالم بن عبد الله مرسلا قال وسالم هذا يشبه ان يكون سالم بن عبد الله المحاربى وليس بابن عمر انتهى وماذكره من انه سالم المحاربى هو الذى يدل عليه كلام البخارى فى التاريخ ومسلم فى الكنى وابن أبى حاتم عن ابيه وابى احمد الحاكم فان الراوى له عن سالم عبد الله ابو سلمة وانما ذكروا له رواية عن سالم المحاربى والله اعلم نعم حكى ابن عساكر فى تاريخه الخلاف فى أن الذى يروى عن سالم المحاربى اوسالم بن عبد الله بن عمر (٨) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد تقدم (٩) حديث حنظلة كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا الحديث وفيه نافق حنظلة الحديث وفيه ولكن ياحنظلة ساعة وساعة مسلم مختصرا

المقام العزيز وقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهم مجتمعون وان كانوا متفرقين وصحبتهم لازمة وعزيمتهم فى التواصل فى الدنيا والآخرة جازمة * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدّق وجاهد ولم يحب فى الله ولم يبغض فيه مانفعه ذلك (أخبرنا) رضىّ الدين احمد بن اسمعيل بن يوسف اجازة ان لم يكن سماعا قال انا ابو المظفر عن والده ابى القاسم القشيرى قال

٢ قوله تشفيان بذروف الدمع الذى فى الجامع الصغير تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك اهـ

وسلم وأخذنا فى الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت فى نفسى قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادى نافق حنظلة فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول نافق حنظلة فقال رسول الله ﷺ كلا لم ينافق حنظلة فقلت يارسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلى فاخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال ﷺ ياحنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فراشكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة فاذا كل ماورد فى فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب

﴿بيان أن الافضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما﴾

اعلم أن الاخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك فى أن الافضل أيهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهى قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان كان العطش اغلب فالماء افضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل مايراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دوا آن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التأويل الذى يقال فيه الخبز افضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصى والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى مايقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التى تقتضى العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغى ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصى فاما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يابنى خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضى الله عنه لو نودى ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضى الله عنه ينبغى ان يستوى خوفه ورجاؤه فاما العاصى إذا ظن انه الرجل الذى استثنى من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره * فان قلت مثل عمر رضى الله عنه لا ينبغى ان يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغى ان يغلب رجاؤه كما سبق فى اوّل كتاب الرجاء وان قوّته ينبغى ان تكون بحسب قوّة اسبابه كما مثل بالزرع والبذر ومعلوم ان من بث البذر الصحيح فى ارض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغى ان تكون احوال المتقين فاعلم ان من يأخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردنا مثالا فليس يضاهى ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاءها وصحة البذر وصحة

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر التامسانى يقول اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبتهم الى صحبة الله (وأخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا عمر ابن أحمد الصفار النيسابورى اجازة قال انا ابو بكر احمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت ابا نصر الأصفهانى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت على بن سهل يقول الانس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق الا من اهل ولاية الله فان الانس باهل ولاية الله هو الانس

بالله (وقد نبه القائل) نظما على حقيقة جامعة لمعانى الصحبة والخلوة وفائدتهما وما يحذر فيهما بقوله
وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من قعود المرء وحده
(الباب الرابع والحسون فى أداء حقوق الصحبة والاخوة فى الله تعالى)
قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالمرحمة وقال فى وصف اصحاب رسول الله ﷺ أشداء على الكفار رحماء بينهم وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق

الهواء وقلة الصواعق المهلكة فى تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث فى ارض غريبة لم يعهدها الزراع ولم يختبرها وهى فى بلاد ليس يدرى أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وان ادّى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر فى مسألتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفى والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هى الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها فى مستقبل الزمان وان سلم فى الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هى أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا فى نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكى فى أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضى الله عنه يبالغ فى تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضى الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيأ اذ كان قد خصه رسول الله ﷺ (١) بعلم المنافقين فمن ذا الذى يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وان وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال ﷺ (٢) ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه و بين الجنة الا شبر وفى رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن من ذلك فاذن أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء فى غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما فى وصف من أثنى عليهم فقال تعالى ـ يدعون ربهم خوفا وطمعا ـ وقال عزوجل ويدعوننا رغبا ورهبا وأين مثل عمر رضى الله عنه فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافى عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة الادكار وقال مكحول الدمشقى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت أما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه و يعين على تعجيل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه و يحبب اليه ربه الذى

(١) حديث ان حذيفة كان خصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين مسلم من حديث حذيفة فى أصحابى اثنا عشر منافقا تمامه لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط الحديث (٢) حديث ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه و بين الجنة الا شبر وفى رواية الا قدر فواق ناقة الحديث مسلم من حديث أبى هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار وللبزار والطبرانى فى الأوسط سبعين سنة وإسناده حسن وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع الحديث ليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة

اليه

اليه رجاؤه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوب عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبا اشتدت محنته وعذابه فهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه و بين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه و بين ما يشتهيه فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه و بين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين و يلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى أن تدعو بما دعا به نبينا ﷺ اذ قال (١) اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال ﷺ (٢) لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن حببني الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم آلائي ونعمائي فاذا غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة و باخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة

## ﴿ بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف ﴾

اعلم ان ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى و باليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام و يؤدي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة و يؤدي كمال المعرفة والانس الى المحبة و يتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث الترمذي من حديث معاذ وتقدم في الاذكار والدعوات

(٢) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم

الصحبة فمن اختار صحبة او اخوة فأدبه في أول ذلك ان يسلم نفسه وصاحبه الى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع و يسأل البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك ابابا من أبواب الجنة وابابا من أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وقيل ان أحد الاخوين في الله تعالى يقال له أدخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لي وله فيعطى جميع

اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر و به المجاهدة والتجرد لله ظاهرا و باطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها و يلعب بها ولكن اذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي الى أبيه وهو ترتعد فرائصه و يحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع و بطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه و يعلم أنه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ــ ويحذركم الله نفسه ــ وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى فان يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف العبد والحجاب عنه و يرجو القرب منه * قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى ــ انما يخشى الله من عباده العلماء ــ ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لأبيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف و يزول على قرب حتى أن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر اليه و يغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لأبيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام و بالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي و يحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وان خطر ببالك أنه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة فان كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضي عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر ﷺ اذ قال (١) احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته و بكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه

ما يسأل لاخيه و يرفع أخوه الى درجته وان فتح الله تعالى عليهما بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى و يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا وان كانت الآية وردت في قصة مشهورة ولكن الله تعالى نبه بذلك عباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصحبة والاخوة اتفاقا من غير نية في ذلك وثبت في أول الامر شان أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمباصد والمنافع والمضار وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له وهل يقصد

وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة قال ﷺ فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا أضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان أضيف الى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا لاسبابها شاؤا ام أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لاسبابها شاؤا أم أبوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال الخائفين العارفين واقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والاغبياء أما رسولنا ﷺ (١) فهو سيد الاولين والآخرين (٢) وكان اشد الناس خوفا حتى روى (٣) انه كان يصلي على طفل وفي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية (٤) انه سمع قائلا يقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما أدري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروى انه ﷺ قال ذلك ايضا على جنازة (٥) عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيأ لك الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا أزكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني قال فثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر عن (٦) رجل من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة

---

بألفاظ أخر (١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث ابي هريرة انا سيد ولد آدم ولا فخر الحديث (٢) حديث كان اشد الناس خوفا تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا قوله والله اني لأخشاكم لله وقوله والله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية (٣) حديث انه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الاوسط من حديث انس أن النبي ﷺ صلى على صبي اوصبية وقال لو كان احد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في اسناده فرواه في الكبير من حديث ابي ايوب ان صبيا دفن فقال رسول الله ﷺ لو افلت احد من ضمة القبر لافلت هذا الصبي (٤) حديث انه سمع قائلة تقول لطفل مات هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فغضب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثمان بن مظعون قالت ام سلمة هنيأ لك الجنة الحديث البخاري من حديث ام العلاء الانصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله قال وما يدريك الحديث وورد ان التي قالت ذلك ام خارجة بن زيد ولم اجد فيه ذكر ام سلمة . (٦) حديث ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنياله عصفور من عصافير الجنة

---

الناس الا الناس فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح متوقع وماهذا سبيله كيف لا يحذر في أوله ويحكم الامر فيه بكثرة الالتجأ الى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والخيرة في ذلك وتقديم صلاة الاستخارة ثم ان اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى حسن الخاتمة وقد قال عليه الصلاة والسلام في الخبر الطويل سبعة يظلهم الله تعالى فنهم اثنان تحابا في الله فعاشا على ذلك وماتا عليه اشارة الى أن الاخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة ومتى أفسد المؤاخاة بتضييع

هاجرت الى رسول الله ﷺ وقتلت في سبيل الله فقال ﷺ ومايدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه و يمنع مالا يضره وفي حديث آخر انه (١) دخل ﷺ على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيأ لك الجنة فقال ﷺ من هذه المتألية على الله تعالى فقال المريض هي امي يارسول الله فقال ومايدريك لعل فلانا كان يتكلم بمالا يعنيه و يبخل بمالا يغنيه وكيف لايخاف المؤمنون كلهم وهو ﷺ يقول (٢) شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه ﷺ بانه لوشاء الله مااشركوا اذلوشاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اماخافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ماأحضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ماقدمت يداه الآية وقوله تعالى لايتكلمون الامن اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولولم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذعلق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها وأشد منه قوله تعالى فامامن تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان وقوله عزوجل افأمنوا مكر الله الآية وقوله وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا الآيتين وقوله تعالى وان منكم إلا واردها الآية وقوله اعملوا ماشئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع مافاض عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون حتى روى (٣) ان النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى فأوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكأنهما إذعلما أن الله هو علام الغيوب وانه لاوقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله أمنتكما ابتلاء وامتحانا لهما ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمنا من المكر وماوفيا بقولهما كما ان ابراهيم ﷺ لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه فقال وابراهيم الذي وفى أي بموجب قوله حسبي الله و بمثل هذا أخبر عن موسى ﷺ حيث قال اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لاتخافا انني معكما أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة اذلم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لاتخف إنك أنت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين (٤) يوم بدر قال ﷺ

---

الحديث أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ ان أمه قالت هنيأ لك يابني الجنة ورواه البيهقي في الشعب الا أنه قال فقالت أمه هنيأ لك الشهادة وهو عند الترمذي الا أنه قال ان رجلا قال له ابشر بالجنة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف (١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيأ له الجنة الحديث تقدم أيضا (٢) حديث شيبتني هود وأخواتها الحديث الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث ابن عباس وهو في الشمائل من حديث أبي جحيفة وقد تقدم في كتاب السماع (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عزوجل فأوحى الله اليهما لم تبكيان الحديث ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر ورويناه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف (٤) حديث قال يوم بدر اللهم ان تهلك هذه

---

الحقوق فيها فسد العمل من الاول (قيل) ماحسد الشيطان متعاونين على بر حسده متآخيين في الله متحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما (وكان) الفضيل يقول اذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة والاخوة في الله تعالى مواجهة قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين ومتى أضمر أحدهما للآخر سوأ أوكره منه شيأ ولم ينبهه عليه حتى يزيله أو يتسبب الى ازالته منه فما واجهه بل استدبره (قال الجنيد) رحمه الله ماتواخى اثنان في الله واستوحش أحدهما من صاحبه الالعلة في أحدهما فالمؤاخاة

اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لامحالة ولذلك قال المسيح ﷺ لما قيل له ـ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ـ وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم ـ الآية فوض الامر الى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ـ ليس له من الامر شئ ـ وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ان أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ـ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ـ وقال تعالى ـ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر أنفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم فيه واستقراء خفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسير الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وأن القلب أشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب عز وجل ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال ـ وقلوبهم وجلة ـ ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فان رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى

في الله أصفى من الماء الزلال وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ما صفا دام والاصل في دوام صفائه عدم المخالفة قال رسول الله ﷺ لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه (قال ابو سعيد الخراز) صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فقيل له وكيف ذلك قال لاني كنت معهم على نفسي (اخبرنا) شيخنا ابو النجيب السهروردي اجازة قال أنا عمر ابن احمد الصفار قال انا ابو بكر احمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الله الداراني قال سمعت ابا عمرو الدمشقي الرازي

العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك البخاري من حديث ابن عباس بلفظ اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم

بالكفر وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت الى المسجد كأن فى وسطى زنارا أخاف ان يذهب بى الى البيعة و بيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عنى الزنار فهذا لى فى كل يوم خمس مرات وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال يامعشر الحواريين أنتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروى فى اخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى اليه عبدى أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بى حتى تسألنى الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يارب فاعصمنى من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لايخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم أنى برىء من النفاق كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس وماعنوا به النفاق الذى هو ضد أصل الايمان بل المراد به مايجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال ﷺ (١) أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم أنه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى لفظ آخر واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لايخلو عن شئ منه الا صديق اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذى يخلو عن هذه المعانى بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال (٢) حذيفة رضى الله تعالى عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقا انى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وكان (٣) أصحاب رسول الله ﷺ يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن تكره من الناس ماتأتى مثله وأن تحب على شئ من الجور وان تبغض على شئ من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشئ ليس فيه أعجبه ذلك وقال (٤) رجل لابن عمر رحمه الله انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم فيما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ وروى أنه (٥) سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ وأشد من ذلك ماروى (٦) أن نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون فى شئ من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول انه يأتى على القلب ساعة يمتلىء بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة و يأتى عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لايكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور تتقدمه منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شئ

يقول سمعت ابا عبدالله بن الجلاء يقول وقد سأله رجل على أى شرط أصحب الخلق فقال ان لم تبرهم فلا تؤذهم وان لم تسرهم فلا تسؤهم (و بهذا الاسناد) قال أبو عبد الله لاتضيع حق أخيك بما بينك و بينه من المودة والصداقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها الامن لم يراع حقوق الله عليه ومن حقوق الصحبة انه اذا وقع فرقة ومباينة لايذكر أخاه الا بخير (قيل) كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها ما يكره فكان يقال له استخبارا عن حالها فيقول لاينبغى للرجل ان يقول فى أهله الا خيرا ففارقها وطلقها فاستخبر

الحديث (١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو وقد تقدم فى قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة ان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقا الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم فى قواعد العقائد (٣) حديث أصحاب رسول الله ﷺ انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر الحديث البخارى من حديث أنس وأحمد والبزار من حديث أبى سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وصحح اسناده وتقدم فى التوبة (٤) حديث قال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبرانى وقد تقدم فى قواعد العقائد (٥) حديث سمع ابن عمر رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٦) حديث ان نفرا قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا

من

من جملة ذلك وان ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين انى أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال ﷺ (١) العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه و بين أجل قد بقي لا يدرى ما الله قاض فيه فو الذى نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار والله المستعان

﴿ بيان معنى سوء الخاتمة ﴾

* فان قلت ان أكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين * احداهما أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد * والثانية وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك فى قلبه و يستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوب عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبى فهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف فى القلوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع فى عمل ولا مطمع فى رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت فان كان ايمانه فى القوة الى حد مثقال أخرجه من النار فى زمان أقرب وان كان أقل من ذلك طال مكثه فى النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين * فان قلت فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة و يمهل طول هذه المدة * فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الايمان بل الصحيح عند ذوى الابصار ما صحت به الاخبار وهو أن (٢) القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٣) وأنه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقى بسوء الخاتمة وانما تختلف أصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون (٤) سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر (٥) والتعذيب بعده ثم (٦) المناقشة فى الحساب (٧) والافتضاح

---

يتكلمون فى شئ من شأنه فما خرج سكتوا الحديث لم أجد له أصلا (١) حديث العبد المؤمن بين مخافتين من أجل قد مضى الحديث البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبى ﷺ وقد تقدم فى ذم الدنيا ذكره ابن المبارك فى كتاب الزهد بلاغا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده فى مسند الفردوس (٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب وتقدم فى الاذكار (٣) حديث انه يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم لم أجد له أصلا (٤) حديث سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر تقدم فى قواعد العقائد (٥) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٦) حديث المناقشة فى الحساب تقدم فيه (٧) حديث الافتضاح على ملأ الاشهاد فى القيامة أحمد والطبرانى من حديث ابن عمر باسناد جيد من انتفى من ولده ليفضحه فى الدنيا فضحه الله على رؤس الاشهاد وفى الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين

---

عن ذلك فقال امرأة بعدت عنى وليست منى فى شئ كيف أذكرها وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى انه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح واذا وجد من أحدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه أولا اختلف القول فى ذلك كان أبو ذر يقول اذا انقلب عما كان عليه أبغضه من حيث أحببته وقال غيره لا يبغض الاخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه ﷺ فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون ولم يقل انى برىء منكم (وقيل) كان شاب يلازم مجالس ابى الدرداء وكان ابو الدرداء يميزه على غيره

على ملأ من الاشهاد فى القيامة ثم بعد ذلك (١) خطر الصراط (٢) وهوأن الزبانية الى آخر ماوردت به الأخبار فلايزال الشقى مترددا فى جميع أحواله بين أصناف العذاب وهوفى جلة الأحوال معذب الاأن يتغمده الله برحمته ولا تظنن أن محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التى هى محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة امافى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضادهذه الحال ان كانت والعياذ بالله شقية * فان قلت فما السبب الذى يفضى الى سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه فى شيئين * أحدهما يتصوّر مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح فى الأعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت أعماله صالحة ولست أعنى مذهبا * فأقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل أعنى بالبدعة أن يعتقد الرجل فى ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ماهو عليه امابرأيه ومعقوله ونظره الذى به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له فى حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ فى هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أولشكه فيها فان اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى ـ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ـ وبقوله عزوجل ـ قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ وكما أنه قد ينكشف فى النوم ماسيكون فى المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك تنكشف فى سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هى المانعة للقلب من أن ينظر الى الملكوت فيطالع مافى اللوح المحفوظ لتنكشف له الامور على ماهى عليه فيكون مثل هذا الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك فى بقية الاعتقادات وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وأفعاله شيأ على خلاف ماهو به اما تقليدا واما نظرا بالرأى والمعقول فهو فى هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولاصغوا الى اصناف المتكلمين فى تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال ﷺ (٣) أكثر أهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور وأمروا الخلق ان يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ماجاء من الظواهر مع اعتقاده نفى التشبيه ومنعوهم عن الخوض فى التأويل لان الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة

فابتلى الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى الى أبى الدرداء ما كان منه فقيل له لو أبعدته وهجرته فقال سبحان الله لا يترك الصاحب بشئ كان منه (قيل) الصداقة لحمة كلحمة النسب (وقيل) لحكيم مرة أيما أحب اليك أخوك أو صديقك فقال انما أحب أخى اذا كان صديقى وهذا الخلاف فى المفارقة ظاهرا وباطنا وأما الملازمة باطنا اذا وقعت المباينة ظاهرا فتختلف باختلاف الاشخاص ولا يطلق القول فيه اطلاقا من غير تفصيل فمن الناس من كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم سوء السابقة فيجب بغضه وموافقة

كذبوا على ربهم والطبرانى والعقيلى فى الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر (١) حديث خطر الصراط تقدم فى قواعد العقائد (٢) حديث هوان الزبانية الطبرانى من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة حملة القرآن منها الى عبدة الاوثان والنيران قال صاحب الميزان حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا فى خزنة جهنم ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب (٣) حديث أكثر أهل الجنة البله البزار من حديث أنس وقد تقدم

وماذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقى اليها فى مبتدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام فى الله وفى صفاته بالرأى والمعقول مع تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طباعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق فى أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن انه ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين وينبغى أن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء

أحسنت ظنك بالأيام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الأمواج يرميه موج الى موج فربما يتفق أن يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم امامع الأدلة التى حرروها فى تعصباتهم أو دون الأدلة فان كان شاكافيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذى هو مشرق فى عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وأنى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا فى هذا الفضول فهذا أحد الاسباب المخطرة فى سوء الخاتمة

* وأما السبب الثانى فهو ضعف الايمان فى الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر فى مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى أن يثور فى باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما ان الذى يحب ولده حبا ضعيفا اذا أخذ ولده أمواله التى هى أحب اليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذى يفضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح بأسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد فى قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى ـ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ـ فاذا كل من فارقته روحه فى حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه فى تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا

الحق فيه ومن الناس من كان تغييره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجى عوده فلا ينبغى ان يبغض ولكن يبغض عمله فى الحالة الحاضرة ويلحظ بعين الود منتظرا له الفرج والعود الى أوطان الصلح فقد ورد أن النبى عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذى أتى بفاحشة قال مه وزجرهم بقوله ولا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم (وقال) ابراهيم النخعى لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا (وفى الخبر) اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته (وروى) أن عمر رضى الله عنه

لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا فلايخفى مايستحقه من الخزى والنكال وأما الذى يتوفى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذى تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا فى لقائه فلايخفى مايلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام ﴿ وأما الخاتمة الثانية ﴾ التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لان مقارفة المعاصى سببها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما ألفه الانسان فى عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الأكثر الى الطاعات كان أكثر مايحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الأكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذى لايقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لايخفى عليك ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لايرى الا ماعائل مشاهداته فى اليقظة وحتى ان المراهق الذى يحتلم لايرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة لمارأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لايخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر فى حالة النوم ماحصل له مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت ومايتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصى والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة فى قلبه وتميل اليها نفسه فربما انقبض عليها روحه فيكون ذلك سببا سوء خاتمته وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما أن مايخطر فى اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشئ الى مايناسبه امابالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه أما بالمشابهة فبأن ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر وأما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل فى شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شئ الى شئ ولايدرى وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل من شئ الى شئ ثان ومنه الى شئ ثالث ثم ينسى الثانى ولايكون بين الثالث والأول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والأول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الخياطة أكثر أشغاله فانك تراه يومئ الى رأسه كانه يأخذ ابرته ليخيط بها ويبل أصبعه التى لها عادة بالكستبان ويأخذ الازار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله ثم يمد يده الى المقراض ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصى والشهوات فلاطريق له الا المجاهدة طول العمر فى فطام نفسه عنها وفى قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال ألفه له قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهرة تتلألأ نورا فلايكون العبد على حال الا انطبع

سأل عن أخ له كان آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال مافعل أخى فقال له ذاك أخو الشيطان قال له مه قال له انه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر فقال اذا أردت الخروج فآذنى قال فكتب اليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر فتاب ورجع وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يارسول الله آخيت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال ياعبد الله اذا آخيت أحدا

مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها فاذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وماذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهى جزء من أجزاء النبوّة فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تأثير فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى فى المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر فى النوم لما غلب فى اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا على الفارمذى رحمة الله عليه يصف لى وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون فى قلبه انكار لكل ما يقوله ولا فى لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخى أبى القاسم الكرمانى منامالى وقلت رأيتك قلت لى كذا فقلت لم ذاك قال فهجرنى شهرا ولم يكلمنى وقال لولا انه كان فى باطنك تجويز المطالبة وانكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى النوم وهو كما قال إذ قلما يرى الانسان فى منامه خلاف ما يغلب فى اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذى نسمح بذكره فى علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة وماوراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هى عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلابد وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الانبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة ان لم يسلم فى النفس الاخير الذى عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جدّا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول انى لا أعجب ممن هلك كيف هلك ولكنى أعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثورى يوما يبكى فقيل له علام تبكى فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكى على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته فى لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة فى حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ (١) ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كانى أدخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبى فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجأة مكروها أما الموت فجأة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله الا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح فى حالة لم يبق فى القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذى بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لامحالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب العوض المطلوب فى قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب فى بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا

(١) حديث ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم

فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا أعنته وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما ما اختلف رجل الى مجلس ثلاثا من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافأته فى الدنيا وكان يقول سعيد بن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به واذا حدث أقبلت عليه واذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص المحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو احسان فان ما كان معلولا يزول بزوال علته ومن لا يستند فى خلته الى علة يحكم بدوام خلته ومن شرط الحب فى الله ايثار الأخ بكل ما يقدر عليه

(١) فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك فان ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك أن تسوّف وتقول ساستعد لها اذ جاءت الخاتمة فان كل نفس من أنفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك أن تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك إذ يمكن أن تختطف فيها روحك هذا مادمت في يقظتك وأما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبيه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على مامات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من أحوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل والناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم * واعلم أن ذلك لا يتيسر لك مالم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم مايقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن واخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك مايدخل بطنك فقيمتك مايخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فاقله أن يكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الاطعمة بل يقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لا تأكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل مادفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ماتدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ماحصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا

(١) حديث المقتول في الحرب اذا كان قصده الغلبة والغنيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ان رجلا قال يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء وفي رواية يقاتل غضبا

من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقوله تعالى لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا اى لا يحسدون اخوانهم على مالهم وهذان الوصفان بهما يكمل صفو المحبة أحدهما انتزاع الحسد على شئ من أمر الدين والدنيا والثاني الايثار بالمقدور (وفي الخبر) عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل مايرى لنفسه (وكان) يقول أبو معاوية الاسود اخواني كلهم

للامطار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات آمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة إلى أودية الامانى تشعبت همومك ولم يبال الله في أي واد أهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك * واعلم أن متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الأنبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا إلى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

﴿بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف﴾

روت (١) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله (٢) وقرأ ﷺ آية في سورة الواقعة فصعق وقال تعالى - وخر موسى صعقا - ورأى رسول الله ﷺ (٣) صورة جبريل عليه السلام بالابطح فصعق وروى أنه عليه السلام (٤) كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كازيز المرجل وقال ﷺ (٥) ماجاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أما كنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن (٦) أنس أنه عليه السلام سأل جبريل مالى لا أرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الحاقة فصعق المعروف فيما روى من هذه القصة انه قرئ عنده ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فصعق كما رواه ابن عدى والبيهقي في الشعب مرسلا وهكذا ذكره المصنف على الصواب في كتاب السماع كما تقدم (٣) حديث انه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير فلما رآه صعق ورواه ابن المبارك من رواية الحسن مرسلا بلفظ فغشى عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له ستمائة جناح (٤) حديث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كازيز المرجل أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السماع (٥) حديث ماجاءني جبريل قط الا وهو ترعد فرائصه من الجبار لم أجد هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال ان جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدى الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سماك الحنفي يحتاج إلى معرفته (٦) حديث أنس انه ﷺ قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل يضحك فقال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلا وورد ذلك أيضا في حق اسرافيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين

خير منى قيل وكيف ذاك قال كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى ولبعضهم نظما تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله وجانب صداقة من لم يزل على الاصدقاء يرى الفضل له

﴿الباب الخامس والخمسون في آداب الصحبة والاخوة﴾

سئل أبو حفص عن أدب الفقراء في الصحبة فقال حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع الاخوان والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في أمر الدين والدنيا فمن أدبهم التغافل عن زلل الاخوان

فيعذبهم بها وقال (١) ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر و يأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق سنتهم و يضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله مابرحنا ولا قمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله ﷺ ان الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله ألا واني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد * وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمن ﷺ إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الارآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فاذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه و يروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته الهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها و إذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك * وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لا أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتعال الحشا وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء أصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يارب أما ترحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني و بينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا إلى الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وان عدت إلينا على ما كان منك قبلناك * وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الاوكار وتأتي العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم و يأتي داود حتى يرقى المنبر و يحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم

والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكتم عيب صاحبه والاطلاع على عيب يعلم منه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينبهه على عيوبه قال جعفر بن برقان قال لي ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين والنصيحة ما كانت في السر * ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الاخوان واحتمال الاذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير

(١) حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر و يأكل الحديث ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا اسناد مجهول والجراح بن منهال ضعيف

على رأسه فيأخذ فى الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ فى أهوال القيامة وفى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بنى اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ فى الدعاء فبيناهو كذلك اذ ناداه بعض عباد بنى اسرائيل ياداود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادى ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول يامن قتله ذكر النار يامن قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يااله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجى ربه فيأتى سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبتاه تقو بهذا على ماتريد فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله ثم يخرج الى بنى اسرائيل فيكون بينهم * وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج فى أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا ومارجع الا فى عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت * وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقى وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال انى لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الارض وغيران الشعاب فخرج أبواه فى طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد أنقع رجليه فى الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك فسأله أبواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده أبواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدأت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يابنى لو أذنت لى ان أتخذ لك شيأ توارى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعمدت الى قطعتى لبود فألصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلى بكى فاذا استنقعت دموعه فى القطعتين أتت اليه أمه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يابنى انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى بك فقال يحيى يا أبت ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لايقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يابنى فابك * وقال المسيح عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل * وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول ياجبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فى شدة الخوف ﴾

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لطائر ليتنى مثلك ياطائر ولم أخلق بشرا وقال أبو ذر رضى الله عنه وددت لو أنى شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان رضى الله عنه وددت أنى اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها وددت أنى كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا

روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان فى دار العباس بن عبد المطلب الى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله ﷺ وضعه بيده فقال اذا لايرده الى مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فأقامه على عاتقه ورده الى موضعه ومن أدبهم أن لايرون لنفسهم ملكا يختصون به قال ابراهيم ابن شيبان كنا لانصحب من يقول نعلى (أخبرنا) بذلك رضى الدين عن أبى المظفر عن والده أبى القاسم القشيرى قال سمعت أباحاتم الصوفى قال سمعت أبا نصر السراج

عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض فقال ياليتنى كنت هذه التبنة ياليتنى لم أك شيأ مذكورا ياليتنى كنت نسيا منسيا ياليتنى لم تلدنى أمى وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضى الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضى الله عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأنى بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين وددت أن أكون رمادا تنسفنى الرياح فى يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى وكان على بن الحسين رضى الله عنه اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم وقال موسى ابن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثورى كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القارئ يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لاعصيتك جهدى أبدا فأعنى بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيأ من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد على القول أيها القارئ فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت اذ أنا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهى تقول يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكى فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدى على رأسى صارخا أقول ثكلت مالكا أمه وروى أن الفضيل رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى الله ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق فى ضحكه وهو جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن يافتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدرى الى الجنة تصير أم الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن اذ عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا أنا مت آمرهم أن يقيدونى و يغلونى ثم ينطلقوا بى الى ربى كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقى آدم عليه السلام فيها مالقى ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقى مالقى ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه وقال السرى انى لأنظر الى أنفى كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهى

يقول ذلك وقال أحمد بن القلانسى دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فاكرمونى وبجلونى فقلت يوما لبعضهم أين إزارى فسقطت من أعينهم (وكان) ابراهيم ابن أدهم اذا صحبه انسان شارطه على ثلاثة أشياء ان تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده فى جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيده فقال رجل من أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال أعجبنى صدقك (وكان) ابراهيم ابن أدهم ينظر البساتين ويعمل فى الحصاد وينفق على أصحابه (وكان) من أخلاق السلف أن كل من احتاج الى شئ من مال أخيه استعمله

وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الي نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال اني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها يابني اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك أحدثت حدثا موبقا لما أراك تصنع في ليلك ونهارك فقال ياأماه مايؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي وجلالي لا أغفرت لك وقال الفضيل اني لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما أغبط من لم يخلق وروى (١) ان فتى من الأنصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال ﷺ جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروى عن ابن أبي ميسرة انه كان اذا أوى الى فراشه يقول ياليت أمي لم تلدني فقالت له أمه ياميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك هداك الى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا أنا واردوا النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي أخبرنا بأعجب شئ بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيأ فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة و يقال انه مارفع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليلة مخافة أن يكون قد مسخ وكان اذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم و بقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فبيناهم يمشون اذ مر أحدهم بمكان فخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال اني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فصعق ثم أفاق فقال زدني ياصالح فاني أجد غما فقرأت كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فخر ميتا وروى أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا * ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يايزيد فقال ياأمير المؤمنين اعلم انك لست أول خليفة يموت فبكى ثم قال زدني قال ياأمير المؤمنين ليس بينك و بين آدم أب الاميت فبكى ثم قال زدني يايزيد فقال ياأمير المؤمنين ليس بينك و بين الجنة والنار منزل فخر مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران (٢) لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لايقدرون عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عروقه ثم قال ماعلمت أن في الملة الحنيفية مثله وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عزوجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يارب على قدر ماأطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه أشار الى معنى قوله ﷺ

(١) حديث أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه في البيت الحديث ابن أبي الدنيا في الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيهما نظر (٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي لم أقف له على أصل

من غير مؤامرة قال الله تعالى وأمرهم شورى بينهم أي مشاع هم فيه سواء ومن أدبهم انهم اذا استثقلوا صاحبا يتهمون أنفسهم و يتسببون في ازالة ذلك من بواطنهم لان انطواء الضمير على مثل ذلك للصاحب وليجة في الصحبة * قال أبو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له شيأ بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل فخلوت به يوما وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت له لابد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت أجده في باطني قال الرقي قصدت من الشام الى الحجاز حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية * ومن أدبهم تقديم من

(١) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن
عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان
حديث انما هذا الزمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك
وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورؤي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له إلى أين قال لا ادري وكان يمشي
والها من الخوف وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فاذا تكلمت أنت
سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة وحكي أن قوما وقفوا بعابد وهو
يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال قرحة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض
على الله عز وجل وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال
صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال أرني شيأ من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض
الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله
وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا
ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل
يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا
عليه ثم أتيت به الى السابع فاستأذنا فاذا امرأة من داخل الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس
في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال الان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك
ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته
اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا
بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان
يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمنا أبدا
فما رؤي ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكلا سمنا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط
فقال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف
أصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا
البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أي حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال
الحسن حالي أشد من حالهم * ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته
فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتبهت فقالت يا أمير المؤمنين اني والله رأيت عجبا
قال وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك
ابن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء
بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء
بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك
والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير
المؤمنين إني رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه
ويحكى أن أويسا القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم
منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك

يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والايثار بالموضع روى أن رسول الله ﷺ كان جالسا في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فاقام رسول الله ﷺ من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد ذلك عليهم فانزل الله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية (وحكى) ان علي بن بندار الصوفي ورد على أبي عبد الله ابن خفيف زائرا فتماشيا فقال له أبو عبد الله تقدم فقال باي عذر فقال بانك لقيت الجنيد وما لقيته ومن أدبهم ترك صحبة من همه شئ من فضول الدنيا قال الله تعالى

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا تقدم في قواعد العقائد

جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع و يتقلى كما تتقلى الحبة فى المقلى ثم يثب فيدرجه و يستقبل القبلة حتى الصباح و يقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين * وقال الحسن البصرى رحمه الله يخرج من النار رجل بعد ألف عام ياليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروى انه ماضحك أربعين سنة قال وكنت اذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب فى شدة حزنه وخوفه فقال مايؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع فى على بعض ما يكره فمقتنى فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل فى غير معتمل * وعن ابن السماك قال وعظت يوما فى مجلس فقام شاب من القوم فقال ياأبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لانسمع غيرها قلت وماهى رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين امافى الجنة أو فى النار ثم غاب عنى ففقدته فى المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فأتيته أعوده فقلت ياأخى ماالذى أرى بك فقال ياأبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين امافى الجنة أوفى النار قال ثم مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقلت ياأخى مافعل الله بك قال غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والافليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلاقرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولاخطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا إذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا وان أردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد فى طلب أرزاقنا ولانثق بضمان الله لنا ولانجلس فى بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى اليه رجاؤنا و به اعتزازنا ينادينا و يقول وأن ليس للانسان الاماسعى ولايغرنكم بالله الغرور و ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه الامحنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها و يجبرنا فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لايجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولايعمل و يسمع ولايقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلاعلامة للخذلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ماأوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفى والكثير منه وان أفيض على القلب الغافل فلايغنى * ولقد صدق الراهب الذى حكى عن عيسى بن مالك الخولانى وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رايته هالنى منظره فقلت أيها الراهب أوصى بوصية أحفظها عنك فقال ياأخى بماذا أوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو فى المخافة ليله وان أمن المغترون وفى الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركنى فقالت لو زدتنى شيأ عسى ينفعنى فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره وقد صدق فان القلب الصافى يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وماذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلاينبغى أن يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لوشاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهى التى لاتزال تفترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت فى قبرك عاينتها وقد تمثلت لك

فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ومن أدبهم بذل الانصاف للاخوان وترك مطالبة الانصاف قال أبو عثمان الحيرى حق الصحبة أن توسع على أخيك من مالك ولاتطمع فى ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف وتكون تبعا له ولا تطمع أن يكون تبعا لك وتستكثر مايصل اليك منه وتستقل مايصل اليك منك * ومن أدبهم فى الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة قال أبو على الروذبارى الصولة على من فوقك قحة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز * ومن أدبهم أن

بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك فى قبرك وانما هى صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها فان أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل والافوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام

﴿ كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى تسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتتدكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال وأذن له فى قرع باب الخدمة بالغدوّ والآصال ثم كحل بصيرة المخلص فى خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ما استقبح دون مبادى اشراقه كل حسن وجمال واستثقل كل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا فى صورة امرأة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزى وضربت فى قالب النكال وهى متلففة بجلبابها لتخفى قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها فى مدارج الرجال فهى تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لاتجتزئ معهم بالخلف فى مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بأنواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال ومشاهدة أبدية لايعتريها فناء ولازوال والصلاة على سيدنا محمد سيد الانبياء وعلى آله خير آل ﴿أما بعد﴾ فان الدنيا عدوّة لله عزوجل بغرورها ضلّ من ضلّ وبمكرها زلّ من زلّ فحبها رأس الخطايا والسيئات وبغضها أم الطاعات وأسّ القربات وقد استقصينا مايتعلق بوصفها وذم الحب لها فى كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات فلامطمع فى النجاة الابالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها اما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة فى نيل السعادات وحظ فى الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر فى شطر من الكتاب والزهد فى شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر فنقول

﴿الشطر الأوّل من الكتاب فى الفقر﴾ وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغنى وبيان أدب الفقير فى فقره وبيان أدبه فى قبوله العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه

﴿ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه ﴾

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ماهو محتاج اليه أما فقد مالاحاجة اليه فلايسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك فى ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولايتصوّر أن يكون مثل هذا الموجود إلاواحدا فليس فى الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى ــ والله الغنىّ وأنتم الفقراء ــ هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والافقر العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لاينحصر لان حاجاته لاحصر لها ومن جملة حاجاته مايتوصل اليه بالمال وهو الذى نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذى فقده إذا كان ذلك

لايجرى فى كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه التقديرات عليه اعتراضا * ومن أدبهم فى الصحبة حذر المفارقة والحرص على الملازمة (قيل) صحب رجل رجلا ثم أراد المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لاتصحب أحدا الا اذا كان فوقنا وان كان فوقنا أيضا فلا تصحبه لانك صحبتنا أوّلا فقال الرجل زال عن قلبى نية المفارقة * ومن أدبهم التعطف على الاصاغر (قيل) كان ابراهيم بن أدهم يعمل فى الحصاد ويطعم الاصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام وربما كان يتأخر فى



المفقود

المفقود محتاجا إليه فى حقه ثم يتصوّر أن يكون له خمسة أحوال عند الفقد ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها ﴿الحالة الأولى﴾ وهى العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد ﴿الثانية﴾ أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا ﴿الثالثة﴾ أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل ان أتاه صفوا عفوا أخذه وفرح به وان افتقر إلى تعب فى طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة تسميه قانعا إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة ﴿الرابعة﴾ أن يكون تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص ﴿الخامسة﴾ أن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار ان انضم إليه الزهد وتصوّر ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهى ان يستوى عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتأذ وان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضى الله تعالى عنها اذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها فى يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الأموال فى خزانه الله تعالى لا فى يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره وينبغى أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال فى يده وانما هو غنى عن دخول المال فى يده لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال فى يده وعن بقائه فى يده وعن خروجه من يده أيضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقداله ليحتاج الى الدخول فى يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغنى الذى هو وصف الله تعالى أقرب وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمى صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغنى اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شئ وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذى زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذى أعتقه من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية فى أوقات متقاربة لانها بين أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم أن الزهد درجة هى كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد فى حقه نقصانا إذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه أقرب اليك من حبل الوريد وليس هو فى مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر فى مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق إلى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو فى حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما أن النظر الى غير المعشوق

بعض الايام فى العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا يسرع فافطروا وناموا فرجع ابراهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شئ من الدقيق فعجنه فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم فقالوا انظروا بأى شئ عاملناه وبأى شئ يعاملنا * ومن أدبهم ان لا يقولوا عند الدعاء الى أين ولم وبأى سبب قال بعض العلماء اذا قال الرجل للصاحب قم بنا فقال الى أين فلا تصحبه * وقال آخر من قال لاخيه أعطنى من مالك فقال

لحبه عند حضور المعشوق شرك فى العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال فى أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبافانه كما لا يجتمع فى القلب حبان فى حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب فى حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا أن المشغول بحبها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهى حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل الى الله فالمحب والمبغض كرجلين فى طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبر لها فهما سيان بالاضافة الى الحال فى أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول اليها وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف فى الكعبة الملازم لها الذى لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة فى الوصول اليها فلا ينبغى أن تظن أن بغض الدنيا مقصود فى عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله من زهد فى الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغى أن يشتغل بالآخرة فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر أن الزهد فى الدنيا ان أريد به عدم الرغبة فى وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان أريد به الرغبة فى عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضى والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغنى بل الكمال فى حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء فى جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا فى قدر الضرورة مع أن المال محتاج اليه كما أن الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد فهكذا ينبغى أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد فى الحاجة وانما الفرق بينهما فى قلة أحدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذى دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب إلى البيت فخذ الركوة التى أهديتها لى فان العدو يوسوس لى ان اللص قد أخذها قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زاده فى الدنيا ما غلبه من أخذها فبين ان كراهية كون الركوة فى بيته التفات اليها سببه الضعف والنقصان * فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فأقول كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يجمعوه فى القرب والروايا يديرونه مع أنفسهم بل تركوه فى الانهار والآبار والبرارى للمحتاجين إليه لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الارض إلى رسول الله ﷺ (١) وإلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذوها ووضعوها فى مواضعها وما هربوا منها إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عمن

كم تريد ما قام بحق الاخاء وقد قال الشاعر
لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا
ومن أدبهم أن لا يتكلفوا للاخوان قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الاطعمة فانكر ذلك أبو حفص وقال صير أصحابى مثل المخانيث يقدم لهم الالوان والفتوة عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف و بترك التكلف يستوى مقامه وذهابه ومن أدبهم فى الصحبة المداراة وترك المداهنة وتشبيه المداراة بالمداهنة والفرق بينهما أن المداراة ما أردت به صلاح

(١) حديث ان خزائن الارض حملت الى رسول الله ﷺ والى أبى بكر وعمر فأخذوها ووضعوها فى مواضعها هذا معروف وقد تقدم فى آداب المعيشة من عند البخارى تعليقا مجزوما به من حديث أنس أتى النبى ﷺ بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به فخرج رسول الله ﷺ الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فقلما كان يرى أحدا الا أعطاه ووصله عمر بن محمد البحيرى فى صحيحه من هذا الوجه وفى الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدومه الحديث ولهما من حديث جابر لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفى رسول الله ﷺ فأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا

خاف أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه فى حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء الا الأنبياء والأولياء واما أن ينقل عن قوى بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدى أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه انه لو أخذها أخذها أولاده اذا رأوها فيهلكون والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء فقد عرفت اذا أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص وأما المضطر فيتصوّر فى حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغنى فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل ان سمى فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى فى جميع أموره عامة وفى بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها فانه أحق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله ﷺ [1] أعوذ بك من الفقر وقوله عليه السلام [2] كاد الفقر أن يكون كفرا لا يناقض قوله [3] أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا اذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذى سأله فى دعائه ﷺ وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء

﴿ بيان فضيلة الفقر مطلقا ﴾

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى ـ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ـ الآية وقال تعالى ـ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ـ ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر ﴿ وأما الأخبار ﴾ فى مدح الفقر فأكثر من أن تحصى روى عبد الله [4] بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لأصحابه أى الناس خير فقالوا موسر من المال يعطى حق الله فى نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يارسول الله قال فقير يعطى جهده وقال ﷺ [5] لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال ﷺ [6] ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وفى الخبر المشهور [7] يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام وفى حديث آخر [8] بأربعين خريفا أى أربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغنى الحريص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك

فقلت ان النبى ﷺ وعدنى خشالى ثلاثا (١) حديث أعوذ بك من الفقر تقدم فى الاذكار والدعوات (٢) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم فى ذم الحسد (٣) حديث اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا الترمذى من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٤) حديث ابن عمر أنه ﷺ قال لأصحابه أى الناس خير فقالوا موسر من المال يعطى حق الله من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال فقير يعطى جهده ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له (٥) حديث قال لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا الحاكم فى كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبرانى من حديث أبى سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلاهما ضعيف (٦) حديث ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٧) حديث يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٨) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو الا أنه قال فقراء المهاجرين والترمذى من حديث جابر وأنس

أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما أنكره والمداهنة ما قصدت به شيأ من الهوى من طلب حظ أو اقامة جاه * ومن أدبهم فى الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط نقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط * ومن أدبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا

بالضرورة تفاوتا بين الفقراء فى درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الأربعين الى الخمسمائة ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجرى على لسانه جزافا و بالاتفاق بل لايستنطق ﷺ الا بحقيقة الحق. فانه لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ـ وهذا كقوله ﷺ (١) الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة فانه تقدير تحقيق لامحالة ولكن ليس فى قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم أن النبوّة عبارة عما يختص به النبى و يفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات و بزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثانى أن له فى نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا و باختيارنا وهى القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث أن له صفة بها يبصر الملائكة و يشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع أن له صفة بها يدرك ماسيكون فى الغيب امافى اليقظة أو فى المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى مافيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء و يعلم انقسام كل واحد منها الى أقسام ور بما يمكننا ان نقسمها الى أربعين والى خمسين والى ستين و يمكننا أيضا أن نتكلف تقسيمها الى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزأ واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لايمكن الا بظن وتخمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذى أراده رسول الله ﷺ أم لا وانما المعلوم مجامع الصفات التى بها تتم النبوّة وأصل انقسامها وذلك لايرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوّة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير فى أمثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن أن ذلك يجرى من رسول الله ﷺ على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوّة عن ذلك * ولنرجع الى نقل الأخبار فقد قال ﷺ أيضا (٢) خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها وقال ﷺ (٣) ان لى حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى الفقر والجهاد وروى (٤) أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يامحمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام و يقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له فقال له جبريل يامحمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح ﷺ مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فأيقظه وقال يانائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا ياحبيبى ومر موسى ﷺ برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة فقال يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع

(١) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة البخارى من حديث أبى سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبى هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم (٢) حديث خير الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها لم أجد له أصلا (٣) حديث ان لى حرفتين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجد له أصلا (٤) حديث ان جبريل نزل فقال ان الله يقرأ عليك السلام و يقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه ان الدنيا دار من لادار له الحديث هذا ملفق من حديثين فروى الترمذى من حديث أبى أمامة عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن ولأحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لادار له الحديث وقد تقدم فى ذم الدنيا

سبحان الله من يفعل هذا قال أحدكم يسمع فى أخيه بالكلمة فيزيد عليها و يشيعها بأعظم منها * ومن أدبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعالى فى دفع المكاره عنهم (حكى) أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فاظهر عليه أخاه فقال انى ابتليت بهوى فان شئت أن لاتعقد على محبتى لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخائك لاجل خطيئتك وعقد بينه و بين الله عقدا ان لايأكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه وطوى أربعين يوما كلما يسأله عن هواه يقول مازال فبعد الاربعين أخبره

فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أما علمت أنى اذانظرت الى عبد بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها وعن (١) أبى رافع أنه قال ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده مايصلحه فارسلنى الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفنى أو بعنى دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال أما والله انى لأمين فى أهل السماء أمين فى أهل الأرض ولو باعنى أو أسلفنى لأديت اليه اذهب بدرعى هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى مامتعنابه أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا وقال ﷺ (٢) الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقل ﷺ (٣) من أصبح منكم معافى فى جسمه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراسانى مر نبى من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شئ ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبى ﷺ يارب ماهذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدى عن منزلتيهما فلما رأى ماأعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يارب وقال نبينا ﷺ اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء وفى لفظ آخر فقلت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجد وفى حديث آخر (٤) فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ماشأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال ﷺ (٥) تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وفى الخبر (٦) آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى حديث آخر (٧) رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح ﷺ بشدة يدخل الغنى الجنة وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم انه ﷺ قال (٨) اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولامالا وفى الخبر (٩) اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثانى للتوكيد ويمكن ان يرادبه الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله

---

(١) حديث أبى رافع ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده مايصلحه فأرسلنى الى رجل من يهود خيبر الحديث فى نزول قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنابه أزواجا منهم الطبرانى بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس الطبرانى من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف انه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى فى الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم معافى فى جسمه الحديث الترمذى وقد تقدم (٤) حديث أطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم فى آداب النكاح مع الزيادة التى فى آخره (٥) حديث تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازى فى شرف الفقر وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا (٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان الحديث تقدم وهو فى الأوسط للطبرانى باسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيته يعنى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث اذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى (٩) حديث اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبى الدرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى فذكره بزيادة فى أوله ورواه أبو نعيم فى الحلية من قول كعب

---

ان الهوى قد زال فأكل وشرب * ومن أدبهم أن لايحوجوا صاحبهم الى المداراة ولايلجؤه الى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب مايشق عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم * قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه شر الاصدقاء من أحوجك الى مداراة أو ألجأك الى اعتذار وتكلفت له (وقال) جعفر الصادق أثقل اخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى فآداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات فى ذلك يطول نقلها وقد رأيت فى

عليه وسلامه إني لاحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامي اليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين
ولما (١) قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ اجعل لنا يوما ولهم يوم يجيؤن اليك ولانجيء
وتجيء اليك ولايجيؤن يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر
وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك وذلك لانهم
شكوا إليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد
ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم
فاجابهم رسول الله ﷺ ان لايجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء
ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية
(٢) واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي
ﷺ فانزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني
ابن أم مكتوم أما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي ﷺ انه قال (٣) يؤتى
بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي مازويت الدنيا عنك
لهوانك عليّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك فيّ
أو كساك فيّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل
ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام (٤) أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم
دولة قالوا يارسول الله ومادولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أوسقاكم شربة
أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال ﷺ (٥) دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي
فنظرت فاذا بلال ونظرت في أعلاها فاذا فقراء أمتي وأولادهم ونظرت في أسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل

---

الأحبار غير مرفوع باسناد ضعيف (١) حديث قال سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ اجعل لنا
يوما ولهم يوما الحديث في نزول قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية تقدم من حديث خباب وليس
فيه انه كان لباسهم الصوف ويفوح ريحهم اذا عرقوا وهذه الزيادة من حديث سلمان (٢) حديث استئذان
ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش ونزول قوله تعالى عبس وتولى الترمذي
من حديث عائشة وقال غريب قلت ورجاله رجال الصحيح (٣) حديث يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه
كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي مازويت الدنيا عنك لهوانك عليّ الحديث أبو الشيخ
في كتاب الثواب من حديث أنس باسناد ضعيف يقول الله عزوجل يوم القيامة أدنوا مني أحبائي فتقول الملائكة
ومن أحباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول أما اني لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم علي ولكن أردت
بذلك ان أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا علي ماشئتم اليوم الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه
أبو نعيم في الحلية وسيأتي في الحديث الذي بعده (٤) حديث أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي
فان لهم دولة الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم
دولة يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة نادى مناد سيروا الى الفقراء فيعتذر اليهم كما يعتذر أحدكم الى أخيه في الدنيا (٧)
(٥) حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فاذا بلال ونظرت الى أعلاها فاذا فقراء أمتي وأولادهم
الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف نحوه وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر

---

(٧) قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أبي العباس بخط بعض الفضلاء حديث اتخذوا مع الفقراء أيادي وكذا
حديث الفقر فخري قال كلاهما كذب انتهى وكذا رأيت في كلام له آخر

---

كتاب الشيخ أبي طالب المكي رحمه الله من الحكايات في هذا المعنى شيأ كثيرا فقد أودع كتابه كل شئ حسن من ذلك * وحاصل الجميع ان العبد ينبغي له أن يكون لمولاه ويريد كل مايريد لمولاه لا لنفسه واذا صاحب شخصا تكون صحبته اياه لله تعالى واذا صحبه لله تعالى يجتهد له في كل شئ يزيده عند الله زلفى وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الاداب ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه في ذلك كله ولايفوته شئ مما يحتاج اليه فيما يرجع الى حقوق الحق

فقلت يارب ماشأنهم قال أما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبدالرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ماخلفك عني قال يارسول الله والله ماوصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت انى لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالي فانظر إلى هذا وعبدالرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة (١) المخصوصين بانهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ (٢) الامن قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحد (٣) ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم يرله شيأ فقال لوقسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال ﷺ (٤) ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لايؤبه له لوأقسم على الله لأبره وقال (٥) عمران بن حصين كانت لى من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ماعلىّ الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قدواريته فكيف برأسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على مابي انى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال لاتجزعي يابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لاطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لاأذى فيها ولاصخب ولانصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة وروى عن علىّ كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال (٦) اذا أبغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء (وأما الآثار) فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أوقال أشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (٧) يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه

(١) حديث ان عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة أصحاب السنن الاربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث الامن قال بالمال هكذا وهكذا متفق عليه من حديث أبي ذر فى أثناء حديث تقدم (٣) حديث دخل على رجل فقير ولم يرله شيأ فقال لوقسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم لم أجده (٤) حديث ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقولا ملوك وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث (٥) حديث عمران ابن حصين كانت لى من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة الحديث تقدم (٦) حديث اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمى باسناد فيه جهالة وهو منكر (٧) حديث سعيد بن عامر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام الحديث وفى أوّله قصة أن عمر بعث الى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقها وقد روى أحمد فى الزهد القصة الا انه قال تسعين عاما وفى اسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه وفى رواية له بأربعين سنة وامادخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو

وفيما يرجع الى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خبث النفس وعدم تزكيتها وبقاء صفاتها عليه فان صحبت ظلمت بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيما يرجع الى الحق والخلق والحكايات والمواعظ والآداب وسماعها لايعمل فى النفس زيادة تأثير ويكون كحجر يقلب فيه الماء من فوقه فلا يمكث فيه ولا ينتفع به واذا أخذت بالتقوى والزهد فى الدنيا نبع منها ماء الحياء وتفقهت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى

(الباب السادس والخمسون فى معرفة الانسان نفسه ومكاشفات

فلم يمكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدر ين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل مارأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعزمنه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغني وأهان بالفقير وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك ورب ه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب الدنيا عليك صبا ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال (١) ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ان يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضي الله عنه

## ﴿ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ﷺ (٣) يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (٤) ان لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال (٥) أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال ﷺ (٦) اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال (٧) مامن أحد غني ولا فقير الا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال ﷺ

---

عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورقتين (١) حديث قال لعائشة ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء الحديث الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم (٢) حديث طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصري متهم بالكذب ووضع الحديث (٤) حديث ان لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث الدارقطني في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر (٥) حديث أحب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي من الله لم أجده بهذا اللفظ وتقدم عند ابن ماجه حديث ان الله يحب الفقير المتعفف (٦) حديث اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٧) حديث مامن أحد غني ولا فقير الا ودّ يوم القيامة انه كان أوتي قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث انس وقد تقدم

---

الصوفية من ذلك﴾ حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف نور الهدى أبو طالب الزينبي قال أنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم الكشميهني قال أخبرنا أبو عبد الله الفربري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال ثنا عمر بن حفص قال ثنا أبي قال ثنا الاعمش قال ثنا زيد بن وهب قال ثنا عبد الله قال ثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى اليه ملكا باربع كلمات فيكتب

(١) لأحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال ﷺ (٢) يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها و يأكلون و يشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله تعالى (وأما الآثار) في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال أبو مسعود رضي الله تعالى عنه ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه ما من أحد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا و بقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء و يأكله بالملح و يقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ ــ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق ــ الآية وكان أبو ذر رضي الله عنه يوما جالسا في الناس فاتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال ياهذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم * ان الغني من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا المعنى أيضا

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أي باب منه يغلقه * مفكرا كيف تأتيه منيته
أغاديا أم بها يسري فتطرقه * جمعت مالا فقل لي هل جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه * أرفه ببال فتى يغدو على ثقة
ان الذي قسم الارزاق يرزقه * فالعرض منه مصون ما يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يبق في ظلها هما يؤرقه

## ﴿ بيان فضيلة الفقر على الغنى ﴾

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر و يقال ان الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال

(١) حديث لأحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٢) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس

عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين أي حريز لاستقرارها فيه الى بلوغ أمدها ثم قال بعد ذكر تقلباته ثم أنشأناه خلقا آخر قبل هذا الانشاء نفخ الروح فيه *واعلم ان الكلام في الروح صعب المرام

والأحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والغنى اذا أخذا مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع أو راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص أما الاول فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روى في الخبر الفقراء (١) شكوا الى رسول الله ﷺ سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله ﷺ فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء أيضا لما سئل عن ذلك فقال الغني أفضل لانه وصف الحق أما دليله الأول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى (٢) زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله ﷺ فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يارسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي ﷺ بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فاخبرهم بما قال رسول الله ﷺ فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغني وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أترى ان الله تعالى غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا ان التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا ﷺ (٣) الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغني والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغني بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغني لانه وصف للعبد بالعلم والمعرفة

والامساك عن ذلك سبيل ذوي الاحلام وقد عظم الله تعالى شأن الروح واسجل على الخلق بقلة العلم حيث قال وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد أخبرنا الله تعالى في كلامه عن اكرامه بني آدم فقال ولقد كرمنا بني آدم وروي انه لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان فمع هذه الكرامة واختياره سبحانه وتعالى اياهم على الملائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم

(١) حديث شكى الفقراء الى رسول الله ﷺ سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات الحديث وفي آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه (٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بعث الفقراء الى رسول الله ﷺ رسولا ان الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه الحديث وفيه بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى مارواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ مافضل الله به عليهم أغنياءهم فقال يامعشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام واسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري تقدم في العلم وغيره

فانه

فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه فى كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغى أن يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد فى الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله فى القلب والمحب للشئ مشغول به سواء كان فى فراقه أو فى وصاله وربما يكون شغله فى الفراق أكثر وربما يكون شغله فى الوصال أكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال فى حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان أخذت الامر باعتبار الاكبر فالفقير عن الخطر أبعد اذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضى الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذى لا يوجد فى الاعصار الكثيرة إلا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الأموال يمص حلاوة الايمان وفى الخبر ان (١) لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء عليهم السلام والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبى ﷺ (٢) يقول للدنيا اليك عنى اذ كانت تمثل له بزينتها وكان على كرم الله وجهه يقول يا صفراء غرى غيرى ويا بيضاء غرى غيرى وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادى الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه الصلاة والسلام (٣) ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة فى بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت أسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس فى الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه فى عزوبه عن الدنيا وأنسه بها فاذا فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال

(١) حديث لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمى من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة باسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول للدنيا اليك عنى الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

وقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الخ قال ابن عباس قالت اليهود للنبى عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وانما الروح من أمر الله ولم يكن نزل اليه فيه شئ فلم يجبهم فأتاه جبرائيل بهذه الآية وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الاخبار عن الروح وماهيته باذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة اليه لا جرم لما تقاضت الانفس الانسانية المتطلعة الى الفضول المتشوقة الى المعقول المتحركة بوضعها الى كل ما أمرته بالسكون فيه

ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم أنه كان مغرورا فكم من رجل باع سريةله لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق اذا أنه كان مغرورا وأن العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف و بقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليس مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان خيراله من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله ادع الله لي فقد أضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالا و ينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة و يطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله ﷺ ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم خمسين دينارا وأتصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد عليه بان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شئ للعبد بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شئ وأنه يعلم أنه كذلك والعبد مأمور بهبانه يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والمطيع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه الا أنه لا سبيل الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدرى الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر

والمقسورة بحرصها الى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شئ كالاختلاف في ماهية الروح ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى فاما أقاويل من ليس متمسكا بالشرائع فننزه الكتاب عن ذكرها لانها أقوال أبرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الانبياء فهم كما قال الله تعالى كانت أعينهم

بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه في صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة و به فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر

﴿المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغني الحريص﴾ ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فأي حالتيه أفضل فنقول ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين و يستعين به عليه فحال الوجود أفضل لان الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال ﷺ اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر أفضل وأصلح لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه و يطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا الى الدنيا فحاله أشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا و يستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا وقد قال ﷺ (١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه به وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر و يبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

## ﴿ بيان آداب الفقير في فقره ﴾

اعلم أن للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فأما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا

في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حجبوا عن الانبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فاصروا على الجهالات وحجبوا بالمعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدي به قوما ويضل به قوما آخرين فلم تنقل أقوالهم في الروح واختلافهم فيه وأما المستمسكون بالشرائع الذين تكلموا في الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الاولى الامساك عن

(١) حديث ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه تقدم

من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وأرفع من هذا أن لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى و يكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى واثقا به فى قدر ضرورة انه يأتيه لا محالة و يكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه ان الله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه و يطيع به ربه ولا يشكو حاله و يشكر الله تعالى على فقره ومن علاماته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه و يعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية و يتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل الذى لا يتسخط و يرضى أو يفرح بالفقر و يرضى لعلمه بثمرته إذ قيل ما أعطى عبد شيأ من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث شغل وهم وطول حساب وأما أدب ظاهره فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره و يستر أنه يستره ففى الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان أفضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وأما فى أعماله فأدبه أن لا يتواضع لغنى لاجل غناه بل يتكبر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك من مبادى الطمع قال الثورى رحمه الله اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل و ينبغى أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا فى العطاء وأما أدبه فى أفعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى (١) روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف و ينبغى أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة و يخرج الباقى وفى الادخار ثلاث درجات احداها أن لا يدخر إلا ليومه وليلته وهى درجة الصديقين والثانية أن يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل فى طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة فى أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهى أقصى المراتب وهى رتبة الصالحين ومن زاد فى الادخار على هذا فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف فى طمأنينة قلبه فى قوت سنته وغنى الخصوص فى أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة وقد قسم النبى ﷺ نساءه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل و بعضهن قوت أربعين يوما و بعضهن يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة

﴿بيان آداب الفقير فى قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال﴾

ينبغى أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه فى الاخذ أما نفس المال فينبغى أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذه وقد ذكرنا فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض المعطى فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض أما الأول وهو (٢) الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ﷺ ولكن ينبغى

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف الحديث النسائى من حديث أبى هريرة متصلا وقد تقدم فى الزكاة ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلا (٢) حديث ان قبول الهدية سنة تقدم انه ﷺ كان يقبل الهدية

ذلك والتادب بادب النبى عليه السلام * وقد قال الجنيد الروح شئ استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه باكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين مجملا لاقوالهم وأفعالهم ويجوز أن يكون كلامهم فى ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله إذ لا يسع القول فى التفسير الا النقل وأما التأويل فتمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك واذا كان الامر كذلك فالقول فيه وجه ومحمل قال أبو عبد الله النباجى الروح جسم يلطف عن

أن لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد (١) أهدى الى رسول الله ﷺ سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش (٢) وكان ﷺ يقبل من بعض الناس و يرد على بعض وقال (٣) لقد هممت أن لا أتهب الا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا (٤) عطاء عن النبي ﷺ انه قال من أتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه و يعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيأ يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذه والا فلا وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده و يفرح بالقبول و يرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سألت أحدا قط شيأ الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده و يتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الا من مثلك * الثاني أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا للمعصية في السر يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه انه عالم أو علوي ولم يكن فان أخذه حرام محض لا شبهة فيه * الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال انما أرد صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك و يحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم * وأما غرضه في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد له منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة

(١) حديث أهدى الى النبي ﷺ سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث ليعلى بن مرة وأهدت اليه كبشين وشيأ من سمن وأقط فقال النبي ﷺ خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر واسناده جيد وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه (٢) حديث كان يقبل من بعض الناس و يرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وايم الله لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجريا الحديث فيه محمد بن اسحق ورواه بالعنعنة (٣) حديث لقد هممت ان لا أتهب الا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روي من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات (٤) حديث عطاء مرسلا من أتاه رزق من غير وسيلة فرده فانما يرد على الله عز وجل لم أجده مرسلا هكذا ولاحمد وأبي يعلى والطبراني باسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني من بلغه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه ولاحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من آتاه الله من هذا المال شيأ من غير أن يسأله فليقبله وفي الصحيحين من حديث عمر ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه الحديث

الحس و يكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود وهو وان منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم فكأنه عبر عنه وقال ابن عطاء خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى ولقد خلقناكم يعني الارواح ثم صورناكم يعني الاجساد وقال بعضهم الروح لطيف قائم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم في كثيف وفي هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضا الا أن يحمل على معنى الاحياء فقد قال بعضهم الاحياء صفة المحي كالتخليق صفة الخالق وقال قل الروح من أمر ربي وأمره

والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الأخذ قال النبي ﷺ (١) ماالمعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا وقال ﷺ (٢) من أتاه شئ من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من أعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل الى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيأ فرده مرة فقال له السري يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة الاخذ فقال له أحمد أعد علي ماقلت فاعاده فقال أحمد مارددت عليك الالان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره فأما إذا كان ماأتاه زائدا على حاجته فلا يخلوا اما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ثم له مقامان أحدهما أن يأخذ في العلانية ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الامن اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية وقد ذكرنا هل الافضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله فانما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يامن يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا أجد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثا فلا حاجة بي الى الباقي فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شئ فالتفت الي فأخذ بيدي فاطاف بي معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لان هذه أثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى إنا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال ﷺ (٣) لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فمازاد فهو حساب فاذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب ومن الاختبار أيضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسر الصفة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان أخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون وأما اذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق

كلامه وكلامه ليس بمخلوق أي صار الحي حيا بقوله كن حيا وعلى هذا لا يكون الروح معنى في الجسد فمن الأقوال مايدل على أن قائله يعتقد قدم الروح ومن الاقوال مايدل على أنه يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون في الروح الذي سئل رسول الله ﷺ عنه فقال قوم هو جبرائيل ونقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ولكل وجه منه سبعون ألف لسان ولكل لسان منه سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات

(١) حديث ماالمعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا الطبراني من حديث ابن عمر وقد تقدم في الزكاة (٢) حديث من أتاه شئ من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا ترده تقدما قبل هذا بحديث (٣) حديث لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فمازاد فهو حساب الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام

الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ مازاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك * وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى — ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله — قيل معناه ليبع أحد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم ان لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى فاذا مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطى فليأخذه وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطى لان المعطى واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات * وقد حكى أن بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماقصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي أن يرى المعطى الا من حيث انه مسخر مأجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه

## ﴿ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه ﴾

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال ﷺ (١) للسائل حق ولو جاء على فرس وفي الحديث (٢) ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة * الأول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة * الثاني أن فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤل * الثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤل غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فان بذل حياء من السائل أو رياء فهو

---

يقيم صلبه وقال صحيح (١) حديث للسائل حق وان جاء على فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي وفي الأول يعلى بن أبي يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود وماذكره ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد فقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده (٢) حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث

---

كلها ويخلق من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة وروى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ان الروح خلق من خلق الله صورهم على صورة بني آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح وقال أبو صالح الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس وقال مجاهد الروح على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاء أن يبلع السموات والارضين السبع في لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة

حرام على الآخذ وان منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام إلا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله ﷺ (١) مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره وقال ﷺ (٢) من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم (٣) ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد (٤) وبايع رسول الله ﷺ قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيأ وكان ﷺ يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول (٥) من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب الينا وقال ﷺ (٦) استغنوا عن الناس وماقل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يارسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوأة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولا أخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى انه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله وهيهات فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من أعطاه شيأ فانما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى أصحابه اذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كأخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد الى مالكه فاستدل

---

أم بجيد وقال ابن عبد البر حديث مضطرب (١) حديث مسئلة الناس من الفواحش وما أحل الله من الفواحش غيرها لم أجد له أصلا (٢) حديث من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصرا على ماذكرته وتقدم في الزكاة ولمسلم من حديث أبي هريرة من يسأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا الحديث وللبزار والطبراني من حديث مسعود بن عمرو لا يزال العبد يسال وهو غني حتى يخلق وجهه وفي اسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم واسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يغنيه كانت مسئلته خدوشا وكدوحا في وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة (٤) حديث بايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيأ مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب الينا ابن أبي الدنيا في القناعة والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حصن بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات (٦) حديث استغنوا عن الناس وماقل من السؤال فهو خير الحديث البزار والطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك واسناده صحيح وله في حديث يعدي الجذام فتعففوا ولو بحزم الحطب وفيه من لم يسم وليس فيه

---

وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه في صف واحد وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور أحرق أهل السموات من نوره فهذه الأقاويل لا تكون إلا نقلا وسماعا بلغهم عن رسول الله ﷺ ذلك واذا كان الروح المسؤل عنه شيأ من هذا المنقول فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله الى أماكن معروفة لا يعبر عنه

بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل
بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ إما أن يكون مضطرا
اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع
عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العاري و بدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية
الشروط في المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان
القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على
الكسب بالوراقة وأما المستغني فهو الذي يطلب شيأ وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان
وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف
وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل
الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الاباحة لانها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر
عنه أولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص
والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة
الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس وكمن يسأل
لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو
قادر على الراحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شئ من
المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وايذاء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه
المحذورات وان لم يكن فيها شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة * فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه
المحذورات * فاعلم أن الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن
يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من
النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذل فبان يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك
في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله و يتقلد منه
منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة وأما الايذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا
بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص
مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن
الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة وأما اذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى
له سبيلا الى التغافل ان أراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به و ينبغي أن يسأل من لا
يستحيا منه لو رده أو تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي * فان قلت فاذا أخذ
مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة فأقول ذلك حرام
محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده
بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز
أن يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال ﷺ (١) انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة
القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر القول
باللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد و بين الله تعالى
والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان أفتوك

وما قل من السؤال الخ (١) حديث انما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجد له أصلا وكذا قال المزي لما سئل عنه

بأ كثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن أي شئ خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الاشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه فهي معتقة من ذل كن (وسئل) أبو سعيد الخراز عن الروح أمخلوقة هي قال نعم ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالت بلى والروح هي التي قام بها البدن واستحق بها اسم الحياة و بالروح ثبت العقل و بالروح قامت الحجة ولو لم يكن الروح كان العقل معطلا لا حجة عليه ولا له وقيل انها جوهر مخلوق ولكنها ألطف

وأفتوك فان المفتى معلم للقاضى والسلطان ليحكموا فى عالم الشهادة ومفتى القلوب هم علماء الآخرة و بفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا ما أخذه مع الكراهة لا يملكه بينه و بين الله تعالى و يجب عليه رده الى صاحبه فان كان يستحيي من أن يسترده ولم يسترده فعليه أن يثيبه على ذلك بما يساوى قيمته فى معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف فى يده فهو مضمون عليه بينه و بين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه و بالسؤال الذى حصل به الاذى * فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو فى الباطن راضيا * فأقول لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيأ أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا الا من السرى رحمة الله عليهما وقال لانى علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعينه على ما يحب وانما عظم النكير فى السؤال وتأكد الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا ببصيرته فى الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا و يرد بعضا كما فعل رسول الله ﷺ فى الكبش والسمن والاقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا فى جاه أو طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا الا فى موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء فى موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك فى انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب فى اعطائهم والثانى السؤال من الأصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم فى اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير الا فى تعريف حاجتك فاما فى تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا و يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها فى الرضا بالباطن وحالة لا يشك فى الكراهة و يعلم ذلك بقرينة الاحوال فالأخذ فى الحالة الأولى حلال طلق وفى الثانية حرام سحت و يتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه إلى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة و بهذه الدقائق يطلع على سر قوله ﷺ (١) ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وقد أوتى جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته فيأكل من أيدى الناس وان أعطى بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما وان أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأين من يقتصر فى السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت أحوال من يأكل من أيدى الناس علمت ان جميع ما يأكله أو أكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذى اكتسبته بحلالك أنت أو مورثك فاذا بعيد أن يجتمع الورع مع الاكل من أيدى الناس فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه و بفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير

## ﴿بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال﴾

اعلم أن قوله ﷺ من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر صريح فى التحريم

(١) حديث ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم

المخلوقات وأصفى الجواهر وأنوارها وبها تتراءى المغيبات وبها يكون الكشف لاهل الحقائق واذا احتجبت الروح عن مراعاة السير أساءت الجوارح الادب ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقابض ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الارواح سواء وقيل الارواح أقسام أرواح تجول فى البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة وتسمع ما تتحدث به فى السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان والى حيث شاءت على أقدارها من السعى الى الله أيام الحياة وروى سعيد بن المسيب

ولكن

ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس إلينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث (١) استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث آخر (٢) من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا وورد في لفظ آخر أربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله ﷺ لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة أيضا وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعا ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والأدم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية إضرار ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات * أحدها ما يحتاج إليه في غد * والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوما أو خمسين يوما * والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ولنقطع بأن من معه ما يكفيه ولعياله إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له بالسؤال لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى ـ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ـ وقال عز وجل ـ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ـ والسؤال من الفحشاء التي أبيحت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة

عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها إلى جسدها وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا ووكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا اعتذر إلى الله ظاهرا عنه فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي ﷺ تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون

(١) حديث استغنوا بغنى الله قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة تقدم في الزكاة من حديث سهل بن الحنظلية قالوا أما يغنيه قال ما يغديه أو يعشيه ولأحمد من حديث علي بإسناد حسن قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا وفي لفظ آخر أربعون درهما تقدما في الزكاة

وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

﴿ بيان أحوال السائلين ﴾

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة قال شقيق البلخي لابراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ فاذا درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلابد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى قلاعها ومن أسفل سافلين الى أعلى عليين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم رد الى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى الى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا اسحق النوري رحمه الله يمد يده و يسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم وانما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم وكأنه أشار به الى قوله ﷺ (١) يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشئ ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك أنت شيأ وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال أخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقة فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف من الجهل بل البصير أحد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين أيضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم

(١) حديث يد المعطي هي العليا مسلم من حديث أبي هريرة

القائلين

بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان حسنا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وهذه الاخبار والاقوال تدل على انها أعيان في الجسد وليست بمعان وأعراض (سئل) الواسطي لاي علة كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق قال لانه خلق روحه أولا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار ألا تراه يقول كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال

القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب

﴿الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد﴾ وفيه بيان حقيقة الزهد و بيان فضيلة الزهد و بيان درجات الزهد وأقسامه و بيان تفصيل الزهد فى المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة و بيان علامة الزهد

﴿ بيان حقيقة الزهد ﴾

اعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين و ينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن والافليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمى اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب فى الحال يجرى مجرى المثمر والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل * أما الحال فنعنى بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شئ الى غيره بمعاوضة و بيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فى غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا و بالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعى حال الزهد مرغو با عنه ومرغو با فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغو با فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلو با فى نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا فى مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه و بالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى ــ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ــ معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم وكان ذلك عندهم أحب اليهم من يوسف فباعوه طمعا فى العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن فى الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل فى وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصوّر الا بالعدول الى شئ هو أحب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذى يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأوّل والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع فى الأكل ولا يترك التجمل فى الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته فى الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصى صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التى هى حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك فى المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد فى المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا الى الله تعالى وهى الدرجة العليا وكما يشترط فى المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فان ترك مالا يقدر عليه محال و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وأما أنا ففيم اذا زهدت * وأما العلم الذى هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من المبيع فيرغب فيه ومالم يتحقق هذا العلم لم يتصوّر أن تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أى لذاتها خير فى أنفسها وأبقى

بعضهم الروح خلق من نور العزة وابليس من نار العزة ولهذا قال خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يدر أن النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهى للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا فى علم الله لان علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والمختار عند أكثر متكلمى الاسلام أن الانسانية والحيوانية عرضان خلقا فى الانسان والموت يعدمهما وان الروح هى الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيا و بالاعادة اليه فى القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمى الاسلام الى انه جسم لطيف مشتبك بالاجسام

كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلئ فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ـ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ـ ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى ـ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ـ فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى ـ قل متاع الدنيا قليل ـ والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي ﷺ لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك (١) وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ماهو خير له ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ماسواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره * وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد ومادام ممسكا للدنيا لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى أخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان مالا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك أن الدنيا وان لم تأتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون ان تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك أن تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصرا اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي القصير ولم يخرجه

الكشيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال الى انه عرض الا انه ردهم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما رود فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف باوصاف دل على انه جسم لان العرض لا يوصف باوصاف إذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم أنه عرض (سئل) ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الارواح عند مفارقة الابدان فقال أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان قيل له فاين تذهب الجسوم إذا بليت قال فاين يذهب لحمها إذا مرضت وقال بعض من

و بالجملة فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى الى ابن الحائك هذا لا نفتي في مسألة الا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن أعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك (١) قال جميع المسلمين على عهد رسول الله ﷺ انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شئ محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رحمه الله قال لي رسول الله ﷺ أنت منهم يعني من القليل قال (٢) وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة * واعلم انه ليس من الزهد ترك المال و بذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشئ منه في العبادات وانما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصوّر ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوّة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى وان ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا

## ﴿ بيان فضيلة الزهد ﴾

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى ـ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ـ وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل ـ إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بانه من أحسن الاعمال وقال تعالى ـ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ـ وقال تعالى ـ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ـ وقال تعالى ـ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ـ فوصف الكفار بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا

﴿وأما الاخبار﴾ فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال رسول الله ﷺ (٣) من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه

---

ولده (١) حديث قال المسلمون انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شئ محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية لم أقف له على أصل (٢) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا الآية البيهقي في دلائل النبوّة باسناد حسن (٣) حديث من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند

---

يتهم بالعلوم المردودة المذمومة و ينسب الى الاسلام الروح تنفصل من البدن في جسم لطيف وقال بعضهم انها اذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حينئذ مطالعة للمعاني والمحسوسات لان تجردها من هيآت البدن عند المفارقة غير ممكن وهي عند الموت شاعرة بالموت و بعد الموت متخلية بنفسها مقبورة وتتصوّر جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال بعضهم أسلم المقالات أن يقال الروح شئ مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحيي البدن مادام متصلا به وأنه

ولم يأته من الدنيا الاما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة وقال ﷺ (١) إذا رأيتم العبد وقد أعطى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد فى الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال (٢) قلنا يارسول الله أى الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يارسول الله وما مخموم القلب قال التقى النقى الذى لاغل فيه ولاغش ولابغى ولاحسد قلنا يارسول الله فمن على أثره قال الذى يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذى يحب الدنيا وقال ﷺ (٣) إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن أحبه الله تعالى فهو فى أعلى الدرجات فينبغى أن يكون الزهد فى الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفى خبر من طريق أهل البيت (٤) الزهد والورع يجولان فى القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والا ارتحلا (٥) ولما قال حارثة لرسول الله ﷺ أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى بالجنة والنار وكأنى بعرش ربى بارزا فقال ﷺ عرفت فالزم عبد نوّر الله قلبه بالايمان فانظر كيف بدأ فى اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله ﷺ اذ قال عبد نوّر الله قلبه بالايمان ولما (٦) سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح فى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ماهذا الشرح قال إن النور اذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يارسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافى عن دار الغرور وقال ﷺ (٧) استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيى منه تعالى فقال ليس كذلك تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى (٨) ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال (٩) جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله ﷺ فقال من جاء بلا اله الا الله لايخلط بها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه على كرم الله وجهه فقال بأبى أنت وأمى

(١) حديث اذا رأيتم العبد قد أوتى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة ابن ماجه من حديث أبى خلاد بسند فيه ضعف (٢) حديث قلنا يارسول الله وما مخموم القلب قال التقى النقى الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يارسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بالاسناد المذكور الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٣) حديث ان أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان فى القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والا ارتحلا لم أجد له أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا فقال وما حقيقة ايمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبرانى من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبرانى من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم الحديث الخطيب وابن عساكر فى تاريخهما باسناد ضعيف من حديث جابر (٩) حديث جابر من جاء بلا اله الا الله لايخلط معها شيأ وجبت له الجنة لم أره من حديث جابر وقد رواه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف نحوه

اشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما أن الجسد بمفارقته يذوق الموت فان الكيفية والماهية يتعاشى العقل فيهما كما يتعاشى البصر فى شعاع الشمس ولما رأى المتكلمون انه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح من أى هؤلاء فاختار قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم لطيف كما ذكرنا واختار قوم انه قديم لانه أمر والامر كلام والكلام قديم فما أحسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ أبى طالب المكى فى كتابه يدل على انه يميل الى أن الارواح أعيان فى الجسد

يارسول الله مالايخالط بهاغيرهاصفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة وفى الخبر(١) السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال أيضا (٢) السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة فى الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لامحالة وروى عن ابن المسيب عن (٣) أبى ذر عن رسول الله ﷺ انه قال من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام وروى انه ﷺ (٤) مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل وهى الحوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها فى قلوبهم قال الله تعالى ـ واذا العشار عطلت ـ قال فأعرض عنها رسول الله ﷺ وغض بصره فقيل له يارسول الله هذه أنفس أموالنا لم لاتنظر اليها فقال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ـ ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ـ الآية وروى(٥) مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال ياعائشة والذى نفسى بيده لوسألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته وانى والله لأصبرن كما صبروا وأجهدى ولاقوة إلا بالله وروى (٦) عن عمر رضى الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها البس ألين الثياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق

(١) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء ولم يخرجه ولده فى مسنده (٢) حديث السخى قريب من الله الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبى ذر من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبى ذر ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدى فى الكامل من حديث أبى موسى الأشعرى من زهد فى الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر وقال الذهبى باطل ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية مختصرا من حديث أبى أيوب من أخلص لله وكلها ضعيفة (٤) حديث مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى ـ ولا تمدن عينيك ـ الآية لم أجد له أصلا (٥) حديث مسروق عن عائشة قلت يارسول الله ألا تستطعم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث وفيه ياعائشة ان الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبى عن مسروق مختصرا ياعائشة ان الله لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفنى ما كلفهم فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ومجالد مختلف فى الاحتجاج به (٦) حديث ان عمر لما فتحت عليه الفتوحات قالت له حفصة البس لين الثياب اذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدتك الله هل تعلمين كذا يذكرها ما كان عليه النبى ﷺ حتى أبكاها وبكى الخ لم أجده هكذا مجموعا فى حديث وهو مفرق فى عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال ماشبع رسول ﷺ وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقى ربه وفيه عمرو بن عبد الله القدرى متروك الحديث وللترمذى من حديث عائشة قالت ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكى إلا بكيت قلت لم قالت اذكر الحال التى فارق رسول الله ﷺ الدنيا عليها والله ماشبع

وهكذا النفوس لانه يذكر أن الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور فى القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك وتتحرك للشر ومن حركتها تظهر ظلمة فى القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالاغواء وحيث وجدت أقوال المشايخ تشير الى الروح (أقول) ماعندى فى ذلك على معنى ماذكرت من التأويل دون أن أقطع به اذ ميلى فى ذلك الى السكوت والامساك فأقول والله أعلم الروح الانسانى العلوى السماوى من عالم الأمر والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق والروح الحيوانى البشرى محل الروح العلوى

ومن يصنعه طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر ياحفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرّبتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله ﷺ كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأة من بني ظفر كساءين إزارا ورداء وبعثت اليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرغيد وعن (١) أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباءة وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث (٢) عمر رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى ــ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ــ قال ﷺ تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شئ

ومورده والروح الحيوان جسماني لطيف حامل لقوّة الحس والحركة ينبعث من القلب أعني بالقلب ههنا المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة في الجانب الأيسر من الجسد وينتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذي قوامه باجراء سنة الله بالغذاء غالبا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط ولو رود الروح الانساني العلوي على هذا الروح تجنس الروح الحيواني وباين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام قال الله

---

من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن وللشيخين من حديثها ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض وللبخاري من حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الاكل وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة أنها ماسئلت ما كان فراش النبي ﷺ مسح تثنيه ثنتين فينام عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنتين الحديث وتقدما في آداب المعيشة وللبزار من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله ﷺ لا ينخل له الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد وقال لا نعلم يروى بهذا اللفظ الا بهذا الاسناد قال يونس بن بكير قد حدث عن سعيد بن ميسرة البكري بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على مافيها قلت فيه سعيد بن ميسرة فقد كذبه يحي القطان وضعفه البخاري وابن حبان وابن عدي وغيرهم ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد الغطريفي في جزئه المشهور فعقدها في عنقه ماعليه غيرها واسناده ضعيف وتقدم في آداب المعيشة (١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء يبتلى أحدهم بالفقر فلا يجد الا العباء الحديث باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك دون قوله وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى ــ والذين يكنزون الذهب والفضة ــ الآية قال تبا للدينار والدرهم الحديث وفيه فأي شئ ندخر الترمذي وابن ماجه وتقدم في النكاح دون قوله تبا للدينار والدرهم والزيادة رواها الطبراني في الأوسط وهو من حديث ثوبان وانما قال المصنف انه حديث عمر لان عمر هو الذي سأل النبي ﷺ أيّ المال يتخذ كما في رواية ابن ماجه وكما رواه البزار من حديث ابن عباس

ندخر فقال ﷺ ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته وفي حديث [(١)] حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا وقال النبي ﷺ [(٢)] لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وقال المسيح ﷺ الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا ﷺ ان ربي عز وجل عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وعن [(٣)] ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ﷺ يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من ان سمع هدة من السماء أفظعته فقال رسول الله ﷺ أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل أن تواضع لله فقال نبيا عبدا ثلاثا وقال ﷺ [(٤)] اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة و بصره بعيوب نفسه وقال ﷺ لرجل [(٥)] ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه [(٦)] من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال ﷺ [(٧)] من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام [(٨)] أربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وايراد جميع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الأنبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله المستعان ﴿وأما الآثار﴾ فقد جاء في الأثر لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ

---

(١) حديث حذيفة من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث الحديث لم أجده من حديث حذيفة والطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرق قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث شقاء لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه وفي آخره زيادة (٢) حديث لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة أحب اليه من كثرته لم أجد له اسنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية على ابن طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب اليه من ان يعرف في غير ذات الله ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس وعلي بن أبي طلحة أخرج له مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسلة فالحديث إذا معضل (٣) حديث ابن عباس خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا الحديث في نزول اسرافيل وقوله ان أحببت ان أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة الحديث تقدم مختصرا (٤) حديث اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة و بصره بعيوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقهه في الدين واسناده ضعيف (٥) حديث ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث تقدم (٦) حديث من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا لم أجد له أصلا (٧) حديث من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب (٨) حديث أربع لا يدركن

تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها فتسويتها بورود الروح الانساني عليها وانقطاعها عن جنس أرواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوي وصار تكون النفس التي هي الروح الحيواني من الآدمي من الروح العلوي في عالم الامر كتكون حواء من آدم في عالم الخلق وصار بينهما من التألف والتعاشق كما بين آدم وحواء وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فسكن آدم الى حواء وسكن الروح الانساني العلوي الى الروح الحيواني وصيره

آخرمالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذافعلواذلك وقالوا لاإله إلاالله قال الله تعالى ـ كذبتم لستم بهاصادقين وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال تابعنا الأعمال كلها فلم نر فى أمرالآخرة أبلغ من زهد فى الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين أنتم أكثرأعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وكانواخيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد فى الدنيامنكم وقال عمر رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان أشتهى أن أرى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لاتوجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية أبواب فاذاصار أهل الجنة اليهاجعل البوابون يقولون وعزة ربنالايدخلها أحد قبل الزاهدين فى الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن أسباط رحمه الله انى لاشتهى من الله ثلاث خصال أن أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ولايكون على دين ولاعلى عظمى لحم فاعطى ذلك كله وروى أن بعض الخلفاء أرسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وأرسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قدقبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أتدرون مامثلى ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلماهرمت ذبحوها لاجل أن ينتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحى على كبرسنى موتوا ياأهلى جوعا خيرلكم من أن تذبحوا فضيلا * وقال عبيد بن عمير كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولابيت يخرب ولايدخر لغد أينما أدركه المساء نام وقالت امرأة أبى حازم لأبى حازم هذا الشتاء قدهجم علينا ولابدلنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبوحازم من هذا كله بد ولكن لابدلنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الجنة أوالنار وقيل للحسن لم لاتغسل ثيابك قال الأمر أعجل من ذلك وقال ابراهيم بن أدهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذافرحت بالموجود فأنت حريص واذاحزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذاسررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خيرله وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف الينا وكأنه التفت الى معنى قوله ﷺ (١) ان الله يحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه فاذافهم هذا علم ان النعمة فى المنع المؤدى الى الصحة أكبرمنها فى الأعطاء المؤدى الى السقم وكان الثورى يقول الدنيا دار التواء لادار استواء ودار ترح لادار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لايخلص العمل لمتعبد حتى لايفرغ من أربعة أشياء الجوع والعرى والفقر والذل وقال الحسن البصرى أدركت أقواما وصحبت طوائف ماكانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولهى كانت فى أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أوستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه و بين الأرض شيأ ولا أمر من فى بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم كانوا اذاعملوا الحسنة دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها واذاعملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ماسلموا من الذنوب ولانجوا الابالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه

﴿ بيان درجات الزهد وأقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه ﴾

اعلم ان الزهد فى نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث * الدرجة الاولى وهى السفلى منها ان يزهد فى الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد

نفسا وتكون من سكون الروح الى النفس القلب وأعنى بهذا القلب اللطيفة التى محلها المضغة اللحمية فالمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر وكان تكون القلب من الروح والنفس فى عالم الامر كتكون الذرية من آدام وحواء فى عالم الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما النفس ماتكون القلب فمن القلوب قلب متطلع الى الأب الذى هو الروح العلوى ميال اليه وهو القلب المؤيد الذى ذكره رسول الله ﷺ فيما رواه حذيفة رضى الله عنه قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك

الابتغب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبرانى والحاكم من حديث أنس وقد تقدم (١) حديث ان الله يحمى

أولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعات لافى الصبر على مافارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها فى قليل أو كثير * الدرجة الثانية الذى يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ماطمع فيه كالذى يترك درهما لاجل درهمين فانه لايشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لامحالة زهده و يلتفت اليه كما يرى البائع المبيع و يلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه و بزهده و يظن فى نفسه انه ترك شيأ له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان * الدرجة الثالثة وهى العليا أن يزهد طوعا و يزهد فى زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيأ اذ عرف أن الدنيا لاشئ فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيأ والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال فى الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة فى البيع قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لابى موسى عبد الرحيم فى أى شئ تتكلم قال فى الزهد قال فى أى شئ قال فى الدنيا فنفض يده وقال ظننت أنه يتكلم فى شئ الدنيا لاشئ ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها الى كلب فى مقابلة ماقد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان أكلت فلذتها فى حال المضغ وتنقضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثفلها فى المعدة ثم تنتهى الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى مايسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا إذ لانسبة للمتناهى الى مالانهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فأى نسبة لها الى نعيم الأبد فاذا لايلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى مازهد فيه ولا يلتفت الى مازهد فيه الا لانه يراه شيأ معتدا به ولا يراه شيأ معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف و يتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة فى الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده * وأما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات * الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر مابين يدى العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار إذ فيها (١) ان الرجل ليوقف فى الحساب حتى لووردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم * الدرجة الثانية أن يزهد رغبة فى ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة فى جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ماتركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا فى وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له * الدرجة الثالثة وهى العليا أن لا يكون له رغبة الا فى الله وفى لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقى الذى لايطلب غير الله تعالى

عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم (١) حديث ان الرجل ليوقف فى الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء أحمد من حديث ابن عباس التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير الحديث وفيه انى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها ماوصلت اليك حتى سال منى العرق مالو ورده ألف بعير أكلة حمض لصدرت عنه رواء وفيه دويد غير منسوب يحتاج الى معرفته قال أحمد حديثه مثله

قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المادتين غلبت عليه حكم له بها والقلب المنكوس ميال الى الام التى هى النفس الامارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد فى ميله اليها وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والعقل جوهر الروح العلوى ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزكية المطمئنة تدبير الوالد للولد

البار والزوج للزوجة الصالحة وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الامارة بالسوء تدبير الوالد للولد العاق والزوج للزوجة السيئة فنكوس من وجه ومنجذب الى تدبيرهما من وجه اذ لابد له منهما وقول القائلين واختلافهم في محل العقل فمن قائل ان محله الدماغ ومن قائل ان محله القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه الى البار تارة والى العاق أخرى وللقلب والدماغ نسبة الى البار والعاق فاذا رؤى في تدبير العاق قيل مسكنه الدماغ واذا رؤى في تدبير البار قيل مسكنه القلب

لأن من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة و بين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق * وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الاقسام و بعضها أجمل للجمل * اما الاجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا والاجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما اذ اليهما ترجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الأموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال ـ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ـ ثم رده في آية أخرى الى خمسة فقال عزوجل اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ثم رده تعالى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى ـ انما الحياة الدنيا لعب ولهو ـ ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال أخرى * فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة لأنه انما يريد البقاء ليتمتع و يريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى ـ قل متاع الدنيا قليل ـ أي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة و يبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عدّ على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الايمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من

الموت

الموت فقيل لهم ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذى هو أدنى بالذى
هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وأما المخلصون فان الله تعالى
اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد
استبشروا ببيعهم الذى بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون فى حد
الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال
بشر رحمه الله تعالى الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وهذا اشارة إلى الزهد فى الجاه خاصة وقال قاسم الجوعى الزهد
فى الدنيا هو الزهد فى الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة إلى الزهد فى شهوة
واحدة ولعمرى هى أغلب الشهوات على الأكثر وهى المهيجة لأكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد فى الدنيا
هو القناعة وهذا اشارة الى المال خاصة وقال الثورى الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل
الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس اذا
خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا فى الزهد وقال أويس
أيضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول
والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان أريد به الرأى الفاسد والمعقول الذى يطلب به الجاه فى الدنيا فهو
صحيح ولكنه اشارة الى بعض أسباب الجاه خاصة أو الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة
فيه فى الآخرة وقد طولوها حتى ينقضى عمر الانسان فى الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول
أول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذى إذا رأى أحدا قال هذا أفضل منى فذهب الى أن الزهد هو
التواضع وهذا اشارة الى نفى الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال وأين هذا
ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك فى أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط
يقول من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد وفى الزهد أقاويل وراء
ما نقلناه فلم نر فى نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة
وأما من انكشف له الحق فى نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور
من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور
فى البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات
تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التى هى مقام العبد فى نفسه والاحوال تختلف فلا جرم
الاقوال المخبرة عنها تختلف وأما الحق فى نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف وانما الجامع من هذه
الأقاويل الكامل فى نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الدارانى اذ قال سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا
والزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر فى طلب المعيشة أو كتب
الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى ـ الا من أتى الله بقلب سليم ـ
فقال هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان
انقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المزهود فيه * فأما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله
ابراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد فى الحرام والنفل هو الزهد فى الحلال والسلامة هو الزهد فى الشبهات وقد
ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى
* وأما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر
الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها
لا تتناهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا

فالروح العلوى يهم بالارتفاع الى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الاكوان ومن الاكوان القلب والنفس فاذا ارتقى الروح يحنو القلب اليه حنو الولد الحنين البار الى الوالد وتحن النفس الى القلب الذى هو الولد حنين الوالدة الحنينة الى ولدها واذا حنت النفس ارتقت من الارض وانزوت عروقها الضاربة فى العالم السفلى وانطوى هواها وانحسمت مادته وزهدت فى الدنيا وتجافت عن دار الغرور وأنابت الى دار الخلود وقد تخلد النفس التى هى الام الى الارض بوضعها الجبلى لتكونها من الروح الحيوانى الجنس ومستندها فى ركونها الى الطبائع التى هى أركان

فالذى بدالك قال وما الذى تجدد قال توسدك الحجر أى تنعمت برفع رأسك عن الأرض فى النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهد أويس بلغ من العرى أن جلس فى قوصرة وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط انسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقمتنى أنت انما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا و باطنا لاحصر لها وأقل درجاته الزهد فى كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد فى الحلال لا فى الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته فى شئ ثم رأوا انه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلا يتصوّر الزهد الآن * فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصوّر ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى * فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصوّر ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشئ إلا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة و بسقيها فى طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغى أن يكون بدنك فى طريق الله مثل ناقتك فى طريق الحج ولا غرض لك فى تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغى أن تكون فى صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوّى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد * وان قلت فلا بدو أن أتلذذ بالاكل عند الجوع * فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب و يرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالانسان قد يستريح فى قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الاطيار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان فى الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان فى الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائى له جب مكشوف فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم فى جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين فى معرفة المضادة التى بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة﴾

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسوسة مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشى والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضرورى والمهم أيضا يتطرق اليه فضول فى مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه فى كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة ﴿الاوّل المطعم﴾ ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة إلى جملة العمر فان من ملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه ففى مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله أما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل

العالم السفلى قال الله تعالى ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فاذا سكنت النفس التى هى الام الى الارض انجذب اليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميال الى الوالدة المعوجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم وتنجذب الروح الى الولد الذى هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الوالد الى ولده فعند ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفى هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ذلك تقدير العزيز العليم * وقد ورد فى أخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان أين موضع العقل منك قال القلب لانه قالب الروح

وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا ﴿الدرجة الثانية﴾ أن يدخر لشهر أو أربعين يوما ﴿الدرجة الثالثة﴾ أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالاضافة الى المقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالاضافة الى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حوارى فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الادم فأقله الملح أو البقل والخل وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائما أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالاضافة الى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي الى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى أحوال رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت (١) عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال (٢) الحسن كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول انما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل (٣) ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر وكان المسيح ﷺ يقول يابني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم والمشرب في ربع المهلكات فلا نعيده (٤) ولما أتى النبي ﷺ أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى وأتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة

(١) حديث عائشة كانت تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولأحمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوته نار وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله ﷺ يركب الحمار الحديث تقدم دون قوله انما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن انما هو من حديث عائشة وقد تقدم (٣) حديث ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر تقدم (٤) حديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بعسل فوضع القدح من يده الحديث تقدم

والروح قالب الحياة (وقال) أبو سعيد القرشي الروح روحان روح الحياة وروح الممات فاذا اجتمعا عقل الجسم وروح الممات هي التي اذا خرجت من الجسد يصير الحي ميتا وروح الحياة ما به مجاري الانفاس وقوة الاكل والشرب وغيرهما (وقال) بعضهم الروح نسيم طيب يكون به الحياة والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات ويقال فلان حار الرأس وفي الفصل الذي ذكرناه يقع التنبيه بماهية النفس واشارة المشايخ بماهية النفس الى ما يظهر من آثارها من الافعال المذمومة والاخلاق المذمومة وهي

حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى ﴿المهم الثانى الملبس﴾ وأقل درجته مايدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل وماجاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود فى البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ وأما من حيث الوقت فأقصاه مايستر سنة وأقله مايبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه وأوسطه مايتماسك عليه شهرا ومايقارب به فطلب مايبقى أكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغى أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى أحوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة (١) أخرجت لنا عائشة رضى الله تعالى عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله ﷺ فى هذين وقال ﷺ (٢) ان الله تعالى يحب المتبذل الذى لايبالى مالبس وقال عمرو بن الاسود العنسى لاألبس مشهورا أبدا ولاأنام بليل على دثار أبدا ولاأركب على مأثور أبدا ولاأملأ جوفى من طعام أبدا فقال (٣) عمر من سره أن ينظر الى هدى رسول الله ﷺ فلينظر الى عمرو بن الاسود وفى الخبر (٤) مامن عبد لبس ثوب شهرة الاأعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا (٥) واشترى رسول الله ﷺ ثوبا بأربعة دراهم (٦) وكانت قيمة ثوبيه عشرة (٧) وكان ازاره أربعة أذرع ونصفا (٨) واشترى سراويل بثلاثة دراهم (٩) وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين

---

(١) حديث أخرجت عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله ﷺ فى هذين الشيخان وقد تقدم فى آداب المعيشة (٢) حديث ان الله يحب المتبذل الذى لايبالى مالبس لم أجده أصلا (٣) حديث عمر من سره أن ينظر الى هدى رسول الله ﷺ فلينظر الى هدى عمرو بن الاسود رواه أحمد باسناد جيد (٤) حديث مامن عبد لبس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبى ذر باسناد جيد دون قوله وان كان عنده حبيبا (٥) حديث اشترى رسول الله ﷺ ثوبا بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبى هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله ﷺ فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث واسناده ضعيف (٦) حديث كان قيمة ثوبيه عشرة دراهم لم أجده (٧) حديث كان ازاره أربعة أذرع ونصفا أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداء رسول الله ﷺ أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهيعة وفى طبقات ابن سعد من حديث أبى هريرة كان له ازار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر فى ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدى (٨) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم المعروف انه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبى يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس الا انه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذى حسن صحيح (٩) حديث كان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أوسحوليين من هذه الغلاظ تقدم فى آداب وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبرد والحبرة وأما لبسه الحلة ففى الصحيحين من حديث البراء رأيته فى حلة حمراء ولأبى داود من حديث ابن عباس حين خرج الى الحرورية وعليه أحسن مايكون من حلل اليمن وقال رأيت على رسول الله ﷺ أحسن مايكون من الحلل وفى الصحيحين من حديث عائشة انه ﷺ قبض فى ثوبين أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم فى آداب المعيشة ولأبى داود والترمذى والنسائى من حديث أبى رمثة وعليه بردان أخضران سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذى وللبزار من حديث قدامة الكلابى وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن ابراهيم لايعرف قاله الذهبى

---

التى تعالج بحسن الرياضة ازالتها وتبديلها والافعال الرديئة تزال والاخلاق الرديئة تبدل (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد ابن اسمعيل القزوينى قال أنا اجازة أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلى قال أنا القاضى محمد بن سعيد الفرخزادى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم قال أنا الحسين بن محمد ابن عبد الله السفيانى قال حدثنا محمد بن الحسن اليقطينى قال حدثنا أحمد ابن عبد الله بن يزيد العقيلى قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال أن رسول الله صلى الله عليه

يمانيين

يمانيين أوسحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر (١) كان قيص رسول الله ﷺ كأنه قيص زيات (٢) ولبس رسول الله ﷺ يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يارسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد أهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكأنه انما لبسه أولا تأكيدا للتحريم كما (٣) لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما (٤) قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرمه وكما (٥) أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح وقد (٦) صلى رسول الله ﷺ في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهم وائتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة (٧) ولبس خاتما من ذهب ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ﷺ قد (٨) احتذى مرة نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه وعن (٩) سنان بن سعد قال حيكت لرسول الله ﷺ جبة من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يارسول الله هبها لي وكان رسول الله ﷺ اذا سئل شيأ لم يبخل به قال فدفعها اليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فمات ﷺ وهي في المحاكة وعن (١٠) جابر قال دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر اليها بكى وقال يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد فأنزل عليه ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى ـ وقال ﷺ (١١) ان من خيار أمتي فيما انبأني الملأ الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى و يبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان و يتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذقال (١٢) من أحبني فليستن بسنتي وقال (١٣) عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني

كان اذا قرأ هذه الآية قد أفلح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكاها (وقيل) النفس لطيفة مودعة في القالب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الاخلاق والصفات المحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والانف محل الشم والفم محل الذوق وهكذا النفس محل الاوصاف المذمومة والروح محل الاوصاف المحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيش والثاني الشره وطيشها من جهلها وشرهها

(١) حديث كان قيصه كأنه قيص زيات الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته حتى كأن ثوبه ثوب زيات (٢) حديث لبس يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم أهداه له المقوقس ثم نزعه الحديث ٧ (٣) حديث لبس يوما خاتما من ذهب ثم نزعه متفق عليه وقد تقدم (٤) حديث قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لأهلها الحديث متفق عليه من حديثها (٥) حديث أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٦) حديث صلى في خميصة لها علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة (٧) حديث لبس خاتما فنظر اليه على المنبر فرمى به وقال شغلني هذا عنكم الحديث تقدم (٨) حديث احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما الحديث تقدم (٩) حديث سنان بن سعد حيكت لرسول الله ﷺ جبة صوف من صوف أنمار الحديث أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله وأمر أن يحاك له أخرى فهي عند الطبراني فقط وفيه زمعة بن صالح ضعيف ويقع في كثير من نسخ الاحياء سيار بن سعد وهو غلط (١٠) حديث جابر دخل على فاطمة وهي تطحن بالرحا الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (١١) حديث ان من خيار أمتي فيما أتاني العلي الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه الحديث تقدم وهو عند الحاكم والبيهقي في الشعب وضعفه (١٢) حديث من أحبني فليستن بسنتي تقدم في النكاح (١٣) حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الحديث أبو داود والترمذي وصححه

٧ قول العراقي ثم نزعه الحديث هكذا في النسخ بغير ذكر راوولم يتكلم عليه الشارح فلينظر اه مصححه

يحببكم الله وأوصى رسول الله ﷺ (١) عائشة رضي الله عنها خاصة وقال ان أردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعدّ على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم واشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وأنا أصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته ولا أدعه يجوز وقال بعضهم قوّمت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال أبو سليمان الداراني الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه وقال بعض السلف أول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخره له من عبقري الجنة في تخات الياقوت وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم (٢) ونهى ﷺ عن التنعم وقال ان لله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعمين وروى (٣) فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله ﷺ عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي كرم الله وجهه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ (٤) ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال ﷺ (٥) أزرة المؤمن الى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جر إزاره بطرا وقال (٦) أبو سليمان الداراني قال رسول الله ﷺ

---

وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية (١) حديث قال لعائشة ان أردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الأغنياء الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث نهى عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٣) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله ﷺ عن الارفاه (١) وأمرنا ان نحتفي أحيانا أبو داود باسناد جيد (٤) حديث ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار امتي وقد تقدم (٥) حديث ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٦) حديث أبي سليمان لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق لم أجد له اسنادا

---

(١) الارفاه بكسر الهمزة ثم راء ساكنة ثم فاء مقصورة ثم هاء وليست بتاء التدهن والترجيل كل يوم وقيل التوسع في المطعم والمشرب يرفهان اه من هامش الأصل

---

من حرصها وشبهت النفس في طيشها بكرة مستديرة على مكان أملس مصوب لا تزال متحركة بجبلتها ووضعها وشبهت في حرصها بالفراش الذي يلقي نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء اليسير دون الهجوم على جرم الضوء الذي فيه هلاكه فمن الطيش توجد العجلة وقلة الصبر والصبر جوهر العقل والطيش صفة النفس وهواها وروحها لا يغلبه الا الصبر اذ العقل يقمع الهوى ومن الشره يظهر الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا في آدم حيث طمع في الخلود فحرص على أكل الشجرة وصفات النفس لها أصول من أصل تكونها

لايلبس الشعر من أمتي إلا مراء أوأحمق وقال الاوزاعى لباس الصوف فى السفر سنة وفى الحضر بدعة ودخل محمد ابن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة مادعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلمك ولاتجيبني فقال أكره أن أقول زهدا فازكى نفسي أوفقرا فاشكور بى وقال أبو سليمان لما اتخذالله ابراهيم خليلا أوحى إليه أن وارعورتك من الارض وكان لايتخذ من كل شئ إلا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذاغسل أحدهما لبس الآخر حتى لايأتى عليه حال إلا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي رضى الله عنه مالك لاتلبس الجيد من الثياب فقال وماللعبد والثوب الحسن فاذا عتق فله والله ثياب لاتبلى أبدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذاقام يصلى وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغنى أن أكثر أصحاب النار أصحاب الاكسية نفاقا وقال يحيي ابن معين رأيت أبا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل و يغسلها و يلفقها و يلبسها فقلت إنك تكسى خيرا من هذا فقال ماضرهم ماأصابهم فى الدنيا جبرالله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيي بن معين يحدث بها و يبكى ﴿المهم الثالث المسكن﴾ وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات * أعلاها أن لايطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سعف أوخص أومايشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية اما بشراء أواجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد فى المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون من الجص أوالقصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة إلى الاوقات بان يكون مملوكا أومستأجرا أومستعارا وللزهد مدخل فى جميع ذلك و بالجملة كل مايراد للضرورة فلاينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وماجاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى وأقل الدرجات فيه معلوم ومازاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعى له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شئ ظهر من طول الامل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد يعنى بالتدريز كف دروز الثياب فانها (١) كانت تشل شلا والتشييد هو البنيان بالجص والآجر وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء فى الخبر يأتى على الناس زمان يوشون ثيابهم كماتوشى البرود اليمانية وأمر رسول الله ﷺ (٢) العباس أن يهدم علية كان قد علا بها (٣) ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه ﷺ فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها فدعاله بخير وقال (٤) الحسن مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولاقصبة

---

(١) حديث كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسعف والجريد أما شل الثياب من غير كف فروى الطبرانى والحاكم ان عمر قطع مافضل عن الاصابع من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ وأما البناء ففى الصحيحين من حديث أنس فى قصة بناء مسجد المدينة فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة الحديث ولهما من حديث أبى سعيد كان المسجد على عريش فوكف المسجد (٢) حديث أمر العباس ان يهدم علية له كان قد علاها الطبرانى من رواية أبى العالية ان العباس بنى غرفة فقال له النبى ﷺ اهدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبوداود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنبذة القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة الحديث ابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية هكذا مرسلا وللطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة من سأل عنى أوسره ان ينظر إلىّ فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة الحديث واسناده ضعيف

لانها مخلوقة من تراب ولهابحسبه وصف وقيل وصف الضعف فى الآدمى من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الحمأ المسنون ووصف الجهل فيه من الصلصال وقيل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شئ من الشيطنة لدخول النار فى الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحسد فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لاقدرة له عليها إلا بالاستعانة ببارئها وفاطرها فلايتحقق العبد بالانسانية إلا بعد أن يدبر دواعى الحيوانية فيه بالعلم والعدل وهو رعاية طرفى الافراط والتفريط ثم بذلك تتقوى انسانيته ومعناه

على قصبة وقال النبي ﷺ (١) اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين (٢) وقال عبد الله
ابن عمر مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصا فقال ماهذا قلنا خص لنا قد وهى فقال أرى الامر
أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن
دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا
قائم على حاله وقال النبي ﷺ (٣) من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر (٤) كل
نفقة للعبد يؤجر عليها الا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى ـ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا ـ انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال ﷺ (٥) كل بناء وبال على صاحبه
يوم القيامة الا ما أكن من حر وبرد وقال ﷺ (٦) للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء
أي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن
يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي ياهامان على الطين يعني به الآجر
ويقال ان فرعون هو أول من بني له بالجص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف
ورأى بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا
من رهص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيرا من
أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان وكان
منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة
العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله
ﷺ ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا أعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك الى أين
يا أفسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر اليه معين عليه
وقال الفضيل اني لا أعجب ممن بنى وترك ولكني أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي
قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم ﴿المهم
الرابع أثاث البيت﴾ وللزهد فيه أيضا درجات أعلاها حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد
مصطفى اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر
بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه انما يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة ومالا يستغنى
عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا
كان المقصود يحصل به وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد
كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء

(١) حديث اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد خضر له في الطين
واللبن حتى يبني (٢) حديث عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصا لنا قد وهى
الحديث أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه (٣) حديث من بنى فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة ان يحمله
الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد فيه لين وانقطاع (٤) حديث كل نفقة العبد يؤجر عليها الا ما أنفقه في الماء
والطين ابن ماجه من حديث خباب بن الأرت باسناد جيد بلفظ الا في التراب أو قال في البناء (٥) حديث كل بناء
وبال على صاحبه الا ما أكن من حر أو برد أبو داود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ الا مالا يعني مالا بد منه
(٦) حديث قال للرجل الذي شكى اليه ضيق منزله اتسع في السماء قال المصنف أي في الجنة أبو داود في المراسيل
من رواية اليسع بن المغيرة قال شكى خالد بن الوليد فذكره ووصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن

ويدرك صفات الشيطنة فيه والاخلاق المذمومة وكمال انسانيته ويتقاضاه أن لا يرضى لنفسه بذلك ثم تنكشف له الاخلاق التي تنازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس والعجب وغير ذلك فيرى ان صرف العبودية في ترك المنازعة للربوبية والله تعالى ذكر النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف بالطمأنينة قال يا أيتها النفس المطمئنة وسماها لوامة قال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وسماها أمارة فقال ان النفس لأمارة بالسوء وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة فاذا امتلا القلب سكينة

للتخفيف وأعلاها أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد فى العدد أو فى نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت (١) عائشة رضى الله عنها كان ضجاع رسول الله ﷺ الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف وقال الفضيل (٢) ما كان فراش رسول الله ﷺ الا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣) دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه عليه السلام فدمعت عينا عمر فقال له النبى ﷺ ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب قال اذ ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال ﷺ أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا أبا ذر ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قام عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى وطهورى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله (٤) وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله ﷺ فسأله أبو رافع فقال من أجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله ﷺ وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ فقال بأبى أنت قد أحسنت (٥) ورأى رسول الله ﷺ على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به الى آل فلان (٦) وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان ﷺ ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا

خلع على النفس خلع الطمأنينة لان السكينة مزيد الايمان وفيها ارتقاء القلب الى مقام الروح لما منح من حظ اليقين وعند توجه القلب الى محل الروح تتوجه النفس الى محل القلب وفى ذلك طمأنينتها واذا انزعجت من مقار جبلاتها ودواعى طبيعتها متطلعة الى مقار الطمأنينة فهى لوامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمأنينة ثم انجذابها الى محلها التى كانت فيه أمارة بالسوء واذا أقامت فى محلها لا يغشاها نور العلم والمعرفة فهى على ظلمتها أمارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة يملك القلب دواعى

خالد بن الوليد الا انه قال ارفع الى السماء واسأل الله السعة وفى اسناده لين (١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله ﷺ الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله ﷺ الا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف الترمذى فى الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (٣) حديث دخل عمر على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط النخل فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع الحديث لم أره مجموعا ولأبى داود وابن ماجه من حديث سفينة باسناد جيد انه ﷺ جاء فوضع يديه على عضادتى الباب فرأى القرام قد ضرب فى ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعلى انظر فأرجعه الحديث والنسائى من حديث ثوبان باسناد جيد قال جاءت ابنة هبيرة الى النبى ﷺ وفى يدها فتخ من ذهب الحديث وفيه انه وجد فى يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار وانه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبدا فأعتقته فلما سمع قال الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار (٥) حديث رأى على باب عائشة سترا فهتكه الحديث الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديث (٦) حديث فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وفيه كان ينام على عباءة مثنية الحديث ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى ﷺ من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فانطلقت فبعثت الى بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله

الفراش عنى قدأسهرني الليلة وكذلك (١) أتته دنانيرخمسة أوستة ليلا فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجهما من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ماظن محمد بربه لولقي الله وهذه عنده وقال الحسن أدركت سبعين من الاخيار مالأحدهم الاثو به وماوضع أحدهم بينه و بين الارض ثو باقط كان إذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثو به فوقه (المهم الخامس المنكح) وقدقال قائلون لامعنى للزهد في أصل النكاح ولافي كثرته واليه ذهب سهل بن عبدالله وقال قد حبب الى سيدالزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة و بضع عشرة سرية والصحيح ماقاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذقال كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والمرأة قدتكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قدتكون العزوبة أفضل في بعض الاحوال كماسبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة في تركه ولافعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد فان علم أن المرأة لاتشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيماهو من ضرورة الوجود لاتضره اذ لم تكن هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلايجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا ماعناه سهل لامحالة ولاجله نكح رسول الله ﷺ واذاثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ (٢) في انه لايشغله كثرة النسوة ولااشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلامعنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن أني يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من ان تشغله الكثرة منهن أوجمال المرأة فلينكح واحدة غير جيلة وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة الدون أواليتيمة على المرأة الجيلة والشريفة وقال الجنيد رحمه الله أحب للمريد المبتدى أن لايشغل قلبه بثلاث والاتغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي أن لايكتب ولايقرأ لانه أجمع لهمه فاذاظهر أن لذة النكاح كلذة الاكل فماشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا ﴿المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه﴾ أماالجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لايقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقرالى من يخدمه افتقرالى جاه لامحالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب

ﷺ فقال ماهذا الحديث وفيه انه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل (١) حديث أنته دنانير خمسة أوستة عشاء فبيتها فسهر ليله الحديث وفيه ماظن محمد بربه لولقي الله وهذه عنده أحمد من حديث عائشة باسناد حسن انه قال في مرضه الذى مات فيه ياعائشة مافعلت بالذهب فجاءما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده و يقول ماظن محمد الحديث وزاد أنفقها وفي رواية سبعة أوتسعة دنانير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل على رسول الله ﷺ وهو [١] شاهم الوجه قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت يانبي الله مالك شاهم الوجه فقال من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا وهي في خصم الفراش وفي رواية أمسينا ولم تنفقها (٢) حديث كان لايشغله كثرة النسوة ولااشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن تقدم في النكاح

(١) شاهم بالمعجمة متغير يقال شهم تغير عن حاله لعارض اه

الروح وتارة يملكه دواعي النفس وأما السر فقد أشار القوم اليه ووجدت في كلام القوم أن منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منها وألطف وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذى وقعت اشارة القوم اليه غير مذكور في كتاب الله وانما المذكور في كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار اليه ورأينا الاختلاف في القول فيه وأشار قوم الى أنه دون الروح وقوم الى انه ألطف من الروح فنقول

هوالجاه وهـذاله أول قريب ولكن يتمادى به الى هاوية لاعمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل فى القلوب اما لجلب نفع أولدفع ضرأولخلاص من ظلم فأما النفع فيغنى عنـه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدم بغيرأجرة وأما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه فى بلد لايكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولايقدر على دفع شرهم الا بمحل له فى قلوبهم أو محل له عنـد السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لايسـعى لطلب المحل فى القلوب أصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهـد له من المحل فى القلوب مايدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهمات والتقـديرات التى تحوج الى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبة اذ من طلب الجاه أيضا لم يخـل عن أذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحـل فى القلوب لارخصة فيه أصلا واليسـير منه داع الى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره * وأما المال فهو ضرورى فى المعيشة أعنى القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبـغى ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى مايكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فامسك منها مقدار مايكفى ريعها لسنة واحدة فلايخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل مايفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل فى الزهد كما شرطه أويس القرنى رحمه الله فلايكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعـنى به أن ماوعد للزاهـدين فى الدار الآخرة من المقامات المحمودة لايناله والا فاسم الزهد قد لايفارقه بالاضافة الى مازهد فيه من الفضول والكثرة وأمر المنفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيـل وقد قال أبو سليمان لاينبغى أن يرهق الرجل أهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ماشاء معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولايلزمه كل ذلك فى عياله نعم لاينبغى أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله ﷺ اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب سـتر وقلبـين لان ذلك من الزينة لامن الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضروة دواء نافع ومابينهـما درجات متشابهة فمايقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر ومايقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا لـكنه قليـل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله ومابينهما مشتبه أمره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهـل فانمايتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك مايريبه الى مالايريبه ورد نفسـه إلى مضيق الضرورة فهو الآخـذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لامحالة والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لايجوز أن ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ماروى أن ابراهيم الخليل عليه السـلام أصابته حاجة فذهب الى صديق له يسـتقرضه شيأ فلم يقرضه فرجع مهموما فأوحى الله تعـالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسالك منها شـيأ فأوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وماوراء ذلك وبال فى الآخرة وهو فى الدنيا أيضا كذلك يعرفه من يخبر أحوال الاغنياء وماعليهم من المحنة فى كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه وربمايكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لايزال ينسج على نفسه حيا ثم يروم الخروج فلايجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمـله الذى عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بمايشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراآة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلوخطر له انه قد أخطأ فيه فقصـد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه

والله أعـلم الذى سموه سرا ليس هو بشئ مستقل بنفسه له وجـود وذات كالروح والنفس وانما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمـة النفس فأخذ فى العروج الى أوطان القرب وانـتزح القلب عند ذلك عن مستقره متطلعا الى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفه فانجم على الواجـدين ذلك الوصـف حيث رأوه أصـفى من القلب فسـموه سرا ولما صار للقلب وصف زائد على وصفه بتطلعه الى الروح اكتسب الروح وصـفا زائدا فى عروجه وانجم عـلى الواجدين فسموه سرا والذى زعموا أنه ألطف مـن الروح روح متصفة بوصف أخص مما عهـدوه والذى

ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المؤلم ببدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره فما ظنك بألم يتمكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم إذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى ـ كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ـ فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا أضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى أن يقرر في أسماعنا (١) ما نفث في روع رسول الله ﷺ حيث قيل له أحبب من أحببت فانك مفارقه وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر

كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى ـ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ـ وقال عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة أو قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهم بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب

## ﴿ بيان علامات الزهد ﴾

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق وألجئوا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون الى

سموه قبل الروح سراً وهو قلب اتصف بوصف زائد غير ما عهدوه وفي مثل هذا الترقي من الروح والقلب تترقى النفس الى محل القلب وتنخلع من وصفها فتصير نفسا مطمئنة تريد كثيرا من مرادات القلب من قبل ادصار القلب يريد ما يريد مولاه متبرئا عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعندها ذاق طعم صرف العبودية حيث صار حرا عن ارادته واختياراته وأما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال أول ما خلق

(١) حديث نفث في روعه أحبب من أحببت فانك مفارقه تقدم

الدنيامتبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص رحمه الله فاذامعرفة الزهدأمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل و ينبغى أن يعول فى باطنه على ثلاث علامات ﴿ العلامة الأولى ﴾ أن لايفرح بموجود ولايحزن على مفقود كما قال تعالى ـ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ـ بل ينبغى أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال و يفرح بفقده ﴿ العلامة الثانية ﴾ أن يستوى عنده ذامّه ومادحه فالأول علامة الزهد فى المال والثانى علامة الزهد فى الجاه ﴿ العلامة الثالثة ﴾ أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذلايخلو القلب عن حلاوة المحبة امامحبة الدنيا وامامحبة الله وهما فى القلب كالماء والهواء فى القدح فالماء اذادخل خرج الهواء ولايجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا أفضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا و بالله فلايجتمعان وقد قال أهل المعرفة اذاتعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذابطن الايمان فى سويداء القلب و باشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد فى دعاء آدم عليه السلام اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى وقال أبو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لابد وأن يكون فى أحد هذين المقامين ومقامه الأوّل أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ولايستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا قال ابن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان أكان داود الطائى زاهدا قال نعم قلت قد بلغنى أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأنفقها فى عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولايتم الزهد الابالزهد فى جميعها فكل من ترك من الدنيا شيأ مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل فى الزهد بقدر ماتركه وآخره أن يترك كل ماسوى الله حتى لايتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان أمثالنا لايستجرئ على الطمع فى غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لايتعاظمه شئ فلا بعد فى أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله و يتفرع عن هذه العلامات علامات أخر لامحالة مثل أن يترك الدنيا ولايبالى من أخذها وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هى فلا يقول أبنى رباطا أو أعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة فى الخروج من الملك وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال أبو سليمان الصوف علم من أعلام الزهد فلاينبغى أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله علامة الزهد قصر الأمل وقال سرى لايطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولايطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصر اباذى الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلاعلاقة وقول بلاطمع وعز بلا رياسة وقال أيضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر الى حد لوقطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك فامامالم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح وقال أيضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها و ينتف شعرها و يخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى ولايلتفت اليها وقال السرى مارست كل شئ من أمر الزهد فنلت منه ما أريد الاالزهد فى الناس فانى لم أبلغه ولم أطقه وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه واذا كان الزهد لايتم الابالتوكل فلنشرع فى بيانه ان شاء الله تعالى

لله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له اقعد فقعد ثم قال له انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتى وجلالى وعظمتى وكبريائى وسلطانى وجبروتى ما خلقت خلقا أحب الى منك ولا أكرم على منك بك أعرف و بك أحمد و بك أطاع و بك آخذ و بك أعطى واياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما أكرمتك بشئ أفضل من الصبر * وقال عليه السلام لايعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا ماعقدة عقله وسألت عائشة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم قالت قلت يارسول الله بأى شئ

يتفاضلون الناس قال بالعقل فى الدنيا والآخرة قالت قلت أليس يجزى الناس بأعمالهم قال ياعائشة وهل يعمل بطاعة الله الامن قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر مايعملون يجزون وقال عليه السلام ان الرجل لينطلق الى المسجد فيصلى وصلاته لاتعدل جناح بعوضة وان الرجل ليأتى المسجد فيصلى وصلاته تعدل جبل أحد اذا كان أحسنهما عقلا قيل وكيف يكون أحسنهما عقلا قال أورعهما عن محارم الله وأحرصهما على أسباب الخير وان كان دونه فى العمل والتطوع (وقال) عليه

﴿ كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الملك والملكوت المنفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عماد المقدر فيها أرزاق العباد الذى صرف أعين ذوى القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب الى مسبب الأسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ماعداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وأنه مامن ذرة إلا الى الله خلقها ومامن دابة إلا على الله رزقها فلما تحققوا أنه رازق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قامع الأباطيل الهادى الى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تغيير فى وجه العقل وانغماس فى غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع فى غاية الغموض والعسر ولايقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الاسماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد فى الشطر الأوّل من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله فى الشطر الثانى

﴿ بيان فضيلة التوكل ﴾

﴿ أما من الآيات ﴾ فقد قال تعالى ـ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ـ وقال عزوجل ـ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ـ وقال تعالى رمن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لايعذب ولايبعد ولايحجب وقال تعالى ـ أليس الله بكاف عبده ـ فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فانه سؤال فى معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى ـ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ـ وقال عزوجل ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم أى عزيز لايذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحماه وحكيم لايقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ـ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ـ بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ـ ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ـ وقال عزوجل ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون وقال عزوجل يدبر الأمر مامن شفيع الامن بعد إذنه وكل ماذكر فى القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار ﴿ وأما الأخبار ﴾ فقد قال ﷺ فيما رواه (١) ابن مسعود أريت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتنى كثرتهم وهيأتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لايكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله ﷺ اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال ﷺ سبقك بها عكاشة وقال ﷺ

﴿ كتاب التوحيد والتوكل ﴾

(١) حديث ابن مسعود أريت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل الحديث رواه ابن منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس

(١) لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال ﷺ (٢) من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال ﷺ (٣) من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله ﷺ أنه (٤) كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال ﷺ (٥) لم يتوكل من استرقى واكتوى وروى أنه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى وابراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض الا جعلت له مخرجا ﴿وأما الآثار﴾ فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخوّاص قوله تعالى ـ وتوكل على الحي الذي لا يموت ـ الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم ابن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ الى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الأدب

## ﴿بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل﴾

اعلم أن التوكل من أبواب الايمان وجميع أبواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل * فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في أصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوى سمى يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة

(١) حديث لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الحديث الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه ابراهيم بن الاشعث تكلم فيه أبو حاتم (٣) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٤) حديث كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي قال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الطبراني في الاوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله ابن سلام قال كان النبي ﷺ اذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام انما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من جد أبيه (٥) حديث لم يتوكل من استرقى واكتوى الترمذي وحسنه والنسائي في الكبير والطبراني واللفظ له الا أنه قال أو من حديث المغيرة بن شعبة وقال الترمذي من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل وقال النسائي ما توكل من اكتوى أو استرقى

الصلاة والسلام ان الله تعالى قسم العقل بين عباده أشتاتا فان الرجلين يستوي علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد * وروى عن وهب بن منبه أنه قال اني أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا الى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله ﷺ كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك يكثر ولا نؤثر نقل الاقاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم العقل من العلوم فان الخالي من جميع

ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الابها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذى يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذى لا ساحل له فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هى أن يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى فى الوجود الا واحدا وهى مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان و يعصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان والثانى موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة ان توفى عليه ولم تضعف بالمعاصى عقدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف و يقصد بها أيضا إحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو فى مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هى عليه لا لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامى فى الاعتقاد بل فى صنعة تلفيق الكلام الذى به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان أكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا أطفأ النار وأكثر الدخان وان ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة فى حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هى القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و بقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما أن اللب نفيس فى نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق * فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا * فاعلم

العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فان الخالى عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل فهو إذا من العلوم الضرورية وليس هو جميعها فان صاحب الحواس المختلة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم العقل ليس من أقسام العلوم لأنه لو كان منها لوجب الحكم بأن الذاهل عن ذكر الاستحالة والجواز لا يتصف بكونه عاقلا ونحن نرى العاقل فى كثير من أوقاته ذاهلا وقالوا هذا العقل صفة يتهيأ بها درك العلوم

أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخر سواه كثير وبعضها أشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا أنت فقال أدور في الاسفار لاصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال * فان قلت فلابد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه * فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الاول وهو النفاق فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي ينبني عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب * وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل الا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق الى قلبك شائبة الشرك بسببين أحدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات أما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى - فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون - قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى أن ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من أخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وانما

(ونقل عن الحرث) ابن أسد المحاسبي وهو من أجل المشايخ أنه قال العقل غريزة يتهيأ بها درك العلوم وعلى هذا يتقرر ما ذكرناه في أول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من أمر الله وهي المتحملة للامانة التي أبت السموات والارضون أن يحملنها ومنها يفيض نور العقل وفي نور العقل تتشكل العلوم فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب وهو بصفته منكوس متطلع الى النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه منكوسا الى النفس فرقه في أجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك وأخطأ طريق

هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب
من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض وكل حيوان وجماد
مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أن الملك الموقع هو الكاتب
التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى - فاذا انكشف
لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج
توحيدك بهذا الشرك فأتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية
ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك
وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه
وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا نعم ان كنت لا ترى القلم لأنه مسخر
فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زل أقدام الأكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان
عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم
مسخرا وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود
الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم هو المسود للبياض وذلك
لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت
بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب
وهو جهل محض بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته
التي بها نطق كل شئ حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا
حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان
الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو
عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت
وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم أن لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب
القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم
بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملا من
الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم (١) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان
يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما (٢) نهى عن افشاء سر القدر ولما قال (٣) اذا ذكر النجوم
فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا ولما (٤) خص حذيفة رضي الله عنه ببعض
الاسرار فاذا عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان أحدهما استحالة افشاء
السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا
يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن افشاء سر القدر
ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا الله عز وجل سره لفظ أبي نعيم وقال ابن
عدي لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم (٣) حديث اذا ذكر النجوم فأمسكوا
واذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن حبان في الضعفاء وتقدم في العلم (٤) حديث انه خص حذيفة
ببعض الاسرار تقدم .

الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تأيد العقل بالبصيرة التي هي للروح بمثابة القلب واهتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفيا أقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله اقباله في أمر دله على اقباله عليه وما كرهه الله في أمر دله على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجتنب مساخطه وكلما استقام العقل وتأيد بالبصيرة كانت دلالته على الرشد ونهيه عن الغي ( قال ) بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به أمر دنياه وضرب يبصر به أمر

وأصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسودّ وجهه بالحبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحتت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه وانما أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي تردّدني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شانها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أستسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي أني ميتة أو معدومة لأني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ أزعجني من غمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وأرهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل عليّ فلعل لنا عذرا وأنت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكن أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكني أدري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا وألزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردّد مع نفسه والتحير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ❊ أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره

آخرته (وذكر) أن العقل الاوّل من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية فالعقل الاوّل موجود في عامة ولد آدم والعقل الثاني موجود في الموحدين مفقود من المشركين (وقيل) انما سمي العقل عقلا لان الجهل ظلمة فاذا غلب النور بصره في تلك الظلمة زالت الظلمة فأبصر فصار عقالا للجهل (وقيل) عقل الايمان مسكنه في القلب ومتعلقه في الصدر بين عيني الفؤاد والذي ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل

ولكنى كنت أطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال فاما قولك انى خط ونقش وانما خطنى قلم فلست أفهمه فانى لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار وانى لأسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيأ أسمع جعجعة ولا أرى طحنا فقال له القلم ان صدقت فما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف * واعلم ان المهالك فى الطريق التى توجهت اليها كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا فى استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم فى طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثانى عالم الملكوت وهو ورائى فاذا جاوزتنى انتهيت الى منازله وفيه المهامه والفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا أدرى كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل فى أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التى هى فى الحركة بين الارض والماء فلا هى فى حد اضطراب الماء ولا هى فى حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشى على الارض يمشى فى عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافى وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به العلم فى لوح القلب وحصول اليقين الذى يمشى به على الماء أما سمعت قول رسول الله ﷺ فى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما (١) قيل له انه كان يمشى على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت فى أمرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامه التى وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذى به أكتب فى لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى أن النبى ﷺ فى أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصرى وحدقته فوالله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدى ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معانى الحروف والاصوات وأخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ﷺ ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى انى أنا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه

ووضع الاشياء فى مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضىء بنور الشرع لان انتصابه واعتداله هداه الى الاستضاءة بنور الشرع لكون الشرع ورد على لسان النبى المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التى هى للروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتأييد البصيرة فالبصيرة تحيط بالعلوم التى يستوعبها العقل والتى يضيق عنها نطاق العقل لانها تستمد من كلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها والعقل ترجمان تؤدى البصيرة اليه من ذلك شطرا كما يؤدى القلب الى

(١) حديث قيل له ان عيسى يمشى على الماء قال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء تقدم

لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ماهو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله تعالى عني خيرا إذ الآن ظهر لي صدق أنبائه عن أوصاف القلم فاني أراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له مابالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ماتبعث به الارادات الى أشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال أو قد نسيت مارأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لاتشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن يمين الملك فقال القلم أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا في قبضته يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه مايزيد على عجائب القلم لايجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لاتحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد كالايدي وأصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ماسمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لاحكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لامحالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب مااستحقر عنده ماقبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما أنا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لاعلى الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لايسئل عما يفعل وهم يسئلون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه ومانهاك عنه فانته عنه وماقاله لك فقله فانه مازاد في هذه الحضرة على أن قال (١) سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال إلهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي إياك أن تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الأكبر فاقتد به فان أصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا أن تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة ومابعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي أن المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر

(١) حديث سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم

اللسان بعض مافيه ويستأثر ببعضه دون اللسان وهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظي بعلوم الكائنات التي هي من الملك والملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أرباب البصائر والعقول دون الجامدين على مجرد العقول دون البصائر وقد قال بعضهم ان العقل عقلان عقل للهداية مسكنه في القلب وذلك للمؤمنين الموقنين ومتعمله في الصدر بين عيني الفؤاد والعقل الآخر مسكنه في الدماغ ومتعمله في الصدر

بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أوّل في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد

فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه يبتني على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه فاقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيأ سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وأنا من جملتهم فاني شاك أيضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشده الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك ﷺ بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيدا إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقله إله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاورة * فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه * فاقول نعم فان الاعتقاد إذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة الاحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه أو الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شئ من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا إلى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا * فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا * فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان لم يرد أن يشاء لكان هذا

منزلة

بين عيني الفؤاد فبالاوّل يدبر أمر الآخرة وبالثاني يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه انه عقل واحد اذا تأيد بالبصيرة دبر الامرين واذا انفرد دبر أمرا واحدا وهو أوضح وأبين وقد ذكرنا في أوّل الباب من تدبيره للنفس المطمئنة والامارة ما يتنبه الانسان به على كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملهم للصواب

﴿الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها﴾

(أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أخبرنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى

منزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل مايشاء اذاشاء أن يشاأم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التى تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لامحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عندانجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة فى القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر فى الجميع * فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لاتنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا * فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه فى عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لايفهم الاختيار * فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الاعلم المعاملة ولكنى أقول لفظ الفعل فى الانسان يطلق على ثلاثة أوجه * اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق فى الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة فى حقيقة الاضطرار والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك فى أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات فنسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمى تنفسه فعلا إراديا ونسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر فى الفعل الطبيعى لانه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لامحالة فيكون الخرق بعد التخطى ضروريا والتنفس فى معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لوقصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرارا فعل إرادى ولكنه اذا تمثل صورة الابرة فى مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعى فى كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختيارى فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذى يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لايشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه * وبيانه أن الارادة تبع للعلم الذى يحكم بان الشئ موافق لك والاشياء تنقسم الى ماتحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ماقد يتردد العقل فيه فالذى تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بابرة أو بدنك بسيف فلا يكون فى علمك تردد فى ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء مايتوقف التمييز والعقل فيه فلايدرى انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز أن الخير فى الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذى يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ماظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير أى هو انبعاث الى ماظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر فى انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل فى حقه الا ان الخيرية فى دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهى التى انبعثت باشارة العقل فيماله فى إدراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولايتصور أن تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الانسان أن يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة فى اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء أن يقتل نفسه الا اذا كان فى عقوبة مؤلمة لاتطاق فان العقل هنا يتوقف فى الحكم

الترمذى قال أنا هناد قال أنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وانما يتطلع الى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوف الى ذلك تشوف العطشان الى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره

و يتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لاميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية ألبتة لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فنا ثالثا واتبعوا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه * فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم * فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله تعالى وان أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض * فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة و بعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا أشار قوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق - فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شئ من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادئ الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل

وفلاحه وصلاحه وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالحظوة بصفو اليقين ومنح الموقنين وأكثر التشوف إلى ذلك للقربين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ في طريق الابرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لان التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم من هو في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا يتطلع إلى معرفة اللتين ولا يهتم بتمييز الخواطر (ومن الخواطر (ماهي رسل الله تعالى الى العبد كما قال بعضهم لي قلب ان عصيته عصيت الله وهذا حال عبد استقام قلبه واستقامة القلب لطمأنينة النفس وفي طمأنينة

يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الازلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم * فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم * فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان و يكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا و يقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت ـ قل يتوفاكم ملك الموت ـ ثم قال عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أضاف إلينا ثم قال تعالى ـ أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا ـ وقال عز وجل ـ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ـ ثم قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى ـ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ـ قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى ـ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ـ فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى ـ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ـ وقال تعالى ـ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ـ وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا إذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى ـ الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ـ ثم قال الرحمن علم القرآن ـ وقال علمه البيان ـ وقال ان علينا بيانه ـ وقال أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ـ ثم قال رسول الله ﷺ في (1) وصف ملك الأرحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوي أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء و يخلق الملك وفي لفظ آخر و يصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في

(1) حديث وصف ملك الارحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا الحديث البزار وابن عدي من حديث عائشة ان الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فما من شيء الا وهو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدي انه منكر وأصله متفق عليه من حديث

النفس يأس الشيطان لان النفس كلما تحركت كدرت صفو القلب واذا تكدر طمع الشيطان وقرب منه لان صفاء القلب محفوف بالتذكر والرعاية والذكر نور يتقيه الشيطان كما تقاء أحدنا النار (وقد ورد) في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى تولى وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الله تعالى ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فبالتقوى وجود خالص الذكر وبها ينفتح بابه

القرآن من الادلة والآيات فى الارض والسموات ثم قال أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقال شهد الله أنه لا إله إلا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه المحي والمميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين ففى الخبر [1] أن ملكى الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وماسخرتكما له من الصنع وأنا المميت والمحي لا يميت ولا يحيي سواى فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعانى إذا فهمت ولذلك [2] قال صلى الله عليه وسلم للذى ناوله التمرة خذها ولم تأتها لاتتك أضاف الاتيان إليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الانسان إليها وكذلك لما قال التائب [3] أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذى عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوّز والمستعير فى كلامه وللتجوّز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الامير فانه مجاز بالاضافة إلى نسبته إلى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعته أيها اللغوى للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أى تجوّز به عما وضعه اللغوى له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [4] أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * أى كل مالا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحى القيوم الذى ليس كمثله شئ فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق وماسواه باطل ولذلك قال سهل يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان * فان قلت فقد ظهر الآن أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه * فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا اليه فى كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذى رأينا الرمز اليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتى الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم

---

ابن مسعود بنحوه (١) حديث ان ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الأموات فأوحى الله إليهما أن كونا على عملكما الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث قال للذى ناوله التمرة خذها ولم تأتها لاتتك ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله الطبرانى عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٣) حديث انه قال للذى قال أتوب إلى الله ولا أتوب الى محمد عرف الحق لاهله تقدم فى الزكاة (٤) حديث أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ قاله الشاعر وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

---

ولا يزال العبد يتقى حتى يحمى الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول ومالا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ثم تنتقل تقواه إلى باطنه ويطهر الباطن ويقيده عن المكاره ثم من الفضول حتى يتقى حديث النفس (قال سهل ابن عبد الله) أسوأ المعاصى حديث النفس ويرى الاصغاء الى ما تحدث به النفس ذنبا فيتقيه وتتقد القلب عند هذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب فى كبد السماء ويصير القلب سماء محفوظا بزينة كواكب الذكر فاذا صار كذلك بعد الشيطان ومثل هذا العبد يندر فى حقه الخواطر الشيطانية ولمانه

لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به فى الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلى به ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض أن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى وكما ينبغى و بالقدر الذى ينبغى وليس فى الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر فى الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكما أن فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين العدل ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد اذا تآكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر فى التفاوت الذى بين الخلق فى القسمة فى الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب فى السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الأكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون * والحاصل ان الخير والشر مقضى به وقد كان ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التى هى أصول مقام التوكل * ولنرجع الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الشطر الثانى من الكتاب ﴾ فى أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل و بيان ما قاله الشيوخ فى حد التوكل و بيان التوكل فى الكسب للمنفرد والمعيل و بيان التوكل بترك الادخار و بيان التوكل فى دفع المضار و بيان التوكل فى ازالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته

## ﴿ بيان حال التوكل ﴾

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم * فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم أصله والعمل ثمرته وقد أكثر الخائضون فى بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة فى النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه و يسمى الموكول اليه وكيلا و يسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل فى الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله الا اذا اعتقد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شئ أصلا وأما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحى ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه

ويكون له خواطر النفس ويحتاج الى أن يتقيها و يميزها بالعلم لان منها خواطر لا يضر امضاؤها كطالبات النفس بحاجاتها وحاجاتها تنقسم الى الحقوق والحظوظ و يتعين التمييز عند ذلك واتهام النفس بمطالبات الحظوظ قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أى فتثبتوا (وسبب) نزول الآية الوليد ابن عقبة حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق فكذب عليهم ونسبهم الى الكفر والعصيان حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم ثم بعث خالدا اليهم فسمع أذان المغرب والعشاء ورأى ما يدل على كذب

فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه وأشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة أو في واحدة منها او جوز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه و يكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلاجرم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والدا للموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بانه أفصح الناس لسانا وأقواهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم انه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل أنه يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شئ منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شئ واليقين شئ آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لابراهيم عليه السلام - أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي - فالتمس أن يكون مشاهدا احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها الى أن تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالخصال الاربعة أحد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال ﷺ (١) من استعز بالعبيد أذله الله تعالى واذا انكشف

(١) حديث من اعتز بالعبيد أذله الله العقيلي في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أورده العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته

الوليد بن عقبة فأنزل الله تعالى الآية في ذلك فظاهر الآية وسبب نزولها ظاهر وصار ذلك تنبيها من الله عباده على التثبت في الامور (قال سهل) في هذه الآية الفاسق الكذاب والكذب صفة النفس لانها تملي أشياء وتسول أشياء على غير حقائقها فتعين التثبت عند خاطرها والقائها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت ولا يستفزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الادب أن تقف عند الجهل وآخر الادب أن تقف عند الشبهة ومن الادب عند الاشتباه ازال الخاطر بحركة النفس وخالقها وبارئها وفاطرها

لك معنى التوكل وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات ﴿ الدرجة الاولى ﴾ ماذكرناه وهو أن يكون حاله فى حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله فى الثقة بالوكيل ﴿ الثانية ﴾ وهى أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى احد سواها ولا يعتمد إلا إياها فاذا رآها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق الى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذى له و يظن انه طبع من حيث ان الصبى لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على احضاره مفصلا فى ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان باله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبى بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا و بين الأول أن هذا متوكل وقد فنى فى توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه وأما الأول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الامانى قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه ﴿ الثالثة ﴾ وهى أعلاها أن يكون بين يدى الله تعالى فى حركاته وسكناته مثل الميت بين يدى الغاسل لا يفارقه الا فى انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى قوى يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلا يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجرى عليه ويفارق الصبى فان الصبى يفزع الى أمه و يصيح و يتعلق بذيلها و يعدو خلفها بل هو مثل صبى علم أنه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل أمه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام فى التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء و بغير الاستحقاق والمقام الثانى لا يقتضى ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضى ترك السؤال من غيره فقط * فان قلت فهذه الأحوال هل يتصور وجودها * فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثانى والثالث أعزها والأول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثانى فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث فى دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التى كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم وأما المقام الثانى فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما و يومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول * فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب فى هذه الاحوال * فاعلم أن المقام الثالث ينفى التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثانى ينفى كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل فى التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله به أو التدبير الذى عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذى يعرفه باشارته بان يقول له لست أتكلم الا فى حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته فى اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل مارسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له فى قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو أن يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على

واظهار الفقر والفاقة اليه والاعتراف بالجهل وطلب المعرفة والمعونة منه فانه اذا أتى بهذا الادب يغاث و يعان و يتبين له هل الخاطر لطلب حظ أو طلب حق فان كان للحق أمضاه وان كان للحظ نفاه وهذا التوقف اذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم لان الافتقار الى باطن العلم عند فقد الدليل فى ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسعه فى صحته الا الوقوف على الحق دون الحظ وان أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل فى تناول الحظ و يمضى خاطره بمزيد علم لديه من الله وهو علم

سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد أن حضر وفاء باشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه إلى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أن يضامه التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لا يصير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمدا لمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالقا حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيدين في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة إلا بالله حقا وصدقا فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار (١) فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى احداهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة شيئين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل و بين شيئين لتعرف به ثواب لا إله إلا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله ﷺ (٢) من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة إلى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها إلى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي إلى الملك أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام وأين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة أفترى أن أحوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالماء والاشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد أعلى وألذ وأشرف وأجدر بان تكون عند ذوي الكمال مغبوطة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيهات هيهات ما أبعد عن التحصيل من اذا خير بين أن يكون حمارا أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شيء منجذب اليه

(١) أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقدمت في الدعوات (٢) حديث من قال لا إله إلا الله صادقا مخلصا من قلبه وجبت له الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم

وان

السعة لعبد مأذون له في السعة عالم بالاذن فيمضي خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من أمره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته ونقصانه عالم بحاله محكم لعلم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه بالتقليد لانه أمر خاص لعبد خاص واذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس في مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الاربعة في حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان الا نادرا لضيق مكانه من النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والاخلاد الى الارض ومن

وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من نزوعها الى صنعة الكتابه فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لامحالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل وانما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها الطلب للعجز وأما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذ كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لااله إلا الله ومعنى قول لاحول ولاقوة إلا بالله وأن من ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لاحول ولاقوة إلا بالله الا نسبة شيئين الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولامساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوّزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي أنه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون إذ أثبتوا الأنفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولاقوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد الاعقبتان احداهما النظر الى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى

﴿بيان ماقاله الشيوخ في أحوال التوكل﴾

ليتبين أن شيأ منها لايخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير الى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي قلت لأبي يزيد ماالتوكل فقال ماتقول أنت قلت ان أصحابنا يقولون لوأن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ماتحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لوأن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وماذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان مافعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالاضافة الى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قلما يتكلم الاعن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطا في المقام الأول من التوكل فقد احترز (١) أبو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سدّ منافذ الحيات الا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله ﷺ لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بتحرك سره وتغيره لأمر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لايناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لاحول للحيات ولاقوة لها إلا بالله فان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذوالنون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب فخلع الأرباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الأسباب اشارة الى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من

ضايق النفس على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان الانادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين المتعلقين بمقام المقربين من اذا صار قلبه سماء مزينا بزينة كوكب الذكر يصير قلبه سماويا يترقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات وكلما ترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله ﷺ بظاهره وقلبه فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر النفس لتستره بأنوار القرب وبعد النفس

(١) حديث ان أبا بكر سد منافذ الحيات في الغار شفقة على النبي ﷺ تقدم

الحول والقوّة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت و يبقى دينك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وأن فى المقدورات أسبابا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى فى كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالأول عام للمقامات الثلاث والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم ﷺ اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضى الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز فى نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه وأعز وقال أبو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثانى فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال أبو على الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الأصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شئ من ذلك وللشيوخ فى التوكل أقاويل سوى ماذكرناه فلا نطول بها فان الكشف أنفع من الرواية والنقل فهذا مايتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه

﴿ بيان أعمال المتوكل ﴾

اعلم أن العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام فى الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعى العبد باختياره اما أن يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لازالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته فى كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع ﴿الفن الأول﴾ فى جلب النافع فنقول فيه الأسباب التى بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه * الدرجة الأولى المقطوع به وذلك مثل الأسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ومد اليد اليه سعى وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه باطباق أعالى الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل فى شئ فانك ان انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز أو يخلق فى الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا ليمضغه لك و يوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت فى أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل فى هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوّة الحركة وأنه الذى يطعمك و يسقيك وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف فى الحال وتفلج

عنه وعند ذلك تقطع عنه خواطر الحق أيضا لان الخاطر رسول والرسالة الى من بعد وهذا قريب وهذا الذى وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود فى هبوطه الى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك أن الخواطر تستدعى وجودا وما أشرنا اليه حال الفناء ولا خاطر فيه وخاطر الحق انتفى لمكان القرب وخاطر النفس بعد عنه لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل فى ليلة المعراج عن رسول الله ﷺ حيث قال لو دنوت أنملة لاحترقت * قال

وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك فى الحال ما يزيل عقلك و يبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك و بين طعامك واذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل * الدرجة الثانية الأسباب التى ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذى يفارق الامصار والقوافل و يسافر فى البوادى التى لا يطرقها الناس إلا نادرا و يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا فى التوكل بل استصحاب الزاد فى البوادى سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص * فان قلت فهذا سعى فى الهلاك والقاء النفس فى التهلكة * فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقارب به بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر فى ذكر الله تعالى والثانى أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو فى غالب الأمر فى البوادى فى كل أسبوع عن أن يلقاه آدمى أو ينتهى إلى حلة أو قرية أو الى حشيش يجتزى به فيحيا به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة و يقول هذا لا يقدح فى التوكل وسببه أنه علم أن البوادى لا يكون الماء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو فى البوادى كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه فى كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة فى البوادى غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما فى الخياطة والقطع شئ مما يوجد فى البوادى فكل ما فى معنى هذه الاربعة أيضا يلتحق بالدرجة الثانية لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوبا أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام ممضوغا إلى فيه فبين الدرجتين فرقان ولكن الثانى فى معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع فى هلاك نفسه كما روى أن زاهدا من الزهاد فارق الامصار وأقام فى سفح جبل سبعا وقال لا أسأل أحدا شيأ حتى يأتينى ربى برزقى فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يارب ان أحييتنى فائتنى برزقى الذى قسمت لى والا فاقبضنى اليك فأوحى الله جل ذكره اليه وعزتى لأرزقتك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتى بزهدك فى الدنيا أما علمت أنى أن أرزق عبدى بأيدى عبادى أحب الى من أن أرزقه بيد قدرتى فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عزوجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا فى الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب * فان قلت فما قولك فى القعود فى البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة فى البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى أن يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراما الا أن يشرف على الموت فعند

محمد بن على الترمذى المحدث والمكلم اذا تحققا فى درجتهما لم يخافا من حديث النفس فكما ان النبوة محفوظة من القاء الشيطان كذلك محل المكالمة والمحادثة محفوظ من القاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة لان السكينة حجاب المكلم والمحدث مع نفسه (وسمعت) الشيخ أبا محمد ابن عبد الله البصرى بالبصرة يقول الخواطر أربعة خاطر من النفس وخاطر من الحق وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك فاما الذى من النفس فيحس به من أرض القلب والذى من الحق من فوق القلب والذى من الملك عن يمين القلب

ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شئ الا في الرزق والأجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال ﷺ (١) لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق وقال أبو يعقوب السوسي المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة * الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التى يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذى يستقصى في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذى فيه الناس كلهم أعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل وهذا مثل الاسباب التى نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكى بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي ﷺ وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا يأخذون من أحد شيأ بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب وأمثال هذه الاسباب التى يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤها وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهى التى تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وأن الذى يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاثة مقامات ﴿الأول﴾ مقام الخواص ونظرائه وهو الذى يدور في البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شئ من ذلك فان الذى يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه ممكن مع فقده ﴿المقام الثانى﴾ أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ولكنه أيضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معوّل على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا أن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذى يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصوّر أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم ﴿المقام الثالث﴾

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره ولزالت بدعائكم الجبال وقد تقدم قريبا دون هذه الزيادة فرواها الامام محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل باسناد فيه لين لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال ورواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب المكي مرسلا دون قوله لمشيتم على البحور وقال هذا منقطع

والذى من الشيطان عن يسار القلب والذى ذكرناه انما يصح لعبد أذاب نفسه بالتقوى والزهد وتصفى وجوده واستقام ظاهره وباطنه فيكون قلبه كالمرآة المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية الا ويبصره فاذا اسود القلب وعلاه الرين لا يبصر الشيطان (روى) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ان العبد اذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون سمعت بعض العارفين يقول كلاما دقيقا

أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذى ذكرناه فى الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعى لا يخرجه أيضا عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوّته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه فى لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله أو ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد فى بيته *والدليل على ان الكسب لا ينافى حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذا الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوّة فقال لا تشغلونى عن عيالى فانى ان أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق فى مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعى بل باعتبار قطع الالتفات الى قوّته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها فى طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادّخار ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد فى الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب فى كل يوم دينارا ولا أبيت منه دانقا ولا أستريح منه الى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم فى التوكل بحضرته وكان يقول أستحى أن أتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى *واعلم ان الجلوس فى رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهذا أقوى فى توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق* فان قلت فما الأفضل أن يقعد فى بيته أو يخرج ويكتسب *فاعلم أنه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوّش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس فى انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيأ بل يكون قوى القلب فى الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له أولى وان كان يضطرب قلبه فى البيت ويستشرف الى الناس فالكسب أولى لأن استشراف القلب الى الناس سؤال القلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزى أن يعطى بعض الفقراء شيأ فضلا عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له أدركه وأعطه فانه يقبل فلحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ وكان الخوّاص رحمه الله إذا نظر الى عبد فى العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيأ وقال الخوّاص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه فى أسفاره رأيت الخضر ورضى بصحبتى ولكن فارقته خيفة أن تسكن نفسى اليه فيكون نقصانى توكلى فاذا المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق فى كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا *فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية *فأقول علامته أنه ان سرقت بضاعته أو خسرت تجارته أو تعوّق أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه فى السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شئ

كوشف به فقال الحديث فى باطن الانسان والخيال الذى ترا آى لباطنه وتخيل بين القلب وصفاء الذكر هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما تقرر فسألته عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس منازعات ومحادثات وتألفا وتوددا وكلما انطلقت النفس فى شئ بهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر فاذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره ومحل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمعاتبة للنفس وذكر النفس شيأ شيأ من فعلها وقولها كاللائم للنفس والمعاتب لها على ذلك فاذا كان

لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقد شئ فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لأن البغادى كاتبه قال بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت ان أخذ الله سمعك و بصرك الرزق على من فوقع ذلك فى قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها *فان قلت فكيف يتصوّر أن يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن *فأقول بان يعلم أن الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على أن الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته أن يموت جوعا فينبغي أن يعتقد ان الموت جوعا خير له فى الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففى الخبر (١) ان العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقنى من دهانى وما هى الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فانى لا أدرى أيهما خير لى ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصوّر منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى لى من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فانى ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك أقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوّة الايمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبنى على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوّة القلب وقوّة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد *فان قلت فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون الى الأسباب الظاهرة وحسن الظنّ بالله تعالى فى تيسير الأسباب الخفية *فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظنّ تلقين الشيطان وحسن الظنّ تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظنّ مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظنّ و بطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال فى الرابعة يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدى الله و بين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك و ينفع فى حسن الظنّ بمجىء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية أن تسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى فى اهلاك أموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم ابراهيم بن أدهم فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الىّ ابراهيم وقال يا حذيفة

(١) حديث ان العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه الحديث أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس باسناد ضعيف جدا نحوه الا أنه قال ان العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث بنحوه

الخاطر أول الفعل ومفتتحه فمعرفته من أهمّ شأن العبد لان الافعال من الخواطر تنشأ حتى ذهب بعض العلماء الى أن العلم المفترض طلبه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم الخواطر قال لانها أوّل الفعل و بفسادها فساد الفعل وهذا لعمرى لا يتوجه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب ذلك على كل مسلم وليس كل المسلمين عندهم من القريحة والمعرفة ما يعرفون به ذلك ولكن يعلم الطالب ان الخواطر بمثابة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة (وسبب) اشتباه الخواطر أحد أربعة أشياء لا خامس لها

أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب شعرا

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصرانى فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم * وقال أبو يعقوب الاقطع البصرى جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فحدثتنى نفسى بالخروج فخرجت الى الوادى لعلى أجد شيأ يسكن ضعفى فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فاذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتنى بها قال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصنى الله تعالى ان أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى الى أصحابك هدية منى اليكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى * وقال ممشاد الدينورى كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهما * وحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيأ فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول عسى يجىء صاحبه فآخذ منه شيأ ثم رمت لى شيأ من الدراهم وقالت أنفقها فاكتفيت بها الى قريب من مكة * وحكى أن بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجىء النفير فنشترى ما يوافق فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فألحوا عليه فقال انها لبنان الحمال أهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان فى الزمان الأول رجل فى سفر ومعه قرص فقال ان أكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال ان أكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى أن مات ولم يأكله وبقى القرص عنده وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره وآليت أن لا أدخل المرحلة الا أن أحمل اليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها الى صدرى فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجونى وحملونى الى القرية وروى ان رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقائل يقول يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له انى قد اشتقت اليك فما الذى شغلك عنى فقال انى قرأت القرآن فأغنانى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه ـ وفى السماء رزقكم وما توعدون ـ فقلت رزقى فى السماء وأنا

اما ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لا يعلمها ولا يطلبها وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الاربعة دون البعض وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفتها صعبة المنال لا تكاد تتيسر الا بعد الاستقصاء فى الزهد والتقوى (واتفق) المشايخ على ان من كان أكله من الحرام

أطلبه فى الأرض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه و يجلس اليه وقال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا امشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا بقصب و بازية وطموا رأس البئر فهممت أن أصيح فقلت فى نفسى الى من اصيح هو أقرب منهما وسكنت فبينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشئ جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك فتعلقت به فأخرجنى فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى * وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى * الى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما * تبشرنى بالغيب أنك فى الكف
أراك و بى من هيبتى لك وحشة * فتؤنسنى باللطف منك و بالعطف
وتحيي محبا أنت فى الحب حتفه * وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوى الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه فى أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات والا فلا يتم أصلا

﴿ بيان توكل المعيل ﴾

اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر أبواب من الايمان ذكرناها من جلتها أن يطيب نفسا بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة فيرى أنه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذى به يموت ويكون راضيا بذلك وانه كذا قضى وقدر له فبهذا يتم التوكل للمنفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه فى نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكنه فى حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للكسب فاما دخول البوادى وترك العيال توكلا فى حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا فى حقهم فهذا حرام وقد يفضى الى هلاكهم و يكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه و بين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة فى الآخرة فله أن يتوكل فى حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه و يضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روى ان أبا تراب النخشبى نظر الى صوفى مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق أى لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام وقال أبو على الروذبارى اذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله فى عياله وانما يفارقهم فى شئ واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك فى عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار أو ملازمة البوادى التى لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل فى الامصار أقرب الى الاسباب من التوكل فى البوادى وكل ذلك من الاسباب إلا أن الناس



لا يفرق بين الالهام والوسوسة * وقال أبو على الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على الاطلاق الا بتقييد وذلك أن من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى لعبد باذن يسبق اليه فى الاخذ منه والتقوت به ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر انما ذلك يقال فى حق من دخل فى معلوم باختيار منه وايثار لانه ينحجب لوضع اختياره والذى أشرنا اليه منسلخ من ارادته فلا يحجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا ان النفس تطالب

عدلوا الى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى فى الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر فى ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لايجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه أما ترى الجنين فى بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت أم أبت اضطرارا من الله تعالى اليه بما أشعل فى قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذى لايحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لايحتمل الغذاء الكثيف فادر له اللبن اللطيف فى ثدى الام عند انفصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهى الأم أو الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه فى اليوم مرة أو مرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لايشفقون عليه لانهم رأوه فى كفالة الام والأب وهو مشفق خاص فلو رأوه محتاجا ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فما رؤى إلى الآن فى سنى الخصب يتيم قد مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التى خلقها فى قلوب عباده فلماذا ينبغى أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل فى الصبا وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن ألف نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه * فأقول إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولامعنى للتوكل فى حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل وإن كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لايلومونه فى ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه فى قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وإنما عليه أن لايغلق الباب ولايهرب إلى جبل من بين الناس وما رؤى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو فى الأمصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عزوجل له ومن اشتغل بالله عزوجل ألقى الله حبه فى قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لأهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل إلى المشتغل به الحلو والطيور السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لامحالة وقد يقع ذلك أيضا فى بعض الأحوال لكن دبره تدبيرا يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى فى كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناوله لامحالة والغالب

وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ لاغرض له فى تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ فى الخاطرين اذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد الخاطر الاول لانه اذا بقى رجع صاحبه الى التأمل وهذا شرط العلم وقال ابن عطاء الثانى أقوى لانه ازداد قوة بالاول (وقال) أبو عبد الله بن خفيف هما سواء لانهما من الحق فلامزية لاحدهما على الآخر قالوا الواردات أعم من الخواطر لان الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون

أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس فى التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو فى الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفى النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل إلى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وان سكن إلا نادرا ونادرا عظيما يتصور مثله فى حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة فى القلب وشجاعة فى النفس أثمر ما قاله الحسن البصرى رحمه الله إذ قال وددت ان أهل البصرة فى عيالى وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزقى لظننت أنى مشرك فاذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم فى نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وامكانه أنكره عن جهل فاياك أن تجمع بين الافلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنذر القليل والرضا بالقوت فانه يأتيك لامحالة وان فررت منه وعند ذلك على الله أن يبعث اليك رزقك على يدى من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ـ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ـ الآية إلا انه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن إلا الرزق الذى تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن إلى ضمانه فان الذى أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الأرض وسببه فى السماء قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال ماذا تطلبون قالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال أحمد بن عيسى الخراز كنت فى البادية فنالنى جوع شديد فغلبتنى نفسى أن أسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من أفعال المتوكلين فطالبتنى أن أسأل الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بى ويقول

ويزعم أنه منا قريب ✽ وانا لا نضيع من أتانا
ويسألنا على الاقتار جهدا ✽ كأنا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبدا واثقا بالله عز وجل فان أسوأ حاله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كما يأتى من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذى ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التى دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقيا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التى لم تكن فى ظنك وحسابك ولا تكن فى توكلك منتظر الاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظر القلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغى أن يكون النظر إلا إليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادى بلا زاد أو يقعد فى الامصار وهو خامل وأما الذى له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع فى اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه أضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى من دخول الامصار فى حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه

تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط (وقيل) بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الايمان ينهى النفس وبنور الاسلام يرد على العدو ✽ ومن قصر عن درك حقائق الزهد وتطلع الى تمييز الخواطر يزن الخاطر أولا بميزان الشرع فما كان من ذلك نفلا أو فرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما أو مكروها ينفيه فان استوى الخاطران فى نظر العلم ينفذ أقربهما الى مخالفة هوى النفس فان النفس قد يكون لها هوى كامن فى أحدهما والغالب

أولى لانه تفرغ لله عزوجل واعانة للمعطى على نيل الثواب ومن نظر الى مجارى سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم قال الشاعر

ولو كانت الارزاق تجرى على الحجا * هلكن اذا من جهلهن البهائم

﴿ بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالاسباب بضرب مثال ﴾

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفوا فى ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فأخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا فى أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغلمانى إذا خرجوا اليكم بل ينبغى أن يطمئن كل واحد منكم فى موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى أن أتقدم لعقوبته فى ميعاد معلوم عندى ولكن أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فانى أختصه بخلعة سنية فى الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت فى مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن أخطأه غلمانى فما أوصلوا اليه شيأ فبات الليلة جائعا غير متسخط للغلمان ولا قائلا ليته أوصل الى رغيفا فانى غدا أستوزره وأفوض ملكى اليه فانقسم السؤال الى أربعة أقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان فآذوهم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم فى الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطؤنا ولكن نأخذ إذا أعطونا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وقسم رابع اختفوا فى زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا ان اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد وان أخطؤنا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك إذ اتبعهم الغلمان فى كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الندور أن اختفى ثلاثة فى زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا فى جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة فى الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعدى فى الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس فى ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون فى الامصار فى الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون فى الزوايا هم السائحون فى البوادى على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية فى الامصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح فى البوادى ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك فى الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهى الى واحد من عشرة آلاف ﴿الفن الثانى فى التعرض لاسباب الادخار﴾ فمن حصل له مال بارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الاسباب فله فى الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته فى الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا

من شأن النفس الاعوجاج والركون الى الدون وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن أنه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق بسكونه الى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ماسكن قلبى الى نفسى ساعة فيظهر من سكون القلب الى النفس خواطر تشتبه بخواطر الحق على من يكون ضعيف العلم فلا يدرك نفاق القلب والخواطر المتولدة منه الا العلماء الراسخون وأكثر ماتدخل الآفات على أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل وذلك لقلة العلم

ويشترى مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقى فى الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذى يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفى بموجب التوكل تحقيقا وهى الدرجة العليا * الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفأرة والنملة وابن آدم * الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود فى الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الخوّاص الى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال أبو طالب المكى لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان ان أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعالى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير فى مثل هذا بل التحقيق أن التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو فى نفس فان ذلك كالممتنع وجوده وأما الناس فيتفاوتون فى طول الامل وقصره وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب الى المقصود ممن يؤمل سنة وتقييده بأربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور كما قال عليه السلام ان الله (١) خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما وراء السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان أسباب الدخل فى الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادّخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما فى الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل أن لا يدخر أصلا وان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر وقد روى فى (٢) الفقير الذى أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه وأسامة أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هى يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان اذا جاء الشتاء ادّخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادّخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والشفرة وما يحتاج اليه على الدوام فى معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه فى الصيف وهذا فى حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدى الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر فى نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدنيا فى عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف

(١) حديث خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسى باسناد ضعيف جدا وهو باطل (٢) حديث انه قال فى حق الفقير الذى أمر عليا وأسامة فغسلاه وكفنه ببردته أنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر الحديث وفى آخره من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر

والصناعات

بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم وينبغى أن يعلم العبد قطعا انه مهما بقى عليه أثر من الهوى وان دق وقل يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط فى تمييز الخواطر من هو قليل العلم ولا يؤاخذ بذلك ما لم يكن عليه من الشرع مطالبة وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخفاء فى التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت (وذكر) بعض العلماء أن لمة الملك ولمة الشيطان وجدتا لحركة النفس والروح وان النفس اذا تحركت انقدح من جوهرها ظلمة

والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما أن صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد (١) ادخر رسول الله ﷺ لعياله قوت سنة (٢) ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيأ لغد (٣) ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال ﷺ أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا وقال ﷺ (٤) اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ اقتداء بسيد المتوكلين ﷺ (٥) وقد كان قصر أمله بحيث كان اذا بال يتيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وقد كان ﷺ لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر (٦) أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله ﷺ الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى (٧) أبو أمامة الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال ﷺ فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال ﷺ كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين أحدهما أنه أراد كيتين من النار كما قال تعالى ـ تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ـ وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيأ الا نقص بقدره من الآخرة * وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر قال الحسين المغازلي من أصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم وقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل

تنكت في القلب همة سوء فينظر الشيطان إلى القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وذكر أن حركة النفس تكون اما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهي عن الجهل الغريزي أو دعوى حركة أو سكون وهي آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة الا بأحد ثلاثة بجهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب نفيه فانها ترد بخلاف ما مور أو على وفق منهي ومنها ما يكون نفيها فضيلة اذا وردت بمباحات (وذكر) أن الروح إذا تحركت انقدح من جوهرها نور ساطع يظهر من ذلك النور في القلب همة عالية باحد معان ثلاثة اما بفرض

لم أجد له أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا (١) حديث ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه وتقدم في الزكاة (٢) حديث نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيأ لغد تقدم نهيه لأم أيمن وغيرها (٣) حديث نهى بلالا عن الادخار وقال أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي ﷺ وعنده صبر من تمر فقال ذلك وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة وكلها ضعيفة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز فلم أره (٤) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو ثقة (٧) حديث الق الله فقيرا قد تقدم (٥) حديث انه ﷺ بال وتيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا أبلغه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٦) حديث ان الله يحب ان تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمر وقد تقدم (٧) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخلة ازاره فقال ﷺ كيتان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه

(٧) قوله القراقي حديث الق الله فقيرا الخ لم يكن هذا الحديث موجودا بالاصل فلعله بنسخته تأمل

ذلك قال جئت بالطعام فوضعته فأكل معه ومارأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا و بقي من الطعام شئ كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك أنكرت فعله قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل فانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار ﴿الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف﴾ اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الأسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله ﷺ لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار بأكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى ـ فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون ـ وقال تعالى ـ ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ـ وقال عز وجل ـ ودع أذاهم وتوكل على الله ـ وقال سبحانه وتعالى ـ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ـ وقال تعالى ـ نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ـ وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شئ اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال ﷺ للاعرابي لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله (١) اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى لموسى عليه السلام فأسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الاعداء ونوع تسبب (٢) واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الاعداء دفعا للضرر وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه * فان قلت فقد حكي عن جماعة ان منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرك * فأقول وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته اليها * فان قلت وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت اليها * فأقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك و يعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلي لم يستشل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بان يكون

أمر به أو بفضل ندب اليه واما بمباح يعود صلاحه اليه (وهذا) الكلام يدل على أن حركتي الروح والنفس هما الموجبتان للتين (وعندي والله أعلم) أن اللتين يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهي من شؤم لمة الشيطان فاذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبتل حكيم وقد تكون هاتان اللمتان

---

(١) حديث اعقلها وتوكل الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكر ورواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري باسناد جيد قيدها (٢) حديث اختفى رسول الله ﷺ عن أعين الأعداء دفعا للضرر تقدم في قصة اختفائه في الغار عند ارادة الهجرة

مسخرالك من كاب البوادي وكاب اهابك أولى بان يتسخر من كاب دارك فاذا لم يسخر لك الكاب الباطن فلا تطمع في استسخار الكاب الظاهر فان * قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو وأغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا فأقول يكون متوكلا بالعلم والحال * فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا تتكل على هذه الاسباب أصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فانه ان حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته * وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا تسترجعها أو عارية ووديعة فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزق غيري وكيفما قضيت فانا راض به وما أغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الأسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجده مسروقا فانظر الى قلبه فان وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما انما أخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد في رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير * فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فأقول المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين * فان قلت فكيف يتصور أن لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه * فأقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة كانت لي في وجوده الى الآن والخيرة لي الآن في عدمه لما أخذه مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث انها أسباب بل من حيث انه يسرها مسبب

متداركتين ويمحى أثر احداهما بالاخرى والمتفطن المتيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته باب أنس ويبقى أبدا متفقدا حاله مطالعا آثار اللمتين (وذكر) خاطر خامس وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الاربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات الحجة على العبد ليدخل العبد في الشئ بوجود عقل اذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب به الثواب (وذكر) خاطر سادس وهو خاطر اليقين وهو روح الإيمان ومزيد العلم ولا يبعد أن

الاسباب عناية وتلطفا وهو كالمريض بين يدى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم إليه الغذاء فرح وقال لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه إلى وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدرى أى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فانى لا أدرى أيهما خير لى فكذلك ينبغى أن لا يبالى المتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فانه لا يدرى أيهما خير له فى الدنيا أو فى الآخرة فكم من متاع فى الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يبتلى بواقعة لاجل غناه يقول ياليتنى كنت فقيرا

﴿ بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم ﴾

للمتوكل آداب فى متاع بيته إذا خرج عنه ﴿الاول﴾ أن يغلق الباب ولا يستقصى فى أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته أيضا ﴿الثانى﴾ أن لا يترك فى البيت متاعا يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لى اليها قال لم قال يوسوس إلى العدو أن اللص أخذها فكانه احترز من أن يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد فى الدنيا فما عليه من أخذها ﴿الثالث﴾ أن ما يضطر الى تركه فى البيت ينبغى أن ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه فى حل أو هو فى سبيل الله تعالى وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير احداهما أن يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله فى حل والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ومهما ينوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله ﷺ (١) انصر أخاك ظالما أو مظلوما ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلى ولكن يتحقق بالزهد نيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر أيضا كما روى عن رسول الله ﷺ (٢) فيمن ترك العزل فاقر النطفة قرارها ان له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله تعالى وان لم يولد له لانه ليس أمر الولد إلا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك أمر السرقة ﴿الرابع﴾ انه اذا وجد المال مسروقا فينبغى أن لا يحزن بل يفرح ان أمكنه ويقول لولا أن الخيرة كانت فيما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز وجل فلا يبالغ فى طلبه وفى اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان أعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد أن كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل وان قبله فهو فى ملكه فى ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روى ان ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ثم قال فى سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان ناقتك فى مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال انى كنت قلت فى سبيل الله وقال بعض الشيوخ رأيت بعض اخوانى فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى وأدخلنى الجنة وعرض على منازلى فيها فرأيتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم انى لا أزال

يقال الخاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع الى مايرد من خاطر الحق وخاطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال لان العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب الى دواعى النفس تارة والى دواعى الملك تارة والى دواعى الروح تارة والى دواعى الشيطان تارة فعلى هذا الاثر يد الخواطر على أربعة ورسول الله ﷺ لم يذكر غير اللمتين وهاتان اللمتان هما الاصل والخاطران الآخران فرع عليهما لان لمة الملك اذا حركت

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك العزل واقر

حزينا

خزينا الى يوم القيامة قلت ولم قال انى لما رأيت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هى لمن أمضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقيل لى كنت تقول للشئ انه فى سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك * وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما الى جنب رجل معه هميانه فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال له كم كان فى هميانك فذكر له فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان من جامعه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذه حلالا طيبا فما كنت لاعود فى مال أخرجته فى سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابناله وجعل يصره صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شئ فهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل فى الدراهم والدنانير وسائر الصدقات ﴿الخامس﴾ وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذى ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات و بطل زهده ولو بالغ بطل أجره أيضا فيما أصيب به ففى الخبر (١) من دعا على ظالمه فقد انتصر * وحكى أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما انى قد كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب الى من ذلك يعنى الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه * وقيل لبعضهم فى شئ قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذه ولا أنظر إليه لانى كنت قد أحللته له * وقيل لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمنى أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرا وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فى ظلمه فقال لا تغرق فى شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه وفى الخبر (٢) ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم ﴿السادس﴾ أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا فى دنياه لا نقصا فى دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال ان لم يكن لك غم أنه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من على ابن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكى ويحزن فقال أعلى الدنانير تبكى فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إنى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف رضى الله عنهم أجمعين ﴿الفن الرابع فى السعى فى ازالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله﴾ اعلم أن الاسباب المزيلة للمرض أيضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى موهوم كالكى والرقية أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين وأقواها الكى ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله فى بعض الاحوال وفى بعض الاشخاص فهى على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوى غير مناقض

الروح واهتزت الروح بالهمة الصالحة قربت أن تهتز بالهمة الصالحة الى حظائر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق واذا تحقق بالقرب يتحقق بالفناء فتثبت الخواطر الربانية عند ذلك كما ذكرناه قبل لموضع قربه فيكون أصل خواطر الحق لمة الملك ولمة الشيطان اذا حركت النفس هوت بجبلتها الى مركزها من الغريزة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان فأصلها لمتان وينتجان أخريين وخاطر اليقين والعقل مندرج

---

النطفة قرارها كان له أجر غلام الحديث لم أجد له أصلا (١) حديث من دعا على من ظلمه فقد انتصر تقدم (٢) حديث ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة الحديث تقدم .

للتوكل فعل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به أما قوله فقد قال ﷺ (١) مامن داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال عليه السلام (٢) تداووا عباد الله فان الله خلق الداء والدواء (٣) وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله وفي الخبر المشهور (٤) مامررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة وفي الحديث أنه أمر بها وقال (٥) احتجموا السبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى و بين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الاهاب و بين إخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا وفي خبر مقطوع (٦) من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة وأما (٧) أمره ﷺ فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي و بالحمية (٨) وقطع لسعد بن معاذ عرقاً أي فصده (٩) وكوى سعد بن زرارة (١٠) وقال لعلي رضي الله تعالى عنه وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير (١١) وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرا وأنت أرمد فقال اني آكل من الجانب الآخر فتبسم ﷺ وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روي في حديث (١٢) من طريق أهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر

فيهما والله أعلم

﴿الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما﴾

قد كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت اشارات الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسهما وتداخلهما فتراءى للبعض الشيء حالا وتراءى للبعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ولابد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره (وقد) يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية

(١) حديث مامن داء الا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله الا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفه الى آخره واسناده حسن وللترمذي وصححه من حديث أسامة بن شريك الا الهرم وللطبراني في الاوسط والبزار من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف والبخاري من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء ولمسلم من حديث جابر لكل داء دواء (٢) حديث تداووا عباد الله الترمذي وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة ابن شريك (٣) حديث سئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله فقال هي من قدر الله الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزامة وقيل عن أبي خزامة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح (٤) حديث مامررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين الحديث البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفعه الترمذي بلفظ ان خير ما تحتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيغ وقال حسن غريب وقال البزار ان طريقه المتقدمة أحسن من هذا الطريق ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر الحديث (٦) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس واسنادهما واحد اختلف على راويه في الصحابي وكلاهما فيه زيد العمي وهو ضعيف (٧) حديث أمره بالتداوي لغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك انه قال للاعراب حين سألوه تداووا الحديث وسيأتي في قصة علي وصهيب في الحمية بعده (٨) حديث قطع عرقا لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال رمي سعد في أكحله فحسمه النبي ﷺ بيده بمشقص الحديث (٩) حديث انه كوى أسعد بن زرارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (١٠) حديث قال لعلي وكان رمدا لا تأكل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم المنذر (١١) حديث قال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرا وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (١٢) حديث من طريق أهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة و يحتجم كل شهر و يشرب الدواء كل سنة ابن عدي من حديث عائشة وقال انه منكر وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين

و يشرب الدواء كل سنة قيل السنا المكى (١) وتداوى ﷺ غير مرة من العقرب وغيرها وروى أنه (٢) كان اذا نزل عليه الوحى صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفى خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد (٣) جعل على قرحة خرجت به ترابا وماروى فى تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف فى ذلك كتاب وسمى طب النبى ﷺ وذكر بعض العلماء فى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا أتداوى حتى يعافينى هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى وأقامت علته فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكرتموه لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فداووه فبرأ فأوجس فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيرى وروى فى خبر آخر ان نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكا علة يجدها فأوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكا نبى آخر الضعف فأوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روى ان قوما شكوا الى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى اليه مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد و يفعل ذلك فى الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا تبين ان مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا فى أحد أمرين أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلى واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق فى حقه بالأول والثانى أن الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر فى الباطن وأسباب فى المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض مايوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر فى هذين الشيئين والا فالمسبب يتلو السبب لامحالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى ﷺ أنه قال يارب ممن الداء والدواء فقال تعالى منى قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادى حتى يأتى شفائى أو قضائى فاذا معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعلم والحال كما سبق فى فنون الاعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فاما ترك التداوى رأسا فليس شرطا فيه * فان قلت فالكى أيضا من الاسباب الظاهرة النفع فأقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمحرور وأما الكى فلو كان مثلها فى الظهور لما خلت البلاد

(١) حديث انه تداوى غير مرة من العقرب وغيرها الطبرانى باسناد حسن من حديث جبلة بن الازرق أن رسول الله ﷺ لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس الحديث وله فى الأوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف عن أنس أن النبى ﷺ كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز و يشرب عليه ماء وعسلا ولابى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبى ﷺ احتجم بعد ماسم وفيه جابر الجعفى ضعفه الجمهور (٢) حديث كان اذا نزل عليه الوحى صدعه رأسه فيغلفه بالحناء البزار وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة وقد اختلف فى اسناده على الاحوص بن حكيم كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء الترمذى وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذى غريب (٣) حديث جعل على قرحة خرجت بيده ترابا البخارى ومسلم من حديث عائشة كان اذا اشتكى الانسان الشئ منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبى ﷺ بيده هكذا و وضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا

بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس الى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه فيصير فى مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة (ثم) ينازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال (ثم) يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد الى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتداركه الله عبده بالمعونة

الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالكي إلا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك (١) نهى رسول الله ﷺ عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت ثم تاب من ذلك وأناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله ألم تر الى الملائكة التي كان أكرمني الله بها قد ردها الله تعالى علي بعد ان كان أخبره بفقدها فاذا الكي ومايجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم و يدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها والله أعلم

## ﴿ بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال و يدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله ﷺ ﴾

اعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي أيضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله ﷺ اذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما أريد وقيل لأبي الدرداء في مرضه ماتشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا ألا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم علي منهما وكان الربيع بن خثيم أصابه فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيأ وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله و ينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذا منهم من ترك التداوي ورآه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله ﷺ وأفعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان لترك التداوي أسبابا ﴿السبب الأول﴾ أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى أجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هن أختاك وانما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله ﷺ تداوى وأمر به ﴿السبب الثاني﴾ أن يكون المريض مشغولا بحاله و بخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام أبي الدرداء اذ قال انما أشتكي ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته أو كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من

فتصير المراقبة مقاما بعد أن كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره إلا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار و يظهر بالتجلي ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقي من عين اليقين الى حق اليقين وحق اليقين نازل يخرق

(١) حديث نهى رسول الله ﷺ عن الكي دون الرقى البخاري من حديث ابن عباس وأنهى أمتي عن الكي وفي الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله ﷺ في الرقية من كل ذي حمة

الجوع ولاطعنا فيمن أكل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ماالقوت فقال هو ذكر الحي القيوم فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها ﴿السبب الثالث﴾ أن تكون العلة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكى والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى أى ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك فى نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك فى ان الطبيب المجرب أشد اعتقادا فى الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عنده شيأ موهوما لا أصل له وذلك صحيح فى بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح فى البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تعمقا فى الأسباب كالكى والرقى فيتركه توكلا ﴿السبب الرابع﴾ أن يقصد العبد بترك المتداوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال ﷺ (١) نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفى الخبر (٢) ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز لا يربد ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا وفى حديث (٣) من طريق أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال ﷺ (٤) تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شئ جسما وأمرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففى الخبر (٥) ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فانه فى وثاقى ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتى وقال ﷺ (٦) أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوى

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم بنحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه الحديث الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف (٣) حديث من طريق أهل البيت ان الله إذا أحب عبدا ابتلاه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده وللطبرانى من حديث أبى عنبة إذا أراد الله بعبد خيرا ابتلاه واذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة والبيهقى فى الشعب من حديث أبى فاطمة وهو صدر حديث ان الرجل ليكون له المنزلة عند الله الحديث وقد تقدم (٥) حديث ان الله يقول للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمل فانه فى وثاقى الحديث الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس تقدم ولم أجده مرفوعا

شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة (وقد) قال رسول الله ﷺ اللهم انى أسألك إيمانا يباشر قلبى (قال) سهل ابن عبد الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجويف الثانى ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل فى القلب مثل النظر فى العين وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذى فى سواد العين ومنه تنبعث الاشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التى خرقت شغاف القلب

وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يعجب من ذلك و يقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما * وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيأ من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسئل عنه لم أخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ﴿السبب الخامس﴾ أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال ﷺ (١) لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الارض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة وفى الخبر (٢) حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى فى جميعها و يجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم (٣) ولما ذكر ﷺ كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال ﷺ (٤) من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان من الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه فيما به أرحمه أى به أكفر ذنوبه وأزيد فى درجاته ﴿السبب السادس﴾ أن يستشعر العبد فى نفسه مبادى البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الامل والتسويف فى تدارك الفائت وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصى وأقلها أن تدعو الى التنعم فى المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات و إذا أراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة وقد روى ان الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس به من أحب من خلقى فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من يخاف

(١) حديث لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الارض كالبردة ما عليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث أبى الدرداء نحوه وقال الصداع بدل الحمى وللطبرانى فى الاوسط من حديث أنس مثل المريض إذا صح و برأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفائها ولونها وأسانيده ضعيفة (٢) حديث حمى يوم كفارة سنة القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال ليلة بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما الحديث وسأل ذلك طائفة من الانصار أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد أن رجلا من المسلمين قال يارسول الله أرأيت هذه الامراض تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال أبى وان قلت قال فان شوكة فما فوقها قال فدعا أبى أن لا يفارقه الوعك حتى يموت الحديث وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبى بن كعب انه قال يارسول الله ما جزاء الحمى قال تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم انى أسألك حمى لا تمنعنى خروجا فى سبيلك ولا خروجا إلى بيتك ولا لمسجد نبيك الحديث والاسناد مجهول قاله على بن المدينى (٤) حديث من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة تقدم المرفوع منه دون قوله فلقد كان فى الانصار من يتمنى العمى

---

ووصلت إلى سو بدائه وهى حق اليقين هى أسنى العطايا وأعز الاحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الآجر من التراب اذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هى الاول والاصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهى آخر الفروع ولما كان الاصل فى الاحوال هذه الحالة وهى أشرف الاحوال وهى محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد أحوالا لانها غير مقدورة للعبد بكسبه فاطلقوا القول وتداولت ألسنة الشيوخ أن المقامات مكاسب والاحوال

ذلك على نفسه فالعافية فى ترك المعاصى فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عزوجل فانت فى عافية وان كنت قد عصيته فاى داء أدوأ من المعصية ماعوفى من عصى الله وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق فى يوم عيد ماهذا الذى أظهروه قالوا ياأمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لايعصى الله عزوجل فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون أنا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة يوما لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقال ﷺ (١) أكثروا من ذكر هاذم اللذات وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف وقال تعالى ـ أولايرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون قيل يفتنون بامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت ياغافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص فى نفس أومال وقالوا لايخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية حتى روى ان عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبى ﷺ (٢) عرض عليه امرأة فحكى من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل وانها مامرضت قط فقال لاحاجة لى فيها (٣) وذكر رسول الله ﷺ الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ماأعرفه فقال ﷺ اليك عنى من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد فى الخبر (٤) الحمى حظ كل مؤمن من النار وفى حديث (٥) أنس وعائشة رضى الله عنهما قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفى لفظ آخر الذى يذكر ذنوبه فتحزنه ولاشك فى أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة فى زوالها إذ رأوا لانفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك ﷺ

﴿ بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال ﴾

فلو قال قائل انما فعله رسول الله ﷺ ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغى أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ان ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أوالحية فلاينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاى فرق بينهما فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغى أن لايزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لاقائل به ولافرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ماروى عن عمر رضى الله عنه وعن

(١) حديث أكثروا ذكر هاذم اللذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل فانها مامرضت قط فقال لاحاجة لى فيها أحمد من حديث أنس بنحوه باسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله ﷺ الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ماأعرفه فقال اليك عنى الحديث أبو داود من حديث عامر الرام أخى الخضر (١) بنحوه وفى اسناده من لم يسم (٤) حديث الحمى حظ كل مؤمن من النار البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبى امامة والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف و باقيها حسان (٥) حديث أنس وعائشة قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة لم أقف له على اسناد

(١) الخضر بطن من محارب بن خصفة

السموات ومتنزل البركات وهذه الاحوال لايتحقق بها الاذواق سماوى (قال بعضهم) الحال هو الذكر الخفى وهذا اشارة الى شئ مماذكرناه (وسمعت المشايخ بالعراق) يقولون الحال مامن الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا مامن العبد فاذا لاح للمريد شئ من المواهب والمواجيد قالوا هذا مامن الله وسموه حالا اشارة منهم الى أن الحال موهبة (وقال) بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال (وقال بعضهم) الاحوال كالبروق فان بقى فحديث النفس وهذا لايكاد يستقيم على الاطلاق وانما

مواهب وعلى الترتيب الذى درجنا عليه كلها مواهب إذ المكاسب محفوفة بالمواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب وفى الاحوال بطن الكسب وظهرت المواهب فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها وقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه سلونى عن طرق السموات فانى أعرف بها من طرق الارض اشارة الى المقامات والاحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا وهى طرق

الصحابة فى قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بأيدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم ـ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ـ فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفر من قدر الله تعالى قال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندى فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله ﷺ فقال عمر الله أكبر فقال (١) عبد الرحمن سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه واذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من شروط التوكل *فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء وسبب الوباء فى الطب الهواء وأظهر طرق التداوى الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه *فاعلم أنه لا خلاف فى أن الفرار عن المضر غير منهى عنه اذ الحجامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل فى أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن الذى ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير فى الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الأثر الذى استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لأنه انضاف اليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للاصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد الا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الاصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه فهذا هو الذى ينقدح عندنا فى تعليل النهى وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء فى باطنهم ولا بأهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق بالبلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا (٢) شبه الفرار من الطاعون فى بعض الأخبار بالفرار من الزحف لأن فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعيا فى اهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد فى مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك *فان قلت ففى ترك التداوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله ﷺ التداوى لينال الفضل* فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين

(١) حديث عبد الرحمن بن عوف اذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه الحديث وفى أوله قصة خروج عمر بالناس الى الجابية وانه بلغهم أن بالشام وباء الحديث رواه البخارى (٢) حديث تشبيه الفرار من الطاعون بالفرار من الزحف رواه أحمد من حديث عائشة باسناد جيد ومن حديث جابر باسناد ضعيف وقد تقدم

أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى أو كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله ﷺ بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال إلا إلى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كمالا فهي أيضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله ﷺ استواء المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا (١) وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لأمته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخال الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث انه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده كحكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون أفضل في بعض وأن ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

﴿بيان أحوال المتوكلين في اظهار المرض وكتمانه﴾

اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه و بين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة ﴿الاول﴾ أن يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها و يقول انما أصف قدرة الله تعالى فيّ ﴿الثاني﴾ أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى ﴿الثالث﴾ أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة و يستبعد منه العجز كما روي أنه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أتجلد على الله فاحب أن يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبي ﷺ اياه حيث (٢) مرض علي كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له ﷺ لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء الا بضرورة و يصير الاظهار

(١) حديث انه عرضت عليه خزائن الارض فأبى ان يقبلها تقدم ولفظه عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (٢) حديث مرض علي فسمعه رسول الله ﷺ وهو يقول اللهم صبرني

يكون ذلك في بعض الاحوال فانها ساطرق ثم تستلبها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء (وذهب) بعضهم الى أن الاحوال لا تكون الا اذا دامت فاما اذا لم تدم فهي لوائح وطوالع و بوادر وهي مقدمات الاحوال وليست باحوال (واختلف المشايخ) في أن العبد هل يجوزله أن ينتقل الى مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل احكام حكم مقامه (قال بعضهم) لا ينبغي أن ينتقل عن الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل المقام الذي هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي الى مادونه من

شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الاولى تركه لأنه ربما يوهم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لأن الاستراحة الى الدواء أفضل من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فأوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يارب أتوب إليك وروى عن طاوس ومجاهد أنهما قالا يكتب على المريض أنينه في مرضه وكانوا يكرهون أنين المرض لأنه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما أصاب ابليس لعنه الله من أيوب عليه السلام الا أنينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر (١) إذا مرض العبد أوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله وأثنى بخير دعواله وان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب وبشر وكان فضيل يقول أشتهي أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة الا لأجل العواد رضي الله عنه وعنهم أجمعين * كمل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والله سبحانه وتعالى الموفق

﴿ كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس
من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات الى زخرف الدنيا ونضرته وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما أغبر في وجه العقل و بصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الأيمان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثال ولما أنكروا المحبة أنكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط

---

على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (١) حديث اذا مرض العبد أوحى الله الى الملكين انظرا ما يقول لعواده الحديث تقدم

﴿ كتاب المحبة والشوق والرضا ﴾

المقام فيحكم أمر مقامه والاولى أن يقال والله أعلم الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الاعلى الذي سوف يرتقي اليه فبوجد ان ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشئ الى العبد أنه يرتقي أولا يرتقي فان العبد بالاحوال يرتقي الى المقامات والاحوال مواهب ترقى الى المقامات التي يمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرقى الى المقامات بزائد الاحوال فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف فضيلة الا فيها حال ومقام

فى الانس ثم القول فى معنى الرضا و بيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصى لاتناقضه وكذا الفرار من المعاصى ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذه جميع بيانات هذا الكتاب

﴿ بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى ﴾

اعلم أن الامة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فرض وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلابدو أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب و يدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عزوجل ـ يحبهم و يحبونه ـ وقوله تعالى ـ والذين آمنوا أشد حبا لله ـ وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله من شرط الايمان فى أخبار كثيرة إذ قال (١) أبورزين العقيلى يارسول الله ماالايمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وفى حديث آخر (٢) لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفى حديث آخر (٣) لايؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين و فى رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى ـ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم و إخوانكم ـ الآية وانما أجرى ذلك فى معرض التهديد والانكار وقد أمر رسول الله ﷺ بالمحبة فقال (٤) أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله اياى و يروى (٥) أن رجلا قال يارسول الله انى أحبك فقال ﷺ استعد للفقر فقال انى أحب الله تعالى فقال استعد للبلاء وعن (٦) عمر رضى الله عنه قال نظر النبى ﷺ الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبى ﷺ انظروا الى هذا الرجل الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون وفى الخبر المشهور (٧) أن ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى اليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال ياملك الموت الآن فاقبض وهذا لايجده الاعبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا ﷺ فى دعائه (٨) اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب مايقربنى الى حبك واجعل حبك أحب الىّ من الماء البارد (٩) وجاء اعرابى الى النبى ﷺ فقال يارسول الله متى الساعة قال ماأعددت لها فقال ماأعددت لها كثير صلاة ولاصيام الا أنى أحب الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ المرء مع من أحب

وفى الزهد حال ومقام وفى التوكل حال ومقام وفى الرضا حال ومقام قال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته أشار الى الرضا ويكون منه حالا ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولايزال العبد يتنوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار اوّلا (قال) بعضهم الزجر هيجان فى القلب لايسكنه الا الانتباه من الغفلة فيرده الى اليقظة فاذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ وقال بعضهم الزجر ضياء فى القلب يبصر به خطأ قصده والزجر فى مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من

(١) حديث أبى رزين العقيلى انه قال يارسول الله ماالايمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما أخرجه أحمد بزيادة فى أوله (٢) حديث لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس بلفظ لايجد أحد حلاوة الايمان حتى أكون أحب اليه من أهله وماله وذكره بزيادة (٣) حديث لايؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفى رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخارى من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يارسول الله لأنت أحب الىّ من كل شئ الا نفسى فقال لاوالذى نفسى بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال عمر فأنت الآن والله أحب الىّ من نفسى فقال الآن ياعمر (٤) حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه الحديث الترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث ان رجلا قال يارسول الله انى أحبك فقال استعد للفقر الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ فأعد للفقر تجفافا دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبى ﷺ الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به الحديث أبو نعيم فى الحلية باسناد حسن (٧) حديث ان ابراهيم قال لملك الموت اذ جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلا يقبض خليله الحديث لم أجد له أصلا (٨) حديث اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابى يارسول الله متى الساعة قال ماأعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبى موسى وابن مسعود بنحوه

قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عزوجل فقال أنتم المقربون أنتم المقربون أنتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه عزوجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ إلهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا أخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لأمرك ومشغوفا بقولك ولما طرشاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

﴿ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى ﴾

اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى * فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك إذ لا يحب الانسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لابد من معرفته ﴿الأصل الثاني﴾ ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لامحالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح

الطيبة

طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التائب حال الزجر وهي موهبة من الله تعالى تقوده الى التوبة ولا يزال بالعبد ظهور هوى النفس يمحوه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاما وهكذا في الزهد لايزال يتزهد بنازلة حال تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتقبح له الاقبال عليها فتمحو أثر حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا تزال نازلة حال التوكل تقرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على

الطيبة ولذة الذوق فى الطعوم ولذة اللمس فى اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أى كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله ﷺ (١) حبب الىّ من دنيا كم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عينى فى الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لايدركه الامن كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لايدرك بالحواس ولايتمثل فى الخيال فلايحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وماتميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلامشاحة فيه وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولامعنى للحب الا الميل الى مافى ادراكه لذة كماسيأتى تفصيله فلاينكر اذاحب الله تعالى الامن قعدبه القصور فى درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا ﴿الأصل الثالث﴾ ان الانسان لايخفى أنه يحب نفسه ولايخفى أنه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصوّر أن يحب غيره لذاته لالأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لايتصوّر أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك متصوّر وموجود فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأوّل عند كل حى نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن فى طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب وأى شئ أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده وأى شئ أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لالمجرد مايخافه بعد الموت ولالمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولاعقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولايحب الموت والعدم المحض الالمقاساة ألم فى الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت فى الصفات وكمال الوجود كما أنه ممقوت فى أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة فى الطباع بحكم سنة الله تعالى ـ ولن تجد لسنة الله تبديلا ـ فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه أيضا آلة فى دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب * فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لايناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه فى الوجود بعد عدمه فيكون فى بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع فى بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لامحالة فاذا المحبوب الاول عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أوّل الاسباب * السبب الثانى الاحسان فان الانسان عبد الاحسان

الرضا ويصير ذلك مقامه وههنا لطيفة وذلك ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ولا يحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة يجدها الراضى بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يغمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع فى وجود الكراهية المغمورة بالعلم لايخرجه عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لان الحال لما تجردت موهبة أحرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام فى الرضا ولا يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام

(١) حديث حبب الى من دنيا كم ثلاث الطيب والنساء الحديث النسائى من حديث أنس دون قوله ثلاث وقد تقدم

وقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها وقال رسول الله ﷺ (١) اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي اشارة الى أن حب القلب للمحسن اضطرار لايستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لاسبيل الى تغييرها و بهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لاقرابة بينه و بينه ولاعلاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا أن الفرق ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة و بين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لالذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والافكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو ازداد ازداد و يتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه * السبب الثالث أن يحب الشئ لذاته لالحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لالغيرها ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لايتصور الالاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لاليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد (٢) كان رسول الله ﷺ يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لامحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله ﷺ (٣) ان الله جميل يحب الجمال

﴿الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال﴾ اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لامعنى للحسن والجمال الاتناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار وأكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن أن ماليس مبصرا ولامتخيلا ولامتشكلا ولامتلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولاعلى تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الافي الصورة ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة ومامن

(١) حديث اللهم لاتجعل لكافر على يدا فيحبه قلبي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يعجبه الخضرة والماء الجاري أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان يحب أن ينظر الى الخضرة والى الماء الجاري واسناده ضعيف (٣) حديث ان الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود

أثبت نقول لان المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كانت موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع فحال الرضا أصلف ومقام الرضا أمكن ولا بد للمقامات من زائد الاحوال فلا مقام الا بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الاحوال (وأما الاحوال) فمنها ما يصير مقاما ومنها مالا يصير مقاما والسر فيه ماذكرناه أن الكسب في المقام ظهر والموهبة بطنت وفي الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان في الاحوال الموهبة غالبة لم تتقيد وصارت الاحوال الى مالانهاية لها ولطف سني الاحوال ان

شئ من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلابد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شئ فجماله وحسنه فى أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شئ كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شئ فى كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاوانى بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء * فان قلت فهذه الاشياء وان لم تدرك جميعها بحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهى محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك فى غير المدرك بالحواس * فاعلم أن الحسن والجمال موجود فى غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وأن الامر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى أن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى امامه ومتبوعه فكم من دم أريق فى نصرة أرباب المذاهب وليت شعرى من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذى حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات فى العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضى الله عنه ويفضله على غيره أو يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده وأطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقى ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات المحمودة التى هى مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذا علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذى لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود فى السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السير الجميلة وهى الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبى المخلى وطبعه اذا أردنا أن نحبب اليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب فى وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك فى نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبغض أبى جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب فى وصف المحاسن والمقابح التى لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة أحبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك فى بعض أقطار الارض

يصير مقاما ومقدورات الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو أعطيت روحانية عيسى ومكالمة موسى وخلة ابراهيم عليه السلام لطلبت ماوراء ذلك لان مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الانبياء ولا تعطى الاولياء ولكن هذه اشارة من القائل الى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى لان سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام كل يوم لم أزدد فيه علما فلا بورك لى فى صبيحة

العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأى الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن فى نفسه محبوب وان كان لاينتهى قط احسانه إلى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة و باطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لايدركها ولا يلتذبها ولايحبها ولايميل إليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعانى الباطنة أكثر من حبه للمعانى الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة و بين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة ﴿السبب الخامس﴾ المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذرب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أوحظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال ﷺ (١) فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك فى كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب فى الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع أقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله و بقائه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده و يعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا فى نفسه إلى الناس وان لم يكن محسنا إليه وحبه لكل ماهو جميل فى ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه و بينه مناسبة خفية فى الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب فى شخص واحد تضاعف الحب لامحالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالامحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال فى نفسها فان كانت هذه الصفات فى أقصى درجات الكمال كان الحب لامحالة فى أعلى الدرجات فلنبين الآن أن هذه الاسباب كلها لايتصور كمالها واجتماعها الا فى حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى

﴿ بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده ﴾

وان من أحب غير الله لامن حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى وحب الرسول ﷺ محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه ٭ وايضاحه بان نرجع إلى الاسباب الخمسة التى ذكرناها ونبين انها مجتمعة فى حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد فى غيره الا آحادها وانها حقيقة فى حق الله تعالى ووجودها فى حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا و بان أن التحقيق يقتضى أن لاتحب أحدا غير الله تعالى ٭ فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه و بقاءه وكماله ودوام وجوده و بغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حى ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لاوجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله والى الله و بالله فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لاوجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته و بالجملة فليس فى الوجود شئ له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ماسواه قائم به فان أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لايحبه فهو لجهله بنفسه و بربه والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم

(١) حديث فما تعارف منها ائتلف مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى آداب الصحبة

ذلك اليوم وفى دعائه ﷺ اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانا أرغب إليك وأسألك إياه فاعلم أن مواهب الحق لاتنحصر والأحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد أعداد الرمال دون أعدادها والله المنعم المعطى

﴿ الباب التاسع والخمسون فى الاشارات الى المقامات على الاختصار والايجاز ﴾

أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أنا أبو منصور بن خيرون اجازة

بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التى بها قوام الظل وكل ما فى الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لارباب القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الابصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه أولا ودوامه ثانيا فى أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضا ضرورى ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذى يشاركه البهائم فى التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطأ أرضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه فى الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم وأما السبب الثانى وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه فى نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فلست أعدها اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى ـ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه فى كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذى أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذى حببك اليه وصرف وجهه اليك وألقى فى نفسه أن صلاح دينه أو دنياه فى الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرر فى نفسه أن صلاح دينه أو دنياه فى أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا فى التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذى اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فى ذلك اضطرار مجرى الماء فى جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه أما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له فى البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما أن الانسان لا يلقى ماله فى البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه فى يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فلست مقصودا بل يدك آلة له فى القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك فى القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك أصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعى عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة

قال أنا أبو محمد الحسن بن على ابن محمد الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر ومحمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال أنا الحسين ابن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الهيثم بن جميل قال أنا كثير ابن سليم المدائنى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبى ﷺ رجل فقال يارسول الله انى رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى فقال له رسول الله ﷺ أين أنت من الاستغفار فانى أستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة (وروى) أبو هريرة رضى

والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني أنه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الانسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته * وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك و بلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق أولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة إلا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله ﷺ أو الصديق رضي الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن



الله عنه في حديث آخر فاني لاستغفر الله وأتوب اليه في كل يوم مائة مرة (وروى) أبو بردة قال قال رسول الله ﷺ انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال الله عز وجل ان الله يحب التوابين وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا * التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي أول المقامات وهي بمثابة الارض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له واني بمبلغ علمي وقدر وسعي وجهدي

الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن
شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع
حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا
المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى
فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقارب به ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا
جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع الى ثلاثة أمور * أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله
وشرائع أنبيائه * والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة * والثالث تنزههم عن
الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء
والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى ﴿أما العلم﴾
فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم الا قليلا - بل لو اجتمع
أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا
يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى - خلق
الانسان علمه البيان - فان كان جمال العلم وشرفه أمرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي أن
يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه
استحال أن يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت
بين علم الله وبين علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا
بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم
الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية ﴿وأما صفة القدرة﴾ فهي أيضا
كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع
في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران
فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب
ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فأعظم الاشخاص قوة وأوسعهم
ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة
غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الامور
وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه
من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة
متعلق قدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها
ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من
نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط
بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في أعظم
ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه في جزء
من الأرض والأرض كلها مدرة بالاضافة الى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة
من تلك المدرة ثم تلك الغبرة أيضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته
وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار

اعتبرت المقامات
والاحوال وثمرتها
فرأيتها بجمعها
ثلاثة أشياء بعد
صحة الايمان
وعقوده وشروطه
فصارت مع الايمان
أربعة ثم رأيتها
في افادة الولادة
المعنوية الحقيقية
بمثابة الطبائع
الاربع التي جعلها
الله تعالى باجراء
سنته مفيدة
للولادة الطبيعية
ومن تحقق بحقائق
هذه الاربع يلج
ملكوت السموات
ويكاشف بالقدر
والآيات ويصير له
ذوق وفهم لكلمات
الله تعالى المنزلات
ويحظى بجميع
الاحوال والمقامات
فكلها من هذه
الاربع ظهرت
وبها تهيأت
وتأكدت فأحد
الثلاث بعد
الايمان التوبة
النصوح والثاني

الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الاعمال القلبية والقالبية من غير فتور وقصور ثم يستعان على اتمام هذه الاربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام والاعتزال عن الناس واتفق العلماء الزهدون والمشايخ على أن هذه الاربع بها تستقر المقامات وتستقيم الاحوال وبها صار الابدال أبدالا بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح ان سائر المقامات تندرج في صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها أولها بعد الايمان

القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر الا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصوّر ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلا ﴿ وأما صفة التنزه ﴾ عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه الله وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقدس والتنزه في حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصانا كما أن للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ندّ له الفرد الذي لا ضدّ له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الأزلي الذي لا أوّل لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوّة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين (١) لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا أينكر أن هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أودّ الاوداء اليّ من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من أظلم ممن عبدني لجنة أونار لولم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حباله وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم اني لاستحي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير

(١) حديث لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم

السوء

السوء ان لم يعط لم يعمل وفى الخبر (١) لا يكونن أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل (وأما) السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشئ منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما استقصيناه فى باب الاخوة فى الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي فى معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع فى مال أو غيره كما أشار اليه النبى ﷺ اذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة فى الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما مالا يجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى فهى التى يومئ اليها قوله تعالى ـ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ اذ بين انه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى ـ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ـ ولذلك أسجد له ملائكته ويشير اليه قوله تعالى ـ انا جعلناك خليفة فى الارض ـ اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله ﷺ (٢) إن الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة (٣) بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته وجدتنى عنده وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى (٤) لا يزال يتقرب العبد الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر و إلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالوا هو الإله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد فى قول القائل

لازلت أنزل من ودادك منزلا ✽ تتحير الألباب عند نزوله

فلم يزل يعدو فى وجده على أجمة قد قطع قصبها و بقى أصوله حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فهذه هى المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى أعلى الدرجات لا فى أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر

(١) حديث لا يكونن أحدكم كالأجير السوء ان لم يعط أجراً لم يعمل لم أجد له أصلا (٢) حديث ان الله خلق آدم على صورته تقدم (٣) حديث قوله تعالى مرضت فلم تعدنى فقال وكيف ذاك قال مرض فلان الحديث تقدم (٤) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخارى من حديث ابى هريرة وقد تقدم

التوبة وهى فى مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال ولا بد فى ابتدائها من وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعالى على ما تقرر ان الاحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها قال رجل لبشر الحافى مالى أراك مهموما قال لانى ضال ومطلوب ضللت الطريق والمقصد وأنا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة أدركتنى وليس لى منها خلاص إلا أن أزجر فانزجر وقال الاصمعى رأيت اعرابيا بالبصرة يشتكى عينيه وهما يسيل منهما

حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا تتطرق الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أصلا

﴿ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة ﴾

اعلم أن اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها المقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا أثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له أكثر لان لذته فيه أعظم فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف

الماء فقلت له ألا تمسح عينيك فقال لا لان الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا ينزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ولابد من وجودها للتائب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه (وقال) أبو يزيد علامة الانتباه خمس اذا ذكر نفسه افتقر واذا ذكر ذنبه استغفر واذا ذكر الدنيا اعتبر واذا ذكر الآخرة استبشر واذا ذكر المولى اقشعر (وقال) بعضهم الانتباه أوائل دلالات الخير اذا انتبه العبد من رقدة غفلته اداه ذلك الانتباه إلى التيقظ فاذا تيقظ ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد

وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أن العلم لذيذ وان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الجمال الفائق للذة النظر الى مادونه في الجمال وانما نعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما أن لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية ألذ من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وانه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لابد من اتيانه مهما أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وانما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما أن يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة ألف

فيطلب واذا طلب عرف أنه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حال التيقظ (قال) فارس أوفى الاحوال التيقظ والاعتبار (وقيل) التيقظ تبيان خط المسالك بعد مشاهدة سبيل النجاة (وقيل) إذا صحت اليقظة كان صاحبها في أوائل طريق التوبة (وقيل) اليقظة خردة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب التوبة فاذا تمت يقظته نقل بذلك الى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج الى المحاسبة ولا تستقيم التوبة الا بالمحاسبة (نقل) عن أمير

شهيد وفي الخبر (١) ان الشهيد يتمنى في الآخرة أن يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى أن يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الاشياء وأنه لا لذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخي له أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان قلت فأنت قال علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فأباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاكا * فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواكا * وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراكا

المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فالمحاسبة بحفظ الانفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات ويعلم العبد ان الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم والليلة رحمة منه لعلمه سبحانه بعبده واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستعبده الهوى وتسترقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس الى مواطن العبودية لاداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل

(١) حديث ان الشهيد يتمنى أن يرد في الآخرة الى الدنيا ليقتل مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لاحسانه إليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها (١) رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل بعض هذه اللذات فى الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم انى أقول يارب يا ألله فأجد ذلك على قلبى أثقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادى جليسه وقال اذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون مايقوله جنونا أو كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهى قرة العين التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه و بلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية وليت شعرى من لم يفهم الاحب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولاشكل وأى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قاله بعضهم

كانت لقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا الا ايثار لذة القلب فى معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته فى لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق فى لذاتهم ماذكره وهو أن الصبى فى أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ماقبلها فى الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهى آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ماقبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب فى سن التمييز وحب النساء والزينة فى سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهى الغاية العليا وكما أن الصبى يضحك على من يترك اللعب و يشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة و يشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

﴿ بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا ﴾

اعلم أن المدركات تنقسم إلى مايدخل فى الخيال كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات والى مالايدخل فى الخيال كذات الله تعالى وكل ماليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله كأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئى صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى فى وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لاتفارق احدى الحالتين الأخرى الا فى مزيد

وقد تقدم وليس فيه وان الشهداء يتمنون أن يكونوا علماء الحديث (١) حديث قال ﷺ حاكيا

صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولايدخل فى الصلاة الا بعد حل العقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت فى القلب نكتة سوداء وتعقد عليه عقدة والمتفقد المحاسب يهيئ الباطن للصلاة بضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك لصلاته نور يشرق على أجزاء وقته الى الصلاة الأخرى فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته ووقته منورا معمورا بنور صلاته وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات فى قرطاس ويدع بين كل صلاتين

الانكشاف فاذا الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لالأنه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلا استحق أن يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لاتتشكل أيضا في الخيال لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولابد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ومالم ترتفع كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وماغلب عليها من الصفات البشرية فانها لاتنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام لن تراني وقال تعالى لاتدركه الابصار أي في الدنيا والصحيح (١) أن رسول الله ﷺ مارأى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ماتراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلاتقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك ومنها مالم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة (٢) وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة مّا وان قلت ولذلك قال الله تعالى وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فاذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها و بلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ماوعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لايرهق وجهه غبرة ولاقترة لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ماعلمه كانكشاف تجلي المرآة بالاضافة الى ماتخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط أن لايفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخييل وتصوّر وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا

---

عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت الحديث البخاري من حديث أبي هريرة (١) حديث انه ﷺ مارأى الله تعالى ليلة المعراج على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة ففي الصحيحين انها قالت من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب* ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي ﷺ وحديث أبي ذر قال فيه أحمد مازلت له منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شئ مع ان في رواية لاحمد في حديث أبي ذر رأيته نورا انى أراه ورجال اسنادها رجال الصحيح (٢) حديث ان أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي الحديث وفيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم

---

بياضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطا وكلما تكلم أو تحرك فيما لايعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه لتضيق المحاسبة مجاري الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لموضع صدقه في حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة (قال) الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته * وسئل الواسطي أي الاعمال أفضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل أحدهما بالآخر وبهما تستقيم التوبة والمراقبة

اختلاف الامن حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هي بعينها لا تفترق منها الا في زيادة الكشف كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لامحالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام (١) ان الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة فلا ينبغي أن يظن ان غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لامحالة بتجل انفرد به وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان * فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها * فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فالعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل أكمل لامحالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت

---

خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة واسناده ضعيف (١) حديث ان الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن المحاملي عن علي بن عبدة وقال الدارقطني ان علي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات

---

والرعاية حالان شريفان ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف أبي بكر الشيرازي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسن الفارسي يقول سمعت الجريري يقول أمرنا هذا مبني على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة قال الله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت

شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق فى ظلمة أومن وراء ستر رقيق أومن بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فقدّر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته فى حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو فى هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقى سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى اليها نسبة يعتدّ بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس فى الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الأعلى والتفاتها الى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبى عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت فى الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصوّر أن يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق فى بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة فى هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال فى المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالاحاطة بكنه جلال الله محال فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر النعيم فى الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا فى الدنيا ولا يزرع الا فى صعيد القلب ولا حصاد الا فى الآخرة ولهذا قال رسول الله ﷺ (١) أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله لأن المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع فى العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعى ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا فى المعرفة بالغا الى منتهى ما يسرله ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت أحبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان * فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين فى الآخرة * فاعلم أن الناس قد اختلفوا فى ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون

وهذا هو علم القيام وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان وهو أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لان الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الاعمال لان الخواطر تحقق ارادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك الا بتحرك القلب بالارادة وبالمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لأن من حصر الخواطر كفى مؤنة الجوارح لأن بالمراقبة اصطلام عروق ارادة المكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك

من حديث جابر وأبى بردة وعائشة (١) حديث أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله ابراهيم الحربى فى كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن المطلب عن أبيه عن النبى ﷺ قال السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله والد المطلب عبد الله بن حوطب مختلف فى صحبته ولأحمد من حديث جابر ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذى من حديث أبى بكرة ان رجلا قال يارسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم

الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهى رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت الى أن رؤيته تخلق فى عينه أو فى جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين هذا فى حكم الجواز فأما الواقع فى الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين (١) ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة فى الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله تعالى أعلم

﴿بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى﴾

اعلم ان أسعد الخلق حالا فى الآخرة أقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهى الى الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذى لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء ـ وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ـ وكمال الحب فى أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء فى الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم ـ وبقوله تعالى ـ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ـ بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أى لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وقال ﷺ أبغض اله عبد فى الارض الهوى ولذلك قال عليه السلام (٢) من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبد الآباد فأحد أسباب ضعف حب الله فى القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات حتى ان المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيأ الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الانسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافا أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها أحد ركنى المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد فى الدنيا وفى المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله

(١) حديث رؤية الله فى الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبى هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة تقدم

ما انفلت من المراقبة (أخبرنا) أبو زرعة عن ابن خلف عن السلمى قال سمعت أباعثمان المغربى يقول أفضل ما يلزم الانسان فى هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل بالعلم واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابراهيم بن أدهم إذا صدق العبد فى توبته صار منيبا لأن الانابة ثانى درجة التوبة (وقال) أبو سعيد القرشى المنيب الراجع عن كل شئ يشغله عن الله الى الله وقال بعضهم الانابة الرجوع منه اليه لا من شئ غيره فمن رجع من غيره اليه ضيع أحد طرفى الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه

وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام (١) الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة * السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجرى مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ـ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدل المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى ـ أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ـ وبقوله تعالى ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو ـ ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى ـ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ـ الآية وبقوله عز وجل ـ أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ـ وبقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله تعالى ـ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ـ وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة فاعلم أن الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب وأما الطريق الاسهل الادنى فأكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية إذ ما من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى ـ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ـ فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات السبع

من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحا لا وصف له قائما بين يدي الحق مستغرقا في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة * قال أبو سليمان ما استحسنت من نفسي عملا فأحتسبه (وقال) أبو عبد الله السجزي من استحسن شيأ من أحواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا أن يرجع الى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا ومن لم يزن نفسه بميزان الصدق فماله وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الأفعال من ضرورية صحة الانابة وهو في تحقيق مقام

(١) حديث الطهور شطر الايمان مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم

ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة والكرسى فى العرش كذلك فهذا انظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما أحقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما أصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله ﷺ (١) الارض فى البحر كالاصطبل فى الأرض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمى المخلوق من التراب الذى هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة إلى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر مانعرفه من الحيوانات البعوض والنحل ومايجرى مجراه فانظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فانبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب فى سائر الحيوانات هذا فى شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه فى واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى الى باطنه وينتشر فى سائر أجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى أن حدقة كل حوان صغير لما لم تحتمل حدقته الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه وأما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذى يلحق الحدقة ويرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه فى بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضىء فلايزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمى فى الاكباب على الشهوات الدنيا صورة الفراش فى التهافت على النار اذ تلوح للآدمى أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولايدرى أن تحتها السم الناقع القاتل فلايزال يرمى نفسه عليها الى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمى كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله ﷺ ويقول (٢) انى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش فهذه

(١) حديث الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض لم أجد له أصلا (٢) حديث انى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش متفق عليه من حديث أبى هريرة مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه لفظ مسلم واقتصر البخارى على أوله ولمسلم من حديث جابر وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدى

التوبة ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة ولا يصدق العبد فى المجاهدة إلا بوجود الصبر (وروى) فضالة ابن عبيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك إلا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقاب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفضل كالصبر على أداء المفترضات والصبر عن المحرمات ومن الصبر الذى هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الاولى وكتمان المصائب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتم المنح

لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى فى أصغر الحيوانات وفيها من العجائب مالواجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته فاماخفايامعانى ذلك فلايطلع عليها الاالله تعالى ثم فى كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لايشاركه فيهاغيره فانظر الى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لوتأملت عجائب أمرها فى تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها للواحد من جملتها هو أكبرها شخصا وهو أميرها ثم ماسخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ماوقع منها على نجاسة لقضيت منها عجبا آخر العجب ان كنت بصيرا فى نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلاتبنى بيتا مستديرا ولامربعا ولامخمسا بل مسدسا لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو أن أوسع الاشكال وأحواها المستديرة ومايقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولاشكل فى الاشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لايبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وماهو محتاج اليه ليتهنأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذى بلغه فهمنا القاصر منه تنقضى الاعمار دون ايضاحه ولانسبة لما أحاط به علمنا الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولانسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم الى مااستأثر الله تعالى بعلمه بل كل ماعرفه الخلق لايستحق أن يسمى علما فى جنب علم الله تعالى فبالنظر فى هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطرق يقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

## ﴿ بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب ﴾

اعلم أن المؤمنين مشتركون فى أصل الحب لاشتراكهم فى أصل المعرفة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة وفى حب الدنيا إذ الاشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والاسماء التى قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معانى يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولاتخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة فى قوله تعالى فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية فان كنت لاتفهم الأمور إلا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون فى معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامى يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجابه به وحبه له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لامحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل فى الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ماعظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامى قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لايدرى مافى التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف

واطلع

والكرامات ورؤية العبر والآيات ووجوه الصبر فرضا وفضلا كثيرة وكثير من الناس من يقوم بهذه الأقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفى الخواطر فاذا حقيقة الصبر كائنة فى التوبة كينونة المراقبة فى التوبة والصبر من أعز مقامات الموقنين وهو داخل فى حقيقة التوبة (قال بعض العلماء) أى شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كلامه فى نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيأ بهذا العدد وصحة التوبة تحتوى على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو أن لايصرفها فى

واطلع على مافيها من العجائب تضاعف حبه لامحالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لاساحل له فلاجرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لايتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

## ﴿ بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه ﴾

* اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى فكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلابد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لاتفهمه الا بمثال وهو انا إذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لانعرفه وصفاته الظاهرة لانعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لاتحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لاحصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا مالا يتصور في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادى بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان * أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لايخفى مثاله * والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق

معصية الله تعالى وهذا أيضا داخل في صحة التوبة * وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء (وروى) عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محمدة الناس والصبر على الخمول والتواضع والذل داخل في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات من مقام التوبة من المقامات السنية والاحوال وجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظاهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تزكيتها وتزكيتها

والاستنارة وفى غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى أنه لاضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث فى الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لاغروب لها لكنا نظن أنه لاهيئة فى الاجسام إلا ألوانها وهى السواد والبياض وغيرهما فانا لانشاهد فى الاسود الاالسواد وفى الابيض إلا البياض فاما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر فى نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين فى الدلالة ولكن دلالته عامة فى الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم فى الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب فى قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه فى حال اعتدال أمره لايرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس فى الوجود الاالله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلاينظر فى شئ من الافعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر فى شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لامن حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولامحبا إلا له وكان هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله بل لاينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذى يقال فيه انه فنى فى التوحيد وانه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام أو باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب فى قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله انما يدركها الانسان فى الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لايحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذى يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

بالتوبة فالنفس إذا تزكت بالتوبة النصوح زالت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر من وجود الشراسة للنفس وابائها واستعصائها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها الى اللين لان النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن فى مجارى الاقدار (قال أبو عبد الله) النباجى لله عباد يستحيون من الصبر ويتلقفون مواضع اقداره بالرضا تلقفا (وكان) عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالى سرور الامواقع القضاء قال رسول الله

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

## (بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلابد وأن ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر و بطريق الاخبار والآثار أما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق إليه في غيبته لامحالة فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف إلى أمر والموجود لا يطلب ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فأما ما لا يدرك أصلا فلا يشتاق إليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق إليه وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه و بقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه (والثاني) أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الأمور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى و يعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال ياابراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الآخرة * وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا أنه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبد الآباد وتكون لذة ما يتجدد

صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين وصاه اعمل لله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا (وفي الخبر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير ما أعطى الرجل الرضا بما قسم الله تعالى له فالاخبار والآثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفها أكثر من أن تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا الا بتخلفه عن التوبة النصوح فاذن تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين وهما كائنان في صلب التوبة النصوح

من لطائف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى مالم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف فى الدنيا أصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين أيديهم و بايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور و يحتمل أن يكون المراد به اتمام النور فى غير ما استنار فى الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى - انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا - يدل على ان الانوار لابد وان يتزود أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة اشراقا فاما أن يتجدد نور فلا والحكم فى هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه * وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثر من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله ﷺ [1] انه كان يقول اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء و برد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك وقال أبو الدرداء لكعب أخبرنى عن أخص آية يعنى فى التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائى وانى إلى لقائهم لأشد شوقا قال ومكتوب إلى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فقال أبو الدرداء أشهد أنى لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا و فى أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضى إنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جلسنى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وائنسوا بى أؤانسكم وأسارع إلى محبتكم فانى خلقت طينة أحبائى من طينة ابراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم و يشتاقون الىّ وأشتاق اليهم و يذكرونى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الىّ أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك و بين متأوه وشاك و بين قائم وقاعد و بين راكع وساجد بعينى ما يتحملون من أجلى و بسمعى ما يشتكون من حبى أوّل ما أعطيهم ثلاث أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد ان أعطيه وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألنى الشوق الىّ قال يارب من المشتاقون اليك قال إن المشتاقين الىّ الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الىّ خرقا ينظرون الىّ وانى لاحمل قلوبهم بيدى فاضعها على سمائى ثم أدعو نجباء ملائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فأقول انى لم أدعكم لتسجدوا لى ولكنى دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الىّ وأباهى بكم أهل الشوق الىّ فان قلوبهم لتضىء فى سمائى لملائكتى كما تضىء الشمس لاهل الارض يا داود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثى وجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى يزدادون فى كل يوم شوقا قال داود يارب أرنى أهل محبتك فقال يا داود

لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاؤه ما خاف فالرجاء والخوف يتلازمان فى قلب المؤمن و يعتدل الخوف والرجاء للتائب المستقيم فى التوبة دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى سياق الموت فقال كيف تجدك قال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وجاء فى تفسير قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو العبد يذنب الكبائر ثم يقول قد هلكت لا ينفعنى عمل فالتائب خاف فتاب ورجا المغفرة ولا يكون التائب تائبا الا وهو راج

(١) حديث انه كان يقول فى دعائه اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء و برد العيش بعد الموت الحديث أحمد والحاكم وتقدم فى الدعوات

ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول له فاذا أتيتهم فاقرئهم مني السلام
وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام و يقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم
وأسارع إلى محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل
فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله إليكم جئتكم لا بلغكم رسالة
ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله إليكم يقرئكم
السلام و يقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي
أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على
خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى
من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا و بينك
وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شئ
من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا
بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل
بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من
أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا
تقصيرنا في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر إلى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على
سيده إذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن
تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا
في شئ من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى
الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن
علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم
وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني و بينكم
حتى تنظروا الى نوري و جلالي فقال داود يارب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها
والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ
قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني و بينه حتى
ينظر إلي نظر الناظر بعينه إلى الشئ وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض
الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها
ولم أحببها إليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى
غيري ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري
أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس ولاشفين
صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا * وفي أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ماضركم
اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني و بينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وماضركم ما زويت عنكم
من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي أخبار داود أيضا ان الله تعالى
أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب
يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما
وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أني أسارع الى سياستك وتقويمك وأكن قائدك

خائف ثم ان التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لان كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة وأي شاكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فقد جمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية عيوب الأفعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجا و إذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح

ودليلك أعطيك من غير أن تسألنى وأعينك على الشدائد وانى قدحلفت على نفسى انى لاأثيب الاعبداقد عرفت من طلبته وارادته القاءه كنفه بين يدى وانه لاغنى به عنى فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فانى قدحلفت على نفسى انه لايطمئن عبدلى الى نفسه ينظر الى فعالها الاوكلته اليها أضف الاشياء إلى لاتضاد عملك فتكون متعنيا ولاينتفع بك من يصحبك ولاتجد لمعرفتى حدا فليس لها غاية ومتى طلبت منى الزيادة أعطك ولاتجد للزيادة منى حدا ثم أعلم بنى اسرائيل انه ليس بينى و بين أحد من خلقى نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندى أبح لهم مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ضعنى بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولاتنظر بعينك التى فى رأسك الى الذين حجبت عقولهم عنى فامرجوها وسخت بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت بعزتى وجلالى لاأفتح ثوابى لعبد دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولاتطاول على المريدين فلوعلم اهل محبتى منزلة المريدين عندى لكانوا لهم أرضا يمشون عليها ياداود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندى جهيدا ومن كتبته عندى جهيدا لاتكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين ياداود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لاتؤتين منها فاحجب عنك محبتى لاتؤيس عبادى من رحمتى اقطع شهوتك لى فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقى مابال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى وانما عقوبة الاقوياء عندى فى موضع التناول أدنى مايصل اليهم أن أحجب عقولهم عنى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها ياداود لاتجعل بينى و بينك عالما يحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة فى الافطار فان محبتى للصوم ادمانه ياداود تحبب الى بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بينى و بينك مرفوعة انما أداريك مداراة لتقوى على ثوابى إذا مننت عليك به و إنى أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتى وأوحى الله تعالى الى داود ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى فى المقبلين على ياداود أحوج مايكون العبد الى اذا استغنى عنى وأرحم ماأكون بعبدى إذا أدبر عنى وأجل مايكون عندى اذا رجع إلى فهذه الأخبار ونظائرها ممالايحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس وانما تحقيق معناها ينكشف بماسبق

## (بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلابد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ــ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ــ وقال تعالى ــ ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين ــ ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى (١) أنس عن النبى ﷺ أنه قال إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ثم تلا إن الله يحب التوابين ومعناه انه اذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كمالايضر الكفر الماضى بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله ﷺ (٢) ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولايعطى الايمان الا من يحب وقال رسول الله ﷺ (٣) من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر

الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لانه لايزهد فى الموجود الا لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكلما بقى على العبد بقية فى تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده فى الدنيا وهو ثالث الاربعة (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن صاعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال حدثنا عبد الله ابن المبارك قال

(١) حديث أنس اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود وتقدم فى التوبة (٢) حديث ان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب الحديث الحاكم وصحح اسناده والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله ابن ماجه من حديث أبى سعيد باسناد حسن دون قوله ومن أكثر الى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة

وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وقال عليه السلام (١) قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به الحديث وقال زيد بن أسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز إذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشئ الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسامى كلها اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذى هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء فى اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر فى اسم الجسم إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لان يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه وهذا التباعد فى سائر الاسامى أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامى أولا للخلق فان الخلق أسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها فى حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا انما يتصوّر فى نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال و بهاء وجلال ممكن فى حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصوّر تجدده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط وليس فى الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهنى رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم و يحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب إلا نفسه على معنى انه الكل وأن ليس فى الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هى متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مؤوّل و يرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الأزل فحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه و يأذن له فى كل وقت فى حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره فى رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه فيقال ان الملك يحبه و يكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون العبد فى نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه و بينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثانى لا بالمعنى الأوّل وانما يصح تمثيله بالمعنى الثانى بشرط أن لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله فى البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التى هى

حدثنا الهيثم بن جميل قال أنا محمد ابن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال قدم رسول الله ﷺ من سفر فبدأ بفاطمة رضى الله عنها فرآها قد أحدثت فى البيت سترا وزوائد فى يديها فلما رأى ذلك رجع ولم يدخل ثم جلس فجعل ينكت فى الارض و يقول مالى وللدنيا مالى وللدنيا فرأت فاطمة أنه انما رجع من أجل ذلك الستر فاخذت الستر والزوائد وأرسلت بهما مع بلال وقالت له اذهب الى النبى ﷺ فقل له قد تصدقت به فضعه حيث شئت فأتى بلال الى النبى ﷺ فقال قالت فاطمة قد

(١) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الحديث البخارى من حديث أبى هريرة وقد

الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال في القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له أيضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا أدرك منه شيأ يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى * فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله * فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال ﷺ (١) اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشترى حمارا فتركبه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر (٢) اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشئ من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال رسول الله ﷺ (٣) اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه وقد قال (٤) اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله فانها أيضا علامات حب الله للعبد

﴿ القول في علامات محبة العبد لله تعالى ﴾

اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى فلا ينبغي أن يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة أصلها

تقدم (١) حديث اذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم (٢) حديث اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده (٣) حديث اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ اذا أراد الله بعبد خيرا (٤) حديث اذا أراد الله بعبد خيرا

تصدقت به فضعه حيث شئت فقال النبي ﷺ بأبي وأمي قد فعلت بأبي وأمي قد فعلت اذهب فبعه (وقيل) في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل الزهد في الدنيا * سئل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا تبالي بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال ويلكم أي مقدار لجناح بعوضة أن يزهد فيها * وقال أبو بكر الواسطي الى متى تصول بترك كنيف والى متى تصول باعراضك عما لا تزن عند الله جناح بعوضة فاذا صح زهد

ثابت وفرعها فى السماء وثمارها تظهر فى القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهى كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة فى دار السلام فلا يتصوّر أن يحب القلب محبوبا إلا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم أنه لاوصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغى أن يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء و باب الدخول الى المشاهدة قال ﷺ (١) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله أن تكون فى العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق فى الحب القتل فى سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل فى سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وقال عزوجل يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وفى وصية أبى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء والباطل خفيف وهو مع خفته و بىء فان حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتى لم يكن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه و يروى عن (٢) اسحق بن سعد بن أبى وقاص قال حدثنى أبى ان عبدالله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فخلوا فى ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال يارب انى أقسمت عليك إذا لقيت العدوّ غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك و يقاتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى و يبقر بطنى فاذا لقيتك غدا قلت يا عبدالله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك يارب وفى رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقتان فى خيط قال سعيد بن المسيب أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله وقد كان الثورى و بشر الحافى يقولان لا يكره الموت إلا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه وقال البو يطى لبعض الزهاد أتحب الموت فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبى ﷺ (٣) لا يتمنين أحدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه * فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصوّر أن يكون محبا لله * فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون فى الحب و يدل على التفاوت ما روى أن (٤) أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لما زوّج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنكحته اياها وانى لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهى أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه

---

بصره بعيوب نفسه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه باسناد ضعيف (١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبى هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبى وقاص قال حدثنى أبى أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فخلوا فى ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال يارب انى أقسم عليك إذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك و يقاتلنى و يجدع أنفى وأذنى الحديث الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية واسناده جيد (٣) حديث لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث أبى حذيفة بن عتبة انه لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وفيه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم لم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر ان سالما يحب الله حقا من قلبه وفى رواية له ان سالما شديد الحب لله عزوجل لو لم يخف الله عزوجل ما عصاه وفيه عبدالله

---

العبد صح توكله أيضا لأن صدق توكله ممكنه من زهده فى الموجود فمن استقام فى التوبة وزهد فى الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتكون فيها وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط احداهما بالأخرى أن يتوب العبد ثم يستقيم فى التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصى الى تطهير الجوارح عما لا يعنى فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل للرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن وتستولى المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بحقوق

فلينظر الى سالم فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها ﴿وأما السبب الثاني للكراهة﴾ فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال - يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجري * فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذا من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

﴿وفي هذا المعنى قيل أيضا﴾

وأترك ما أهوى لما قد هويته * فارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته الله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى - يحبهم ويحبونه واذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا * فان قلت فالعصيان هل يضاد أصل المحبة * فأقول انه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي (١) أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله ﷺ في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى أن أتى به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك ومنها أن يكون

ابن لهيعة (١) حديث أتى بنعيمان يوما فحده فلعنه رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لا تلعنه فانه يحب الله

خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الاركان والجوارح وتستقيم توبته قال الله تعالى لنبيه ﷺ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك أمره الله تعالى بالاستقامة في التوبة أمرا له ولاتباعه وأمته وقيل لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق التائب في النادر اذا ابتلي بذنب يمحى أثر الذنب من باطنه في ألطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم

مستهتراً بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيأ أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق
به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله ﷺ وحب كل من ينسب اليه
فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به
ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم
يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه
فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحبة ولذلك
قال تعالى ـ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ـ وقال رسول الله ﷺ (١) أحبوا الله لما يغذوكم
به من نعمه وأحبوني لله تعالى وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم
الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الارادة
فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت
تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن
فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب
الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب
القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة وعلامة حب السنة
حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا و بلغة الى الآخرة
ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء
الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال
بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل من أين
أقبلت فقال من الانس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لا تستأنس الى أحد من خلقي فاني انما أقطع عني
رجلين رجل استبطأ ثوابي فانقطع ورجلا نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك أن أكله الى نفسه وأن أدعه
في الدنيا حيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته
وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ان برخا
نعم العبد هو لي الا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الأسحار فيسكن اليه ومن أحبني لم يسكن الى شئ
وروى أن عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر وقد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها
فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فأوحى الله تعالى الى نبي ذلك
الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشئ من عملك أبدا فاذا علامة المحبة كمال
الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة
وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه
اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو
في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل
يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم
الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تعالى ـ الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ قال هشت اليه واستأنست به وقال الصديق رضي الله
تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن أبي بكر

توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ فاذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا حتى لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون له تعلق هم بغد فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لان الفقير عادم للشئ اضطرارا والزاهد تارك للشئ اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويجمع بالتوبة والزهد كل المقامات والزهد والتوبة اذا

ورسوله البخاري وقد تقدم (١) حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه الحديث تقدم

المحب لايسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتى اذا جنه الليل
نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى وقال موسى عليه السلام يارب أين أنت فاقصدك
فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث
خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق
ومنها أن لايتأسف على مايفوته مما سوى الله عزوجل و يعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى
وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا أحبوه
واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وماشاء كان
فما كان لهم فهو واصل اليهم ومافاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته فى لحظته أن يقبل على
محبوبه و يشتغل بالعتاب و يسأله و يقول رب بأى ذنب قطعت برك عنى وأبعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى
و بمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا
لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيأ الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا
وعلم أن المحبوب لم يقدر له الا مافيه خيرته و يذكر قوله ـ وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ـ ومنها أن يتنعم
بالطاعة ولا يستثقلها و يسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة
وقال الجنيد علامة المحب دوام النشاط والدؤب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لايدخله
الفتور وقال بعض العلماء والله مااشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل فكل هذا وأمثاله موجود
فى المشاهدات فان العاشق لايستثقل السعى فى هوى معشوقه و يستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه
ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء اليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله
تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لامحالة ماهو دونه فمن كان محبوبه أحب اليه من الكسل ترك الكسل فى خدمته
وان كان أحب اليه من المال ترك المال فى حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شئ
ما كان سبب حالك هذه فى المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبى كله
وأنت معرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبنى فايش تنفق على قال ياسيدى أملكك ما أملك
ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكل هذا بسببه ومنها
أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيأ مما يكرهه
كما قال الله تعالى ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف
الله أولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبى كما يكلف الصبى بالشئ و يأوون الى ذكرى كما يأوى النسر الى وكره و يغضبون
لمحارمى كما يغضب النمر اذا حرد فانه لايبالى قل الناس أو كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبى اذا كلف بالشئ
لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام أخذه معه فى ثيابه فاذا انتبه عاد
وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فانه لايملك نفسه
عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته
وخلص حبه فصفا فى الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم فى الاخرة بقدر حبه اذ يمزج
شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى فى الأبرار ـ ان الأبرار لفى نعيم ـ ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الأبرار
لشوب الشراب الصرف الذى هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع
الأعمال فقال إن كتاب الأبرار لفى عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده
المقربون وكما أن الأبرار يجدون المزيد فى حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون

أجمعها مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام العمل لان الاحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة وتيسير بعضها متوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين فى التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الاحوال لتخلفهم عن هذا الرابع ولا يراد الزهد فى الدنيا الا لكمال الفراغ المستعان به على إدامة العمل لله تعالى والعمل لله أن يكون العبد لايزال ذاكرا أو تاليا أو مصليا أو مراقبا لايشغله عن هذه الا واجب شرعى أو مهم لابد منه

حالهم فى الآخرة ـ ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأنا أول خلق نعيده ـ وكما قال تعالى ـ جزاء وفاقا ـ أى وافق الجزاء أعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ماسبق من الشوب فى حبه وأعماله ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ وان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ـ فمن كان حبه فى الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور العين والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهى لذته فى الآخرة لأنه انما يعطى كل انسان فى المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الاحبه بالاخلاص والصدق أنزل فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ـ فالأبرار يرتعون فى البساتين ويتنعمون فى الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله ﷺ (١) أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال وما أدراك ماعليون كما قال تعالى ـ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ـ ومنها أن يكون فى حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى فى سورة هود هو الذى (٢) شيب سيد المحبين إذ سمع قوله تعالى ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ـ وانما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد فى حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب فى القرب ولا يحن إلى القرب من ألف البعد ولا يبكى لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا أن درجات القرب لانهاية لها وحق العبد أن يجتهد فى كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ (٣) من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام (٤) انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة وانما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا بالاضافة إلى القدم الثانى ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور فى الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول ان أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى ان أسلبه لذيذ مناجاتى فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ماظهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز منه الاذوو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت مالا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو فى سياحته وكان على جبل

كل شئ منك مغفو * رسوى الاعراض عنا
قد وهبنا لك مافا * ت فهب مافات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا

طبيعى فاذا استولى العمل القلبى على القلب مع وجود الشغل الذى أداه اليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل وما آلى جهدا فى العبودية (قال أبو بكر الوراق) من خرج من قالب العبودية صنع به مايصنع بالآبق (وسئل) سهل ابن عبد الله التسترى أى منزلة اذا قام العبد بها قام مقام العبودية قال اذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتى ويصل الى مقام ترك

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثانى من كلام أحمد بن أبى الحوارى ولعله أدرج فيه (٢) حديث شيبتنى هود أخرجه الترمذى وقد تقدم غير مرة (٣) حديث من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا الا فى منام لعبد العزيز بن أبى رواد قال رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت يارسول الله أوصنى فقال ذلك بزيادة فى آخره رواه البيهقى فى الزهد (٤) حديث انه ليغان على قلبى متفق عليه من حديث الاغر وقد تقدم

التدبير والاختيار ثم يصل الى أن يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله تعالى لزوال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه (قال) يحيى بن معاذ الرازي مادام العبد يتعرف يقال له لا تختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له ان شئت اختر وان شئت لا تختر لانك ان اخترت فباختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من

فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما أن من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من أحب شيأ خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فوانه وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روى في بعض الاخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يارب انقصه من الذرة بعضها فأوحى الله تعالى اليه انما أعطيناه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيأ من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فأخرت إجابتهم إلى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد * عن الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب
كأن فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه وجلت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الأوقات تجرى * له في كل يوم ألف عيد
وللاحباب أفراح بعيد * ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتا يشير بها الى أسرار أحوال العارفين وان كان ذلك لا يجوز اظهاره وهي هذه الأبيات

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم * فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى * ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته * وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل

واعطى

وأعطي عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه * الى أهله في السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها و بطلت الاسواق والمعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الالسنة والاقدام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما أن له في الخير أسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته * ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى و يزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل أو اكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فمالي منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول

يخفي فيبدي الدمع أسراره * و يظهر الوجد عليه النفس

و يقول أيضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم اشارة به كأنه أراد من يكثر التعريض به في كل شيء و يظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد ألم ضره فقال الرجل لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب أن يتم على حبه الخفي أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله و ينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه * حكي ان رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسبب أن المحب ان كان عارفا وعرف أحوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا أنه من أخس المحبين في مملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيأ فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أنتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه

الاختيار الا باحكامه هذه الار بعة التي ذكرناها لان ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله تعالى لعبده ورده الى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد الى وجود يصير بالحق وهذا العبد ما بقي عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره و باطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره و باطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدي الله عز وجل متمسكة بالاستكانة والافتقار متحققة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلني الى نفسي طرفة عين فأهلك ولا الى أحد من

الوعيد تخفيفا عنه فى جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وترداداته كما حكى عن الجنيد انه قال مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لى أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشى على ووقعت القارورة من يدى ثم رجعت الى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة فى البول قال نعم وقد قال السرى مرة لو شئت أقول ما أيبس جلدى على عظمى ولا سل جسمى الا حبه ثم غشى عليه وتدل الغشية على انه أفصح فى غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته ٭ ومنها الانس والرضا كما سيأتى وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس فى محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم فى دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه الا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن انه محب لله عز وجل وهو الذى فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وقراء السوء أولئك بغضاء الله فى أرضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست أى يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال فى اذن القائل سرا لا يخلو اما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب النخشبى فى علامات المحبة أبياتا

لا تخدعن فللحبيب دلائل ٭ ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ٭ وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ٭ والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه ٭ طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما ٭ والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما ٭ لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا ٭ متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل أن تراه مشمرا ٭ فى خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ٭ جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا ٭ نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ٭ من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيا ٭ أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما ٭ كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا ٭ بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ٭ والقلب محزون كقلب الثاكل

﴿ بيان معنى الانس بالله تعالى ﴾

قد ذكرنا أن الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما

خلقك فأضيع اكلائى كلاءة الوليد ولا تخل عنى

﴿الباب الستون فى ذكر اشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب﴾

(قولهم فى التوبة) قال رويم معنى التوبة أن يتوب من التوبة قيل معناه قول رابعة أستغفر الله العظيم من قلة صدقى فى قولى أستغفر الله (وسئل) الحسن المغازلى عن التوبة فقال تسألنى عن توبة الانابة أو عن توبة الاستجابة فقال السائل ما توبة الانابة فقال أن تخاف من الله عز وجل من أجل قدرته عليك قال فما توبة الاستجابة قال أن تستحى من الله لقربه منك وهذا الذى ذكره من توبة

يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى مالم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الألطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم ابن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبي مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة فقلت يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مدارة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك * فان قلت فما علامة الانس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن أنه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله عمال

﴿بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الانس﴾

الاستجابة إذا تحقق العبد بها و بما تاب في صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى و يستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب (قال) ذوالنون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الانبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم (سئل) أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى

اعلم أن الانس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الانس ومن لم يقم فى ذلك المقام و يتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذى أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقى لهم فى سبعين ألفا فأوحى الله عزوجل اليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين و يأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عزوجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمى برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال فى كلامه ماهذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى بدالك أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا انك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف أنصفنى فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى اليه أن برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن قال احترقت أخصاص بالبصرة فبقى فى وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فأتى بشيخ فقال ياشيخ مابال خصك لم يحترق قال انى أقسمت على ربى عزوجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضى الله عنه انى سمعت رسول الله ﷺ يقول (١) يكون فى أمتى قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لاتحترق بالنار فقال انى أقسمت على ربى عزوجل أن لايحرقنى بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزم عليها فطفئت وكان أبو حفص يمشى ذات يوم فاستقبله رستاقى مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك فقال ضل حمارى ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لا أخطو خطوة مالم ترد عليه حماره قال فظهر حماره فى الوقت ومر أبو حفص رحمه الله * فهذا وأمثاله يجرى لذوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبهوا بهم قال الجنيد رحمه الله أهل الانس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم و يليق بهم واليه أشار القائل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له * ياحسن رؤيتهم فى عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففى القرآن تنبيهات على هذه المعانى لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولى البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هى عند ذوى الاعتبار من الاسماء فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس أما تراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة أما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين وأما آدم عليه السلام فقيل فيه ـ وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ـ وقد عاتب الله نبيه ﷺ فى الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما فى العبودية سيان ولكن فى الحال مختلفان فقال ـ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى ـ وقال فى الآخر ـ أما من استغنى فانت له تصدى ـ وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عزوجل ـ واذا جاءك الذين

ويشكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولايفارقه ويدعو الله ان ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته قال وان غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لايسلم وتعمل الحلاوة فى قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لايضره (وهذا) الذى قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته (والعارف) القوى الحال يتمكن من ازالة الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين

(١) حديث الحسن عن أبى موسى يكون فى أمتى قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم ابن أبى

يؤمنون

يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله فى التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله إنى أخاف أن يكذبون و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وقوله اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لان الذى أقيم مقام الأنس يلاطف و يحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث ونودى عليه الى يوم القيامة لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا ﷺ أن يقتدى به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات و بعضها لما سبق فى الأزل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الأنس وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من أوّل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا الى رأس العشرين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر حتى قيل محى من ديوان النبوّة وكذلك كان بلعام ابن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين و يا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصينى ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتى وجلالى لئن أخذته عصفة من عصفاتى عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه و يديه نحو السماء وقال إلهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف أستعصم ان لم تعصمنى لأعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به اليه وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك قد أهلكت فى دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية وهذه القصص وردت فى القرآن لتعرف بها سنة الله فى عباده الذين خلوا من قبل فما فى القرآن شئ الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول - قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - وتارة يتعرف اليهم فى أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته فى أعدائه و فى أنبيائه فيقول - ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد - ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل - ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلاثة وهى الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن فقال (١) من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان منتهى التقديس أن يكون واحدا فى ثلاثة أمور لا يكون

الدنيا فى كتاب الاولياء وفيه انقطاع وجهالة (١) حديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن أحمد

فأى حلاوة تبقى فى قلبه وانما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله (وسئل) السوسى عن التوبة فقال التوبة من كل شئ ذمه العلم الى ما مدحه العلم وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن بتطهير الظاهر والباطن بأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها (وقال) أبو الحسن النورى التوبة أن تتوب عن كل شئ سوى الله تعالى (قولهم) فى

حاصلا منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد
ولا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ـ ولم يكن له كفوا أحد ـ ويجمع جميع
ذلك قوله تعالى ـ قل هو الله أحد ـ وجملته تفصيل قول لا اله الا الله فهذه أسرار القرآن ولا تتناهى أمثال هذه الاسرار
في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه نوّروا القرآن والتمسوا
غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى
تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن
معبأة في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه
العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله
فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿ القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته ﴾

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه
من التشابه والايهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه في الدين فقد أنكر منكرون
تصوّر الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضا بكل شئ لانه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي
وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى
ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله ﷺ (١) لابن
عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم
نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوّره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء
والسكوت على المعاصي

## ﴿ بيان فضيلة الرضا ﴾

﴿أما من الآيات﴾ فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى
الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة
أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث (٢) ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني
فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى
عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق
عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوه الرضا لانه
سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا
الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل
الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان

---

من حديث أبيّ بن كعب باسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي الدرداء نحوه
(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل متفق عليه دون قوله وعلمه التأويل ورواه
أحمد بهذه الزيادة وتقدم في العلم (٢) حديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك البزار والطبراني
في الاوسط من حديث أنس في حديث طويل بسند فيه لين وفيه فيتجلى لهم يقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت
عليكم نعمتي وهذا محل اكرامي فسلوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو يعلى بلفظ ثم يقول ماذا تريدون

---

الورع قال رسول الله ﷺ ملاك دينكم الورع (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف عن أبي عبد الرحمن السلمي اجازة قال أنا أبو سعيد الخلال قال حدثني ابن قتيبة قال ثنا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن حبيب ابن عبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توضأ على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال يبلغه الله عزوجل قوما ينفعهم (قال) عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا قال معروف الكرخي احفظ لسانك

مثلها فذلك قوله تعالى ـ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ـ والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى ـ سلام قولا من رب رحيم ـ والثالثة يقول الله تعالى انى عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ـ ورضوان من الله أكبر ـ أى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد * وأما من الاخبار فقد روى أن النبى ﷺ (١) سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى خبر آخر (٢) أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفى الخبر (٣) طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وقال ﷺ (٤) من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال أيضا اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال أيضا (٥) اذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد ﷺ فتقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال ﷺ يا معشر الفقراء (٦) أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفى أخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام إلهى قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا ما روى عن نبينا ﷺ انه قال (٧) من أحب أن يعلم ماله عند الله عزوجل فلينظر مالله عزوجل عنده فان الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وفى أخبار داود عليه السلام مالاوليائى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم يا داود ان محبتى من أوليائى أن يكونوا روحانيين لا يغتمون وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه ان رضاى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يارب دلنى عليه قال فان رضاى فى رضاك بقضائى وفى مناجاة موسى عليه السلام أى رب أى خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سالمنى قال فاى خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى وقد روى ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى (٨) قال أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ ربا سوائى ومثله

---

فيقولون رضاك الحديث ورجاله رجال الصحيح (١) حديث سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم الحديث تقدم (٢) حديث أنه قال فى حديث آخر حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء تقدم أيضا (٣) حديث طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به الترمذى من حديث فضالة ابن عبيد بلفظ وقنع وقال صحيح وقد تقدم (٤) حديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من العمل رويناه فى أمالى المحاملى باسناد ضعيف من حديث على بن أبى طالب ومن طريق المحاملى رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس (٥) حديث اذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها رواه ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمى من حديث أنس مع اختلاف وفيه حميد ابن على القيسى ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن وللاحاديث الصحيحة فى الورود وغيره (٦) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا تقدم (٧) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر مالله عنده الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله (٨) حديث قال الله أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائى الحديث الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هند الدارى مقتصرا على قوله

---

من المدح كما تحفظه من الذم (نقل) عن الحرث بن أسد المحاسبى انه كان على طرف أصبعه الوسطى عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق (سئل الشبلى) عن الورع فقال الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين (وقال) أبو سليمان الدارانى الورع أول الزهد كما ان القناعة طرف من الرضا (وقال) يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل (سئل) الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد الا بالحق غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما يرضى الله تعالى (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبى بكر ابن خلف اجازة

فى الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ انه قال (١) قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى وفى الخبر المشهور (٢) يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفى الاخبار السالفة أن نبيا من الانبياء شكا الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب الى ما أراد ثم أوحى الله تعالى اليه كم تشكو وهكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتى وجلالى لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة وروى أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بنى انى رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا انى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبنى ما لا أعلم وقال (٣) أنس بن مالك رضى الله عنه خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لا فعلته ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا فى شئ لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمنى مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضى شئ لكان ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود انك تريد وأريد وانما يكون ما أريد فان سلمت لما أريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما أريد ﴿وأما الآثار﴾ فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقى لى سرور الا فى مواقع القدر وقيل له ما تشتهى فقال ما يقضى الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبى رواد ليس الشان فى أكل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر ولكن الشان فى الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول لشئ كان ليته لم يكن أو لشئ لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال انى لأرحمك من هذه القرحة فقال انى لأشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عينى وروى فى الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دهرا طويلا فأرى فى المنام فلانة الراعية رفيقتك فى الجنة فسأل عنها الى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أمالك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم أتمن أن أكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم أتمن أن أكون فى صحة وان كنت فى الشمس لم أتمن أن أكون فى الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى فى السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت

عن السلمى قال سمعت الحسن بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد ابن داود الدينورى يقول سمعت ابن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة ولم يشرب من ماء زمزم الا من ماء استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيأ (وقال) الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة (قولهم فى الزهد) قال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التتبع (وسئل) الشبلى الزهد فقال زهد فى الحقيقة لانه اما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده فليس

من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى واسناده ضعيف (١) حديث قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا الحديث لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبى أمامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين الحديث واسناده ضعيف (٢) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين فى شرح السنة عن أبى أمامة باسناد ضعيف (٣) حديث أنس خدمت النبى ﷺ فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته الحديث متفق عليه وقد تقدم

من شدة أو رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عني فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني ان الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي ﷺ (١) ان الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

﴿ بيان حقيقة الرضا وتصوّره فيما يخالف الهوى ﴾

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فانما أتى من ناحية انكار المحبة فأما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين * أحدهما أن يبطل الاحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بأمر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع * وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك ألم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد ولحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة

(١) حديث ان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا الحديث الطبراني من حديث بن مسعود الا انه قال بقسطه وقد تقدم

الاظلف النفس وبذل مواساة يشير الى الاقسام التي سبقت بها الاقلام وهذا لو اطرد هدم قاعدة الاجتهاد والمكسب ولكن مقصود الشبلي أن يقلل الزهد في عين المعتقد بالزهد لئلا يغتر به (قال) رسول الله ﷺ إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد سمى الله عز وجل الزاهدين علماء في قصة قارون فقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون (وقال) سهل ابن عبد الله للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأوّل كل اسم منه ترك

ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم أحببت كل شئ بحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لأني عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت فلو نظرت الى المعشوق الأكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى ابن معاذ الرازي رحمه الله تعالى اذا نظر أهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني إربا إربا ما ازددت له إلا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها وقال أبو عمرو ومحمد بن الاشعث ان أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على أعبد أهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول إلهي متعتني بهما ماشئت أنت وسلبتني ماشئت أنت وأبقيت لي فيك الامل يابر ياوصول ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال * ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى ياهذا أي شئ من البلاء أراه مصروفا عنك فقال ياروح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه

الدنيا (وقيل) في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا (وفي الخبر) العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم (وجاء) في الاثر لاتزال لاإله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله مالم يبالوا مانقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لاإله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين (وقال) سهل أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم (وقيل) من سمي باسم الزهد في الدنيا فقد سمي بألف اسم محمود ومن سمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سمي بألف اسم

ماجعل فى قلبى من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذاهو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وايمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالى أيتهما ركبت ان كان الفقر فان فيها لصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال أبو سليمان الدارانى قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فمالى منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق علىّ الى الجنة ثم ملأ بى جهنم تحلة لقسمه و بدلا من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم أن الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بألم النار فان بقى احساس فيغمره ما يحصل من لذته فى استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه اياه فى النار واستيلاء هذه الحالة غير محال فى نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغى أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن أن ماهو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذبارى قلت لأبى عبد الله بن الجلاء الدمشقى قول فلان وددت أن جسدى قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف وان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف قال ثم غشى عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له فى سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكى لما يراه من حاله فقال لم تبكى قال لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الىّ ثم قال أحدثك شيأ لعل الله أن ينفعك به واكتم علىّ حتى أموت ان الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم علىّ فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا فى بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلى فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما وما يسرنى أنى نقصت من هذا قلامة ظفر ❊ ولما قدم سعد بن أبى وقاص إلى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفنى وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال فى آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بنى قضاء الله سبحانه عندى أحسن من بصرى وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضى عليه فيما قضى أشد على من ذهاب ولدى وعن بعض العباد أنه قال انى أذنبت ذنبا عظيما فانا أبكى عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد فى العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشئ كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض لكان أحب الىّ من أن أقول لشئ قضاه الله سبحانه ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له يا حبيبى أخبرنى عنك هل قنعت به قال لا قال أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا أنى أستحيى منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى الى درجات القرب بأعمال القلب وانما أنت تعد فى طبقات أصحاب اليمين لأن مزيدك منه فى أعمال الجوارح التى هى مزيد أهل العموم ❊ ودخل جماعة من الناس على الشبلى رحمه الله تعالى فى مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتى ان صدقتم فاصبروا على بلائى وللشبلى رحمه الله تعالى

مذموم (وقال) السرى الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء (وسئل) الشبلى عن الزهد فقال الزهد غفلة لان الدنيا لاشئ والزهد فى لاشئ غفلة (وقال) بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا فى زهدهم فى الدنيا لهوانها عندهم (وعندى) ان الزهد فى الزهد غير هذا وانما الزهد فى الزهد بالخروج من الاختيار فى الزهد لان الزاهد اختار الزهد وأراده وارادته تستند الى علمه وعلمه قاصر فاذا أقيم فى مقام ترك الارادة وانسلخ من اختياره

ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عزوجل مصدقا ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه * وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضاله فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون ألذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل * فما لجرح اذا أرضاكم ألم * وهذا ممكن مع الاحساس بالألم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه * وقد روي عن عمرو بن الحرث الرافعي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى أحسنت والله ياسيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما أورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا * وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبيناهو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ماهذا قال هذا مكان قولك آه * وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

ثم رمى نفسه الى الأرض فحملوه ميتا فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى لان البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لابد وأن ينكر أيضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

﴿ بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ﴾

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في ازالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عزوجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله ﷺ وسائر الانبياء عليهم السلام على مانقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله ﷺ في أعلى المقامات من الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده

كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله تعالى حينئذ أو يعلم أن مراد الله منه التلبس بشئ من الدنيا فيدخل بالله في شئ من الدنيا لا ينقص عليه زهده فيكون دخوله في الشئ من الدنيا بالله وباذن منه زهدا في الزهد والزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها بالله وان أخذها أخذها بالله وهذا هو الزهد في الزهد وقد رأينا من العارفين من أقيم في هذا المقام (وفوق) هذا مقام آخر في الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام

بقوله و يدعو نارغبا ورهبا وأما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضابها فقد تعبدالله به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى ـ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم ـ وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث (١) الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر (٢) لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى ـ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ـ وقال النبي ﷺ (٣) لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس و يعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى ـ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ـ وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ـ وقال تعالى ـ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا ـ وفي الخبر (٤) ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام (٥) المرء مع من أحب وقال (٦) من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام (٧) أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده * فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار (٨) بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شئ واحد * فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شئ واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شئ واحد أن يكره من وجه و يرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان

(١) حديث الدال على الشر كفاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس باسناد ضعيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكا في قتله لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ولابن عدي من حديث أبي هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لا حسد الا في اثنتين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٤) حديث ان الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث المرء مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما ووالاهم حشر معهم الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرتهم زاد ابن عدي يوم القيامة وفي طريقه اسماعيل بن يحيي التيمي ضعيف (٧) حديث أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصحبة (٨) الاخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل الحديث وقال غريب وتقدم حديث ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وحديث ان الله بقسطه جعل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به وحديث من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي منه

البقاء فيزهد زهدا ثانيا و يترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعيدت عليه موهوبة و يكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينا تأسيا بالأنبياء والصالحين و يرى ان أخذها في مقام الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعفه عن درك شأو الأقوياء من الأنبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم (وهذا) مقام التصرف لأقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا أولا لله

(قولهم في الصبر)

وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله و بغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدى محبيه انى أريد أن أميز بين من يحبنى و يبغضنى وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أنى أقصد الى فلان فأوذيه وأضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لى حتى اذا شتمنى أبغضته واتخذته عدوا لى فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوى وكل من أبغضه أعلم أنه صديق ومحبى ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق فى محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول أما تدبيرك فى ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك وأنا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضى أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصفه لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا وأما بغضه لك فانى أرضاه من حيث انك أردت أن يبغضك اذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ولكنى أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك فهو ممقوت عندى لمقته اياك وبغضه ومقته لك أيضا عندى مكروه من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضى وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرادك مرضى ومن حيث انه مرادك مكروه وأما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه و يشهد لذلك كل ما يكره من وجه و يرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله دواعى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية و يجره الحب الى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذى ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده أعنى تسليط دواعى المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله و يمقت من مقته الله و يعادى من أبعده الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغى أن يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض فى الله والحب فى الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة فى مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذى لا رخصة فى افشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان فى المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق فى الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال ﷺ (١) القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى

قال سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو أفضل الخدمة وأعلاها وقال بعضهم الصبر أن تصبر فى الصبر أى لا تطالع فيه الفرج (قال) الله تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (وقيل) لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس و بالعرك تلين والصبر جار فى الصابر مجرى الانفاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سائسه فى الظاهر

---

بالقليل من العمل وحديث أسألك الرضا بالقضاء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تفشوه أبو نعيم

ومقت

ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف أيضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كدّ ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي

﴿ بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا ﴾

اعلم أن الضعيف قد يظن (١) أن نهي رسول الله ﷺ عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزالا وضرا ولذلك (٢) شبهه رسول الله ﷺ في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه ببغداد يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أين تسكن فقال العراق قال فما تصنع به بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل ابن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه الى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه

في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدي في الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١) حديث النهي عن الخروج من بلد الطاعون تقدم في آداب السفر (٢) حديث انه شبه الخروج من بلد الطاعون بالفرار من الزحف تقدم فيه

والباطن لا يتم ذلك له الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر يتحامل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعني العلم والصبر ميل احدهما على الآخر أعني النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير

وقال يأتينا أحدهم فى زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال فى عش الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد فى الحش وكان يقول لاتقتدوا بى فى المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد ابن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر فى نفسى قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على أن من بلى ببلدة تكثر فيها المعاصى ويقل فيها الخير فلا عذر له فى المقام بها بل ينبغى ان يهاجر قال الله تعالى ـ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال أوعلاقة فلا ينبغى أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغى أن يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ـ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ـ وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى ـ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ـ فاذا ليس فى شئ من أسباب نقص الدين البتة رضا مطلق الا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى فأما هى فى نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء فى الأفضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لاأختار شيأ بل أرضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسألة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لانه أقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن أسباط فقال الثورى كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أنى مت فقال له يوسف لم قال لما أتخوف من الفتنة فقال يوسف لكنى لاأكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلى أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقيل لوهيب أيش تقول أنت فقال أنا لاأختار شيأ أحب ذلك الى أحبه الى الله سبحانه وتعالى فقبل الثورى بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

## ﴿ بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم ﴾

قيل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا انما أنا محبوب والمحب متعوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتمونى فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد قال لانى رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه وحكى عن الخضر عليه السلام أنه قال ماحدثت نفسى يوما قط انه لم يبق ولى لله تعالى الا عرفته الا ورأيت فى ذلك اليوم وليا لم أعرفه وقيل لأبى يزيد البسطامى مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لايصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل فحدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك فى الله تعالى فقال وهذا أيضا لايجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك فقال نعم دعوت نفسى الى الله فجمحت على فعزمت عليها أن لاأشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك * ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى أبايزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لايطرف قال ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآنى فقال يحيى قلت نعم ياسيدى فقال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدى حدثنى بشئ فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملكوت السفلى وأرانى الارضين وماتحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وأرانى مافيها من الجنان الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت حتى أهبه لك فقلت ياسيدى مارأيت شيأ استحسنته فأسألك إياه فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء قال يحيى

حساب كل أجير أجره بحساب وأجر الصابرين بغير حساب (وقال) الله تعالى لنبيه واصبر وما صبرك الا بالله أضاف الصبر الى نفسه لشرف مكانه وتكميل النعمة به * قيل وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلى وقال ويحك أى شئ هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشبلى صرخة كاد أن تتلف روحه (وعندى) فى معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك أن الصبر عن الله يكون

فهالنى

فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت ياسيدي لم لاسألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ماشئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه وحكى أن أبا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال اني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج إلينا من الغيضة وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر إليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لأبي يزيد ياسيدي نظره إليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك * ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع إلى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون مالا يحب ثم ذكر من اجابة الله أشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لاغاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ماوراء ذلك فان عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة فان سكنت إلى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الأمثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر إليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر إليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة أدناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فأنكر امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الأولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روائح المكاشفة من سلك شيأ ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر بأي شيء بلغت هذه المنزلة قال كنت أكاتم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري وروى أنه رأى الخضر عليه الصلاة فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت

في أخص مقامات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء واجلالا وتنطبق بصيرته خجلا وذوبانا ويتغيب في مفاوز استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم أمر التجلي وهذا من اشد الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تكتحل بصيرتها باستلماع نور الجمال وكأن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك (وقال) أبو الحسن ابن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع ولكن

أنت اليها وعن بعضهم أنه قال أقلقني الشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني اياه ليعلمني شيأ كان أهم الاشياء علي قال فرأيته فما غاب على همي ولاهمتي الاان قلت له ياأبا العباس علمني شيأ اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولاديانة فقال قل اللهم أسبل على كثيف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي أنه صار بحيث كان يستذل و يمتهن حتى كان أهل الذمة يسخرون به و يستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال أولياء الله تعالى ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى الا اخفاءهم كما قال تعالى أوليائي تحت قبابي لايعرفهم غيري وقال ﷺ (١) رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بعملها وعلمها وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لايحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذات فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادى هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلاينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لايقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله مؤمنا بهم فعسى أن يحشر مع من أحب و يشهد لهذا ماروى أن عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لاتنبت الحكمة الافي قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكربي وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل الى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولورددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب و بين الله حجاب بعد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لايفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لاأفطر وأقوم الليل لاأنام ولاأجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيأ وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ماوجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لاتقبله قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوأة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وماسبحت ربك فقال هذا لاأفعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شئ فقال لاأطيقه قال قد قلت

تتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع واما الصبار فذاك الذي صبره في الله ولله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لايجزع ولايتغير من جهة الوجود والحقيقة لامن جهة الرسم والخلقة واشارته في هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة (وكان) الشبلي يتمثل بهذين البيتين ان

صوت المحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا
صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا

(قال) جعفر الصادق رحمه الله أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الا على للرسول ﷺ

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين من مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

لك

لك انك لا تقبل فهذا الذى ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغى أن ينكر امكان الشفاء فى حق من دواى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلا فأقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا وهذه أمور جلية فى الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعدّ نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف وقد قال عليه السلام (٢) ثلاث من كنّ فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام (٣) لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفى حديث آخر (٤) ثلاث من أوتيهنّ فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وخشية الله فى السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولى الايمان فالعجب ممن يدعى علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة علية وراء الايمان وفى الاخبار أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما أتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له همّ غيرى ولا يؤثر علىّ شيأ من خلقى وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما فمن لم يبلغ الى أن يغلبه الحب الى هذا الحدّ فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام (٥) للصديق رضى الله عنه ان الله تعالى قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى وأعطانى مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم وفى حديث آخر (٦) ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل فىّ منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله السخاء وقال عليه السلام (٧) رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر فى كفة وجئ بأمتى فوضعت فى كفة فرجح بهم ومع هذا كله

---

(١) حديث لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشئ أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طلحة وعلى هذا فهو معضل فعلىّ بن أبى طلحة انما سمع من التابعين ولم أجد له أصلا (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف فى الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وفيه سالم المرادى ضعفه ابن معين والنسائى ووثقه ابن حبان واسم أبيه الواحد (٣) حديث لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق الحديث الطبرانى فى الصغير بلفظ ثلاث من أخلاق الايمان واسناده ضعيف (٤) حديث ثلاث من أوتيهن فقد أوتى ما أوتى آل داود العدل فى الرضا والغضب غريب بهذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات فذكرهن بنحوه وقد تقدم (٥) حديث انه قال للصديق ان الله قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن على مع تقديم وتأخير والحارث ضعيف (٦) حديث ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة الحديث الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس مرفوعا عن الله خلقت بضعة عشر وثلثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الاسلام ثلثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة وفيه وفى الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الايمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان ان لله تعالى مائة وسبعة عشر شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبى بكر وجوابه وكلها ضعيفة (٧) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم الحديث أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف

---

حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال وما صبرك الا بالله (وسئل) السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل له لم لا تدفعه قال أستحى من الله تعالى أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أتكلم فيه (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبى بكر ابن خلف اجازة عن أبى عبد الرحمن قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول ان الله تعالى أكرم المؤمنين بالايمان وأكرم الايمان بالعقل وأكرم العقل بالصبر فالايمان زين المؤمن والعقل زين الايمان والصبر

فقد كان استغراق رسول الله ﷺ بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال (١) لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه

﴿خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها﴾

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله ﷺ وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله إحذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني * أنت بما مر بي عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت إلفي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا * فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كاسا بعد كاس * فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني إذا أطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم إلهي إنك تعلم ان الجنة لاتزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول ﷺ فقالت والله إني لأحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين يبقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه عزوجل أحبه واذا أحبه أقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي

زين العقل
وأنشد عن ابراهيم الخواص رحمه الله
صبرت على بعض الاذى خوف كله
ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت
ولولا لم أجرعها اذا لاشمأزت
ألا رب ذل ساق للنفس عزة
ويا رب نفس بالتذلل عزت
اذا ما مددت الكف ألتمس الغنى
إلى غير من قال اسألوني فشلت
سأصبر جهدي ان في الصبر عزة
وأرضى بدنياي وان هي قلت
قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما أنعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها فعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ماعاضه خيرا مما انتزعه منه وأنشد

(١) حديث لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الحديث متفق عليه وقد تقدم

فى المقبلين على ياداود أحوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عنى وأرحم ماأكون بعبدى اذا أدبر عنى وأجل ما يكون عندى اذا رجع الى وقال أبو خالد الصفار لقى نبى من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلى رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جد فى مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يرانى ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمى وقام حتى انحنى وصلى حتى أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بينى وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا منى اليك وعن (١) على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وقال ذو النون سبحان من جعل الأرواح جنودا مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت فى جبل اللكام رجلا أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول

الشوق والهوى ❊ صيرانى كما ترى

ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب ❊ تم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق

﴿كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين ❊ فانه أغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ﴿أما بعد﴾ فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وأنوار القرآن أن لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى فى كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الاخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص ونحن نذكر معانى الصدق والاخلاص فى ثلاثة أبواب (الباب الأول)

لسمنون
تجرعت من حاليه
نعمى وأبؤسا
زمانا إذا أجرى
عزاليه احتسى
فكم غمرة قد
جرعتنى كؤسها
فجرعتها من بحر
صبرى أكؤسا
تدرعت صبرى
والتحفت صروفه
وقات لنفسى الصبر
أوفاهلكى أسى
خطوب لوان
الشم زاحمن
خطبها
لساخت ولم تدرك
لها الكف مسلما
﴿قولهم فى الفقر﴾
قال ابن الجلاء
الفقر أن لا يكون
لك فاذا كان لك
لا يكون لك
حتى تؤثر (وقال)
الكتانى إذا صح
الافتقار الى الله
تعالى صح الغنى
بالله تعالى لانهما
حالان لا يتم
أحدهما إلا بالآخر
(وقال) النورى
نعت الفقراء
السكون عند

(١) حديث على سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى الحديث ذكره القاضى عياض من حديث على بن أبى طالب ولم أجد له إسنادا

في حقيقة النية ومعناها (الباب الثاني) في الاخلاص وحقائقه (الباب الثالث) في الصدق وحقيقته

﴿ الباب الاول في النية ﴾ وفيه بيان فضيلة النية و بيان حقيقة النية و بيان كون النية خيرا من العمل و بيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنفس و بيان خروج النية عن الاختيار

﴿ بيان فضيلة النية ﴾

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال ﷺ (١) انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه وقال ﷺ (٢) أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال تعالى ـ ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ـ فجعل النية سبب التوفيق وقال ﷺ (٣) ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال ﷺ (٤) ان العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه وقال ﷺ (٥) الناس أربعة رجل أتاه الله عزوجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء ألا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك (٦) قال ان بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفي حديث (٧) ابن مسعود من هاجر يبتغي شيأ فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس وكذلك جاء في الخبر (٨) ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي ﷺ (٩) من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله مانوى وقال (١٠) أبي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت

العدم والبذل عند الوجود وقال غيره والاضطراب عند الموجود وقال الدراج فتشت كنف أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحيرت فلما جاء قلت له اني وجدت في كنفك هذه القطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها واشتر بها شيأ فقلت ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني الله تعالى من الدنيا صفراء ولا بيضاء غيرها فاردت أن أوصي ان تشد في كفني فاردها الى الله (وقال) ابراهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين (وسئل) سهل ابن عبد الله عن الفقير الصادق فقال

(١) حديث انما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة (٣) حديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث ان العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة الحديث الدارقطني من حديث أنس باسناد حسن (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علما ومالا الحديث ابن ماجه من حديث أبي كبشة الانماري باسناد جيد بلفظ مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذي بزيادة وفيه وانما الدنيا لاربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (٦) حديث أنس ان بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا الحديث البخاري مختصرا وأبو داود (٧) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيأ فهو له هاجر رجل فتزوج امرأة منا وكان يسمى مهاجر أم قيس الطبراني باسناد جيد (٨) حديث ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لم أجد له أصلا في الموصولات وانما رواه أبو اسحق الفراوي في السنن من وجه مرسل (٩) حديث من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله مانوى النسائي من حديث عبادة بن الصامت وتقدم غير مرة (١٠) حديث أبي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له الطبراني في مسند الشاميين ولأبي داود من حديث يعلى بن أمية انه استأجر أجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال النبي صلى الله عليه وسلم

ذلك للنبي ﷺ فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروى في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى الى نبيهم أن قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في أخبار كثيرة (١) من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث (٢) عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها وفي حديث (٣) أم سلمة ان النبي ﷺ ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول (٤) انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلام (٥) اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال (٦) يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث (٧) الاحنف عن أبي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وفي حديث (٨) أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادّان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال ﷺ (٩) من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة

﴿وأما الآثار﴾ فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فاني لا أحب أن يأتي علي ساعة من ليل أو نهار

---

ما أجله في غزوته هذه في الدنيا والآخرة الا دنانيره التي سمى (١) حديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٢) حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت باسناد جيد دون قوله وفارقها أرغب ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهد ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أم سلمة في الجيش الذي يخسف بهم يحشرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم (٤) حديث انما يقتتل المقتتلون على النيات ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص والنية من حديث عمر باسناد ضعيف بلفظ انما يبعث ورويناه في فوائد تمام بلفظ انما يبعث المسلمون على النيات ولابن ماجه من حديث أبي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا الحديث ابن المبارك في الزهد موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع ففي الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٦) حديث جابر يبعث كل عبد على ما مات عليه رواه مسلم (٧) حديث الاحنف عن أبي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار متفق عليه (٨) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصرا على قصة الدين دون ذكر الصداق (٩) حديث من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الحديث أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة من حديث اسحق بن أبي طلحة مرسلا

---

لا يسأل ولا يرد ولا يحبس (وقال) أبو علي الروذباري رحمه الله سألني الزقاق فقال يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة قال قلت لانهم مستغنون بالمعطي عن العطايا قال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات أفدني ما وقع لك قال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذ الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجودهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال المسوحي الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تفقره المحن (وقال) يحيى ابن معاذ حقيقة الفقر أن لا يستغني الا بالله ورسمه عدم الأسباب

الا وأنا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وان ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال أبو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وقال الحسن انما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات وقال أبو هريرة مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل وقال بلال ابن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك فاذن عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

## ﴿ بيان حقيقة النية ﴾

اعلم أن النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لانه أصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل أعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة أمور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلابد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلابد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال أو في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فيحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناول ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة وأعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم فمن مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشئ موافقا له فاذا جزمت المعرفة بأن الشئ موافق ولابد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا القسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما (أما الاول) فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام لغيره وهذه

كلها وقال أبو بكر الطوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا هذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجبني أحد بجواب يقنعني حتى سألت نصر بن الحمامي فقال لي لانه أول منزل من منازل التوحيد فقنعت بذلك وسئل ابن الجلاء عن الفقر فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع ثم قال اني لم أسكت الا لدرهم كان عندي فذهبت فأخرجته واستحييت من الله تعالى أن أتكلم في الفقر وعندي ذلك ثم جلس وتكلم (قال) أبو بكر ابن طاهر من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة فان كان ولا بد لا تجاوز رغبته

النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة إلى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته (وأما الثانى) فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شئ بمقدار من القوة كان كافيا فى الحمل لو انفرد ومثاله فى غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بانه يحضره قريب غنى فيرغب فى قضاء حاجته وفقير أجنبى فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثانى رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة للبواعث (والثالث) أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوى مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله فى المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل مالا ينفرد أحدهما به ومثاله فى غرضنا أن يقصده قريبه الغنى فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبى الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدى الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب فى التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة (والرابع) أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثانى لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله فى المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوى على الحمل ولو انفرد القوى لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر فى تخفيفه ومثاله فى غرضنا أن يكون للانسان ورد فى الصلاة وعادة فى الصدقات فاتفق أن حضر فى وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثانى اما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها فى باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها فى نفسها وانما الحكم للمتبوع

﴿بيان سر قوله ﷺ (١) نية المؤمن خير من عمله﴾

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر فى مصالح المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم الا فى لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضى أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال أن معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين فى أصل الخير بل المعنى به أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أى لكل واحد منهما أثر فى المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذى هو من جملة طاعته والغرض أن للعبد اختيارا فى النية وفى العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق فى الايصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة إلى المقصود

كفايته (قال) فارس قلت لبعض الفقراء مرة وعليه أثر الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال إنى أخاف أن أسألهم فيمنعونى فلا يفلحون وأنشد لبعضهم

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه
فقلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما
قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به
يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى
والعيد ما دمت لى مرأى ومستمعا

(قولهم فى الشكر) قال بعضهم الشكر هو الغيبة عن النعمة برؤية المنعم (وقال) يحيى بن معاذ الرازى لست بشاكر ما دمت

(١) حديث نية المؤمن خير من عمله الطبرانى من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان وكلاهما ضعيف

فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة إلى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم أن للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب والمقصود شفاؤها و بقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا إذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل إلى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل أصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وامحق بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زبرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا أن القلب هو الاصل المتبوع فكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة إلى المقصود ولذلك قال النبي ﷺ (١) ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال عليه السلام (٢) اللهم أصلح الراعي والرعية وأراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لانها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح أن يعوّد القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة إلى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما أن المعدة اذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر أيضا انما أريد به أن يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن أن في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فانه من يجد في نفسه تواضعا فاذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم

(١) حديث ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم
(٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية تقدم ولم أجده

تشكر وغاية الشكر التحير وذلك ان الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها * وفي أخبار داود عليه السلام الهي كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فأوحى الله إليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني ومعنى الشكر في اللغة هو الكشف والاظهار يقال شكر وكشر اذا كشف عن ثغره وأظهره فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان من الشكر وباطن الشكر أن تستعين بالنعم على الطاعة ولا تستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة وسمعت شيخنا رحمه الله ينشد عن بعضهم
أوليتني نعما أبوح بشكرها

فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة فى قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لان من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجوده كعدمه وماساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه اذا فعل عن غفلة فاذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهى صفة الرياء التى هى من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا أيضا يعرف معنى قوله ﷺ من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهى غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا أعنى القلب ولذلك قال ﷺ ان قوما بالمدينة قد شركونا فى جهادنا كما تقدم ذكره لان قلوبهم فى صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة فى طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين فى الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعانى تفهم جميع الاحاديث التى أوردناها فى فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالاعادة

## ﴿ بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية ﴾

اعلم أن الاعمال وان انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهى ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات ﴿القسم الاول المعاصى﴾ وهى لاتتغير عن موضعها بالنية فلا ينبغى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذى يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لاتؤثر فى اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفى الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ماعصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيأ أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بالكلية بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التى هى وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال الله سبحانه فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وقال النبى ﷺ (١) لايعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار

وكفيتنى كل الامور بأسرها فلأشكرنك ماحييت وان أمت فلتشكرنك أعظمى فى قبرها (قال) رسول الله ﷺ أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء (وقال) رسول الله ﷺ من ابتلى فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (قال) الجنيد فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان (وفى) الحديث أفضل الذكر لااله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله (وقال) بعضهم فى قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة

(١) حديث لايعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبرانى فى الاوسط وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لايعذر الجاهل على الجهل وقال لاينبغى

المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجميلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله ﷺ (١) ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد اليهم فلو رأوا منه تقصيرا في نفل من النوافل أنكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل * حكي عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما يلتبس على الاغبياء وأتباع الشيطان وان كانوا أرباب الطيالسة والاكمام الواسعة وأصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه اذا انضاف اليها مقصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة ﴿القسم الثاني الطاعات﴾ وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها أما الاصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة

وباطنة قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البلاوى والفقر فان هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء (وحقيقة) الشكر أن يرى جميع المقضي له به نعما غير ما يضره في دينه لان الله تعالى لا يقضي للعبد المؤمن شيأ الا وهو نعمة في حقه فاما عاجلة يعرفها ويفهمها وأما آجلة بما يقضي له من المكاره فاما أن تكون درجة له أو تمحيصا أو تكفيرا فاذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل ما منه نعم فقد شكر (قولهم في الخوف) قال رسول الله ﷺ رأس الحكمة مخافة الله (وروى) عنه عليه الصلاة

---

بدل ولا بخل وقد تقدم في العلم (١) حديث ان لله ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها اليه السخاء تقدم في كتاب المحبة والشوق

كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم (١) تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين أولها ان يعتقد انه بيت الله وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله ﷺ حيث قال (٢) من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله ﷺ (٣) رهبانية أمتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به كما روي في الخبر (٤) من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها أن يستفيد أخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من أدمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال أخا مستفادا في الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدل على هدى أو تصرفه عن ردىء أو يترك الذنوب خشية أو حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات

﴿القسم الثالث المباحات﴾ وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيأ من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال ﷺ (٥) حلالها حساب وحرامها عقاب وفي حديث (٦) معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية * فان قلت فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله * فاعلم أن من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور أن يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به الى قلوب

---

(١) حديث تضعيف الحسنة بعشرة أمثالها تقدم (٢) حديث من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان وللبيهقي في الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسموا باسناد صحيح وقد تقدم في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمتي القعود في المساجد لم أجد له أصلا (٤) حديث من غدا الى المسجد يذكر الله أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى هو معروف من قول كعب الاحبار رويناه في جزء ابن طوق وللطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حج تاما حجه واسناده جيد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح (٥) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب تقدم (٦) حديث معاذ ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه لم أجد له اسنادا

---

والسلام أنه قال كان داود النبي عليه السلام يعوده الناس يظنون أن به مرضا وما به مرض الا الخوف من الله تعالى والحياء منه (قال) أبو عمرو الدمشقي الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان (وقال) بعضهم ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك ما يخاف أن يعذب عليه (وقيل) الخائف الذي لا يخاف غير الله قيل أي لا يخاف لنفسه انما يخاف اجلالا له والخوف للنفس خوف العقوبة (وقال) سهل الخوف ذكر والرجاء أنثى أي منهما تتولد حقائق الايمان (قال) الله تعالى

النساء الاجنبيات إذا كان مستحلا للنظر اليهن ولأمور أخر لاتحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا أنه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أتى شيأ من مباح الدنيا لم يعذب عليه فى الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل مايفنى ويخسر زيادة نعيم لايفنى وأما (١) النيات الحسنة فانه ينوى به اتباع سنة رسول الله ﷺ يوم الجمعة و ينوى بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلايرى أن يدخله زائر الله الاطيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا فى المسجد عند مجاورته بروائحه وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التى تؤدى الى إيذاء مخالطيه وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك فى تلك المعصية كما قيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ❊ أن لاتفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ـ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ـ أشار به الى أن التسبب الى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعى رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله فهذا وأمثاله من النيات لايعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية فى شئ والمباحات كثيرة ولايمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ماعداه ولهذا قال بعض العارفين من السلف انى لاستحب أن يكون لى فى كل شئ نية حتى فى أكلى وشربى ونومى ودخولى الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ماهو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به الى ولد صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ كان مطيعا باكله ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغى أن يحسن نيته مهما ضاع له مال و يقول هو فى سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيآته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففى الخبر (٢) ان العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة مايستوجب به الجنة فيتعجب و يقول يارب هذه أعمال ماعملتها قط فيقال هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفى الخبر (٣) ان العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال لوخلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لايبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته و بقى طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار و بالجملة فاياك ثم اياك أن تستحقر شيأ من حركاتك فلاتحترز

ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله (قيل) هذه الآية قطب القرآن لان مدار الامر كله على هذا (وقيل) ان الله تعالى جمع للخائفين مافرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه (وقال) سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف (وقال) أيضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة (وقال) ذوالنون لايسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن

(١) حديث ان لبس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان عنده ولبس أحسن ثيابه الحديث ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ماعلى أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته وفى اسناده اختلاف وفى الصحيحين ان عمر رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال يارسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة الحديث (٢) حديث ان العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة مايستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الذين اغتابوك الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من حديث شبيب بن سعد البلوى مختصرا ان العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لى ولم أعملها فيقال بما اغتابك الناس وأنت لاتشعر وفيه ابن لهيعة (٣) حديث ان العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال وفيه و يأتى قد ظلم هذا وشتم هذا الحديث تقدم مع اختلاف

من غرورها وشرورها ولا تعدجوابها يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا وأردت أن أتربه من حائط جار لى فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثورى فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمدّ يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوّه فسأله عن ذلك فقال انى لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بينى و بينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى وأخذت خيطا من ثوبى فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من أولى العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك مالم تتأمل أوّلا أنك لم تتحرك وماذا تقصد وما لذى تنال به من الدنيا وما الذى يفوتك من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت أنه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك فى امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بدّ له من نية صحيحة فلا ينبغى أن يكون الداعى هوى خفى لا يطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز أهل الاغترار فقد روى عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل فى حائط بالطين وكان أجيرا لقوم فقدموا له رغيفه إذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أن الخير فى طلب المساعدة فى الطعام فقال انى أعمل لقوم بالاجرة وقدموا الىّ الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر فى البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة إلى الطعام نقص فى فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه ثم قال لولا أنى أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فان أجابه فأكل فعليه وزران وان لم يأكل فعليه وزر واحد وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه أخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغى أن يتفقد العبد نيته فى سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

## ﴿بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار﴾

اعلم أن الجاهل يسمع ماذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات فيقول فى نفسه عند تدريسه أوتجارته أوأكله نويت أن أدرس لله أوأتجر لله أوآكل لله ويظن ذلك نية وهيهات فذاك حديث نفس وحديث لسان وفكر أوانتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل من جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ماظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهى الطعام وأميل اليه أوقول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشئ وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ومالم يعتقد الانسان أن غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده فى كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن فى كل وقت والدواعى والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هى اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوى الولد واذا لم يغلب على قلبه (١) أن اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

يضج الخوف قلبه * وقال فضيل ابن عياض اذا قيل لك تخاف الله اسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف

﴿قولهم فى الرجاء﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ثم يقول وعزتى وجلالى لا أجعل من آمن بى فى ساعة من ليل أونهار كمن لا يؤمن بى قيل جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم

(١) حديث ان النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فى آداب النكاح

يعظم فضلها لا يمكن أن ينوى بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أوّلا ايمانه بالشرع ويقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى فى تكثير أمة محمد ﷺ ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك أعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره فى نفسه ويردّده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصلّ على جنازة الحسن البصرى وقال ليس تحضرنى نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدرى فقالت أجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له فى ذلك فقال كان لى فى المدرى نية ولم تحضرنى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد ابن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثورى ألا تشهد جنازته فقال لو كان لى نية لفعلت وكان أحدهم اذا سئل عملا من أعمال البر يقول ان رزقنى الله تعالى نية فعلت وكان طاوس لا يحدث إلا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيبتدئ فقيل له فى ذلك قال أفتحبون أن أحدث بغير نية اذا حضرتنى نية فعلت وحكى أن داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال أحمد فرده علىّ حتى أنظر فيه بالعين التى نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجد له نية وقال بعضهم أنا فى طلب نية لعبادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتى وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لعلمهم بان النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أن النية ليست هى قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجرى مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر فى بعض الأوقات وقد تتعذر فى بعضها نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه فى أكثر الأحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى أصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض إلا بجهد جهيد وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب فى الدنيا وهذه أعزّ النيات وأعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس فى الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود فى الآخره وان كان من جنس المألوفات فى الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الألباب فانها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم فى الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلاجرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد فان التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين

فتبسم الاعرابى فقال النبى ﷺ مما ضحكت يا اعرابى فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح (وقال) شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة (وقيل) الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال (وقيل) قرب القلب من ملاطفة الرب قال أبو على الروذبارى الخوف والرجاء كجناحى الطائر اذا استويا استوى الطائر وتم فى طيرانه (قال) أبو عبد الله بن خفيف الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو (قال) مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا والخوف والرجاء للايمان كالجناحين ولا يكون خائفا إلا وهو راج

أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان و إعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها و إلفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى أكثر القلوب عن أبصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به أصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكر لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم * حكي أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عزوجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الجنة الا أبا يزيد فانه يطلبني ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال الي ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادات في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالأكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة قال أبو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي كرم الله وجهه روّحوا القلوب فانها اذا أكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به أن يعيد أولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرينه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على أستاذه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما الى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما و ينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق

﴿ الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته ﴾

﴿ فضيلة الاخلاص ﴾

قال الله تعالى ـ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ وقال ألا لله الدين الخالص ـ وقال تعالى ـ الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ـ وقال تعالى ـ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ـ نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه وقال النبي ﷺ (١) ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله وعن (٢) مصعب بن سعد عن أبيه قال ظن أبي ان له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ انما نصر الله عزوجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم

ولا راجيا إلا وهو خائف لأن موجب الخوف الايمان وبالايمان رجاء وموجب الرجاء الايمان ومن الايمان خوف ولهذا المعنى روى عن لقمان أنه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه أشد من خوفك قال فكيف أستطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال أما علمت أن المؤمن لذو قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وهذا لأنهما من حكم الايمان

﴿قولهم في التوكل﴾

قال السري التوكل الانخلاع من الحول والقوة (وقال) الجنيد التوكل أن تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل (وقال)

﴿ الباب الثاني في الاخلاص ﴾

(١) حديث ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله الترمذي وصححه من حديث النعمان بن بشير

(٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه انه ظن ان له فضلا على من دونه من أصحاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ انما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم رواه النسائي وهو عند البخاري بلفظ هل تنصرون وترزقون

وصلاتهم وعن (١) الحسن قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي ﷺ (٢) قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزك منه القليل وقال عليه السلام (٣) مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال عليه السلام (٤) أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماصنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ على فخذي وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة فدخل راوي هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية - وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس ياهذا ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء في أقاليم الارض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لابد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير لاشئ لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله ان أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيأ فغضب وأخذ فاسه على عاتقه فاستقبله

الا بضعفائكم (١) حديث الحسن مرسلا يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلا يقول كل واحد من رواته سألت فلانا عن الاخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف (٢) حديث انه قال لمعاذ أخلص العمل يجزك منه القليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ واسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما ابن عدي ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم

سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فانه وجه بلا قفا (قال) بعضهم يريد توكل العناية لا توكل الكفاية والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال لنبيه وتوكل على الحي الذي لا يموت (وقال) ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة (وقال) أبو بكر الزقاق التوكل رد العيش الى يوم واحد واسقاط هم غد (وقال) أبو بكر الواسطي أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وأن لا يفارق التوكل في أمانيه ولا يلتفت بسره الى توكله لحظة

ابليس فى صورة شيخ فقال له الى أين قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أو لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتنى نخل عنى وأخبرنى كيف غلبتك أولا وغلبتنى الآن فقال لانك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرنى الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى ـ إلا عبادك منهم المخلصين ـ إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخى رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصى تتخلصى وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الاشعرى من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص النية فى أعمالك يكفك القليل من العمل وقال أيوب السختيانى تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال وكان مطرف يقول من صفا صفى له ومن خلط خلط عليه ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك فقال كل شئ عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها فى كفة الحسنات وكان فى قلنسوتى خيط من حرير فرأيته فى كفة السيئات وكان قد نفق حمار لى قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور فى كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لى انه قد وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت فى لعنة الله فبطل أجرك فيه ولو قلت فى سبيل الله لوجدته فى حسناتك وفى رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبنى نظرهم إلىّ فوجدت ذلك لا على ولا لى قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج فى زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة * وقال بعض الصوفية كنت قائما مع أبى عبيد التسترى وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عينى فقلت لأبى عبيد ما قال لك فقال سألنى أن أحج معه قلت لا قلت فهلا فعلت قال ليس لى فى الحج نية وقد نويت أن أتمم هذه الأرض العشية فأخاف ان حججت معه لأجله تعرضت لمقت الله تعالى لأنى أدخل فى عمل الله شيأ غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندى من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت فى البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت أشتريها فأنتفع بها فى غزوى فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة فى النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان فى سبيل الله ثم نظر الىّ وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت الله الله فى أمرى ما خرجت أتجر وما معى تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبونى تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى فى طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيها بما يرى وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى لأن تصلى ركعتين فى خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسى مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا

فى عمره (وقال) بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه وينس الدنيا وأهلها لأن حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كماله (وقال) سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير (وقال) حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله (وقال) سهل أيضا العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل (وقال) التقوى واليقين مثل كفتى الميزان

عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الاخلاص إلى أبواب البر أجمع وقال محمد بن سعيد المروزى الأمر كله يرجع إلى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا أنت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

## ﴿بيان حقيقة الاخلاص﴾

اعلم أن كل شئ يتصوّر أن يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى ـ من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ـ فانما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا أن الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمى الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات وأقل أموره ما ورد في الخبر من (١) ان المرائى يدعى يوم القيامة بأربع أسام يامرائى يامخادع يامشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلده أو ليهرب عن عدوّ له في منزله أو يتبرم بأهله وولده أو بشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها أو يصلى بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليراقب أهله أو رحله أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزا بين العشيرة أو ليكون عقاره أو ماله محروسا بعز العلم عن الاطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث أو تكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس أو لينال به رفقا في الدنيا أو كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء أو توضأ لينتظف أو يتبرد أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد أو اعتكف في المسجد ليخف كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه أو يعود مريضا ليعاد اذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيأ من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك وقد قال تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قلّ أم كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذى لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هى الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الأصلى هو التقرب وانضافت

(١) حديث ان المرائى يدعى يوم القيامة يامرائى يامخادع الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب السنة والاخلاص وقد تقدم

والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والنقصان ويقع لى أن التوكل على قدر العلم بالوكيل فكل من كان أتم معرفة كان أتم توكلا ومن كمل توكله غاب فى رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم ان قوة المعرفة تفيد صرف العلم بالعدل فى القسمة وان الاقسام نصبت بازاء المقسوم لهم عدلا وموازنة فان النظر الى غير الله لوجود الجهل فى النفس وكل ما أحس بشئ يقدح فى توكله يراه من منبع النفس فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكماله يثبت بغيبة النفس وليس للاقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وانما شغلهم فى تغييب النفس

اليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب اما أن تكون فى رتبة الموافقة أوفى رتبة المشاركة أو فى رتبة المعاونة كما سبق فى النية وبالجملة فاما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدينى أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهى الطعام لأنه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج الى الأكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص فى الاعمال مسدود عليه الا على الندور وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من أعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها فى المسجد فى الصف الاول لأنى تأخرت يوما لعذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى فعرفت أن نظر الناس الى فى الصف الاول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذى شرعه رسول الله ﷺ وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وأقبالهم عليه وهو يدعى أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدرى المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه بتصدى أبى بكر رضى الله تعالى عنه للامامة أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذودين أن لو كان ذلك لكان مذموما لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر الى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد فى الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر

بتقوية مواد القلب فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ فيغلب وجود الحق الأعيان والأكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون فى نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدح فى توكل مثل هذا المتوكل ما يقدح فى توكل الضعفاء فى التوكل من وجود الأسباب والوسائط لانه يرى الاسباب مواتا لا حياة لها الا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة

والفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

﴿ بيان أقاويل الشيوخ فى الاخلاص ﴾

قال السوسى الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد فى اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وماذكره اشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات إلى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ماصفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله تعالى الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالفرض وفى معناه قول ابراهيم بن أدهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل أى شئ أشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين وهذا اشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات فى الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة إلى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة إلى الحظوظ العاجلة والا فهو فى طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوى الالباب وجه الله تعالى فقط وهو القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضى أبو بكر الباقلانى بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وماذكره حق ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال أبو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق فقط وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص فى العمل أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا أجمع للمقاصد وقال المحاسبى الاخلاص هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا اشارة الى مجرد نفى الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذى يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه أقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية العمل من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل فى هذا كثيرة ولا فائدة فى تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافى بيان سيد الاولين والآخرين ﷺ (١) اذ سئل عن الاخلاص فقال أن تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت أى لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم فى عبادته كما أمرت وهذا اشارة الى قطع ماسوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

﴿ بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص ﴾

اعلم أن الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلى و بعضها خفى و بعضها ضعيف مع الجلاء و بعضها قوى مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها فى الخفاء والجلاء الا بمثال وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول

---

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم

---

(قولهم فى الرضا) قال الحرث الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم وقال ذو النون الرضا سرور القلب بمر القضاء (وقال) سفيان عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت له أما تستحى أن تطلب رضا من لست عنه براض فسألها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت اذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة وقال سهل اذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة فطوبى لهم وحسن مآب (وقال) رسول الله ﷺ ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا (وقال) عليه السلام ان الله تعالى بحكمته

الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين * الدرجة الثانية يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم ان أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو أيضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به * الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الاخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملا ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكأن نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان * الدرجة الرابعة وهي أدق وأخفى أن ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا (١) الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن

---

وهو عند مسلم بلفظ قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم (١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة تقدم في العلم وفي ذم الجاه والرياء

---

جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (وقال) الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل الى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداه الى الرضا وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان العبد في الدنيا والآخرة لانه في الجنة لا يستغني عن الرضا والمحبة (وقال) ابن عطاء الرضا سكون القلب الى قديم اختيار الله للعبد لانه اختار له الافضل فيرضى له وهو ترك السخط (وقال) أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من للدنيا في قلبه مقدار وقال السري خمس من أخلاق المقربين الرضا عن الله فيما تحب

العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى أحد المسجدين أو أحد الموضعين اذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل

﴿ بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به ﴾

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في ان ذلك هل يقتضي ثوابا أم يقتضي عقابا أم لا يقتضي شيأ أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر (١) الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله أن ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب أغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ ولقوله تعالى ـ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ـ فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد * وكشف الغطاء عن هذا أن الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقويه هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده

(١) الأخبار التي يدل ظاهرها على ان العمل المشوب لا ثواب له قال وليس تخلو الاخبار عن تعارض أبو داود من حديث أبي هريرة ان رجلا قال يارسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله ﷺ لا أجر له الحديث وللنسائي من حديث أبي أمامة باسناد حسن أرأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال لا شيء له فأعادها ثلاث مرات يقول لا شيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه وللترمذي وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال له أجران أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم في ذم الجاه والرياء

النفس وتكره والحب له بالتحبب اليه والحياء من الله والانس به والوحشة مما سواه (وقال) الفضيل الراضي لا يتمنى فوق منزلته شيأ وقال ابن شمعون الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه فالرضا به مدبرا ومختارا والرضا عنه قاسما ومعطيا والرضا له الها وربا (سئل) أبو سعيد هل يجوز أن يكون العبد راضيا ساخطا قال نعم يجوز أن يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن الله وقيل للحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ان أباذر يقول الفقر أحب الي من الغنى والسقم أحب الي من

شبرا

شبرا فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان الفعل مما يقربه بشبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال النبي ﷺ (١) أتبع السيئة الحسنة تمحها فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القوي هو إعلاء كلمة الله تعالى وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلا فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة * فإن قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى (٢) طاوس وغيره من التابعين أن رجلا سأل النبي ﷺ عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى (٣) معاذ عن النبي ﷺ أنه قال أدنى الرياء شرك وقال (٤) أبو هريرة قال النبي ﷺ يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له وروي عن عبادة إن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى (٥) أبو موسى أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال (٦) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا فهو له فنقول هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشركة أبدا في خطر فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الغزو وبعيد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه إلى مجرد الغزو وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية والأخرى فقيرة

(١) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاوس وعدة من التابعين أن رجلا سأل النبي ﷺ عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فنزلت فمن كان يرجو لقاء ربه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاوس مرسلا وقد تقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث معاذ أدنى الرياء شرك الطبراني والحاكم وتقدم فيه (٤) حديث أبي هريرة يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له تقدم فيه من حديث محمود بن لبيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه وفي رواية مالك في الموطأ فهو له كله (٥) حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تقدم فيه (٦) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا فهو له تقدم في الباب الذي قبله

الصحة قال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له وقال علي رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله في كل حال (وقال) يحيى يرجع الأمر كله إلى هذين الأصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى بما عمل وتخلص فيما تعمل (وقال) بعضهم الراضي من لم يندم على فائت من الدنيا ولم يتأسف عليها (وقيل) ليحيى ابن معاذ متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا قال إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل

فـال إلى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة لاثواب له على غزوه ألبتة ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب فاما أن يكون في احباطه فلا ✽ نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى الله ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا أعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن أبي روّاد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شئ من اعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود أن لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف في أعماله فتكلم أبو سعيد في الاخلاص يوما يريد اخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد لا تفعل اذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

به يقول ان أعطيتني قبلت وان منعتني رضيت وان تركتني عبدت وان دعوتني أجبت وقال الشبلي رحمه الله بين يدي الجنيد لا حول ولا قوّة الا بالله قال الجنيد قولك ذا ضيق صدر فقال صدقت قال فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء وهذا انما قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على أصل الرضا وذلك أن الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فاذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين

## ﴿الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته﴾

### ﴿فضيلة الصدق﴾

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي ﷺ (١) ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء فقال - واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا - وقال - واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا - وقال تعالى - واذكر في الكتاب ادريس انه صديقا نبيا وقال ابن عباس أربع من كنّ فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر ✽ وقال بشر بن الحرث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال أبو عبد الله الرملي رأيت منصورا الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأعطاني مالم أؤمل فقلت له أحسن ما توجه العبد به إلى الله ماذا قال الصدق وأقبح ما توجه به الكذب وقال أبو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رأيت صدقا فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث

﴿الباب الثالث في الصدق﴾

(١) حديث ان الصدق يهدي الى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

خصال

خصال انها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها و يتدارسونها * لا كنز أنفع من العلم ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت * وقال محمد بن سعيد المروزي إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال أبو بكر الورّاق احفظ الصدق فيما بينك و بين الله تعالى والرفق فيما بينك و بين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح أموره سبيل فقال

قد بقينا من الذنوب حيارى * نطلب الصدق ماإليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل ما أصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن (١) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر

{ بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه }

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه {الصدق الاول} صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار أو فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا أن ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به و يقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا (٢) كان رسول الله ﷺ إذا توجه الى سفر ورّى بغيره وذلك كي لا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله ﷺ (٣) ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو أنمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب

(١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده بهذا اللفظ (٢) حديث كان إذا أراد سفرا ورّى بغيره متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث

---

حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والضجر لان اتساع الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بوقع الرضا عن المحب الصادق لان المحب يرى ان الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

{ الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها }

(حدثنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال انا أبو طالب الزيني قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبو الهيثم الكشميهني قال أنا أبو عبد الله الفربري قال أنا

والصـدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيـه الا الصدق النية وارادة الخـير فهما صح قصده وصـدقت نيته وتجردت للخير ارادته صار صادقا وصـديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيـه أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم انه كان يطلبـه بعض الظلمة وهو فى داره فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع على الدائرة وقولى ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الـكذب ودفع الظالم عن نفسه فـكان قوله صـدقا وأفهم الظالم انه ليس فى الدار فالـكمال الاول فى اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا الا عنـد الضرورة والـكمال الثانى أن يراعى معنى الصدق فى ألفاظه التى يناجى بها ربه كـقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كـذب وكـقوله اياك نعبد وقوله أنا عبـد الله فانه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صـدقا ولو طولب يوم القيامة بالصـدق فى قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبد النفسه أو عبدا لدنيا أو عبد الشهواته لم يكن صادقا فى قوله وكل ما تقيد العبـد به فهو عبـد له كما قال عيسى عليه السـلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا ﷺ (١) تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشئ عبداله وانما العبد الحق لله عز وجـل من أعتق أولا من غير الله تعـالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيـه العبودية لله فتشغله بالله و بمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعـالى ثم تجاوز هذا الى مقام آخر أسـنى منـه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو ابعاد فتفنى ارادته فى ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتـلاه رضى لم يبق فيـه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية لله تعالى فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين وأما الحرية عن غـير الله فدرجات الصادقين و بعدها تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق فى القول ﴿الصدق الثانى﴾ فى النية والارادة و يرجع ذلك الى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كما روينا فى فضيلة الاخلاص من حديث (٢) الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كـذبت بل أردت أن يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقـل له لم تعمل ولـكنه كـذبه فى ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد فى القصد وكـذلك قول الله تعالى ـ والله يشهد ان المنافقين لـكاذبون ـ وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولـكن كـذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التـكذيب يتطرق الى الخـبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول فـكذب فى دلالته بقرينة الحال على ما فى قلبه فانه كـذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معانى الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فـكل صادق فلابد وأن يكون مخلصا ﴿الصـدق الثالث﴾ صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه أو بشطره أو ان لقيت عدوّا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وان قتلت وان أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردّد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة فـكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوّة كما يقال لفلان شهوة صادقة و يقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تـكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصـدق و يراد به هذا المعنى

---

متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وقد تقدّم (١) حديث تعس عبد الدينار الحديث البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث الثلاثة حين سال العالم ماذا عملت فيما علمت الحديث تقدم

أبو عبـد الله البخارى قال ثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنـه عن النبى ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبـه إلا لله ومن يكره أن يعود فى الـكفر بعد إذ أنقذه الله منـه كما يكره أن يلقى فى النار (وأخبرنا شيخنا أبو زرعـة طاهر ابن أبى الفضـل قال أنا أبو بكر ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا أبو عمـرو ابن حيوة قال حدثنى أبو عبيد ابن مؤمـل عن أبيه قال حدثنى بشر بن محمد قال حدثنا عبد الملك

والصادق

والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضى الله عنه لأن أقدم فتضرب عنقى أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود أبى بكر رضى الله عنه وأكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين فى العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهى به الى أن يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلى ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل فى الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو وأبو بكر كانت حياته أحب اليه من حياة أبى بكر الصديق ﴿الصدق الرابع﴾ فى الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال اذ لا مشقة فى الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روى عن (١) أنس ان عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله ﷺ فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه أما والله لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحدا فى العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو الى أين فقال واها لريح الجنة انى أجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخى الا بثيابه فنزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (٢) ووقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال (٣) فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوى فلا أدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله ﷺ ورجل جيد الايمان اذا لقى العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عائر فقتله فهو فى الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيأ لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الرابعة * وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله تعالى مالا لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شئ نووه فى أنفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب عنقى أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم الا أن تسول لى نفسى عند القتل شيأ لا أجده الآن لانى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها أشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى

(١) حديث أنس ان عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله ﷺ الحديث فى قتاله بأحد حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة ونزول رجال صدقوا الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا ان هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر (٢) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا (٣) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان الحديث الترمذى

ابن وهب عن ابراهيم بن أبى عبلة عن العرباض ابن سارية قال كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وسمعى وبصرى وأهلى ومالى ومن الماء البارد فكأن رسول الله ﷺ طلب خالص الحب وخالص الحب هو أن يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد قد يكون فى حال قائما بشروط حاله بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل أن يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر الى الانقياد بالعلم لا الى الاستعصاء بالجبلة فقد يحب الله تعالى ورسوله بحكم الايمان ويحب الأهل والولد بحكم الطبع

ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لى صدقت وعرجا إلى السماء ﴿الصدق الخامس﴾ فى الأعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف ماذكرنا من ترك الرياء لان المرائى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الاعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذا المخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق ولذلك قال رسول الله ﷺ (١) اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة وقال يزيد بن الحرث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فماله * على سعيه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار فى السوق نافق * ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا وقال معاوية ابن قرة من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ويبكى وقال أبو يعقوب النهرجورى الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق ﴿الصدق السادس﴾ وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هى الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا (٢) وسئل أبو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله ﷺ عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه اذا خاف سلطانا أو قاطع طريق فى سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية

وللمحبة وجوه وبواعث المحبة فى الانسان متنوعة * فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله ﷺ وقد ذكر الاهل والمال والماء البارد معناه استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله تعالى غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله تعالى أغلب فى الطبع أيضا والجبلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا صافيا لخواص تنغمر به وبنوره نار الطبع والجبلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه الى مواطن القرب (قال) الواسطى فى قوله تعالى يحبهم

وقال حسن (١) حديث اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى الحديث تقدم ولم أجده (٢) حديث أبى ذر سألته عن الايمان فقرأ قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا رواه محمد ابن نصر المروزى فى تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجد له اسنادا

عليه ولذلك قال ﷺ (١) لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق فى هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اماضعيف واماقوى فاذاقوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لانهاية لها ولذلك قال النبى ﷺ (٢) لجبريل عليه السلام أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل أرنى فواعده البقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبى ﷺ فاذا هو به قد سد الافق يعنى جوانب السماء فوقع النبى ﷺ مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال النبى ﷺ ماظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى كالعصفور الصغير فانظر ما الذى يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم فى المعرفة فهذا هو الصدق فى التعظيم وقال جابر قال رسول الله ﷺ (٣) مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالى من خشية الله تعالى يعنى الكساء الذى يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله ﷺ ولذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى فى دين الله وقال مطرف مامن الناس أحد الا وهو أحمق فيما بينه و بين ربه الا أن بعض الحمق أهون من بعض وقال النبى ﷺ (٤) لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر إلى الناس كالاباعر فى جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير فالصادق اذا فى جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الامور دون بعض فان كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وماهو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وماسمعت رسول الله ﷺ يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ماظننت ان هذه الخصال تجتمع الا فى النبى عليه السلام فهذا صدق فى هذه الامور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هى درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ فى حقيقة الصدق فى الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعانى نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى ـ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ـ وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم أوتاد الارض وكل هذا يدور على ماذكرناه فى الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام مافيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى إذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لا نظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكونى الى خلقى خذلته ولا أبالى فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها * تم كتاب الصدق والاخلاص يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة والحمد لله

---

(١) حديث لم أر مثل النار نام هاربها الحديث تقدم (٢) حديث قال لجبريل أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك فقال لا تطيق ذلك الحديث تقدم فى كتاب الرجا والخوف أخصر من هذا والذى ثبت فى الصحيح أنه رأى جبريل فى صورته مرتين (٣) حديث مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالى من خشية الله الحديث محمد بن نصر فى كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الايادى ضعفه الجمهور وقال البيهقى ورواه حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن محمد بن عمير بن عطارد وهذا مرسل (٤) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر فى جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير لم أجد له أصلا فى حديث مرفوع

---

ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات (وقال) بعضهم المحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فاذا الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الامر وربما كان حبا من معدن العلم بالآلاء والنعماء وهذا الحب مخرجه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب فى المقامات فيكون النظر الى هذا الحب العام الذى يكون لكسب العبد فيه مدخل (وأما) الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذى فيه السكرات وهو الاصطناع من

﴿كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت فتعلم انه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته تترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء (أما بعد) فقد قال الله تعالى ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ـ وقال تعالى ـ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقال تعالى ـ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ـ وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ وقال تعالى ـ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ـ وقال تعالى ـ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه ـ وقال تعالى ـ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون فى الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق

﴿المقام الاول من المرابطة المشارطة﴾

اعلم أن مطلب المتعاملين فى التجارات المشتركين فى البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى ـ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ـ وانما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج الى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها

الله الكريم لعبده واصطفاؤه اياه وهذا الحب يكون من الأحوال لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبى صلى الله عليه وسلم أحب الى من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات (وهذا) الحب روح والحب الذى يظهر عن مطالعة الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا الروح ولما صحت محبتهم هذه أخبر الله تعالى عنهم بقوله أذلة على المؤمنين لان المحب يذل لمحبوبه ولمحبوب محبوبه وينشد لعين تفدى ألف عين وتتقى ويكرم ألف للحبيب المكرم وهذا الحب الخالص هو واصل

الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لايغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلاله الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولاخير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذى لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذى لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه الانفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة الا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وانسأ في أجلي وأنعم على به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثم قد رددت فاياك ثم اياك أن تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لاقيمة لها واعلمي يانفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه (١) ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوأة نورا من حسناته التى عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التى هى وسيلته عند الملك الجبار مالو وزع على أهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع مالو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهى الساعة التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ماينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم في أن تعمرى خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين مايدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لاتفارقك وان دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفى عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهى العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها رعاياخادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم أو الى عورة مسلم أو النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ماخلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله

الاحوال السنية وموجبها وهو في الاحوال كالتوبة في المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل على ماشرحناه أولا ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الاحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجسمان لانها مشتملة على الحب العام الذى هو لهذا الحب كالجسد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق المحبة يتكمل فيه ويجتمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذى تشتمل عليه التوبة

(١) حديث ينشر للعبد كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوأة من

وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها في عضو عضو لاسيما اللسان والبطن أما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولامؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لايحرك اللسان طول النهار الافي الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة ومايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشرط على نفسه انها ان خالفت شيأ من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشرط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولاتخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفتقر اليها في كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان أطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لايخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشئ من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا ومايجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا أن الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى (١) عبادة بن الصامت انه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلاتعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس عنه ﷺ أنه قال (٢) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله أئنا لمدينون أي لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيؤا للعرض الاكبر وكتب إلى أبي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الامن حاسب نفسه فقال كعب ياأمير المؤمنين انها الى جنبها في التوراة مابينهما حرف الامن حاسب نفسه وهذا كله اشارة إلى المحاسبة للمستقبل اذقال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها

﴿المرابطة الثانية المراقبة﴾ إذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ماذكرناه فلايبقى إلاالمراقبة لها عند الخوض

---

حسنا نه الحديث بطوله لم أجده أصلا (١) حديث عبادة بن الصامت اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته الحديث تقدم

(٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم

---

النصوح وعند ذلك لاينقلب في أطوار المقامات لان التقلب في أطوار المقامات والترقي من شئ منها إلى شئ طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قوله تعالى ويهدي إليه من ينيب أثبت كون الانابة سببا للهداية في حق المحب وفي حق المحبوب صرح بالاجتباء غير معلل بالكسب فقال تعالى الله يجتبي اليه من يشاء فمن أخذ في طريق المحبوبين يطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها بأتم وصفها والمقامات لاتقيده ولاتحبسه وهو يقيدها ويحبسها

في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت * ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها ﴿أما الفضيلة﴾ فقد (١) سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه وقال عليه السلام (٢) اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى ـ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ـ وقال تعالى ـ ألم يعلم بان الله يرى ـ وقال الله تعالى ـ ان الله كان عليكم رقيبا ـ وقال تعالى ـ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون ـ وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره وقال أبو عثمان المغربي أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك * وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع على في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرم * وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار * وحكي عن بعض الاحداث أنه زاود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحي فقال ممن أستحيي ومايرانا الا الكواكب قالت فأين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب أهل الارض فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى أن الله تعالى قال لملائكته أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن وقال محمد بن على الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ـ فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب * وان غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن على عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على

بترقيه منها وانتزاعه صفوها وخالصها لانه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية فالزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جنود في النفس ما أشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقي ظلمها وجودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جودها فاذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت

(١) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله كأنك تراه الحديث تقدم

أمر عظيم ولئن كنت تظن انه لايراك فلقد كفرت وقال سفيان الثورى عليك بالمراقبة ممن لاتخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السنجى ان المنافق ينظر فاذا لم يرأحدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولايراقب الله تعالى وقال عبدالله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بعنى شاة من هذه الغنم فقال انى مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة

﴿ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها ﴾

اعلم أن حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من أمر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعى جانبه ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا فى الجوارح وفى القلب أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه وأما المعرفة التى تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب فى حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعنى انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لاشك فيه لايغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين

الدرجة الأولى مراقبة المقربين من الصديقين وهى مراقبة التعظيم والاجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر فى تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب أما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت فى حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعى والقلب هو الراعى فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لايبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لاصمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بى فحركنى ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا فى القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملك قد لايحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل فى الفكر فيه ويمشى فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت ياعتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت فى الطريق فقال مارأيت أحدا ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ماظننتها الا جدارا وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى فقلت أنت وحدك فقال معى ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لايتكلم إلا منه ولايسمع إلا فيه فهذا لايحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لاتتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلى على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لايتحرك من ظاهره شئ فقال له من أين أخذت هذه المراقبة

والسكون

---

رغبته وماذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كليته (قال) الروذبارى مالم تخرج من كليتك لاتدخل فى حد المحبة وقال أبو يزيد من قتلته محبته فديته رؤيته ومن قتله عشقه فديته منادمته (أخبرنا) بذلك أبو زرعة عن ابن خلف عن أبى عبد الرحمن قال سمعت أحمد ابن على بن جعفر يقول سمعت الحسين بن علويه يقول قال أبو يزيد ذلك فاذا التقلب فى أطوار المقامات لعوام المحبين وطى بساط الاطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن هممهم

والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شئ فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل ومابقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع رأسه الى وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيأ ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت في سري أحلفهما أن يعظاني لعلي أن أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك * الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم و باطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الاحوال والأعمال الا أنها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه و يمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته و بالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه و يتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى أمضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر أنه (١) ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الأول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت إليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت أ بعلم محقق أم بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال له لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك لا إله إلا الله فيكون أجرك على الله أو لمرآة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني أقول ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون

(١) حديث ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الأول لم والثاني كيف والثالث لمن لم أقف له على

المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهي مواطن من يتعثر في أذيال بقاياه (قال) بعض الكبار لابراهيم الخواص إلى ماذا أدى بك التصوف فقال الى التوكل فقال تسعى في عمران باطنك أين أنت من الفناء في التوكل برؤية الوكيل فالنفس إذا تحركت بصفتها متفلتة من دائرة الزهد يردها الزاهد الى الدائرة بزهده والمتوكل اذا تحركت نفسه ردها بتوكله والراضي يردها برضاه وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تفتقر إلى سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو أداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه

لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة الا بعد التأمل وقد قال النبي ﷺ (١) لمعاذ أن الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتة الطين بأطبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله أمضاه وقال الحسن رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تأخر وقال في حديث (٢) سعد حين أوصاه سلمان اتق الله عند همك إذا هممت وقال محمد بن على ان المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الاعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه و بين ما يحبه الله و يرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الا كثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه و يزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم و يستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لا تسأل عني عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا فلتكن همة المريد أولا في احكام العلم أو في طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله ﷺ (٣) ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام (٤) من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا فما قدر العقل الضعيف الذي يسعد الآدمي به حتى يعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة في اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان

الاجتهاد والكسب ومن أخذ في طريق الخاصة عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأنوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضا كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وان رغب لانه بالحق لا بنفسه وان رؤى منه الالتفات الى الاسباب فهو متوكل وان وجد منه الكراهة فهو راض لان كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته للحق أعيد اليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة

أصل (١) حديث قال لمعاذ ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه الحديث تقدم في الذي قبله (٢) حديث سعد حين أوصاه سلمان أن اتق الله عند همك اذا هممت أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدني ضعفه الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا تقدم ولم أجده

فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر (١) أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الامر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله ﷺ اذ قال (٢) فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ـ ولا تقف ماليس لك به علم ـ وقوله عليه السلام (٣) اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه و يتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى (٤) وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة * أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي ﷺ (٥) اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده ـ وكان فضل الله عليك عظيما ـ وأراد به العلم وقال تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ـ وقال تعالى ـ ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرا التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله تعالى انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما أصيب مما في يديك فلا تجزع على مالم يصل اليك واستدل على مالم يكن بما كان فانما الامور أشباه والمرء يسره درك مالم يكن ليفوته و يسوءه فوت مالم يكن ليدركه فمانالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا ومافاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ماخلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة * فاذا النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال ﷺ (٦) ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لايخاف في الله لومة لائم ولايرائي بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وأكثر ماينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لايعنيه فيتركه لقوله ﷺ (٧) من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه * النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل مايمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فانه لايخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ (٨) خير المجالس مااستقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لايجالس الملوك كذلك

موهوبة مجهولة ملطوف بها صار عين الداء دواءه وصار الاعلال شفاءه وناب طلب الله له مناب كل طالب من زهد وتوكل ورضا وصار مطلوبه من الله ينوب عن كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا (قالت) رابعة محب الله لايسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه (وقال) أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك ولا يبقى لك منك شئ (وقال) أبو الحسين الوراق السرور بالله من شدة المحبة له والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس (وقال) يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبر الانسان عن

(١) حديث أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا الحديث تقدم (٣) حديث اياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الامور ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لايخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٧) حديث من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه تقدم (٨) حديث خير المجالس مااستقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم

حبيبه (وقال بعضهم) من أدعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد
تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيع
واذا كان الحب للاحوال كالتوبة للمقامات فمن ادعى حالا يعتبر حبه ومن ادعى محبة تعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القالب والاحوال

وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التى ذكرناها فى مواضعها فكل ذلك داخل فى المراقبة بل لو كان فى قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما أن يكون فى طاعة أو فى معصية أو فى مباح فمراقبته فى الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان فى مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم فى النعمة و بالشكر عليها ولا يخلو العبد فى جملة أحواله عن بلية لابد له من الصبر عليها ونعمة لابد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد فى كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى و يسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة - ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه - فينبغى أن يتفقد العبد نفسه فى جميع أوقاته فى هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغى أن يلتمس أفضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت فى مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدرى العبد أيعيش اليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها وساعة راهنة ينبغى أن يجاهد فيها نفسه و يراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه فى آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدرى واذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغى أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه (١) أبو ذر رضى الله تعالى عنه من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم وما روى عنه أيضا فى معناه (٢) وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان فى هذه الساعة عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة و يلاحظون وجه الاضطرار إليه و يودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون فى الصنعة الصانع و يترقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله فى النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه

(١) حديث أبى ذر لا يكون المؤمن ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد الحديث أحمد وابن حبان والحاكم وصححه انه ﷺ قال انه فى صحف موسى وقد تقدم (٢) حديث وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه الحديث وهى بقية حديث أبى ذر الذى قبله .

و يفرحون بما حضرهم من جملته و يذمون منه مالا يوافق هواهم و يعيبونه و يذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يلومون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيأ من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي ﷺ (١) لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الاصول

﴿ المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها ﴾

﴿أما الفضيلة﴾ فقد قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ـ وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يارسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر و ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى ـ وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ـ والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي ﷺ (٢) انى لأستغفر الله تعالى وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ـ ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ـ وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل و يقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث (٣) أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني و بينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال و يفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول و بيني و بينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ـ ولا أقسم بالنفس اللوامة ـ قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن

(١) حديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم مائة مرة تقدم غير مرة (٣) حديث أبي طلحة حين شغله الطائر عن صلاته فجعل حديقته صدقة تقدم غير مرة

أعراض قوامها بجوهر الروح (وقال) سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي ﷺ قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى (وقال) أبو يعقوب السوسي لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن هذا بالمحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محبا من غير محبة (سئل) الجنيد عن المحبة قال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب (قيل) هذا على معنى قوله تعالى فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا وذلك أن المحبة إذا صفت وكلت

يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى مكياله رحم الله امرأ نظر فى ميزانه فما زال يقول حتى أبكانى وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه ياحنيف ماحملك على ماصنعت يوم كذا ماحملك على ماصنعت يوم كذا

﴿ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل ﴾

اعلم ان العبد كما يكون له وقت فى أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى أن يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها مالو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ماهذه المساهلة الاعن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل فكذلك رأس مال العبد فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فيحاسبها على الفرائض أولا فان أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها فى مثلها وان فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وان أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها مايتدارك به مافرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش فى حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن فى شئ منها فينبغى أن يتقى غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ماتكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ماسيتولاه غيره فى صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقى على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقى الذى على شريكه على قلبه وفى جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه و بعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شئ من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقى من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغى ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة فى جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فاذا هى أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال ياويلتى ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يالك ركضة الى الفردوس الأعلى فهكذا ينبغى أن يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح فى كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا فى داره لامتلأت داره فى مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل فى حفظ المعاصى والملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه

﴿ المرابطة الرابعة فى معاقبة النفس على تقصيرها ﴾

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير فى حق الله تعالى فلا ينبغى أن يهملها فانه ان أهملها سهل عليه مقارفة المعاصى وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغى أن يعاقبها فاذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغى أن يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغى أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكى طريق الآخرة فقد

لا تزال تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأكدة وكمال وصف المحبة أزال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة فى صدق الحب ونظرا الى قصوره بعد استنفاد جهده فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته
واذا أبصرته أبصرتنا

وهذا الذى عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله ﷺ

روى عن منصور بن ابراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست وروى أنه كان فى بنى اسرائيل رجل يتعبد فى صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل اليها فأدركه الله بسابقة فقال ماهذا الذى أريد أن أصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد أن يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد أن تعصى الله تعود معى فى صومعتى لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة فى الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأنزل فى بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريبى يقول أصابتنى ليلة جنابة فاحتجت أن اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخرا وتقصيرا فحدثتنى نفسى بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعنى على نفسى فقلت واعجبا أنا أعامل الله فى طول عمرى فيجب له على حق فلا أجد فى المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل الا فى مرقعتى هذه وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها فى الشمس ويحكى أن غزوان وأباموسى كانا فى بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال انك للحاظة الى مايضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى أن حسان بن أبى سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسى يسأل عن أبى بعد العصر فقلنا انه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا له ألا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم عنى شيأ أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء ومايدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين أما ان لله على عهدا لا أنقضه أبدا الا أوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل أو لعقل زائل سوأة لك أما تستحين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكانى فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته ويحكى عن تميم الدارى أنه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع (١) وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء فكان يقول لنفسه ذوقى ونار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك إذ أبصر النبى ﷺ فى ظل شجرة فأتاه فقال غلبتنى نفسى فقال له النبى ﷺ ألم يكن لك بد من الذى صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يافلان ادع لى يافلان ادع لى فقال النبى ﷺ عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبى ﷺ يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهواتها فقال ما على وجه الارض نفس أبغض الى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن السماك على داود الطائى حين مات وهو فى بيته على التراب فقال ياداود سجنت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك أتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال ياابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبدالله بن قيس كنا فى غزاة لنا فحضر العدو فصيح فى الناس فقاموا الى المصاف فى يوم شديد الريح واذا رجل أمامى وهو يخاطب نفسه ويقول أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء وكان يقول لنفسه ونار جهنم أشد حرا الحديث بطوله ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس من رواية ليث بن أبى سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ولا أدرى من طلحة هذا

تخلقوا بأخلاق الله لانه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان يزكى نفوس أحبائه بحسن توفيقه وتأييده واذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده رتبة فى الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه الى ماوراء ذلك لكون عطايا الله غير متناهية وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذى يسكن نيران شوقه وبباعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق

أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وان عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء مادام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ماحملك على أن صنعت يوم كذا كذا وأنكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما أريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولاذاق داود ملحا مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدولك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها ﴿ المرابطة الخامسة المجاهدة ﴾ وهو أنه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الاوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها * فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها * فاقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ماورد في الاخبار من فضل المجتهدين (١) ومن انفع أسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى أحوال محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا العلاج قد تعذر اذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي أن يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل مايشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم مايحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله ﷺ (٢) رحم الله

(١) الاخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين وله وللنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة باسناد صحيح رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته وللترمذي من حديث بلال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الاوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢) حديث رحم الله أقواما تحسبهم مرضى وماهم بمرضى لم أجد له أصلا في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في الزهد موقوفا على علي في كلام له قال فيه ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم



رجع القهقرى وظهرت صفات نفسه الحائلة بين المرء وقلبه ومن ظن من الوصول غير ماذكرناه أو تخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت (واشارات) الشيوخ في الاستغراق والفناء كلها عائدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا وأمت اللوث الوجودي من بقاء صفات النفس واذا صحت المحبة ترتبت عليها الاحوال وتبعتها (سئل) الشبلي عن المحبة فقال كأس لها وهج اذا استقر في الحواس وسكن

أقواما يحسبهم الناس مرضى وماهم بمرضى قال الحسن أجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ماعملوا من أعمال البر و يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله ﷺ (١) طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول لملائكته مابال عبادي مجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيأ فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهادا * وقال الحسن أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شئ منها أدبر ولهى كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطؤنه بأرجلكم ان كان أحدهم ليعيش عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه و بين الأرض شيأ قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله مازالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ماسلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة و يحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له يافتى ماالذى بلغ بك ماأرى فقال ياأمير المؤمنين أسقام وامراض فقال سألتك بالله الا صدقتني فقال ياأمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري وأسهرت ليلي وقليل حقير كل ماأنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال ياابن أخي ان لي في البيت منذ عشرين سنة مانظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ماأحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة و يصوم في الحر حتى يخضر جسده و يصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده و يصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له ان الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا فقال انما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيأ الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلي جالسا ألف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حببت اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت أذنت لاحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري وقال الجنيد مارأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا مايصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وماهذا عند مايراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن أبي محمد المغازلي قال جاور أبو محمد الجريري

في النفوس ثلاث (وقيل) للمحبة ظاهر و باطن ظاهرها اتباع رضا المحبوب و باطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شئ ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه (فمن الاحوال السنية في المحبة الشوق) ولا يكون المحب الا مشتاقا أبدا لان أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال يبلغها المحب الا و يعلم أما وراء ذلك أوفى منها وأتم ... حزني كحسنك لا لذا أمد ينتهى اليه ولا لذا أمد ... (ثم) هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وانما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين قال أحمد بن أبي الحواري دخلت على أبي سليمان

من مرض (١) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن بشر وفيه بقية رواه بصيغة عن وهو مدلس وللترمذي من حديث أبي بكرة خير الناس من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم

بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له
ياأبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فأعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا
وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته قدمد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت
منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت ولم بالله يافتح بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفتني بالله ماأخبرتك نعم بكيت دما
فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى و بكيت الدم على الدموع لئلا يكون
ماصحت لي الدموع قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت ماصنع الله بك قال غفر لي فقلت له فماذا صنع في دموعك
فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يافتح الدمع على ماذا قلت يارب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا
فقلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يافتح ماأردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة
بصحيفتك مافيها خطيئة وقيل ان قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس
فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا ياراهب انا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فاومأ برأسه الى السماء
فعلم القوم ماأراد فقالوا ياراهب انا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود
والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا
فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد مابلغ البغية ثم أرشدهم الى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال
عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته ياراهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني
فناديته الثالثة فاشرف عليّ وقال ياهذا ماأنا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على
بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته
وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب
عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت ياراهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد أن
عرفوه فقال ياأخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن
قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه وأقبل على مايقربه من ربه * وقيل لداود الطائي أو سرحت لحيتك فقال اني
اذا لفارغ وكان أويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه
ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت
بنفسك قال الرفق أطلب دعيني أتعب قليلا وأتنعم طويلا وحج مسروق فما نام قط الا ساجدا وقال سفيان الثوري
عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبد الله بن داود كان أحدهم إذا بلغ أربعين
سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي
ياماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي و يقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم
تقول له ياأبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فيقول يا ابنتاه إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الربيع مايلقى
الربيع من البكاء والسهر نادته يابني لعلك قتلت قتيلا قال نعم ياأماه قالت فمن هو حتى نطلب أهله فيعفو عنك فوالله
لو يعلمون ماأنت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول ياأماه هي نفسي وعن عمر ابن أخت بشر بن الحرث قال سمعت
خالي بشر بن الحرث يقول لامي ياأختي جوفي وخواصري تضرب عليّ فقالت له أمي ياأخي تأذن لي حتى أصلح لك
قليل حساء بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق
فلا أدري أيش أقول له فبكت أمي و بكى معها و بكيت معهم قال عمر ورأت أمي مابيشر من شدة الجوع وجعل
يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له أمي ياأخي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطعت كبدي مما أرى بك فسمعته يقول لها
وأنا فليت أمي لم تلدني واذ ولدتني لم يدر ثديها عليّ قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع أتيت أويسا
فوجدته جالسا حتى صلى الفجر ثم جلس فجلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى

الداراني فرأيته يبكي فقلت مايبكيك رحمك الله قال ويحك ياأحمد اذا جن هذا الليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل جلّ جلاله عليهم يقول بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني مطلع عليهم في خلواتهم اسمع أنينهم وأرى بكاءهم ياجبريل ناد فيهم ماهذا البكاء الذي أراه فيكم هل خبركم مخبر أن حبيبا يعذب أحبابه بالنار كيف يجمل بي أن أعذب قوما اذا جن عليهم الليل تملقوا الي في حلفت اذا وردوا القيامة عليّ أن أسفر لهم عن

الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى
الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم انى أعوذ بك من عين نوّامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبى هذا منه ثم
رجعت ونظر رجل الى أويس فقال يا أبا عبد الله مالى أراك كأنك مريض فقال ومالأويس أن لا يكون مريضا
يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم وقال أحمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين
فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك أتيت ابراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشاء
فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن
فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوأ فحاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد
الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا فى رياض الجنة أحيانا وفى أودية النار أحيانا فهل فى ذلك نوم وقال ثابت البنانى
أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجز عن ان يأتى فراشه الا حبوا وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة
لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء فى احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به أهله وقيل كان ورد سمنون فى كل
يوم خمسمائة ركعة وعن أبى بكر المطوعى قال كان وردى فى شبيبتى كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هو الله أحد احدى
وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى وكان منصور بن المعتمر اذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة
منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذى
تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لا تسكت لعلك يا بنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت
بنفسى وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا انى صرفت طعام النهار الى
الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها
وكان اذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى
يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس أربعة
أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال صليت خلف
على رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله
لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما أرى اليوم شيأ يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا
وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح
وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا
فى مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا منى فاذا
دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول أيظن أصحاب محمد
ﷺ أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان
ابن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد مالو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا وكان اذا جاء
الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وانه مات
وهو ساجد وانه كان يقول اللهم انى أحب لقاءك فأحب لقائى وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت
بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ فمن الله علينا ووقانا
عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهى كما هى فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت
أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو وقال محمد بن اسحق
لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء
العشاء وقال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه
سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين

وجهى وأبيحهم
رياض قدسى
(وهذه) أحوال
قوم من المحبين
أقيموا مقام الشوق
والشوق من المحبة
كالزهد من التوبة
اذا استقرت التوبة
ظهر الزهد واذا
استقرت المحبة ظهر
الشوق (قال)
الواسطى فى قوله
تعالى وعجلت اليك
رب لترضى قال
شوقا واستهانة بمن
وراءه قال هم أولاء
على أثرى من شوقه
إلى مكالمة الله ورمى
بالالواح لما فاته
من وقته (قال) أبو
عثمان الشوق ثمرة
المحبة فمن أحب الله
اشتاق الى لقائه
(وقال) أيضا فى
قوله تعالى فان أجل
الله لآت تقربة
للمشتاقين معناه أنى
أعلم ان شوقكم
الى غالب وأنا أجلت

وقيل للحسن مابال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن
عبد القيس يقول الهى خلقتنى ولم تؤامرنى وتميتنى ولا تعلمنى وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته
يرانى ولا أراه ثم قلت لى استمسك الهى كيف استمسك ان لم تمسكنى الهى فى الدنيا الهموم والاحزان وفى الآخرة
العقاب والحساب فأين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى
العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى
الثلث الثانى صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به
بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه ولكن انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد
الشيبانى قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل و بنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فاذا كان السحر
نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع
من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد
القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا
الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين و بيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين
الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف
الفوائد ومالا يمكن واصفا ان يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن
أرادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير
فى بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا أنا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت
الصوت فاذا أنا بروضة عليها شجر ملتف واذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الى قوله و يحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر مغشيا عليه
فقلت وا أسفاه هذا لشقائى ثم انتظرت افاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين
أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال
المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وما للدنيا ولى عليك يا دنيا بأبناء جنسك
وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبى واياهم فاخدعى ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة فى التراب يبلون
وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات
وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه و بقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع
نزولها ثم لها عنى ساعة وقرأ و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الاولى وخر مغشيا
عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطرى هب لى اساءتى من
فضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به
الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه انى لفى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد
ابليس و يجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فاليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت الى
حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه و يتفضل على برحمته قال فقلت
هذا ولى لله أخاف ان أشغله فأعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير فى مسير لى
اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه
فاتبعته فسمعته وهو يقول ـ كل نفس ذائقة الموت ـ اللهم بارك لى فى الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن
بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر اليك
واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن

للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون اليه (وقال) ذوالنون الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات فاذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا الى ربه ورجاء للقائه والنظر اليه (وعندى) ان الشوق الكائن فى المحبين الى رتب يتوقعونها فى الدنيا غير الشوق الذى يتوقعون به ما بعد الموت والله تعالى يكاشف أهل وده بعطايا يجدونها علما و يطلبونها ذوقا فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت وربما الأصحاء من المحبين يتلذذون بالحياة لله تعالى كما قال

الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني أجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملي ثم مضى وتركني وقد أنشدوا في هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد * تراه بقمة أو بطن وادى
ينوح على معاص فاضحات * يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت * فدعوته أغثني يا عمادى
فانت بما ألاقيه عليم * كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغوانى * اذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال * يسيح الى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا * ويظهر فى العبادة بالامانى
تلذذه التلاوة أين ولى * وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير * يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى * من الراحات فى غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها فهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تنخرط فى سلك الحمق وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن امرأة فى أمر دينها ودنياها * ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روى عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت مني ليلتي فاهنأ أم رددتها على فاعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع فى نفسي من جودك وكرمك ويروى عن عجرة أنها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان فى السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني فى أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك فى عليين فى درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذاك قال فأتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيأ فكان لك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم فى جارحة من جوارحي وأنى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء فلم تزل ترددوانى

الجليل لرسوله عليه الصلاة والسلام قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فمن كانت حياته لله منحه الكريم لذة المناجاة والمحبة فتمتلئ عينه من النقد ثم يكاشفه من المنح والعطايا فى الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق الى ما بعد الموت وأنكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق لغائب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطاكي عن الشوق فقال انما يشتاق الى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته وانكار الشوق على الاطلاق لا أرى له وجها لان رتب العطايا والمنح من أنصبة

لى بالبكاء حتى غشى عليها وقال محمد بن معاذ حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت رأيت فى منامى كأنى أدخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ماشأن أهل الجنة قيام فقال لى قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التى زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أمة سوداء من أهل الايكة يقال لها شعوانة قالت فقلت أختى والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيبة تطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديت ياأختى أماترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فالحقنى بك قالت فتبسمت الى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين ألزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولايضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت فى بعض الليالى نائمة الى جنبى فانتبهت فالتمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فاذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى الا ماغفرت لى ذنوبى فقلت لها لاتقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت يامولاى بحبه لى أخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من خلقه نيام وقال أبو هاشم القرشى قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادمى أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيأ غير أنها لاترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن انك لاترى سوء فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شئ قدير * وقال ذوالنون المصرى خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ويبكى فلما قرب منى السواد إذا هى امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لى من أنت غير فزعة منى فقلت رجل غريب فقالت ياهذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لى ماالذى أبكاك فقلت قد وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع فى نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لايبكى قالت لا قلت ولم ذاك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها * وقال أحمد بن على استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول اللهم انى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها ياأمة الله ادعى لنا فقالت جعل الله قراكم فى بيتى المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لاينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق فى بطنه فياليت عفيرة اذا رفعت رأسها لم تعص وياليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت لاتبرحى حتى أنصرف اليك قال فانصرفت فلم أجدها فى الموضع فانصرفت الى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت يامولاى لاتعجل على انك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة فقالت ساء ماصنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها فى كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يابريرة كيف أصبحت قالت أصبحنا أضيافا منيخين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما ماذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شئ غير مانحن فيه * وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت أنا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان

القرب إذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ماوجد ولكن يكون مشتاقا الى مالم يجد من أنصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا (ووجه آخر) أن الانسان لابد له من أمور يردها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذى يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الامور مثير لنار الشوق ولا نعنى بالشوق الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاعلى من أنصبة القرب وهذه المطالبة كائنة فى المحبين فالشوق إذا كان لاوجه

السحر قلت ماجزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول فى دعائها إلهى ماأشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لايخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا أجلى ولم يقر بنى منك عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهى قد جرت على نفسى فى النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهى انك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولقد رجوت ممن تولانى فى حياتى باحسانه أن يسعفنى عند مماتى بغفرانه الهى كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى الا الجميل فى حياتى الهى ان كانت ذنوبى قد أخافتنى فان محبتى لك قد أجارتنى فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهى لو أردت اهانتى لما هديتنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم لى ما به سترتنى إلهى ماأظنك تردنى فى حاجة أفنيت فيها عمرى إلهى لولا ماقارفت من الذنوب ماخفت عقابك ولولا ماعرفت من كرمك مارجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى أقعدت وكانت تصلى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيأ من العفو ليهون عليها الأمر قال فشهقت ثم قالت علمى بنفسى قرح فؤادى وكلم كبدى والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيأ مذكورا ثم أقبلت على صلاتها * فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك أن تنظر الى أهل عصرك فانك ان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان أردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت انما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك الا مايجرى عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك أن تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقيهم وتركبى فى سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج فى نفسك أن المصيبة اذا عمت طابت أم تتركين موافقتهم وتستجهلينهم فى صنيعهم وتأخذين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لايتمادى الا ساعة فكيف لاتهربين من عذاب الابد وأنت متعرضة له فى كل حال ومن أين تطيب المصيبة إذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن لاتترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

﴿ المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها ﴾

اعلم ان أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هى النفس اللوّامة التى أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة الى أن تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك مالم تشتغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وانها أبدا تتعزز بفطنتها

لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة فيكون فى حال الغيبوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون فى حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوائد ومبار من الحبيب وافضاله وهذا هو الذى أراه وأختاره (وقال) فارس قلوب المشتاقين منوّرة بنور الله فاذا تحركت اشتياقا أضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الىّ أشهدكم أنى اليهم أشوق (وقال) أبو يزيد لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار (سئل) ابن عطاء عن

وهدايتها و يشتد أنفها واستنكافها اذا نسبت الى الحق فتقول لها يانفس ماأعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا أماتعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أوغدا فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أماتعلمين أن كل ماهوآت قريب وأن البعيد ماليس بآت أماتعلمين أن الموت يأتى بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وانه لايأتى فى شئ دون شئ ولافى شتاء دون صيف ولافى صيف دون شتاء ولافى نهار دون ليل ولافى ليل دون نهار ولايأتى فى الصبا دون الشباب ولافى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضى الى الموت فمالك لاتستعدين للموت وهو أقرب اليك من كل قريب أماتتدبرين قوله تعالى ـ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ـ ويحك يانفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لايراك فما أعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ويحك يانفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من أخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربى نفسك ان ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسى ساعة فى الشمس أوفى بيت الحمام أوقربى أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لاتعولين على كرم الله تعالى فى مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل فى دفعه ولاتكلينه الى كرم الله تعالى واذا أرهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا ممالاينقضى الا بالدينار والدراهم فمالك تنزعين الروح فى طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لاتعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعى منك ولاطلب أفتحسبين ان الله كريم فى الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لاتبديل لها وان رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للانسان الا ماسعى ويحك يانفس ماأعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك ـ ومامن دابة فى الأرض الا على الله رزقها ـ وقال فى أمر الآخرة وأن ليس للانسان الا ماسعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل أمر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها أعراض المغرور المستحقر ماهذا من علامات الايمان لوكان الايمان باللسان فلم كان المنافقون فى الدرك الاسفل من النار ويحك يانفس كأنك لاتؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين انك تتركين سدى ألم تكونى نطفة من منى يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فان كان هذا من اضمارك فما أكفرك وأجهلك أماتتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه فى قوله ثم اذاشاء أنشرك فان لم تكونى مكذبة فمالك لاتأخذين حذرك ولوأن يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بانه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لوأخبرك طفل بان فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبة له بدليل و برهان أفكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء أقل عندك من قول صبى من جملة الاغبياء أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لاتحسين بألمها الا يوما وأقل منه ماهذه أفعال العقلاء بل لوانكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يانفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فماذا أمنت استعجال الاجل وهبك انك

الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب (سئل) بعضهم هل الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منها فلا مشتاق الامن غلبه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصراباذى للخلق كلهم مقام الشوق لامقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لايرى له أثر ولاقرار (ومنها الانس) وقد سئل الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة (وسئل) ذو النون عن الانس فقال هو انبساط المحب إلى المحبوب قيل معناه قول الخليل أرنى

وعدت بالامهال مائة سنة أفتظنين أن من يطمع الدابة فى حضيض العقبة يفلح و يقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة فأقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه فى السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه وتعالى ثم هب ان الجهد فى آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلا فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان أوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه أعجز وأعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فأخرها الى سنة أخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا و يزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه فى الشباب لا يقدر عليه قط فى المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعنى عن الاستقامة الا حرصى على لذة الشهوات وقلة صبرى على الآلام والمشقات فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ان كنت صادقة فى ذلك فاطلبى التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع فى ذلك الا فى الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها فى مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات وما قولك فى عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح و يهنأ بشرب به طول عمره وأخبره أنه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل فى قضاء حق الشهوة أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضى شهوته فى الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الأبد الذى هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعرى ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار فى دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفى أو لحمق جلى أما الكفر الخفى فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب وأما الحمق الجلى فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه فى لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فى ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله ﷺ حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى و يحك يا نفس لا ينبغى أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظرى لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعى أوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمى الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدى للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب ولا تتكلين فى ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك أفتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلا أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة فى الشدة والبرودة أفتظنين أن العبد ينجو منها

كيف تحيى الموتى وقول موسى أرنى أنظر اليك وأنشد لرويم
شغلت قلبى بما لديك فلا ينفك طول الحياة عن فكر
آنستنى منك بالوداد فقد أوحشتنى من جميع ذا البشر
ذكرك لى مؤنس يعارضنى يوعدنى عنك منك بالظفر
وحيثما كنت يا مدى هممى فأنت منى بموضع النظر
(وروى) أن مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن أنسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا فى وحدتهم أشد استئناسا من الناس فى كثرتهم وأوحش ما يكون الناس

بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار و بردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى فى أن عرفك طريق التحصن و يسر لك أسبابه لا فى أن يندفع عنك العذاب دون حصنه كما أن كرم الله تعالى فى دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك وكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده وكما بدأ كم تعودون وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما أراك الا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين فى نفسك مودتها فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك و بين محابك أفترين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى أما تعلمين أن الدنيا دار لملك الملوك ومالك فيها الا المجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر ﷺ (١) ان روح القدس نفث فى روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس أتعلمين أن كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا و يأنس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري أوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا و يخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا أما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المنكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو أعقل عندك ان كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء يا نفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها أوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك وأطاعك أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد من على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف و يأبى ادبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها أم ما لك لا تزهدين فى قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها و يزيدون عليك فى نعيمها وزينتها فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك اذ رغبت عن ان تكوني فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكوني فى صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياما قلائل فيا حسرة عليك ان خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب

أنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون قال الواسطي لا يصل الا محل الأنس من لم يستوحش من الاكوان كلها (وقال) أبو الحسين الوراق لا يكون الانس بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لا تزداد به أنسا الا ازددت منه هيبة وتعظيما (قالت) رابعة كل مطيع مستأنس وأنشدت

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثي
وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس
وحبيب قلبي فى الفؤاد أنيسي

(وقال مالك بن دينار) من لم يأنس بمحادثة

(١) حديث ان روح القدس نفث فى روعي أحبب من احببت فانك مفارقه الحديث تقدم فى العلم وغيره

الموت

الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ويحك يانفس مالك إلا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ماضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك أما تعلمين يانفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الأكبر بين يديك أما علمت يانفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالايمان المغلظة أنهم لايبرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم أما تعلمين يانفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك مافرط منهم وأنت في أمنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة ويحك يانفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولاتستحيين من الخالق ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية أما تعلمين يانفس ان المذنب أنتن من العذرة وان العذرة لاتطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك ويحك يانفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس مايصيبهم بلاء إلا بشؤمك ويحك يانفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات مالو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح في يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يانفس ماأغدرك ويحك يانفس ماأوقحك ويحك يانفس ماأجهلك وماأجرأك على المعاصي ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك يانفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تنظرين الى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ويحك يانفس أمالك بهم عبرة أمالك اليهم نظرة أتظنين أنهم دعوا الى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ماتتوهمين ماأنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك أماتخافين إذا بلغت النفس منك التراقي أن تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يانفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولاتحزنين بنقصان عمرك ومانفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يانفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لايستكمله وكم من مؤمل لغد لايبلغه فأنت تشاهدين ذلك في اخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لاترجعين عن جهالتك فاحذري أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لايترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري يانفس بأي بدن تقفين بين يدي الله وبأي لسان تجيبين وأعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في أيام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل أن لاتعملي اخرجي من الدنيا اختيار الخروج الاحرار قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ولاتفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لايشعر فويل لمن له الويل ثم لايشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يانفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولاتكوني ممن يعجز عن شكر ماأوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولاينتهي واعلمي يانفس انه ليس للدين عوض ولاللايمان بدل ولاللجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يانفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة

الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره * قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله تعالى معي ولا يستوحش من أنس بربه (وقال الخراز) الانس محادثة الارواح مع المحبوب في مجالس القرب ووصف بعض العارفين صفة أهل المحبة الواصلين فقال جددلهم الود في كل طرفة بدوام الاتصال وآواهم في كنفه بحقائق السكون اليه حتى أنت قلوبهم وحنت أرواحهم شوقا وكان الحب والشوق منهم اشارة من الحق اليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله فذهبت مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه

فان من أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام والاطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فستقي الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي بأرحم الراحمين واشتكي الى أكرم الأكرمين وأدمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد أصبحت اليه اليوم مضطرة والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به برّ رؤف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا المذنب المصر أنا الجرىء الذى لا أقلع أنا المتمادى الذى لا أستحي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل إغاثتي وفرجي وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عظمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة الى الارض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عزوجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذى أرى بك قال يارب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليله الهي أنا الذى كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا ومأوى واعبيداه ان كانت المقامع لرأسك تهيأ واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى أتوب والى متى أعود أما آن لي أن أستحي

هم ولو ان الحق تعالى أمر جميع الانبياء يسألون لهم ما سألوه بعض ما أعدلهم من قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ هممهم عليه واجتماع أهوائهم فيه فصار يحسدهم من عبيده العموم أن رفع عن قلوبهم جميع الهموم (وأنشد في معناه)

كانت لقلبي أهواء مفرقة
فاستجمعت إذ رأتك النفس أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده
وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

(وقد) يكون

من ربى فهذه طرق القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام * تم كتاب المحاسبة والمراقبة * يتلوه كتاب التفكر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

﴿ كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمراقى أقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها أجيلى فى ذل العبودية منك فكرا لأنك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا وان طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى وأياديه كيف توالت عليك تترى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى فى بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر فى الافعال الى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا إمرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادى اشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وان كان لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا فى عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم فى سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فقد وردت السنة بان (١) تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث فى كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذى يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه فان كان لثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الاحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

﴿ فضيلة التفكر ﴾

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال (٢) ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عزوجل فقال النبى ﷺ تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى ﷺ (٣) أنه خرج على قوم ذات

من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس الذى يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندى كنس الوجود بثقل لائح العظمة وانتشار الروح فى ميادين الفتوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفى الهيبة اجتماع الروح ورسوبه إلى محل النفس وهذا الذى وصفناه

﴿ كتاب التفكر ﴾

(١) حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بلفظ ستين سنة باسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة واسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة (٢) حديث ابن عباس ان قوما تفكروا فى الله عزوجل فقال النبى ﷺ تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا اسناد فيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك (٣) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون

يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عزوجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها و بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عزوجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فاين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا ومن ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن (١) عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا و بيننا و بينها حجاب فقالت ياعبيد مايمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله ﷺ زرغبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله ﷺ قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى عزوجل فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال ومايمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعى ماغاية التفكر فيهن قال يقرؤهن و يعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا مايتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة ✲ ففى كل شئ له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن (٢) أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ماقد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ماطالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عزوجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ماعصوا الله عزوجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب و بينا أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان الفكر فى الدنيا

فقالوا نتفكر فى خلق الله الحديث رويناه فى جزء من حديث عبد الله بن سلام (١) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمير الى عائشة الحديث قال ابن عمير فاخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله ﷺ الحديث فى نزول ان فى خلق السموات والارض وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تقدم فى الصبر والشكر وأنه فى صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء (٢) حديث أبى سعيد الخدرى أعطوا أعينكم حظها من العبادة الحديث ابن أبى الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ بن حبان فى كتاب العظمة باسناد ضعيف

من أنس الذات وهيبة الذات يكون فى مقام البقاء بعد العبور على ممر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وماذكرناه بعد الفناء فى مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان و يفترقان بفرق لطيف يدرك بايماء الروح (ومنها) القرب قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام واسجد واقترب وقد ورد أقرب مايكون العبد من ربه فى سجوده فالساجد

حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحاق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

## ﴿ بيان حقيقة الفكر وثمرته ﴾

اعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالايثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالايثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني أن يعرف أن الابقى أولى بالايثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا أما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شئ واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث إنه يعبر منهما الى معرفة ثالثة وان لم يقع العبور ولم يمكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار وأما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تمحى عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى

إذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوى بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب (قال) بعضهم انى لاجد الحضور فاقول يا الله أو يارب فاجد ذلك على أثقل من الجبال قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادى جليسه وانما هي اشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات وهذا الذى وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وأفاق

طريق التفكر وأما أكثر الناس فانما منعوا الزيادة فى العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التى بها تستثمر العلوم كالذى لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيأ فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضى الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهى فى القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير فى الايراد فكم من انسان يعلم أن الآخرة أولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين وهو أن الابقى أولى بالايثار وان الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة وأما ثمرة الفكر فهى العلوم والأحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لاغير نعم إذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذى يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر أفضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذى يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى ـ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ـ وان أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا فى قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذا كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم أثمر تغير الارادة أعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والاقبال على أعمال الآخرة فههنا خمس درجات أولاها التذكر وهو احضار المعرفتين فى القلب وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضىء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لانهاية لها والاحوال التى تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد فى ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التى هى مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلنشر الى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر

## ﴿ بيان مجارى الفكر ﴾

اعلم أن الفكر قد يجرى فى أمر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك

تتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد الى محله ومقامه فيقول بالله ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة الى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح تستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الاقوال وهذا أتم وأقرب من الاول لانه وفى حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود حكم النفس الى محل الافتقار وحظ القرب لايزال بتوفر نصيب الروح باقامة رسم العبودية من النفس (وقال) الجنيد ان الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر

القسم الآخر ونعنى بالدين المعاملة التى بين العبد وبين الرب تعالى فجميع أفكار العبد اما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله واما ان تتلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر فى غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما أن يكون نظرا فى ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى واما أن يكون فى أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر فى هذه الاقسام بمثال وهو أن حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهى حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا * فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر فى معشوقه فاما أن يتفكر فى جماله وحسن صورته فى ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما أن يتفكر فى أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذاته ومقويا لمحبته وان تفكر فى نفسه فيكون فكره فى صفاته التى تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها أو فى الصفات التى تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر فى شئ خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفى القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فحب الله تعالى ينبغى أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا فى هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكره فى صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة الذى هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصى والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب وذكرنا تفصيلها فى ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصى تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون فى المسكن الحرام ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلاثة أمور الاول التفكر فى أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شئ لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثانى التفكر فى أنه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيتركه أو هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجارى الفكر فى هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر إما فى جميعها أو فى أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ولكن انحصر هذا القسم فى أربعة أنواع الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه ﴿النوع الاول المعاصى﴾ ينبغى أن يفتش الانسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها فى نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر فى اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعنى الى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا فى نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر فى شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر فى أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منه ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد أو بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجرا فى فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر فى حيلة الاحتراز ويتفكر فى سمعه انه يصغى به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وأن ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه ينبغى أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهى عن المنكر فمهما كان ذلك فيتفكر فى بطنه انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوّ للشهوة التى هى سلاح الشيطان عدوّ الله واما بأكل الحرام

ماذا يقرب من قلبك (وقال أبو يعقوب السوسى) مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن رؤية القرب بالقرب فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم

قد تحققتك فى السـ
ـر فناجاك لسانى
فاجتمعنا لمعان
وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعـ
ـظيم عن لحظ عيانى
فلقد صيرك الوجـ
ـد من الاحشاء دانى

قال ذو النون ما ازداد أحد من الله قربة الا ازداد هيبة (وقال سهل) أدنى مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراباذى باتباع السنة تنال المعرفة وباداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل

أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر
في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام
وان أكل الحلال هو أساس العبادات كلها (١) وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به
فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال
اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها ﴿وأما النوع الثاني وهو الطاعات﴾ فينظر أولا في الفرائض
المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع
الى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت
السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنا قادر
على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل
السرور على قلبه وأنظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه
اني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فما لي أعطله وقد أنعم الله علي به
وأودعنيه لاشكره فما لي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على
أن أتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وادخال
السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر
على أن أتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الآن
فانا الى ثواب الايثار أحوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه
وغلمانه وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه
الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان
الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات ﴿وأما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها
القلب﴾ فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء
والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن أن قلبه منزه عنها فيتفكر
في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس أبدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع
والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون بها أنفسهم واذا ادعت
الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في أنه هل هو
موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر
في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا
بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله
وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي
وارادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه
من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر
في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة
فاذا عرف أن الكبر مهلك وان أصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالة ذلك بان يتعاطى أفعال المتواضعين واذا وجد
في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من
صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه

(١) حديث ان الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم

وعن

تنال المحبة * ومنها
الحياء والحياء
على الوصف العام
والوصف الخاص
فاما الوصف العام
فما أمر به رسول
الله ﷺ في قوله
استحيوا من الله
حق الحياء قلوا
انا نستحي يا رسول
الله قال ليس ذلك
ولكن من
استحيا من الله
حق الحياء
فليحفظ الرأس
وما وعى والبطن
وما حوى وليذكر
الموت والبلى
ومن أراد الآخرة
ترك زينة الدنيا
فمن فعل ذلك
فقد استحيا من
الله حق الحياء
وهذا الحياء من
المقامات وأما
الحياء الخاص
فمن الاحوال
وهو ما نقل عن
عثمان رضي الله
عنه انه قال اني
لاغتسل في البيت
المظلم فانطوي
حياء من الله

وعن الملائكة المقربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلابد له من تحصيل ما في هذه الكتب ﴿وأما النوع الرابع وهو المنجيات﴾ فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها أحوال لا يثمرها الا علوم وأن العلوم لا يثمرها الا أفكار فاذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه وأياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك واذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا أراد حال الخوف فلينظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وانهم اذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله ﷺ (١) فانه قد أوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر إلى قوله ﷺ (٢) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة والمبتدئ ينبغي أن يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم أن

(أخبرنا أبو زرعة) عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت أحمد السقطي ابن صالح يقول سمعت محمد ابن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال لي سري احفظ عني ما أقول لك ان الحياء والانس يطوفان بالقلب فاذا وجدا فيه الزهد والورع حطا والا رحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية في المنى والنهاية في العطاء وأنشد شيخ الاسلام

أشتاقه فاذا بدا ... أطرقت من اجلاله
لا خيفة بل هيبة ... وصيانة لجماله

(١) حديث انه ﷺ أوتي جوامع الكلم تقدم (٢) حديث ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث تقدم غير مرة

هذا مع انه أفضل من سائر العبادات فليس هو له غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخوّاص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم أنت قال أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين ان كنت من أهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة اليه سبحانه وتعالى بل كل مريد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم * ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج إليه المريد المشمر وأما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن غيظ وأنفة وحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه ردّ الحق وأنكره فان وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين

الموت في أدباره والعيش في اقباله وأصد عنه إذا بدا وأروم طيف خياله
قال بعض الحكماء من تكلم في الحياء ولا يستحيي من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج (وقال ذو النون) الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك (وقال ابن عطاء) العلم الاكبر الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه (وقال أبو سليمان) ان العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما أيقن أن الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته أكثر مما استحيا العاصون من سيآتهم

والشيطان قد يلبس عليه و يقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق و يحسن موقعه فى القلب اعلاء لدين الله فان كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع و إنما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما و يكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا ممن يغلو فى موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهى الامر بأهل العلم الى أن يتغايروا تغاير النساء فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه فى دينه وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له فى سلامة العوام فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوى فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جمعا من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيره وعندهذا ينبغى أن يتقى شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عنى فانه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تنهدم أركان الاسلام فان الدين مستغن عنى وأما أنا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبى وأما أداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم أقوام لانصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله ﷺ (١) ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم (٢) وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغى أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال ﷺ (٣) حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال رسول الله ﷺ (٤) ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل مايزيد جاهه فى قلوبهم فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقى فاما أمثالنا فينبغى أن يكون تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام و بترك المعاصى ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون فى الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا أنه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها و يقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى أن يصلحنا و يصلح بنا و يوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجارى أفكار العلماء والصالحين فى علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شئ منه قبل ذلك كان

(١) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم تقدم (٢) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر تقدم أيضا فى العلم (٣) حديث حب المال والجاه ينبت النفاق فى القلب الحديث تقدم (٤) حديث ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم الحديث تقدم

(وقال بعضهم) الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله لهم * ومنها الاتصال (قال النورى) الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار وقال بعضهم الاتصال وصول السر إلى مقام الذهول وقال بعضهم الاتصال أن لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه (وقال) سهل بن عبدالله حركوا بالبلاء فتحركوا ولو سكنوا اتصلوا (وقال يحيى بن معاذ الرازى) العمال أربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لايحجبه

مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لايثبت ولايدوم ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولاطريق له فى كمال التنعم الا باخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوشات وفى القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى * القسم الثانى الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان * المقام الأعلى الفكر فى ذاته وصفاته ومعانى أسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا فى خلق الله تعالى ولا تتفكروا فى ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لايطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة إلى نور الشمس فانه لايطيقه ألبتة بل يختفى نهارا وانما يتردد ليلا ينظر فى بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الانسان فى النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب إذا أن لا يتعرض لمجارى الفكر فى ذات الله سبحانه وصفاته فان أكثر العقول لاتحتمله بل القدر اليسير الذى صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه اذ لم يطيقوا اسماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم انه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح فى عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندى لاوصف الاله لظن المسكين أن الجلالة والعظمة فى هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل مالا يساويه فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك فى حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقى أنقص منى أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لايقدر على الطيران أو يكون لى آلة وقدرة لايكون له مثلها وهو خالقى ومصورى وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لاتخبر عبادى بصفاتى فينكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون ولما كان النظر فى ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجارى الفكر فيه لكنا نعدل إلى المقام الثانى وهو النظر فى أفعاله ومجارى قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره فى خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فانا لانطيق النظر إلى صفاته كما أنا نطيق النظر الى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر فى الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر فى نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لاظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله ﷺ تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله تعالى

عن الحق شئ (وقال أبو سعيد القرشى) الواصل الذى يصله الله فلا يخشى عليه القطع أبدا والمتصل الذى بجهده يتصل وكلما دنا انقطع وكأن هذا الذى ذكره حال المريد والمراد لكون أحدهما مبادأ بالكشوف وكون الآخر مردودا الى الاجتهاد (وقال أبو يزيد) الواصلون فى ثلاثة أحرف همهم لله وشغلهم فى الله ورجوعهم الى الله وقال السيارى الوصول مقام جليل وذلك أن الله تعالى اذا أحب عبدا أن يوصله اختصر عليه الطريق وقرب اليه البعيد وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه وقال رويم

﴿ بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى ﴾

اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه * فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما أدركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يضيق و يغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها و بحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجوّ مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها و برقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى أنواع وكل نوع ينقسم الى أقسام و يتشعب كل قسم الى أصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال الله تعالى ـ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب ـ وكما قال تعالى ومن آياته من أوّل القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات ﴿ فمن آياته ﴾ الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شئ اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال ـ قتل الانسان ما أكفره من أي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره ـ وقال تعالى ـ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ـ وقال تعالى ـ ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ـ وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ـ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ـ الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى وألقى الألفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدوّر الرأس وشق

أهل الوصول أوصل الله اليهم قلوبهم فهم محفوظون القوى ممنوعون من الخلق أبدا (وقال) ذوالنون مارجع من رجع الامن الطريق وما وصل اليه أحد فرجع عنه واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفني فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله و يخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف

السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل
ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على
شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام أخر فركب
العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها
تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا إلى أن نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه
الاعمار فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما
للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت
وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه و ببعض أعضائه مفتقرا للتردد في حاجاته لم
يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحدة منها على
وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وألصقه بالعظم
الآخر كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل
الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه
ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال
والصور فألف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف وأربعة عشر للحى الأعلى
واثنان للحى الأسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن و بعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب
والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات
وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض و يطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب
الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء
مختلفة فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر
وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فلا نطول
بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة
التي حشى بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد
العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض أن ينظر منها في مدبرها
وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها
واحدا لكان و بالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحد لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر
فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان
بين الناظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة
عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب
اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة
من جملتها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الاعصاب والعروق
والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول فللفكر مجال في آحاد هذه
الاجزاء ثم في آحاد هذه الاعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات
التي لا تدرك بالحواس أعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان و باطنه والى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة
ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت
السموات وكواكبها وما حكمته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف

قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لمقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا المقام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول المنزل فاين

صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أوّلا وما صارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصوّر على حائط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالحائط وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشئ من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيآتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرّا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف

الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوى * ومنها القبض والبسط وهما حالان شريفان قال الله تعالى والله يقبض ويبسط وقد تكلم فيهما الشيوخ وأشاروا باشارات هي علامات القبض والبسط ولم أجد كشفا عن حقيقتهما لأنهم اكتفوا بالاشارة والاشارة تقنع الأهل وأحببت أن أشبع الكلام فيهما لعله يتشوّق الى ذلك طالب ويحب بسط القول فيه والله أعلم (واعلم) أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده

واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد
وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له ثم خلق
الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تتناولها
الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذى هو أخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز
الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم والغفلة
من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة
وهى فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير
يظهر عليها شيأ فشيأ ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو
يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبى
لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج
اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدى ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة
كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما
اللبن وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبى ثم فتح فى حلمة الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن
منه إلا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه إلا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق
اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه فى الحولين
لا يتغذى إلا باللبن فيستغنى عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام
الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك
اللثاث اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله
الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية
تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا أو شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا
تصديقا لقوله تعالى ـ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج
نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ـ فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة
والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه
فيصرف جميع همه الى التفكر فى النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه
فى نفسه ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل
عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها
فهو أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف
من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها تشاركك فى معرفة
ذلك وانما خاصية الانسان التى حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب
الآفاق والانفس إذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة
رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير إذ لا قدرة
للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا
واذا عرفت طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الارض التى هى مقرك ثم فى أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها
ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات ﴿أما الارض﴾ فمن آياته أن خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا
وجعلها ذلولا لتمشوا فى مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد ثم وسع أكنافها

ووقتهما وموسمهما فى أوائل حال المحبة الخاصة لا فى نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزاز نفسانى ونشاط طبيعى يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها ومادامت صفة الامارة فيها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم وهيج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس

حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى ـ والسماء بنيناها بأيد وانا
لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وقال
تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا وقد أكثر فى كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر فى عجائبها فظهرها مقر
للاحياء و بطنها مرقد للاموات قال الله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا فانظر الى الارض وهى ميتة فاذا
أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم
جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الانهار
تجرى على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شئ حى
فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لاتحصى مختلفة
الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض فى الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من
أرض واحدة * فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان فى النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى
كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى أرض البوادى وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا
متشابها فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه
لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف
طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذى وهذا يقوّى وهذا يحيى
وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق وهذا يستحيل الى
الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوّم
وهذا يقوّى وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لايقوى البشر على الوقوف على كنهها
وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح فى تربيته الى عمل مخصوص فالنخل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه
الحشيش والدغل و بعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الارض و بعضه بغرس الاغصان و بعضه يركب فى الشجر
ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الايام فى وصف ذلك
فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات ﴿ومن آياته الجواهر المودعة تحت
الجبال والمعادن الحاصلة من الارض﴾ ففى الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر
النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس
والرصاص والحديد و بعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاوانى
والآلات والنقود والحلى منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج
اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضى
سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافى من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لايمكن تناول مثقال منه
ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا أكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا
الجنس ما خلق شئ منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغى وعلى الوجه الذى ينبغى وكما يليق بجلاله
وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ﴿ومن آياته
أصناف الحيوانات﴾ وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشى وانقسام ما يمشى الى ما يمشى على رجلين والى ما يمشى على
أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد فى بعض الحشرات ثم انقسامها فى المنافع والصور والاشكال والاخلاق
والطباع فانظر الى طيور الجوّ والى وحوش البر والبهائم الاهلية ترى فيها من العجائب مالاتشك معه فى عظمة خالقها
وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة
أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى إلفها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى

عند تلاطم بحر
الطبع فاذا ارتقى
من حال المحبة
العامة الى أوائل
المحبة الخاصة
يصير ذا حال وذا
قلب وذا نفس
لوامة و يتناوب
القبض والبسط
فيه عند ذلك لانه
ارتقى من رتبة
الايمان الى رتبة
الايقان وحال المحبة
الخاصة فيقبضه
الحق تارة و يبسطه
أخرى (قال)
الواسطى يقبضك
عمالك و يبسطك
فيماله (وقال)
النورى يقبضك
باياك و يبسطك
لاياه * واعلم ان
وجود القبض
لظهور صفة
النفس وغلبتها
وظهور البسط
لظهور صفة
القلب وغلبته
والنفس مادامت
لوامة فتارة مغلوبة
وتارة غالبة
والقبض والبسط
باعتبار ذلك منها
وصاحب القلب
تحت حجاب نورانى

حذقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها الى حاجاتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ ويلقى اللعاب الذى هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى فى جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد فى زاوية مترصدا لوقوع الصيد فى الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفى الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا فى الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو علمه أو لا هادى له ولا معلم أفيشك ذو بصيرة فى أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى فى هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التى ألفها ونظر الى أشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته ﴿ ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض ﴾ التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادى والجبال من الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبى ﷺ (١) الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض

*واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض وما فيها فتأمل الآن عجائب البحر فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما أن سعته أضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فى البحر فتظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك ويعلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو انسان الا وفى البحر أمثاله وأضعافه وفيه أجناس لا يعهد لها نظير فى البر وقد ذكرت أوصافها فى مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عداه من العنبر

(١) حديث الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض تقدم ولم أجده

واصناف

لوجود قلبه كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظلمانى لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط مادام متخلصا من الوجود النورانى الذى هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد الى الوجود من الفناء والبقاء يعود الى الوجود النورانى الذى هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك ومهما تخلص الى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال فارس أولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقع فى الوجود فاما مع

واصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه
الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن
ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات
وأعجب من ذلك كله ماهو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل
الاجزاء كأنه شئ واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال
والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع
خزائن الارض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من اخراجها لبذل جميع خزائن الارض وملك
الدنيا في اخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله
في شربة ماء اذا احتاج الى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والانهار والآبار
والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن
جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذى لب أما ترانى وترى صورتى
وتركيبي وصفاتى ومنافعي واختلاف حالاتى وكثرة فوائدى أتظن أنى كونت نفسي أو خلقنى أحد من جنسى
أو ما تستحيي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر
الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته
ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع
معزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي
فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى التقويس يظهر شيأ فشيأ على التدريج ولا ترى
داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم أفما هذا
النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن تتعلم
هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير
اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذي صور ونقش
وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة
والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب فان الذي
أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه فسبحان من هدى وأضل
وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه
واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
﴿ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض﴾ لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح
جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومستقلة سباحة فيه
بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج
البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدى رحمته كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح
لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من
خليقته كما قال تعالى - انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر - ثم
انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء
فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته
وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء

الفناء والبقاء فلا
ثم ان القبض قد
يكون عقوبة
الافراط في البسط
وذلك ان الوارد
من الله تعالى يرد
على القلب فيمتلئ
القلب منه روحا
وفرحا واستبشارا
فتسترق النفس
السمع عند ذلك
وتأخذ نصيبها
فاذا وصل أثر الوارد
الى النفس طغت
بطبعها وأفرطت
في البسط حتى
تشاكل البسط
نشاطا فتقابل
بالقبض عقوبة
وكل القبض اذا
فتش لا يكون
الا من حركة
النفس وظهورها
بصفتها ولو تأدبت
النفس وعدلت
ولم تجر بالطغيان
تارة وبالعصيان
أخرى ما وجد
صاحب القلب
القبض وما دام
روحه وأنسه
ورعاية الاعتدال
الذى يسد باب
القبض متلق من

ينقبض عن الغوص فى الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى فى البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجو ومايظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والارض وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك فى قوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما وأشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى ـ والسحاب المسخر بين السماء والارض ـ وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه اذ لامطمع فى استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو السماء الى أن يأذن الله فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى أراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لاتدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ماينزل منها فى بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذى أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهى لايدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل اليها عند عطشها فى الوقت الفلانى هذا مع مافى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لاتحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر مالأحد من الخلق فيه شرك ولامدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولاللعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له مامعنى الطبع ومالذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل ومالذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر الى أعالى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى أسفل ثم ارتفع الى فوق فى داخل تجاويف الاشجار شيأ فشيأ بحيث لايرى ولايشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الاوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة ويجرى اليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار فكأن الكبير نهر ومانشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى أجوافها الى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب وان كان ينتهى بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لايحال عليه من أول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ﴿ ومن آياته ملكوت السموات والارض ومافيها من الكواكب ﴾ وهو الامر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة إلى السموات قطرة فى بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وتشتمل على

قوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما إذا الطف بالفرح بالوارد بالايواء الى الله واذا لم يلتبج بالايواء الى الله تعالى تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما أتى الممنوع منه فمن ذلك القبض فى بعض الاحايين وهذا من ألطف الذنوب الموجبة للقبض وفى النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء لايعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الانس والهيبة لانهما من ضرورة

تفخيمها فى مواضع وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء
ذات الحبك والسماء وما بناها وكقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها وكقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار
الكنس وقوله تعالى والنجم إذا هوى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن عجائب
النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الارزاق
عليه وأضافها اليه فقال تعالى ـ وفى السماء رزقكم وما توعدون ـ وأثنى على المتفكرين فيه فقال ـ و يتفكرون
فى خلق السموات والارض ـ وقال رسول الله ﷺ (١) ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته
أى تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال ـ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ـ فأى
نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهى متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى أن
يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال سبحانه و بنينا فوقكم
سبعا شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت
ولا تظنن أن معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم
تشاركك فى هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه
بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشئ من علمه إلا بما شاء
وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فكرك فى الملكوت فعسى
يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك فى أقطارها الى أن يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى
لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال رأى قلبى ربى وهذا الان بلوغ الاقصى لا يكون إلا بعد
مجاوزة الادنى وأدنى شئ اليك نفسك ثم الارض التى هى مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على
وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسى ثم العرش
ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسى والسموات
والارض وما بينهما فبينك و بين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ
من العقبة القريبة النازلة وهى معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول
قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر والى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها
وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤبها فى الحركة على الدوام من غير
فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى أن
يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل الى الحمرة و بعضها
الى البياض و بعضها الى اللون الرصاصى ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب و بعضها على صورة
الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة فى الارض إلا ولها مثال فى السماء ثم انظر الى مسير الشمس فى فلكها
فى مدة سنة ثم هى تطلع فى كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار
ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا تتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة
فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وادخاله
الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه
الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء فى مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء
واذا استوت فى وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع فى

(١) حديث ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أى قوله تعالى ـ و يتفكرون فى خلق السموات والأرض

الايمان فلا ينعدمان وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على الباطن قبض و بسط ولا يعرف سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الاعلى قليل الحظ من العلم الذى لم يحكم علم الحال ولا علم المقام (ومن) أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وانما علم ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما

احصاء عشر عشير جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من
الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من
وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من
جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في
كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف من
كبر الارض واتساع أطرافها انه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس
مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة (١) وفي الاخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التي تراها أصغرها مثل الأرض
ثماني مرات وأكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها
اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الاخبار أن (٢) ما بين
كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض أضعافا فانظر الى كثرة الكواكب
ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها
فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك انها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع أول جزء
من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة
مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر (٣) جبريل عليه السلام عن
سرعة حركته إذ قال له النبي ﷺ هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت
لا الى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة
الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح
عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها
ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك
تدخل بيت غني فتراه مزوّقا بالصبغ مموّها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك
وأنت أبدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته
وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك
البيت هو أيضا جزء من الارض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت
ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك
ليس لك هم الا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة
فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون
بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك

تقدم (١) الحديث الدال على عظم الشمس ﴿ أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رأى رسول الله ﷺ الشمس
حين غربت فقال في نار الله الحامية لولا مازعها من أمر الله لأهلكت ما على الأرض وللطبراني في الكبير من
حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شيء الا أحرقته
(٢) حديث بين كل سماء الى سماء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال ويروى
عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من
رواية أبي نصرة عن أبي ذر ورجاله ثقات الا أنه لا يعرف لأبي نصرة سماع من أبي ذر (٣) حديث أنه قال لجبريل
هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة
خمسمائة عام لم أجد له أصلا

فنفسه مطمئنة
لا تنقدح من
جوهرها نار
توجب القبض
ولا يتلاطم بحر
طبعها من أهوية
الهوى حتى يظهر
منه البسط وربما
صار لمثل هذا
القبض والبسط
في نفسه لا من
نفسه فتكون
نفسه المطمئنة
بطبع القلب فيجري
القبض والبسط
في نفسه المطمئنة
وما للقلب قبض
ولا بسط لان
القلب متحصن
بشعاع نور الروح
مستقر في دعة
القرب فلا قبض
ولا بسط (ومنها
الفناء والبقاء)
قد قيل الفناء أن
يفنى عن الحظوظ
فلا يكون له في
شيء حظ بل يفنى
عن الاشياء كلها
شغلا بمن فني
فيه وقد قال
عامر بن عبد الله
لا أبالي امرأة

ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون فى بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذى حفرته فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجوارى والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها واقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادّخارها فاما حال القصر والملك الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوز بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فانت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق إلى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على ان تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالاضافة إلى ما عرفه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم قليل بالاضافة إلى ما عرفته الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا * فهذا بيان معاقد الجمل التى تجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا من قلبك يستدعى التعظيم له فى نفسك فهكذا تأمل فى خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما فى الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وانما لكل عبد منهما بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف إلى هذا ما فصلناه فى كتاب الشكر فانا نظرنا فى ذلك الكتاب فى فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفى هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعى ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته ــ وما من ذرة فى السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدى بها من يشاء فمن نظر فى هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها فى بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقى وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته * تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه * يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه

﴿ كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات
وبه اختتام كتاب احياء علوم الدين ﴾

## ﴿ كتاب ذكر الموت وما بعده ﴾

رأيت أم حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى (وقيل) الباقى أن تصير الاشياء كلها له شيأ واحدا فيكون كل حركاته فى موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا فى الموافقات * وعندى أن هذا الذى ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح وليس من الفناء والبقاء فى شئ ومن الاشارة الى الفناء ما روى عن عبد الله بن عمر أنه سلم عليه انسان وهو فى الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض أصحابه فقال له كنا نتراءى الله فى ذلك

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة فنقلوا من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ فى التراب ومن أنس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا واتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا فى حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر فى السموات والارض وله الحمد فى الاولى والآخرة والصلاة على محمد ذى المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره و بطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر الا فى الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لأجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حول الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى و يراها فى أصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال ﷺ (١) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر فى المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لابد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقى من العمر الا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت فى شطرين

﴿ الشطر الاوّل فى مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب ﴾

* الباب الأوّل فى فضل ذكر الموت والترغيب فيه * الباب الثانى فى ذكر طول الامل وقصره * الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت * الباب الرابع فى وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده * الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين * الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور * الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور * الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام

﴿ الباب الاوّل فى ذكر الموت والترغيب فى الاكثار من ذكره ﴾

اعلم ان المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك وأما تائب مبتدئ أو عارف منته أما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه و يشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة

﴿ الباب الاوّل فى ذكر الموت والترغيب فيه ﴾

المكان (وقيل) الفناء هو الغيبة عن الاشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل (وقال الخراز) الفناء هو التلاشى بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق (وقال) الجنيد الفناء استعجام الكل عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال ابراهيم بن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة (وسئل) الخراز ما علامة الفانى قال علامة من ادّعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة الا من الله تعالى (وقال أبو سعيد الخراز) أهل الفناء فى الفناء صحتهم ان يصحبهم علم

من

(١) من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الامر يستبطئ مجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر أحب الىّ من الغنى والسقم أحب الىّ من الصحة والموت أحب الىّ من العيش فسهل علىّ الموت حتى ألقاك فاذا التائب معذور فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوض أمره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الاشياء اليه أحبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة

﴿ بيان فضل ذكر الموت كيفما كان ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال ﷺ (٣) لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا (٤) وقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال ﷺ (٥) تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه وقال ﷺ (٦) الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال (٧) عطاء الخراسانى مرّ رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال (٨) أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٩) كفى بالموت

(١) حديث من كره لقاء الله كره الله لقاءه متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث أكثروا من ذكر هاذم اللذات الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا البيهقى فى الشعب من حديث أم حبيبة الجهنية وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة تقدم (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو مرسلا باسناد حسن (٦) حديث الموت كفارة لكل مسلم أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ من حديث أنس قال ابن العربى فى سراج المريدين انه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزى وقد جمعت طرقه فى جزء (٧) حديث عطاء الخراسانى مر النبى ﷺ بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا مرسلا ورويناه فى أمالى الخلال من حديث أنس ولا يصح (٨) حديث أنس أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف جدا (٩) حديث كفى بالموت مفرقا الحرث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف

البقاء وأهل البقاء فى البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء * واعلم أن أقاويل الشيوخ فى الفناء والبقاء كثيرة فبعضها اشارة الى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو نابت بوصف التوبة وبعضها يشير الى زوال الرغبة والحرص والامل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة الى فناء الاوصاف المذمومة وبقاء الاوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة الى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد

مفرقا وقال عليه السلام (١) كفى بالموت واعظا (٢) وخرج رسول الله ﷺ الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٣) وذكر عند رسول الله ﷺ رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن (٤) عمر رضى الله عنهما أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة (وأما الآخرة) فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ماغائب ينتظره المؤمن خير اله من الموت وكان يقول لاتشعروا بى أحدا وسلونى الى ربى سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر ابن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال ابراهيم التيمى شيآن قطعا عنى لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كان قائلا يقول فى وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ماتراهم الا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضى الله عنها ان امرأة اشتكت الى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظنى فقال أنت أول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لاموت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الدارانى قلت لأم هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

## ﴿ بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب ﴾

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شئ

---

ورواه ابن أبى الدنيا فى البر والصلة من رواية أبى عبد الرحمن الحبلى مرسلا (١) حديث كفى بالموت واعظا الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار بن ياسر باسناد ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد (٢) حديث خرج رسول الله ﷺ الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٣) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث أنس باسناد ضعيف وابن المبارك فى الزهد قال أنا مالك بن مغول فذكره بلاغا بزيادة فيه (٤) حديث ابن عمر أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبى الدنيا بكماله باسناد جيد

فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد وهو ينقسم الى فناء ظاهر وفناء باطن فاما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا الا بالحق ثم يأخذ فى المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت أن بعض من أقيم فى هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض الله تعالى له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب وهذا العمرى فناء لانه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا الى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن

إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر الى مفازة مخطرة أو يركب البحر فانه لا يتفكر إلا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وانه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الأسباب فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال انه لا بد له من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فاعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

## ﴿ الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته ﴾

### ﴿ فضيلة قصر الأمل ﴾

(١) قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروى (٢) علي كرم الله وجهه أنه ﷺ قال ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق وأما طول الأمل فانه الحب للدنيا ثم قال ألا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا أحب عبدا أعطاه الايمان ألا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت (٣) أم المنذر اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون

---

﴿ الباب الثاني في طول الأمل ﴾

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء الحديث ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث كن في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث علي ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف (٣) حديث أم المنذر أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى قالوا وماذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم

---

أن يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولي على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الاشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري وقلت له هل يكون بقاء المتخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفي وكان عندي أن ذلك من الشرك الخفي فقال لي هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفي أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان في الصلاة

وتبنون مالاتسكنون وقال (١) أبو سعيد الخدرى اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر ان أسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ماطرفت عيناى الاظننت أن شفرىّ لايلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلاظننت أنى لاأسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ـ ان ماتوعدون لآت وماأنتم بمعجزين ـ وعن (٢) ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يارسول الله ان الماء منك قريب فيقول مايدرينى لعلى لاأبلغه وروى (٣) أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فابعده فقال هل تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلام (٤) مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها أمر به أخذه فان اخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل (٥) قال عبد الله خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان للخط الذى فى الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التى حوله تنهشه ان أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعنى الخط الخارج وقال (٦) أنس قال رسول الله ﷺ يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل وفى رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول الله ﷺ (٧) نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لى نفسى الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لابد لك من عيش مابقيت فقمت الى مسحاتى وقال (٨) الحسن قال رسول الله ﷺ أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم

(١) حديث أبى سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تعجبون من أسامة الحديث ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالباب فأقول الماء منك قريب فيقول مايدرينى لعلى لاأبلغه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والبزار بسند ضعيف (٣) حديث انه أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له والرامهرمزى فى الأمثال من رواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى واسناده حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا أيضا من رواية أبى المتوكل مرسلا (٤) حديث مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن (٥) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا وخط وسطه خطا الحديث رواه البخارى (٦) حديث أنس يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والأمل وفى رواية ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر ورواه مسلم بلفظ الثانى وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل باللفظ الأول باسناد صحيح (٧) حديث نجا أول هذه الامة باليقين والزهد وهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ابن أبى الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٨) حديث الحسن أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا من الأمل الحديث ابن أبى الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسلا

فوقعت أسطوانة فى الجامع فانزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه فى الصلاة ولم يحس بالاسطوانة ووقوعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا ثم قد يتسع وعاؤه حتى لعله يكون متحققا بالفناء ومعنا وروحا وقالبا ولا يغيب عن كل مايجرى عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون فى كل فعل وقول مرجعه الى الله وينتظر الاذن فى كليات أموره ليكون فى الاشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لاذن الحق فى كليات أموره راجع الى الله بباطنه فى جزئياتها فان ومن

يارسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء (١) وكان ﷺ يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ﴿الآثار﴾ قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنؤا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما مامشى المسلمون فى الطرق وقال الثورى بلغنى أن الانسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سلمان الفارس رضى الله عنه ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ولا أدرى الى الجنة يؤمر بى أو الى النار * وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام فقلت أى الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل وقال الثورى الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الامل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم أنا كرجل مادّ عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائى لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار * وحكى انه جاء شقيق البلخى الى استاذ له يقال له أبو هاشم الرمانى وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الىّ أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك أبدا قال فاغلق فى وجهى الباب ودخل * وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من أمن أهوال القيامة فامامن لا يداوى كلما الا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب وللبلاء فى جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره * وقال عبد الله بن سميط سمعت أبى يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترؤن ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت

(١) حديث كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ابن أبى الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبى ﷺ وفى اسناده ضعف وجهالة ولا أدرى من حوشب

ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه فى التصرف يختار كيف شاء وأراد لامنتظر اللفعل ولا منتظر اللاذن هو باق والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لارباب القلوب والاحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الاحوال وصار بالله لا بالاحوال وخرج من القلب فصار مع مقلبه لامع قلبه ﴿الباب الثانى والستون فى شرح كلمات مشيرة الى بعض الاحوال فى اصطلاح الصوفية﴾ (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى ابن سليمان اجازة قال أنا أبو الفضل

ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال أبو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فأتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أحذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فأعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الامل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله واياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام * وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي غدا عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة آمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته وأستغفر الله ووضع كمه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات وقال القعقاع ابن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب * واعلم يا أخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم ان أهل الدنيا جميعا من أهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه

أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال ثنا محمد بن ابراهيم قال ثنا أبو مسلم الكشي قال ثنا مسور بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال ان من معادن التقوى تعلمك الى ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وانما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم فشايخ الصوفية أحكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الاشارات

فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا * وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه كان يقول في خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا

﴿ بيان السبب في طول الامل وعلاجه ﴾

اعلم أن طول الامل له سببان * أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو انه اذا أنس بها و بشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيأ دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه أبدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه و يقدره في نفسه و يقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى أن تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوّف و يؤخر ولا يخوض في شغل الا و يتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم و يفضي به شغل على شغل بل الى أشغال الى أن تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوّف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوّة ورسوخا و يظن انه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها

فما قضى أحد منها لبانته * وما انتهى أرب الا الى أرب

وأصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ (١) أحبب من أحببت فانك مفارقه * وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب أكثر فالى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته و يستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصور أن يألفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الاوّل وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره و يعلم أنه لابد وأن تحمل جنازته و يدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر و بسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر و بما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا

(١) حديث أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث تقدم غير مرة

واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم وعجائب الاسرار وترسخ قدمهم في العلم (قال) أبو سعيد الخراز أول الفهم لكلام الله العمل به لان فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم القاء السمع والمشاهدة لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (وقال أبو بكر) الواسطي الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات مالم يرد من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون

فان حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت الى الدنيا كلها وان أعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا الاقدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أو يترسخ فى القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الانسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا أو اليسرى فما على بدنه شئ الا وهو طعمة الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فأمثال هذه الافكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

﴿ بيان مراتب الناس فى طول الامل وقصره ﴾

اعلم ان الناس فى ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء و يشتهى ذلك أبدا قال الله تعالى ـ يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة ـ ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله ﷺ (١) الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ماهم ـ ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ماوراءها فلا يقدر لنفسه وجودا فى عام قابل ولكن هذا يستعد فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف فاذا جمع مايكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولا فى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره وأما للغد فلا * قال عيسى عليه السلام لاتهتموا برزق غد فان يكن غدا من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ ياعبد الله اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة و يقول لعلى لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع وفيه ورد مانقل عن (٢) معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة ايمانه فقال ماخطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشى انه كان يصلى ليلا و يلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ماهذا قال أنظر ملك الموت من أى جهة يأتينى فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر و يوم بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ـ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ـ ثم يظهر أثر قصر الامل فى المبادرة الى العمل وكل انسان يدعى انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك بأعماله فانه يعتنى بأسباب ربما لا يحتاج اليها فى سنة فيدل ذلك على طول أمله وانما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد ومايكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يامسكين فان السير حاث بك وأنت

(١) حديث الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ماهم لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال

(٢) حديث سؤاله لمعاذ عن حقيقة ايمانه فقال ماخطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى أبو نعيم فى الحلية

تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة (وقد ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ فيما رواه سفيان ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة انه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا أبو بكر بن خلف قال ثنا أبو عبد الرحمن قال سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن عائشة يقول سمعت القرشى يقول هى أسرار الله تعالى يبديها الى أمناء

غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه

﴿بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير﴾

اعلم أن من له أخوان غائبان و ينتظر قدوم أحدهما في غدو ينتظر قدوم الآخر بعد شهر أوسنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أوسنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ماوراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم (١) ماينتظر أحدكم من الدنيا الاغنى مطغيا أوفقرا منسيا أومرضا مفسدا أوهرما مقيدا أوموتا مجهزا أوالدجال فالدجال شرغائب ينتظر أوالساعة والساعة أدهى وأمر وقال (٢) ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم (٣) نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه (٦) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنس من أصحابه غفلة أوغرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال (٧) أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال (٨) ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال مابقي من الدنيا الا كما بقي من يومنا هذا في مثل مامضى منه وقال صلى الله عليه وسلم (٩) مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال (١٠) جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه (١١) وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار

أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص (وقال) أبو سعيد الخراز للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الابدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية وهي من العلم المجهول فقوله بلسان الابدية وعبارة الازلية اشارة الى أنهم بالله ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بي ينطق وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (فما) تداولته ألسنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض واشارة

من حديث أنس وهو ضعيف (١) حديث ماينتظر أحدكم من الدنيا الاغنى مطغيا أوفقرا منسيا الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ هل ينتظرون الاغناء الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه باسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدي مرسلا (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تتبعها الرادفة الحديث الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان اذا أنس من أصحابه غفلة أوغرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسلا (٧) حديث أبي هريرة أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي باسناد فيه لين (٨) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال مابقي من الدنيا الا مثل مابقي من يومنا هذا في مثل مامضى منه ابن أبي الدنيا فيه باسناد حسن وللترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٩) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره الحديث ابن أبي الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح (١٠) حديث جابر كان اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (١١) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحاكم في المستدرك وقد تقدم

الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدى ـ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ـ أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولامساء الاومناد ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى ـ انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخر ـ فى الموت وقال سحيم مولى بنى تميم جلست الى عامر بن عبدالله وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل علىّ فقال أرحنى بحاجتك فانى أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومرّ داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما أبادر خروج نفسى قال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى أعمال الخير للآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يرانى وكان الحسن يقول فى موعظته المبادرة المبادرة فانما هى الانفاس لوحبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر الى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعنى الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك فى قبرك واجتهد أبو موسى الأشعرى قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها والذى بقى من أجلى أقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدى رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدّ بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يجد به الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الأوبة وان قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين اليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها وانه مابين أحدكم وبين الجنة أو النار الا الموت أن ينزل به فيالها حسرة على ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وان ترديه أيامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتنتم أنفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء أمر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هى أيام قلائل وانما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود مامنكم من أحد أصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة (١) وقال أبو عبيدة الباجى دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من رأى محمدا ﷺ فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لى فضيل الرقاشى وأنا سائله ياهذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لاشئ فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

منهم الى أحوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قيل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولو العلم وقوله تعالى آمنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما أنزل الينا والجمع أصل والتفرقة فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل (وقال الجنيد) القرب بالوجد جمع وغيبته فى البشرية تفرقة وقيل جمعهم فى المعرفة وفرقهم فى الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم

(١) حديث أبى عبيدة الباجى دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه

﴿ الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده ﴾

اعلم انه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك * وقال لقمان لابنه يابنى أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب أن الانسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور * واعلم ان شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها إما بالقياس الى الآلام التى أدركها واما بالاستدلال باحوال الناس فى النزع على شدة ماهم فيه فاما القياس الذى يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر الى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الألم فان كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده * والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن الا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده انما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة وانما يعظم أثر الاحتراق لان أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً او باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم وأما الجراحة فانما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا ان الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه وأربد حتى كانه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الانثيان إلى أعالى موضعهما وتخضر أنامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله ﷺ (1) تقبل توبة العبد مالم يغرغر وقال مجاهد فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدوله صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة

فى ذلك كثيرة والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا الاجمع الا بتفرقة ويقولون فلان فى عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شئ من أعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع فهذا يرجع حاصله الى أن الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ولابد منهما جميعا (قال) المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وأدعوا انهم فى عين الجمع وأشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب

﴿ الباب الثالث فى سكرات الموت ﴾

(1) حديث ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر

الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول (١) اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوّة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهون على هذه السكرة يعنى الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفنى خوفى من الموت على الموت وروى أن نفرا من بنى اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذاهم برجل قد قام و بين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال ياقوم ما أردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ماسكنت مرارة الموت من قلبى وقالت عائشة رضى الله عنها لاأغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ وروى أنه عليه السلام (٢) كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فاعنى على الموت وهونه على وعن (٣) الحسن ان رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف (٤) وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف (٥) ودخل ﷺ على مريض ثم قال انى أعلم مايلقى مامنه عرق الا و يألم للموت على حدته وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال و يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الاوزاعى بلغنا ان الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فاخبر أهل الدنيا بالموت ماانتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسى يخرج من ثقب ابرة وقال ﷺ (٦) موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن (٧) مكحول عن النبى ﷺ أنه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الا مات ويروى (٨) لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له

(١) حديث كان يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت تقدم (٢) حديث كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث صعمة بن غيلان الجعفى وهو معضل سقط منه الصحابى والتابعى (٣) حديث الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا ورجاله ثقات (٤) حديث سئل عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة الحديث ابن أبى الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا (٥) حديث دخل على مريض فقال انى لأعلم مايلقى مامنه عرق الا و يألم للموت على حدته ابن أبى الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه فى المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات (٦) حديث موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال وأخذة أسف ولابى داود من حديث خالد السلمى موت الفجأة أخذة اسف (٧) حديث مكحول لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه لو أن ألم شعرة وزاد وان فى يوم القيامة لتسعين هولا أدناها هو لا يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وابو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد (٨) حديث لو أن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت لم أجد له أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال ويروى

فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب ومادام هذا التركيب باقيا فلابد من الجمع والتفرقة (وقال) الواسطى اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت إلى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت فان بلا جمع ولا تفرقة (وقيل) جمعهم بذاته وفرقهم فى صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا أثبت لنفسه كسبا ونظرا الى أعماله فهو فى التفرقة واذا أثبت الاشياء بالحق فهو فى الجمع ومجموع الاشارات ينبئ أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق

كيف وجدت الموت ياخليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هوّنا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لايموت فيستريح ولاينجو فيطير وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبي ﷺ (١) انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه و يقول اللهم هوّن على سكرات الموت (٢) وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك ياأبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار ياكعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي ﷺ (٣) ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث ﴿الأولى﴾ شدة النزع كما ذكرناه ﴿الداهية الثانية﴾ مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لاتطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الأولى فقال ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه وروى (٤) أبو هريرة عن النبي ﷺ أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولايمنع مني الحجاب فقال فانت والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا الى ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة و ياليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه

فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا أثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق واذا أثبتها بالله جمع واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الافعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع (سئل) بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال أفني موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا باياه سمع ومعنى هذا ان الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ماقدر على السمع

---

(١) حديث انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه و يقول اللهم هوّن على سكرات الموت متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث ان فاطمة قالت واكرباه لكربك ياأبت الحديث البخاري من حديث أنس بلفظ واكرب أبتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرباه (٣) حديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدبة ابراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك (٤) حديث أبي هريرة ان داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه مامن ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح حضرتنا وان كان فاجرا قالا له لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلاجزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولايرجع إلى الدنيا أبدا ﴿الداهية الثالثة﴾ مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين اما أبشر ياعدوّ الله بالنار أو أبشر ياولىّ الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال النبي ﷺ (١) لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال ﷺ (٢) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أى ساعة هى فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على أبى هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ماأبكى حزنا على الدنيا ولاجزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أم بنار وروى فى الحديث عن النبي ﷺ (٣) أنه قال ان الله إذا رضى عن عبد قال ياملك الموت اذهب إلى فلان فأتنى بروحه لأريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك ياسيدنا فيقول أماترون ماأعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما وقال الحسن لاراحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ماتشتهى قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يااخوتاه الساعة والله أفارقكم الى النار أو الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يااخوتاه عليكم السلام الى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى فى النزع ابدا ولايبعث لثواب ولاعقاب * نخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهى العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لانطول بذكره واعادته

﴿بيان مايستحب من أحوال المختضر عند الموت﴾

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه

---

باسناد جيد نحوه وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه (١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقوفا لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره الى الجنة أم الى النار وفى رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت مايشهد لذلك ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت (٣) حديث ان الله اذا رضى على عبده قال ياملك الموت اذهب الى فلان فأتنى بروحه لأريحه الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث تميم الدارى باسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح فى أول الحديث برفعه وفى آخره مادل على أنه مرفوع وللنسائى من حديث أبى هريرة باسناد صحيح اذا حضر الميت أتته ملائكة

---

ثم أنشد القائل متمثلا

وبداله من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنع أركانه

فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظرا اليه ورده أشجانه

فالنار مااشتملت عليه ضلوعه والماء ماسمحت به أجفانه

(ومنها) قولهم التجلى والاستتار (قال) الجنيد انما هو تأديب وتهذيب وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلى والتذويب للاولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات فى الاستتار والتجلى راجع الى ظهور صفات النفس

أن يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال (١) ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه ودمعت عيناه و يبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهى علامة الخير قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ (٢) لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفى رواية (٣) حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان قال رسول الله ﷺ (٤) من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه مامن عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضى الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله وقال (٥) أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الاخلاص و ينبغى للملقن أن لا يلح فى التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك و يؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس فى قلبه شئ غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم فى حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر فى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا أن يتفضل الله تعالى بالقبول وأما حسن الظن فهو مستحب فى هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله (٦) دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال أخبرنى كيف ظنك بالله قال أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على هلكة ولكنى أرجو رحمة ربى فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء (٧) ودخل النبى ﷺ على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال النبى ﷺ ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف وقال ثابت البنانى كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يا بنى ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يا بنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول ان لك يوما فقال يا أماه ان لى ربا كثير المعروف وانى لأرجو أن لا يعدمنى اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بنى توصى بشئ قال نعم خاتمى لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمنى فلما دفن رؤى فى المنام فقال أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى وان الله قد غفر لى * ومرض أعرابى فقيل له انك تموت فقال أين يذهب بى قالوا إلى الله قال فما كراهتى أن أذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال أبو المعتمر بن سليمان قال أبى لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله

---

الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان الحديث

(١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فانها تهدم ما قبلها تقدم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم (٥) حديث أبى هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيأ الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين وللطبرانى والبيهقى فى الشعب واسناده جيد الا أن فى رواية البيهقى رجلا لم يسم وسمى فى رواية الطبرانى اسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف (٦) حديث دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال أخبرنى كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقى فى الشعب به جميعا (٧) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى الحديث تقدم

---

(ومنها) الاستتار وهو اشارة إلى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب (ومنها) التجلى ثم التجلى قد يكون بطريق الافعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فأما لهم فلانهم به يرجعون الى مصالح النفوس وأما لغيرهم فلانه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقهم فى جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار (قال بعضهم) علامة تجلى الحق للاسرار هو أن لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن اعبر

عزوجل وأناأحسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

﴿ بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها ﴾

قال أشعث بن أسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين فى وجهه وعين فى قفاه فقال ياملك الموت ماتصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الارواح باذن الله فتكون بين أصبعى هاتين وقال قد دحيت له الارض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها مايشاء قال وهو يبشره بانه خليل الله عزوجل وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالى لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك انماهى صحف أوكتب تلقى الى فيها أسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لاينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع الى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم قال لا والله لاترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم انى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى جمع رجل من بنى اسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى فأتى بشئ كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له مايبكيك فوالذى خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه * وروى أن رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يانفس أنعمى لسنين فقد جمعت لك مايكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل اليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فى عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا الى مولاكم فقالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما أنت صانع فانى لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتخلى لربى فأنطق الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويرد المتقى عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بى وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الارض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها

أوفهم فهو صاحب استدلال لا ناظر اجلال (وقال بعضهم) التجلى رفع حجبة البشرية لا أن يتلون ذات الحق عزوجل والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ﴿ومنها التجريد والتفريد﴾ الاشارة منهم فى التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الاغراض فيما يفعله لا يأتى بما يأتى به نظرا الى الاغراض فى الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد أن لايرى نفسه فيما يأتى به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفى الاغيار والتفريد بنفى نفسه واستغراقه

ورحمت

ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لامتعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبنى البنيان وان اسمه فى تلك الصحيفة وهو لايدرى * وقال الحسن مامن يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وان لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها وأما أنا فالذى لايمنع منى الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط فى يده الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه اليه مستجديا متذللا له فقال له أنت اذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلى حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تأخيرك سبيل قال فالى أين تذهب بى قال الى عملك الذى قدمته والى بيتك الذى مهدته قال فانى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر الى كأنه يريدنى قال فماذا تريد قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى الى أقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر الى واحد من جلسائى قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك

## ﴿ الباب الرابع فى وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ﴾

### ﴿ وفاة رسول الله ﷺ ﴾

اعلم أن فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن أحد أكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق فى جوار الرحمن فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيآت فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أنا مخلدون أو نتوهم انا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات

فى رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ﴿ ومنها الوجد والتواجد والوجود ﴾ فالوجد مايرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكر والوجود اتساع فرجه الوجد بالخروج الى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربنى وجدى فاقعدنى عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود

بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ثم لاينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لابل ظلمنا أنفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فانحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين - وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين أقرب أم الى المتقين فانظر الى نفسك بعد أن تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من أمره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب الى جنة المأوى قال (١) ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب إلى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله * وروى (٢) أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لاأخذله في أمته و بشره بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني وقالت (٣) عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يامعشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لاتزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي ﷺ على رسلك ياأبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الاباب أبي بكر فاني لاأعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت (٤) عائشة رضي الله عنها فقبض ﷺ في بيتي وفي يومي و بين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن و بيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده و يقول لاإله إلاالله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت اذا والله لايختارنا

والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

﴿ومنها الغلبة﴾ الغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفئ سريعا والغلبة تبقى للاسرار حرزا منيعا ﴿ومنها المسامرة﴾ وهي تفرد الارواح بخفي مناجاتها ولطيف مناغاتها في سر السر بلطيف ادراكها للقلب لتفرد الروح بها فتلتذ بها دون القلب ﴿ومنها السكر والصحو﴾ فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الافعال وتهذيب الاقوال قال محمد بن

(١) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق الحديث رواه البزار وقال هذا الكلام قد روي عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن الاصبهاني لم يسمع هذا من مرة وانما هو عمن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة * قلت وقد روي من غير ما وجه رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الانصاري من رواية الحسن العرني عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العرني انما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط (٢) حديث انه ﷺ قال لجبريل عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي اني لاأخذله في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي المصطفاة من بعدي قال أبشر ياحبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الانبياء والامم حتى تدخلها أنت وأمتك قال الآن طابت نفسي واسناده ضعيف (٣) حديث عائشة أمرنا أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد الحديث الدارمي في مسنده وفيه ابراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة (٤) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومي و بين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه

وروى (١) سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي ﷺ فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا انى لاحق بربي وانكم لاحقون به وانى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجرى باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى ـ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ـ وروى (٢) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكاس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا

---

عند الموت الحديث متفق عليه (١) حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار رسول الله ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلمه بمكانهم واشفاقهم فذكر الحديث في خروجه متوكئا معصوب الرأس يخط رجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر فذكر خطبته بطولها هو حديث مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبوه عبد الله بن ضرار بن الازور تابعي روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفي أبيه سعيد ليس بالقوي (٢) حديث ابن مسعود ان النبي ﷺ قال لأبي بكر سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل الحديث في سؤالهم له من يلي غسلك وفيم نكفنك وكيفية الصلاة عليه رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر وهو الواقدي باسناد ضعيف الى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم

---

خفيف السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب وقال الواسطي مقامات الوجد أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الامواج فعلى هذا من بقي عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر ومن عاد كل شئ منه الى مستقره فهو صاح فالسكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب (ومنها المحو والاثبات) المحو بازالة أوصاف النفوس والاثبات بما أدير عليهم من آثار الحب كؤس أو المحو محو رسوم الاعمال بنظر الفناء الى نفسه ومامنه والاثبات

على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني الى من بعدي وقال(١) عبد الله بن زمعة جاء بلال في أول شهر ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ مروا أبا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان أبا بكر رجل رقيق القلب اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت فيقول عبد الله اني لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي ﷺ وهو حي أبدا الا ان يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين * وقالت(٢) عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه

اثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق اياه مستأنفا بعد ان محاه عن أوصافه * قال ابن عطاء يمحو اوصافهم ويثبت أسرارهم "(ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي اودعه الله الاسرار والعلم اذا انفرد عن نعت اليقين كان

---

(١) حديث عبد الله بن زمعة جاء بلال في أول ربيع الأوّل فأذن بالصلاة فقال النبي ﷺ مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيق الى آخره ولم يقل في أول ربيع الأوّل وقال مروا من يصلي بالناس وقال يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين وفي رواية له فقال لا لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة يقول ذلك مغضبا وأما ما في آخره من قول عائشة ففي الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يا رسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس (٢) حديث عائشة لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة في أوّل النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله ﷺ أخرجن عني هذا الملك يستأذن علي الحديث بطوله في مجيء ملك الموت ثم ذهابه ثم مجيء جبريل ثم مجيء ملك الموت ووفاته ﷺ الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الامر وأوحى الله الى ملك الموت أن اهبط الى حبيبي وصفيي محمد ﷺ في أحسن صورة وارفق به في قبض روحه وفيه دخول ملك الموت واستئذانه في قبضه فقال يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل قال خلفته في سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أدن يا ملك الموت فانته الى ما أمرت به الحديث وفيه فدنا ملك الموت يعالج قبض روح النبي ﷺ وذكر كربه لذلك الى أن قال فقبض رسول الله ﷺ وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه ادريس أيضا متروك قاله الدارقطني ورواه الطبراني ايضا من حديث الحسين بن علي أن جبريل جاءه أولا فقال له عن ربه كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء اسماعيل وان جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله امض لما امرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس في مجيء ملك الموت أولى واستئذانه وقوله ان ربك يقرئك السلام فقال أين جبريل فقال هو قريب مني الآن يأتي فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث

رسول الله ﷺ رأوا منه خفة فى أوّل النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله ﷺ أخرجن عنى هذا الملك يستأذن علىّ فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعانى فاعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة أدخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال ان الله عزوجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا باذن فان لم تأذن لى أرجع وان أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك فقلت أكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل فقالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيأ وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عزوجل يقرأ عليك السلام و يقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال ياجبريل إن ملك الموت استأذن علىّ وأخبره الخبر فقال جبريل يامحمد ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا أن ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجىء وأذن للنساء فقال يافاطمة أدنى فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألتها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى دعوت الله أن يلحقك بى فى أوّل أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنتا بنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فاذن له فقال الملك ما تأمرنا يامحمد قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الأرض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك ومالى فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمدا بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير اليه فى ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديى وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شئ أطيب منه فكنت أقول له اذا أفاق بابى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح فقال ياعائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا و بعثنا الى أهلنا فكان أوّل رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه الى أبى فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمى عليه قال بل الرفيق الاعلى كأن الخيرة تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت (١) عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضى الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علىّ كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله ﷺ وفيه قتل علىّ وفيه قتل أبى

(١) حديث عائشة مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر

علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما أشار اليه علم اليقين وعين اليقين وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله ﷺ ماذا أبقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين للاولياء وعين اليقين لخواص

فما لقيت من يوم الاثنين وقالت (١) عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان و بقي آخرون معهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله ﷺ لم يمت وليرجعنه الله عزوجل وليقطعن أيدى وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت انما واعده الله عزوجل كما واعد موسى وهو آتيكم وفى رواية أنه قال ياأيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فانه لم يمت والله لاأسمع أحدا يذكر أن رسول الله ﷺ قدمات الاعلوته بسيفى هذا * وأما على فانه أقعد فلم يبرح فى البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به و يذهب به ولم يكن احد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فان الله عزوجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الابقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لااله الاهو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (٢) و بلغ أبابكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله ﷺ فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بابى أنت وأمى يارسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفى رسول الله ﷺ ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لايموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفى رواية (٣) أن أبابكر رضى الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلى على النبى ﷺ وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكى و يقول بابى أنت وأمى ونفسى وأهلى طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفذنا عليك ماء العيون فاما

الاولياء وحق اليقين للانبياء عليهم الصلاة والسلام وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد ﷺ

﴿ ومنها الوقت ﴾

والمراد بالوقت ماهو غالب على العبد وأغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضى الوقت بحكمه و يقطع وقد يراد بالوقت مايهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعنى مأخوذا عما منه بما للحق

﴿ ومنها الغيبة والشهود ﴾

فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فمادام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله ﷺ لم يمت الحديث الى قوله عند ربكم تختصمون لم أجد له أصلا وهو منكر (٢) حديث بلغ أبابكر الخبر وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله ﷺ فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله و بكى ثم قال بأبى أنت وأمى ما كان الله ليذيقك الموت مرتين الحديث الى آخر قوله وكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ البخارى ومسلم من حديث عائشة ان أبابكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل ودخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله و بكى ثم قال بأبى وامى أنت والله لايجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها ولهما من حديث ابن عباس ان أبابكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله انزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر لفظ البخارى فيهما (٣) حديث ان أبابكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلى على النبى ﷺ وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث الى قوله واحفظه فينا ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء من حديث ابن عمر باسناد ضعيف جاء ابو بكر

مالانستطيع نفيه عنا فكمدوادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا * وعن ابن عمر انه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيأ ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية (١) ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبى ﷺ واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبى بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر فى الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبى ﷺ فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا فى الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة فى الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد أيها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لم يمت وان الله قد تقدم إليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ فمن أخذ بهما عرف ومن

---

ورسول الله ﷺ مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (١) حديث ابن عمر فى سماع التعزية به ﷺ ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا ثم سمعوا آخر بعده ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الخضر فى التعزية فأنكر النووى وجوده فى كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب قلت بلى قد رواه الحاكم فى المستدرك فى حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى على رسول الله ﷺ ثم أقبل على أصحابه فقال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله تعالى فأنيبوا ونظره اليكم فى البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجبره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا عليه السلام جاء يعزينا ورواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبى الدنيا أيضا من حديث على بن أبى طالب لما قبض رسول الله ﷺ جاء آت فسمع حسه ولا نرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ان فى الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال على تدرون من هذا هو الخضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين على بن الحسين وبين جده على والمعروف عن على بن الحسين مرسلا من غير ذكر على كما رواه الشافعى فى الام وليس فيه ذكر الخضر

---

والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الاشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء ( ومنها الذوق والشرب والرى) فالذوق ايمان والشرب علم والرى حال فالذوق لارباب البواده والشرب لارباب الطوالع واللوائح واللوامع والرى لارباب الاحوال وذلك أن الاحوال هى التى تستقر فما لم يستقر فليس بحال وانما هى لوامع وطوالع وقيل الحال لا تستقر لانها تحول فاذا استقرت تكون مقاما ( ومنها المحاضرة

فرق بينهما أنكر ـ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ـ ولا يشغلكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم و يفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال ياعمر أنت الذي بلغني انك تقول مامات نبي الله ﷺ أماترى أن نبي الله ﷺ قال يوم كذا كذا وكذا و يوم كذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وان الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ـ انا لله وانا إليه راجعون ـ وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله ﷺ ثم جلس إلى أبي بكر * وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ماندري كيف نغسل رسول الله ﷺ أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى مابقي منهم رجل الاواضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل لايدري من هو غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله ﷺ في قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لاتخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا مانشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه الاقلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء و يصوت بنا ارفقوا برسول الله ﷺ فانكم ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ولم يترك سبدا ولا لبدا الادفن معه قال (١) أبو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة

﴿وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه﴾

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك مايغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي إلى الجديد أحوج من الميت وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله ﷺ ودخلوا عليه فقالوا ألاندعو لك طبيبا ينظر إليك قال قد نظر إلى طبيبي وقال اني فعال لما أريد ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه يعوده فقال ياأبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك * واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تحقرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم أن لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وأن لله حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الحق أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الباطل أن يخف وان الله

(١) حديث أبي جعفر فرش لحده بمفرشة وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة لم أره مرسلا كذا والقطيفة فالذي وضع القطيفة شقران مولى رسول الله ﷺ وليس ذكرذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه مابنى في حياته فتقدم أيضا

(والمكاشفة والمشاهدة) فالمحاضرة لارباب التلوين والمشاهدة لارباب التمكين والمكاشفة بينهما الى أن تستقر فالمشاهدة والمحاضرة لاهل العلم والمكاشفة لاهل العين والمشاهدة لاهل الحق أي حق اليقين (ومنها الطوارق والبوادي والباده والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح) وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ويمكن بسط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجعا إلى معنى واحد يكثر بالعبارة فلا فائدة فيه والمقصود أن هذه الاسماء كلها مبادي الحال ومقدماته واذا صح الحال استوعب هذه الاسماء كلها ومعانيها

ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولا بد لك منه ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا ياخليفة رسول الله ﷺ زودنا فانا نراك لما بك فقال أبو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم إنك علمت ماتكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى اليك اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلنى من سكان جنتك اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها اليك فاحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل

## ﴿ وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ﴾

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر ما بينى وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا حتى اذا لم يرفيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا أو شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفى رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال ياابن العباس انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال عمر رضى الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم قد كنت انت وأبوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت أى ان شئت قتلناهم قال بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لا بأس فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر ياأمير المؤمنين ببشر من الله عز وجل قد كان لك صحبة من رسول الله ﷺ وقدم فى الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا على ولا لى فلما أدبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا على الغلام فقال ياابن أخى ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك ثم قال ياعبد الله انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم والا فسل

﴿ومنها التلوين والتمكين﴾ فالتلوين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص الى الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب أوار بابها عن عالم الصفات واما أرباب التمكين فخرجوا عن مشائم الاحوال وخرقوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التغير فى الذات اذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا الى مواطن القرب من أنصبة تجلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ

فى بنى عدى بن كعب فان لم تقف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدهم الى غيرهم وأدّ عنى هذا المال انطلق الى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعونى فاسنده رجل اليه فقال مالديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال الحمد لله ما كان شئ أهم الىّ من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أذنت لى فأدخلونى وان ردتنى ردونى الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ كهيئة التعزية له فان أصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به أيكم أمر فانى لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدوّ وان لا يأخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام وان يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسول الله ﷺ ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل لهم من وراءهم ولا يكلفهم الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخلوه فى موضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبى ﷺ (١) قال قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر وعن (٢) ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى فالتفت فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أنى كنت كثيرا أسمع النبى ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر فانى كنت لارجو أو لاظن أن يجعلك الله معهما

﴿ وفاة عثمان رضى الله عنه ﴾

الحديث فى قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه الخوخة وهى خوخة فى البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فادلى الى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى انى لاجد برده بين ثديى وبين كتفى وقال لى ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد ﷺ ثلاثا قال والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن (٣) ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه

يكون فى نفوسهم لانها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع فى النفوس لايخرج صاحبه عن حال التمكين لان جريان التلوين فى النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم فى التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين أن لا يكون للعبد تغير فانه بشر وانما المعنى به ان ما كوشف له من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الاحوال ويكون ثبوته على مستقر

(١) حديث قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث ابىّ بن كعب باسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون فذكر قول على بن أبى طالب كنت كثيرا أسمع النبى ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة بن حزن القشيرى شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذى وقال حسن والنسائى

فقال

فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم على قال فجئ بهما كأنما هما جملان أو حماران فاشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون انى جهزت جيش العسرة من مالى قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى ان أصلى فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة إنى شهيد وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى استعديك عليهم واستعينك على جميع امورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى

﴿ وفاة على كرم الله وجهه ﴾

قال الاصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى أصيب فيها على كرم الله وجهه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على يمشى وهو يقول

أشدد حيازيمك للموت ❊ فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ❊ اذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة الغداة قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبى صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن على انه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال يا أخى لأى شئ تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى على بن أبى طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا أخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن انهم قاتلوه قام فى اصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الا خسيس من عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما

﴿ الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين ﴾

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال اقعدونى فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط الا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك وروى عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا واخلقتنا واستلأمت الينا اف للدنيا من دار ثم اف لها من دار ويروى ان آخر خطبة خطبها معاوية أن قال ايها الناس انى من زرع قد استحصد وانى

الايمان وتلوينه فى زوائد الاحوال ( ومنها النفس ) ويقال النفس للمنتهى والوقت للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه اشارة منهم الى ان المبتدئ يطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهى صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بأنفاسه مقيمة لا تتناوب عليه وهذه كلها احوال لاربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم آمين

﴿ الباب الثالث والستون فى ذكر شئ من البدايات والنهايات وصحتها ﴾

قدوليتكم ولن يليكم أحدمن بعدى الاوهوشرمنى كما كان من قبلى خيرامنى ويايزيداذاوفى أجلى فول غسلى رجلالبيبافان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم أعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة انفى وفمى واذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى ويايزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا أدرجتمونى فى جديدى ووضعتمونى فى حفرتى نخلوا معاوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وأنى لم أل من هذا الامر شيأ * ولما حضرت عبدالملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبدالملك ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ولم أل من امر الدنيا شيأ فبلغ ذلك اباحازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون مانحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه وقيل لعبدالملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه كيف تجدك ياأمير المؤمنين قال اجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم الآية ومات *وقالت فاطمة بنت عبدالملك ابن مروان امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب وهو فى قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت أعهد ياأمير المؤمنين قل أحذركم مثل مصرعى هذا فانه لابد لكم منه وروى انه لما ثقل عمر بن عبدالعزيز دعى له طبيب فلما نظر اليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك ياأمير المؤمنين قال نعم قدعرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال فتعالج ياأمير المؤمنين فانى اخاف أن تذهب نفسك قال ربى خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته اللهم خر لعمر فى لقائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك ياأمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى ان لا تقوم بحجتها بين يدى الله إلا ان يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسونى فأجلسوه فقال أنا الذى امرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فاحد النظر فقيل له فى ذلك فقال انى لأرى خضرة ماهم بانس ولا جن ثم قبض رحمه الله وحكى عن هرون الرشيد انه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر اليها ويقول ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمرى هكذا قصير ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك ياأمير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق لبنيه من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لى فان الناس يقولون إنك لا تغفر لى فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكى ذلك للحسن قال أقالها قيل نعم قال عسى

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى قال انا الشريف ابوطالب الحسين ابن محمد الزينبى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى قال أنا ابوعبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال حدثنا ابوعبدالله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم البخارى قال حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا يحيى بن سعيد الانصارى قال اخبرنى محمد بن ابراهيم التيمى أنه سمع علقمة ابن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر سمعت رسول الله ﷺ

﴿ بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين ﴾

لما حضر معاذا رضى الله عنه الوفاة قال اللهم انى قد كنت أخافك وانا اليوم أرجوك اللهم انك تعلم انى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب

ماخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم أن قلبي يحبك (١) ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له مايبكيك قال ماأبكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ماترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال ـ لمثل هذا فليعمل العاملون ـ ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له مايبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة أو بالنار ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له مايبكيك فقال والله ماأبكي لذنب أعلم انى أتيته ولكن أخاف انى أتيت شيأ حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له مايبكيك قال ماأبكي جزعا من الموت ولاحرصا على الدنيا ولكن أبكي على مايفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه واقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له مايبكيك قال ذكرت ماكنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فانى سألت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولاتعد على مالم أتكلم بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما آمنك بعدو بكى بعضهم عند الموت فقيل له مايبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عزوجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا أوله لجدير ان يتقى آخره وان أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله وقال الجريرى كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة ياأبا القاسم فقال ومن أولى بذلك مني وهوذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤس للمنايا عليهم * فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر
همو مهمو جوالة بمعسكر * به أهل ودّ الله كالانجم الزهر
فأجسامهم في الارض قتلى بحبه * وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرسوا الابقرب حبيبهم * وماعرجوا من مس بؤس ولاضر

وقيل للجنيد ان أباسعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا وقيل لذى النون عند موته ماتشتهي قال ان أعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون الله وأنا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه قال فأشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى الى ذلك المكان ومدّ رجليه ومات وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قدمت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول ياأباعلي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم أنشأ يقول

وحقك لانظرت الى سواكا * بعين مودّة حتى اراكا
أراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من حياكا

وقيل للجنيد قل لااله الا الله فقال مانسيته فاذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ماالذى

يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أوالى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه * النية أوّل العمل وبحسبها يكون العمل وأهم ما للمريد في ابتداء أمره في طريق القوم أن يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيهم ويجالس طائفتهم لله تعالى فان دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته (وقد ورد) المهاجر من هجر مانهاه الله عنه وقد قال الله تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله،

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد الينا رسول الله ﷺ أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم

فالمريد ينبغي أن يخرج الى طريق القوم لله تعالى فانه ان وصل الى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمنزل وان أدركه الموت قبل الوصول الى نهايات القوم فأجره على الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن ابي العباس البغدادي عن جعفر الخلدي قال سمعت الجنيد يقول أكثر العوائق والحوائل والموانع من فساد الابتداء فالمريد في أول سلوك هذا الطريق يحتاج الى أحكام النية وأحكام النية تنزيهها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل

رأيت منه فقال قال على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ماتقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار ألا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان أوصي بهم إلى غيره ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا أبشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير و يعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك أبكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فأنشأ يقول

كيف أشكو الى طبيبي مابي * والذي بي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لاقرار له * مما جناه الهوى والشوق والقلق

يارب ان يك شئ فيه لي فرج * فامنن عليّ به مادام بي رمق

وحكي ان قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول

ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج إلى السرج * وجهك المأمول حجتنا

يوم يأتي الناس بالحجج * لاأتاح الله لي فرجا * يوم أدعو منك بالفرج

وحكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لولم يقرب أجلي ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال من المتكلم فقلت أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفئ ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال ياأبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال ياأبا عبد الله وكيف لاأقلق ولاأجزع واني لاأعلم أني صدقت الله في شئ من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لايعلم انه صدق الله في شئ من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ لي من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تعمل ماتريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله فقال لاأحسن غيره ولما حضر الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر ودخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت ياأبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولاأدري أروحي تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما

ولولاك لم يغوى بابليس عابد * فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فأنى لي أوان الجواب فهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

﴿الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور﴾

اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد او بعد غد ويروى عن أبي هريرة أنه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت اليه ولا أعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد راى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن وقال ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول

روعنا الجنائز مقبلات ✽ ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب ✽ فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا تدري حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المتهمكين في الفسادمات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام أنزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه

حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى (وكتب) سالم بن عبد الله الى عمر ابن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك وكتب بعض الصالحين الى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد الى النية بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية قال سهل بن عبد الله التستري أول ما يؤمر به المريد المبتدئ التبري من الحركات المذمومة ثم النقل الى الحركات المحمودة ثم التفرد لامر الله تعالى ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة

فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه و يتوضأ و يصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور و يشتغل بالفسق والثانى انه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى و يقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره * وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا أخالك ناجيا

﴿بيان حال القبر واقاويلهم عند القبور﴾

قال (١) الضحاك قال رجل يارسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلى كرم الله وجهه ماشأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى اجدهم جيران صدق يكفون الألسنة و يذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ (٢) مارأيت منظرا الا والقبر أفظع منه وقال (٣) عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله ﷺ الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى و بكيت و بكوا فقال مايبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنته ان أستغفر لها فأبى على فأدركنى مايدرك الولد من الرقة وكان (٤) عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو ابن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وماحيل بينهم و بينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول مايكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود و بيت الوحدة و بيت الغربة و بيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال أجلس الى قوم يذكرونى معادى واذا قمت لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا و يقول ياأهل القبور مالى اذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم و بين جوابى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر * وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام و يجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح و بلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول ايها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الارض بأعماله ليت شعرى بأى

ثم المصافاة ثم الموالاة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله تعالى بعد هذه بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جمع فيه مافى البداية والنهاية ومتى تمسك المريد بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يتحقق صدقه واخلاصه شئ مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التى دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم الى الخلق و بلغنا عن رسول الله ﷺ

(١) حديث الضحاك قال رجل يارسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبور والبلى الحديث تقدم (٢) حديث مارأيت منظرا الا والقبر افظع منه تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله ﷺ الى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى الحديث وتقدم فى آداب الصحبة أيضا ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر ابن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصرا وفيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وقال ابو حاتم صالح (٤) حديث عثمان كان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه ان القبر أول منازل الآخرة الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة

أعمالك استبشرت وبأى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشروالله بأعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خاركما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا أماه ليتك كنت بى عقيما ان لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من أين تجيبه ان أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان أجبته من قبرك منعتها وكان الحسن ابن صالح اذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك وكان عطاء السلمى اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بينى و بينك شئ وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البنانى دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها و يروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال أبو موسى التميمى توفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر ان لم تعافنى * أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا فى أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها * قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة * يفضى الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب * فى حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * فى شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائى على امرأة تبكى على قبر وهى تقول

عدمت الحياة ولا نلتها * اذا كنت فى القبر قد ألحدوكا

أنه قال لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر اشارة الى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم (قال) أحمد بن خضرويه من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق فان الله تعالى مع الصادقين وقد ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ الصدق يهدى إلى البر ولا بد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج عن الخلق بقطع النظر عنهم الى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وأنفع شئ للمريد معرفة النفس ولا يقوم

فكيف أذوق لطعم الكرى * وأنت بعينك قد وسدوكا

ثم قالت يا بناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر

وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ماافتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر

تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور

فياسائلي عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

﴿ قال فرجعت وأنا باك ﴾

﴿ أبيات وجدت مكتوبة على القبور ﴾

﴿ وجد مكتوبا على قبر ﴾

تناجيك اجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت

أياجامع الدنيا لغير بلاغه * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

﴿ ووجد على قبر آخر مكتوبا ﴾

ايا غانم اما ذراك فواسع * وقبرك معمور الجوانب محكم

وماينفع المقبور عمران قبره * اذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب

يمر اقاربي جنبات قبري * كأن اقاربي لم يعرفوني

ذوو الميراث يقتسمون مالي * ومايألون أن جحدوا ديوني

وقد اخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ما نسوني

﴿ ووجد على قبر مكتوبا ﴾

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لايمنع الموت بواب ولاحرس

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يامن يعد عليه اللفظ والنفس

اصبحت ياغافلا في النقص منغمسا * وانت دهرك في اللذات منغمس

لايرحم الموت ذاجهل لغرته * ولاالذي كان منه العلم يقتبس

كم أخرس الموت في قبر وقفت به * عن الجواب لسانا مابه خرس

قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم في الاجداث مندرس

﴿ ووجد على قبر آخر مكتوبا ﴾

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان

فلما ان بكيت وفاض دمعي * رأت عيناي بينهم مكاني

﴿ ووجد على قبر طبيب مكتوبا ﴾

قد قلت لما قال لي قائل * قد صار لقمان إلى رمسه * فاين مايوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه * هيهات لايدفع عن غيره * من كان لايدفع عن نفسه

﴿ ووجد على قبر آخر مكتوبا ﴾

ياأيها الناس كان لي امل * قصر بي عن بلوغه الاجل * فليتق الله ربه رجل

بواجب حق معرفة النفس من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات او عليه من الهوى بقية (قال) زيد بن أسلم خصلتان هما كمال امرك تصبح لاتهم لله بمعصية وتمسى ولاتهم لله بمعصية فاذا أحكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها ودسائسها وتلبيساتها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى (قال ذو النون) لله تعالى في أرضه سيف ماوضع على شئ الاقطع وهو الصدق ونقل في معنى

أ مكنه في حياته العمل * ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخالي في الله فيما يرى النائم فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب الى من الدنيا ومافيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان أكون أقدر على أن أصليهما أحب الى من الدنيا ومافيها

﴿ بيان أقاويلهم عند موت الولد ﴾

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة مالو كانا في سفر فسبقه الولد الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله ﷺ (١) لأن أقدم سقطا أحب الى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ (٢) لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ أو اثنان قال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه أرجى دعاء وأقربه الى الاجابة وقف محمد ابن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر ابن ذر قال ابوه عمر بن ذر بعد ما وضعه في لحده فقال ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة ياذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وماذاك الا من قلة الحزن فقالت ياعبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه أحد قال فكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم عيد الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وماشعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه

الصدق ان عابدا من بني اسرائيل راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء أتنظف به ثم صعد على موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى الى ملك الهواء أن ألزم عبدي قال فلزمه ووضعه على الارض وضعا رفيقا فقيل لابليس ألا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى (وينبغي) للمريد أن تكون له في كل شئ نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه

(١) حديث لان أقدم سقطا أحب الى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم اجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب الى من فارس أخلفه خلفي (٢) حديث لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الحديث تقدم في النكاح

يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر كما ترى فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ماهو أعظم منها ومايدفعه الله في كل حال فهو الاكثر

﴿ بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به ﴾

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله ﷺ (١) نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد * روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (٢) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا (٣) وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ (٤) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما أوردناه من قبل * وقال (٥) ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت ياأم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولاينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولايخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر * وقال (٦) أبو ذر قال رسول الله ﷺ زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله * وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله ﷺ (٧) زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع أن ابن عمر كان لايمر بقبر أحد الاوقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي ﷺ (٨) من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله ﷺ (٩) ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال النبي ﷺ

فلا يلبس الا لله ولا يأكل الا لله ولا يشرب الا لله ولا ينام الا لله لان هذه كلها ارفاق أدخلها على النفس كانت لله لاتستقصي النفس وتجيب الى مايراد منها من المعاملة لله والاخلاص واذا دخل في شئ من رفق النفس لا لله بغير نية صالحة صار ذلك وبالا عليه وقد ورد في الخبر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة

---

(١) حديث نهيه عن زيارة القبور ثم اذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم (٢) حديث علي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا رواه أحمد وابو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو يعلى غير ان لاتقولوا هجرا وفيه علي بن زيد بن جدعان عن ربيعة ابن النابغة قال البخاري لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٣) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد ابن عمران الاخنس متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا معه قريبا من ألف راكب وفيه انه لم يأذن له في الاستغفار لها (٤) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريدة انه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٥) حديث ابن أبي مليكة أقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت ياأم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ابن أبي الدنيا في القبور باسناد جيد (٦) حديث أبي ذر زر القبور تذكر الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم باسناد جيد (٧) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلا واسناده حسن (٨) حديث من زار قبر ابويه اواحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا الطبراني في الصغير والاوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك (٩) حديث ابن سيرين أن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الاسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن محمد بن جحادة

من

(١) من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى وقال ﷺ (٢) من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب الاحبار مامن فجر يطلع الانزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم و يصلون على النبى ﷺ حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة يوقرونه * والمستحب فى زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى * قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجىء الى القبر فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على ابى و ينصرف * وعن أبى أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبى ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبى ﷺ ثم انصرف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ (٣) مامن رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك و يسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدرى رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبى بكر ابن عبد الله المزنى فنتلاقى أخباركم قلت اجسامكم أم ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا ايا كم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة و يوم الجمعة كله و يوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى يوم الاثنين قال بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلى ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤنى فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ماجاء بكم قالوا انك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وماهى قالوا الدعوات التى كنت تدعو لنا بها قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجرانى رأيت رابعة العدوية العابدة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل له هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله ﷺ (٤) ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا ومافيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار * وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب

(وقيل) كان أنس يقول طيبوا كفى بمسك فان ثابتا يصافحنى و يقبل يدى وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك الى الله بنيتهم فالمريد ينبغى أن يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بحركة أو تتكلم بكلمة الالله تعالى وقد رأينا من أصحاب شيخنا من كان ينوى عند كل لقمة و يقول بلسانه أيضا آكل هذه اللقمة لله تعالى ولا ينفع القول اذا لم تكن النية فى القلب لان النية

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جحادة عن قتادة عن أنس و يحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حديث من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى تقدم فى أسرار الحج (٢) حديث من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حديث عائشة مامن رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبى الدنيا فى القبور وفيه عبدالله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الاشبيلى (٤) حديث ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه أو صديق له الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من

من نار فلولا أن داعيا دعالى لرأيت أنه سيفضر بى به ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال (١) سعيد بن عبد الله الازدى شهدت أباامامة الباهلى وهو فى النزع فقال ياسعيد اذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه الى حواء ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد ياهذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول فى مبشر بن اسمعيل الحلبى قال ثقة قال هل كتبت عنه شيأ قال نعم قال أخبرنى مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه انه أوصى اذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له أحمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ * وقال محمد بن أحمد المروزى سمعت أحمد بن حنبل يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة أقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم تنبهت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا ومافيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بأن يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبى بكر الهذلى قال كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغنى انها عوتبت فى كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسى اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى وانى لآتى القبور فكانى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكانى أنظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاجفان الدسمة فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للانفس وأشد تلفها للابدان بل ينبغى أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد ادخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت وألا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ (٢) اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال ﷺ (٣) لا تسبوا

---

عمل القلب وانما اللسان ترجمان فما لم تشتمل عليها عزيمة القلب لله لا تكون نية (ونادى) رجل امرأته وكان يسرح شعره فقال هات المدرى اراد الميل ليفرق شعره فقالت له امرأته أجىء بالمدرى والمرآة فسكت ثم قال نعم فقال له من سمعه سكت وتوقفت عن المرآة ثم قلت نعم فقال انى قلت لها هات المدرى بنية فلما قالت والمرآة لم يكن لى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأ الله

---

حديث ابن عباس وفيه الحسن بن على بن عبد الواحد قال الذهبى حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (١) حديث سعيد بن عبد الله الازدى قال شهدت أباأمامة الباهلى وهو فى النزع فقال ياسعيد اذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة الحديث فى تلقين الميت فى قبره الطبرانى هكذا باسناد ضعيف (٢) حديث اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد (٣) حديث لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا

الاموات فانهم قدأفضوا الى ماقدموا وقال ﷺ (١) لاتذكروا موتاكم الابخير فانهم ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ماهم فيه وقال (٢) أنس بن مالك مرت جنازة على رسول الله ﷺ فاثنوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فاثنوا عليها خيرا فقال رسول الله ﷺ وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال ان هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء لله فى الارض وقال (٣) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ان العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى

﴿ الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور ﴾

﴿ بيان حقيقة الموت ﴾

اعلم أن للناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطؤا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب مادام فى القبر الى أن يعاد فى وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هى الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ماهو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وماهو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح الى الجسد فى القبر ولا يبعد أن تؤخر الى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع فى الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هى المستعملة لها وأعنى بالروح المعنى الذى يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها فى الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أى لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج

البخارى من حديث عائشة ايضا (١) حديث لاتذكروا موتاكم الا بخير الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة جيد مقتصرا على ماذكر منه هنا بلفظ هلكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٢) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله ﷺ فاثنوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٣) حديث أبى هريرة ان العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غير ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ يرويه عن ربه عزوجل مامن عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير الاقال الله عزوجل قد قبلت شهادة عبادى على ماعلموا وغفرت له ما أعلم



تعالى لى نية فقلت نعم وكل مبتدئ لايحكم اساس بدايته بمهاجرة الالاف والاصدقاء والمعارف وتمسك بالوحدة لاتستقر بدايته وقد قيل من قلة الصدق كثرة الخلطاء وأنفع ماله لزوم الصمت وأن لايطرق سمعه كلام الناس فان باطنه يتغير ويتأثر بالاقوال المختلفة وكل من لايعلم كمال زهده فى الدنيا وتمسكه بحقائق التقوى لايعرفه أبدا فان عدم معرفته لايفتح عليه خيرا وبواطن أهل الابتداء

اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة فى الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن الملك والمال والالم واحد فى الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه الى عالم آخر لايناسب هذا العالم فان كان له فى الدنيا شئ يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه فى مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثانى انه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له فى الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا فى النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ماينكشف له مايضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل فى أمره أو على ان الملك ليس يدرى مايتعاطاه من قبيح أفعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه فى العصاة عليه فانظر الى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وادراك ماهية ذاتها (١) ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى فليس لاحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات وأخبار كثيرة أما الآيات فما ورد فى الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما (٢) قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم

كالشمع تقبل كل نقش وربما استضر المبتدى بمجرد النظر الى الناس ويستضر بفضول النظر أيضا وفضول المشى فيقف من الاشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى فى بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذى يسلكه لايلتفت يمينه ويساره ثم يتقى موضع نظر الناس اليه واحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول

(١) حديث انه لم يؤذن لرسول الله ﷺ ان يتكلم فى الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى ويسئلونك عن الروح وقد تقدم (٢) حديث ندائه من قتل من صناديد قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ماوعدنى ربى حقا الحديث مسلم من حديث عمر بن الخطاب

رسول

رسول الله ﷺ فقال يافلان يافلان قدوجــدت ماوعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعــد ربكم حقا فقيل يارسول الله أتناديهم وهم أموات فقال ﷺ والذى نفسى بيــده انهم لاسمع لهذا الكلام منــكم الاأنهم لايقدرون على الجواب فهذا نص فى بقاء روح الشقى وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص فى أرواح الشهداء ولايخلو الميت عن سعادة أوشقاوة وقال ﷺ (١) القــبر اماحفرة من حفر النار أوروضة من رياض الجنة وهذا نص صريح على ان الموت معناه تغيرحال فقط وان ماسيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عندالموت من غيرتأخر وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصــله وروى (٢) أنس عن النبى ﷺ أنه قال الموت القيامة فمن مات فقدقامت قيامتــه وقال ﷺ (٣) اذامات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من أهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليــه يوم القيامة وليس يخفى مافى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال وعن أبى قيس قال كنا مع علقمة فى جنازة فقال اماهــذا فقدقامت قيامته وقال على كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من اهل النار وقال (٤) ابوهريرة قال رسول الله ﷺ من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانات القبروغدى وريح عليــه برزقه من الجنة وقال مسروق ماغبطت أحــدا ماغبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشى يوما مع أبى الدرداء فقلت له ماتحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لايحبــه الاالمؤمن والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما أحب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لابدمن فراقــه غاية الشقاء فكل ماسوى الله وذكره والانس به فلابدمن فراقه عندالموت لامحالة ولهذا قال عبدالله بن عمر وانمامثل المؤمن حين تخرج نفسه أوروحه مثل رجل بات فى سجن فاخرج منه فهو يتفسح فى الارض ويتقلب فيها وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس إلابذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان فى الموت خلاصــه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذى كان به انسه من غير عائق ولادافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله لانهم ماأقدموا على القتال الاقاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل فى طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقدباعها طوعا بالآخرة والبائع لايلتفت قلبــه إلى المبيع وان نظر الى الآخرة فقداشتراها وتشوق اليها فما أعظم فرحه بما اشــتراه إذارآه وماأقل التفاته إلى ماباعه إذافارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قديتفق فى بعض الاحوال ولــكن لايدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب للموت فكان سببا لادراك الموت على مثــل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم اذمعنى النعيم أن ينال الانسان مايريده قال الله تعالى ولهم مايشتهون فكان هــذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين مايشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غيرتأخير وهذا أمر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقدروى عن (٥) عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله

---

(١) حديث القبر اماحفرة من حفر النار أوروضة من رياض الجنــة الترمذى من حديث أبى سعيد وتقدم فى الرجاء والخوف (٢) حديث أنس الموت القيامة من مات فقدقامت قيامته ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف وقد تقدم (٣) حديث إذامات أحدكم عرض عليــه مقعده بالغداة والعشى الحديث متفق عليــه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبى هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانى القبر ابن ماجه بسند ضعيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبى الدنيا فتان (٥) حديث عائشة ألا أبشرك ياجابر الحديث وفيــه ان الله أحيا أباك فأقعده بين يديه الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد فيه ضعف وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقى الله به أباك

---

المشى فان كل شئ من قول وفعل ونظــر وسماع خرج عن حــد الضرورة جر الى الفضــول ثم يجر الى تضييع الاصول (قال سفيان) انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فكل من لايتمسك بالضرورة فى القول والفــعل لايقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعــدى الضرورة تداعت عــزائم قلبــه وانحلت شيأ بعد شئ (قال سهل ابن عبــد الله) مــن لم يعبــدالله اختيارا يعبــد

صلى الله عليه وسلم لجابر ألا أبشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين يديه وقال تمنّ عليّ عبدي ماشئت أعطيكه فقال يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة أخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لاترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله الا قتلة واحدة فكنت أشتهي ان أرد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ماتكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الاكناف لايبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا (١) فقال لرجل مات أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فان كان قد رضي فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لايسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لايحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه (٣) وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيأ وانما الأرواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال (٤) النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ألا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمور في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم وقال (٥) أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ولذلك قال أبو الدرداء اللهم اني أعوذ بك ان أعمل عملا أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص

---

قال بلى يارسول الله الحديث وفيه فقال ياعبدي تمنّ عليّ أعطك قال يارب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه انه سبق مني انهم لايرجعون (١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا خلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لايسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات (٢) حديث ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم ابن عامر الجنائزي مرسلا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة بلفظ مر عليه بجنازة فقال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده المصنف (٤) حديث النعمان بن بشير ألا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمور في جوفها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدّي عن النعمان من قوله ألله الله ورواه بكماله الازدي في الضعفاء وقال لايصح اسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكماله في ترجمة أبي اسمعيل السكوني رواية عن مالك بن أدّي ونقل عن أبيه ان كلا منهما مجهول قال الازدي لايصح اسناده وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدّي (٥) حديث أبي هريرة لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والمحاملي باسناد ضعيف ولاحمد من رواية من سمع انسانا عن أنس ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث

---

الخلق اضطرارا وينفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين ولا ينبغي للمبتدئ أن يعرف أحدا من أرباب الدنيا فان معرفتهم سم قاتل وقد ورد الدنيا مبغوضة الله فمن تمسك بحبل منها قادته الى النار وما حبل من حبالها الا كأبنائها والطالبين لها والمحبين فمن عرفهم انجذب اليها شاء أوأبى ويحترز المبتدئ عن مجالسة الفقراء الذين لايقولون بقيام الليل وصيام

عن أرواح المؤمنين اذا ماتوا أين هي قال في حواصل طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الارض السابعة وقال (١) أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان مأواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير أهل القبور يترقبون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أوما قدم عليكم فيقولون إنا لله وإنا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا * وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى (٢) أبو أيوب الانصاري عن النبي ﷺ انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا إنا لله و إنا اليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية

## ﴿ بيان كلام القبر للميت ﴾

وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله ﷺ (٣) يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل اذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سيق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذي لابد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني أن الميت اذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبي أيوب أن نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح ابن ابي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي أيوب باسناد جيد ورفعه ابن صاعد في زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٣) حديث يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم اني بيت الفتنة الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والطبراني في مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم في الكنى من حديث أبي الحجاج الثمالي باسناد ضعيف

---

النهار فانه يدخل عليه منهم أشر مما يدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون الى أن الاعمال شغل المتعبدين وان أرباب الاحوال ارتقوا عن ذلك وينبغي للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان فحسب ولا ينبغي أن يدخل هذا الكلام سمعه رأسا فانا اختبرنا ومارسنا الامور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا أن الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون

الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيأ طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره وقال (١) عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي

## ﴿ بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ﴾

قال (٢) البراء بن عازب خرجنا مع رسول ﷺ في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد ﷺ قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى ـ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ـ الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله بطيأ عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي * قال وأما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيأ عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارضين ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت

الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاء في أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بدايته ويراعي يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشيء من أحوال نفسه ومآربها ويبكر الى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة وان اغتسل قريبا من وقت الصلاة إذا أمكنه ذلك فحسن قال رسول الله ﷺ يا أبا هريرة اغتسل للجمعة ولو

---

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير بلغني أن رسول الله ﷺ قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد الا انه قال بلغني ولم يرفعه (٢) حديث البراء خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا

اعماله

أعمـاله الحسنة وأعمـاله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال (١) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ان المؤمن اذا احتضر أتتـه الملائـكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين و يقال أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الـكافر اذا احتضر أتته الملائـكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا و يقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوط عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا و يطوى عليها المسح و يذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى ـ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الانهار قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أي ليقولنها عند الموت وقال (٢) أبو هريرة قال النبي ﷺ المؤمن في قبره في روضة خضراء و يرحب له في قبره سبعون ذراعا و يضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال عـذاب الـكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لـكل حية سبعة رؤس يخدشونه و يلحسونه و ينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي أن يتعجب من هـذا العدد على الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الـكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصـفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى أقسام وتلك الصفات بأعيانها هي المهلـكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلـكات وانشعاب فروعها الا أن مقـدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوّة فأمثال هـذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولـكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنـكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينـكر ظواهرها بل أقل درجات الايمـان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الـكافر في قبره مدّة ونراقبه ولا نشاهد شيأ من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقدمات في التصديق بامثال هذا (أحدها) وهو الاظهر والاصح والاسلم أن تصدّق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولـكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملـكوت أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهـذا فتصحيح أصل الايمـان بالملائـكة والوحي أهم عليك وان كنت آمنت به وجوّزت أن يشاهـد النبي ما لا تشاهده الامة فـكيف لا تجوز هـذا في الميت وكما أن الملك لا يشبه الآدميـين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى ﴿المقام الثاني﴾ أن تتذكر أمر النائم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه و يعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولـكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العـذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهـد ﴿المقام الثالث﴾ انك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غـير سم لـكان العـذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة

(١) حديث أبي هريرة ان المؤمن إذا احتضر أتته الملائـكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف (٢) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء و يرحب له في

اشـتريت المـاء بعشائك ومامن نبي الا وقد أمره الله تعالى أن يغتسـل للجمعة فان غسل الجمعـة كفارة للذنوب ما بين الجمعتـين ويشتغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الاذكار من غير فتور الى أن يصلي الجمعـة ويجلس معتـكفا في الجامع الى أن يصـلي فـرض العصر وبقيـة النهار يشـغله بالتسبيح والاسـتغفار والصلاة على النبي ﷺ فانه يرى بركة ذلك في جميع الاسـبوع حـتى

صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فان كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة

ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم الى أعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عزوجل فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذى يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى ــ كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ــ وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذى يلدغه اذا أخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو أخذ ذلك منه وهو حى فيعظم عقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا أن المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لانه فى الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلى وحصل اليأس فاذا كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا فى الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله ﷺ (١) صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين ومامن شئ من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست بمستكثر الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب فى قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقدمات الايمان فى حيات القبر وعقاربه وفى سائر أنواع عذابه رأى أبو سعيد الخدرى ابناله قدمات فى المنام فقال له يا بنى عظنى قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بنى زدنى قال يا أبت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم أن فى الناس من لم يثبت الا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثانى ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك فى حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته

يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الاسبوع لانه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الاسبوع الذى مضى فانه اذا كان الاسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الانوار والبركات وما يجد فى يوم الجمعة من الظلمة وسآمة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع فى الاسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقى جدا أن يلبس

قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان (١) حديث صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين

وجهله

وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به و يالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذى أوصيك به أن لا تكثر نظرك فى تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير فى دفع العذاب كيفما كان فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده و يجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر فى أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم او نعيم مقيم فينبغى أن يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

## ﴿بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر و بقية القول فى عذاب القبر﴾

قال (١) أبو هريرة قال النبى ﷺ اذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول فى النبى فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان ان كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا و ينور له فى قبره ثم يقال له نم فيقول دعونى ارجع الى أهلى فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيأ وكنت أقوله فيقولان ان كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن (٢) عطاء بن يسار قال قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا عمر كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب و يدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما و يبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معى مثل عقلى الآن قال نعم قال اذا أكفيكهما وهذا نص صريح فى أن العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شئ وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شئ باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لا ينقسم فى نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت أعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذى لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغنى أن الكافر يسلط عليه فى قبره دابة عمياء صماء فى يدها سوط من حديد فى رأسه مثل غرب الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال أبو هريرة اذا وضع الميت فى قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فان أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وان أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان أتاه من قبل يده قالت اليدان والله لقد كان يبسطنى للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما انى لو رأيت

للناس اما المرتفع من الثياب أو ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد ففى لبس المرتفع للناس هوى وفى لبس الخشن رياء فلا يلبس الا لله (بلغنا) ان سفيان لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع و يغير ثم أمسك وقال لبسته بنية لله فلا أغيره فألبسه بنية للناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا بد للمبتدئ أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ

---

لم أجد له أصلا (١) حديث أبى هريرة اذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير الحديث الترمذى وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقى فى الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا قلت ووصله ابن بطة فى الابانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقى فى الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الاسناد تفرد به مفضل ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر أيرد الينا عقولنا فقال نعم كهيئتكم

خلا لكنت أنا صاحبه قال سفيان تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك فى مضجعك فنعم الأخلاء اخلاؤك ونعم الأصحاب اصحابك وعن (١) حذيفة قال كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن فى هذا ضغطة ترد منها حمائله وقالت (٢) عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ ان للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد ابن معاذ وعن أنس قال (٣) توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله ﷺ فساءنا حاله فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتى وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

## ﴿الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام﴾

اعلم ان أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى ـ انما يتقبل الله من المتقين ـ فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمر الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجرى عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين فى قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولا يتصوّر أن يبصر بها شيأ من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الانبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى فى عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا ولذلك (٤) رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته وكذلك حال أبى جابر لما استشهد إذ أخبره ان الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من أمثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا أنها أيضا مشاهدة نبوية واعنى بها المشاهدة فى المنام وهى من أنوار النبوّة قال رسول الله ﷺ (٥) الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة وهو أيضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ولذلك (٦) أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف

---

اليوم فقال عمر بفيه الحجر (١) حديث حذيفة كنت مع رسول الله ﷺ فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه الحديث رواه أحمد بسند ضعيف (٢) حديث عائشة ان للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ رواه أحمد باسناد جيد (٣) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مسقامة الحديث وفيه لقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين ابن ابى الدنيا فى الموت من رواية سليمان الاعمش عن أنس ولم يسمع منه

﴿الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة﴾

(٤) حديث راى رسول الله ﷺ ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته وكذلك حال أبى جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث فى الباب الذى قبله (٥) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة تقدم (٦) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا اتيت مضجعك

---

من القرآن من السبع الى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف امكن ولا يصغى إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجد بتلاوة القرآن فى الصلاة وفى غير الصلاة جميع ما يتمنى بتوفيق الله تعالى وانما اختار بعض المشايخ أن يديم المريد ذكرا واحدا ليجتمع الهم فيه ومن لازم التلاوة فى الخلوة وتمسك بالوحدة تفيده التلاوة والصلاة او فى ما يفيده الذكر

فی حدقة القلب ماسیکون فی المستقبل کما (١) انکشف دخول مکة لرسول الله ﷺ فی النوم حتی نزل قوله تعالی لقد صدق الله رسوله الرؤیا بالحق وقلما یخلو الانسان عن منامات دلت علی أمور فوجدها صحیحة والرؤیا ومعرفة الغیب فی النوم من عجائب صنع الله تعالی و بدائع فطرة الآدمی وهو من أوضح الأدلة علی عالم الملکوت والخلق غافلون عنه کغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول فی حقیقة الرؤیا من دقائق علوم المکاشفة فلا یمکن ذکره علاوة علی علم المعاملة ولکن القدر الذی یمکن ذکره ههنا مثال یفهمك المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تترای فیها الصور وحقائق الأمور وان کل ماقدره الله تعالی من ابتداء خلق العالم الی آخره مسطور ومثبت فی خلق خلقه الله تعالی یعبر عنه تارة باللوح وتارة بالکتاب المبین وتارة بامام مبین کما ورد فی القرآن فجمیع ماجری فی العالم وماسیجری مکتوب فیه ومنقوش علیه نقشا لا یشاهد بهذه العین ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حدید أو عظم وان الکتاب من کاغد أو رق بل ینبغی أن تفهم قطعا أن لوح الله لا یشبه لوح الخلق وکتاب الله لا یشبه کتاب الخلق کما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان کنت تطلب له مثالا یقربه الی فهمك فاعلم ان ثبوت المقادیر فی اللوح یضاهی ثبوت کلمات القرآن وحروفه فی دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فیه حتی کأنه حین یقرؤه ینظر الیه ولو فتشت دماغه جزأ جزأ لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وان کان لیس هناك خط یشاهد ولا حرف ینظر فمن هذا النمط ینبغی ان تفهم کون اللوح منقوشا بجمیع ماقدره الله تعالی وقضاه واللوح فی المثال کمرآة ظهر فیها الصور فلو وضع فی مقابلة المرآة مرآة أخری لکانت صورة تلك المرآة تترای فی هذه الا أن یکون بینهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم کلها موجودة فیها واشتغال القلب بشهواته ومقتضی حواسه حجاب مرسل بینه و بین مطالعة اللوح الذی هو من عالم الملکوت فان هبت ریح حرکت هذا الحجاب ورفعته تلألأ فی مرآة القلب شیء من عالم الملکوت کالبرق الخاطف وقد یثبت و یدوم وقد لا یدوم وهو الغالب ومادام متیقظا فهو مشغول بما تورده الحواس علیه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملکوت ومعنی النوم أن ترکد الحواس علیه فلا توردہ علی القلب فاذا تخلص منه ومن الخیال وکان صافیا فی جوهره ارتفع الحجاب بینه و بین اللوح المحفوظ فوقع فی قلبه شیء مما فی اللوح کما تقع الصورة من مرآة فی مرآة أخری اذا ارتفع الحجاب بینهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل ولیس مانعا للخیال عن عمله وعن تحرکه فما یقع فی القلب یبتدره الخیال فیحاکیه بمثال یقاربه وتکون المتخیلات اثبت فی الحفظ من غیرها فیبقی الخیال فی الحفظ فاذا انتبه لم یتذکر إلا الخیال فیحتاج المعبر أن ینظر الی هذا الخیال حکایة أی معنی من المعانی فیرجع الی المعانی بالمناسبة التی بین المتخیل والمعانی وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر فی علم التعبیر و یکفیك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سیرین رأیت کأن بیدی خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح فی رمضان قال صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله یراد الختم وانما ینکشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ کما هو علیه وهو کونه مانعا للناس من الأکل والشرب ولکن الخیال الف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخیالیة التی تتضمن روح المعنی ولا یبقی فی الحفظ الا الصورة الخیالیة فهذه نبذة یسیرة من بحر علم الرؤیا الذی لا تنحصر عجائبه وکیف لا وهو أخو الموت وانما الموت هو عجب من العجائب وهذا لانه یشبهه من وجه ضعیف أثر فی کشف الغطاء عن عالم الغیب حتی صار النائم یعرف ماسیکون فی المستقبل فما ذا تری فی الموت الذی یخرق الحجاب و یکشف الغطاء بالکلیة حتی یری الانسان عند انقطاع النفس من غیر تأخیر نفسه اما محفوفة بالانکال والمخازی والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما مکنوفا بنعیم مقیم وملك کبیر لا آخر له وعند هذا یقال للاشقیاء وقد انکشف الغطاء لقد کنت فی غفلة من هذا فکشفنا عنك غطاءك فبصرك الیوم حدید و یقال أفسحر هذا ام أنتم لا تبصرون أصلوها فاصبروا أو لا تصبروا

الواحد فاذا سئم فی بعض الاحایین یصانع النفس علی الذکر مصانعة و ینزل من التلاوة الی الذکر فانه أخف علی النفس و ینبغی أن یعلم ان الاعتبار بالقلب فکل عمل من تلاوة وصلاة وذکر لا یجمع فیه بین القلب واللسان لا یعتد به کل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا یحقر الوساوس وحدیث النفس فانه مضر وداء عضال فیطالب نفسه ان تصبر فی تلاوته معنی القرآن مکان حدیث النفس من باطنه فکما أن التلاوة

فتوضأ وضوأك للصلاة الحدیث (١) حدیث انکشف دخول مکة لرسول الله ﷺ فی النوم ابن

سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة فى خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس فى روعه فيقول ما قال لسيد النبيين (١) أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل (٢) لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة (٣) ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال (٤) لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا للخليل ولا حبيب وقد قال لأمته ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فانما أمته من أتبعه وما تبعه الا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد أتبعته وبقدر ما أتبعته فقد صرت من امته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسى لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا لعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه و بصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة و بقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

## ﴿ بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والاعمال النافعة فى الآخرة ﴾

فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ وقد قال عليه السلام (٥) من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فرأيته لا ينظر الى فقلت يا رسول الله ما شأنى فالتفت الى وقال ألست المقبل وأنت صائم قال والذى نفسى بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا وقال العباس رضى الله عنه كنت ود العمر فاشتهيت أن أراه فى المنام فما رأيته الا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغى ان كان عرشى ليهد لولا أنى لقيته رؤفا رحيما وقال الحسن بن على قال لى على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سنح لى الليلة فى منامى فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك قال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم وأبدلهم بى من هو شر لهم منى فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله استغفر لى فاعرض عنى فقلت يا رسول الله ان سفيان ابن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله (٦) انك لم تسأل شيأ قط فقلت لا فاقبل على فقال غفر الله لك وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابى لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه

---

أبى حاتم فى تفسيره من رواية مجاهد مرسلا (١) حديث ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث تقدم (٢) حديث لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة تقدم أيضا (٣) حديث لم يخلف دينارا ولا درهما تقدم أيضا (٤) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن تقدم ايضا (٥) حديث من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتخيل بى متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث ابن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر ما سئل النبى ﷺ شيأ قط فقال لا رواه مسلم وقد تقدم

---

على اللسان هو مشغول بها ولا يمزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن فى القلب لا يمزجه بحديث النفس وان كان أعجميا لا يعلم معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشغل باطنه بمطالعة نظر الله اليه مكان حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة (قال مالك) قلوب الصديقين اذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك المريد بهذه الاصول وليستغن بدوام

بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولا أن يريني اياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروّح الا ليلة الاثنين في كل الايام والليالي قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد ﷺ جاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به وأعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة الى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا أنا نائم اذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت أسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا أنا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد اذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال قم فقد بيض الله وجه أبيك فقلت له من أنت بابي أنت وأمي فقال أنا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فاذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله ﷺ * وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس اذ أتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان باسرع من ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع من ان خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره أصحابه فقال رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول أبدا في لسانك هذا أوردني الموارد فماذا فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

﴿ بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين ﴾

قال بعض المشايخ رأيت متمما الدورقي في المنام فقلت ياسيدي ما فعل الله بك فقال ديربي في الجنان فقيل لي يا متمم هل استحسنت فيها شيأ قلت لا ياسيدي فقال لو استحسنت منها شيأ لوكلتك اليه ولم أوصلك الي ورؤي يوسف ابن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان أقر به فاوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان أذكره وقال أبو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله ﷺ في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينما نحن كذلك اذ انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طشت و بيد الآخر ابريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يارسول الله أليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من أحب قال بلى قلت يا رسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال ﷺ صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال أقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ورؤي مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الامر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فاشخص رجلا يقتلني وقال محمد بن واسع الرؤ يا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في أي

بدوام الافتقار الى الله فبذلك ثبات قدمه (قال سهل) على قدر لزوم الالتجاء والافتقار الى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره الى الله فدوام الافتقار الى الله أصل كل خير ومفتاح كل علم دقيق في طريق القوم وهذا الافتقار مع كل الانفاس لا يتشبث بحركة ولا يستقل بكلمة دون

الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وسئل زرارة بن أبي أو في في المنام أي الاعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا أباعمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخي في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابراهيم بن اسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها الى أربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان الثوري رىء في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد ابن أبي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا فقلت لها ما اذا ضوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في الليل ورئيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله أفني بها عمري لا اله الا الله أدخل بها قبري لا اله الا الله أخلو بها وحدي لا اله الا الله ألقى بها ربي ورىء بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر أما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورؤي أبو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شئ أضر علي من اشارات القوم الي وقال أبو بكر الكتاني رأيت في النوم شابا لم أر أحسن منه فقلت له من أنت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء فقلت من أنت قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك الا غلبة وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت ابليس في النوم يمشي عريانا فقلت ألا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده الى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخراز كنت في دمشق فرأيت في المنام كان النبي ﷺ جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وأنا أقول شيأ من الاصوات وأدق في صدري فقال شرهذا أكثر من خيره * وعن ابن عيينة قال رأيت سيفان الثوري في النوم كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصني قال أقلل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي * هنيأ رضائي عنك يا ابن سعيد

فقد كنت قواما اذا أظلم الدجى * بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أي قصر أردته * وزرني فاني منك غير بعيد

ورؤي الشبلي بعد موته بثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى أيست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته ورؤي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ورؤي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ورؤي بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا ورؤي مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت وريء

الافتقار الى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرا قطعا علمنا ذلك وتحققناه وقال سهل من انتقل من نفس الى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه (وبلغنا) أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه

فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا ان الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض ورىء الجاحظ فقيل له مافعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شئ * يسرك فى القيامة أن تراه

ورأى الجنيد ابليس فى المنام عريانا فقال ألا تستحى من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أقوام فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث وروئى النصراباذى بمكة بعد وفاته فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا ياذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بربى ورأى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة فقالت ياعتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيأ فيحال بينى و بينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لى عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها فرأى الميت بعضهم فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى وقال قل لايوب قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رأيت فى الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت أى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت أيها الشيخ قال دع التشييخ قلت تلك الاحوال التى شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت مافعل الله بك قال غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز وقال أبو بكر الرشيدى رأيت محمدا الطوسى المعلم فى النوم فقال لى قل لابى سعيد الصفار المؤدب

وكنا على أن لا نحول عن الهوى * فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت يا أبا عبد الله ماصنع الله بك قال أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادى ــ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ــ واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا أويس القرنى فاتيته فقلت أوصنى رحمك الله فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فارشدنى أرشدك الله فاقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ثم ولى وتركنى وقال أبو بكر بن أبى مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى فقلت مافعلت ياورقاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فاى الاعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد ابن نعامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرآها أبوها فى المنام فقال لها يا بنية أخبرينى عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب الى من الدنيا ومافيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة فى المنام فقلت ماصنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك قال فلما أصبحت جئت الى بيتى فاذا خط عتبة الغلام فى حائط البيت يا هادى المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما بال على بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب ورأى رجل من التابعين النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يارسول الله عظنى قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان

الدار ثم رجع الى نفسه وقال مالى وهـذا السؤال وهل هذه الا كلمة لا تعنينى وهـل هذا الا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا

فالموت خيرله وقال الشافعي رحمة الله عليه دهمني في هذه الايام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله عزوجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال لي يا محمد بن إدريس قل اللهم انى لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع ان آخذ الا ما أعطيتنى ولا أتقى الا ما وقيتنى اللهم فوفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عزوجل طلبتى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الاعمال المقربة إلى الله زلفى فلنذكر بعدها ما بين يدى الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار إما فى الجنة أو فى النار والحمد لله حمد الشاكرين

﴿الشطر الثانى من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار﴾ وفيه بيان نفخة الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب ان شاء الله تعالى

## ﴿صفة نفخة الصور﴾

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الاخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذى أخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبى ﷺ (١) قال الله تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وانما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة فى هذا العالم لامثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمى المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى ـ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ وقال تعالى ـ أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ـ ففى خلق الآدمى مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الاعاجيب فى بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك فى صنعته وقدرته فان كان فى ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر فى النشأة الأولى فان الثانية مثلها وأسهل منها وان كنت قوى الايمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن

يقول سمعت أنا عمرو الانماطى يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته من الله أكثر مما ناله وهذه الجملة يحتاج المبتدئ ان يحكمها والمنتهى عالم بها عامل بحقائقها فالمبتدئ صادق والمنتهى صديق قال أبو سعيد القرشى الصادق الذى ظاهره مستقيم

﴿الشطر الثانى من وقت نفخة الصور﴾

(١) حديث قال الله تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى الحديث البخارى

قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى - ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون - وقال تعالى - فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - فلو لم يكن بين يدي الموتى الاهول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والارض يعني يموتون بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله ﷺ (١) كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض أي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى - ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث وقال ﷺ (٢) حين بعث الى بعث الى صاحب الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فاولئك الارض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا - فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

﴿ صفة أرض المحشر وأهله ﴾

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها

وباطنه يميل أحيانا الى حظ النفس وعلامته أن يجد الحلاوة في بعض الطاعة ولا يجدها في بعض واذا اشتغل بالذكر نور الروح واذا اشتغل بحظوظ النفس يحجب عن الاذكار والصديق الذي استقام ظاهره وباطنه يعبد الله تعالى بتلوين الاحوال لا يحجبه عن الله وعن الاذكار أكل ولا نوم ولا شرب ولا طعام

---

من حديث أبي هريرة (١) حديث كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ ان صاحبي القرن بأيديهما أو في أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاه مختلف فيه (٢) حديث حين بعث الى بعث الى صاحب الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد ان اسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة ان الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخاري ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ماطرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد

عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لاتفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الاولى والرادفة هى النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لاحد قال الراوى والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعلم أى لابناء يستر ولاتفاوت يرد البصر ولاتظنن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لاتساويها الا فى الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها و ينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها ومافيها وتمد مد الاديم العكاظى أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يامسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبيناهم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها فى سمعك و ياهيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق و بلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات و يؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف و بعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال (٣) أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم فى طبع الآدمى انكار كل مالم يأنس به ولولم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافى الدنيا فانك لولم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فاحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة

﴿ صفة العرق ﴾

ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين

---

ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد اليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان واسنادها جيد (١) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد متفق عليه من حديث سهل ابن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلها من قول سهل أو غيره وأدرجها مسلم فيه (٢) حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق و بلغ شحوم الآذان قالت سودة راوية الحديث واسوأتاه الحديث الثعلبى والبغوى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة واسوأتاه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة واسوأتاه (٣) حديث أبى هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على

والصديق يريد نفسه لله وأقرب الاحوال الى النبوة الصديقية (وقال أبو يزيد) آخر نهايات الصديقين أول درجة الانبياء * واعلم ان أرباب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطواعة صالحة مع القلوب مجيبة الى كل

ولم

ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش و بين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه و بعضهم حقويه و بعضهم الى شحمة أذنيه و بعضهم كاد يغيب فيه قال (١) ابن عمر قال رسول الله ﷺ يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقال (٢) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين باعا و يلجمهم و يبلغ آذانهم كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح وفى حديث آخر (٣) قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال (٤) عقبة بن عامر قال رسول الله ﷺ تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته

## ﴿ صفة طول يوم القيامة ﴾

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله (٥) بن عمرو تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم فلم يتعلقوا بنبى الا دفعهم وقال دعونى نفسى نفسى شغلنى أمرى عن أمر غيرى واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا

ما تجيب اليه القلوب أرواحهم متعلقة بالمقام الاعلى انطفأت فيهم نيران الهوى وتخمر فى بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم الآخرة كما قال رسول الله ﷺ فى حق ابى بكر رضى الله عنه من اراد أن ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى أبى بكر اشارة منه عليه الصلاة والسلام الى ما كوشف به من

---

وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة (١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا الحديث أخرجاه فى الصحيحين كما ذكره المصنف (٣) حديث قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان الجرجانى ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لا أظن أنه كان يتعمد الكذب لكن لعله تشبه عليه (٤) حديث عقبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمرو تلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم قلت انما هو عبد الله بن عمرو ورواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكره ابن أبى حاتم راويا غير ابن وهب وهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى أربعة هذا

غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله ﷺ (١) لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذى نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر اليك والاستعداد بيديك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

﴿ صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه ﴾

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كوّرت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوّجت والجحيم قد سعرت والجنة قد أزلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض قد زلزلت فيه زلزالها وأخرجت الارض أثقالها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم تحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم ترج الارض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسئل فيه عن الأجرام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق رضى الله عنه أراك قد شبت يا رسول الله قال (٢) شيبتني هود وأخواتها وهي الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كوّرت فيا أيها القارئ العاجز انما حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الاسامي تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه أولى الالباب فتحت كل اسم من

صريح العلم الذى لا يصل اليه عوام المؤمنين الا بعد الموت حيث يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلعت أرواحهم (قال) يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل معهم بائن منهم وقال مرة عبد كان فبان فأرباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم

أحدهم مصرى والثلاثة الآخرون شاميون (١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذى نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدرى وفيه ابن لهيعة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لهيعة وهو حسن ولأبي يعلى من حديث أبي هريرة باسناد جيد يهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب الى أن تغرب ورواه البيهقي في الشعب إلى أن قال أظنه رفعه بلفظ ان الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة (٢) حديث شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كوّرت الترمذى وحسنه والحاكم

أسماء القيامة سر وفى كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميها وهى يوم القيامة و يوم الحسرة و يوم الندامة و يوم المحاسبة و يوم المساءلة و يوم المسابقة و يوم المناقشة و يوم المنافسة و يوم الزلزلة و يوم الدمدمة و يوم الصاعقة و يوم الواقعة و يوم القارعة و يوم الراجفة و يوم الرادفة و يوم الغاشية و يوم الداهية و يوم الآزفة و يوم الحاقة و يوم الطامة و يوم الصاخة و يوم التلاق و يوم الفراق و يوم المساق و يوم القصاص و يوم التناد و يوم الحساب و يوم المآب و يوم العذاب و يوم الفرار و يوم القرار و يوم اللقاء و يوم البقاء و يوم القضاء و يوم الجزاء و يوم البلاء و يوم البكاء و يوم الحشر و يوم الوعيد و يوم العرض و يوم الوزن و يوم الحق و يوم الحكم و يوم الفصل و يوم الجمع و يوم البعث و يوم الفتح و يوم الخزى و يوم عظيم و يوم عقيم و يوم عسير و يوم الدين و يوم اليقين و يوم النشور و يوم المصير و يوم النفخة و يوم الصيحة و يوم الرجفة و يوم الرجة و يوم الزجرة و يوم السكرة و يوم الفزع و يوم الجزع و يوم المنتهى و يوم المأوى و يوم الميقات و يوم الميعاد و يوم المرصاد و يوم القلق و يوم العرق و يوم الافتقار و يوم الانكدار و يوم الانتشار و يوم الانشقاق و يوم الوقوف و يوم الخروج و يوم الخلود و يوم التغابن و يوم عبوس و يوم معلوم و يوم موعود و يوم مشهود و يوم لاريب فيه و يوم تبلى السرائر و يوم لاتجزى نفس عن نفس شيأ و يوم تشخص فيه الابصار و يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ و يوم لاتملك نفس لنفس شيأ و يوم يدعون إلى نار جهنم دعا و يوم يسحبون فى النار على وجوههم و يوم تقلب وجوههم فى النار و يوم لايجزى والد عن ولده و يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه و يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون يوم لامرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لاينفع مال ولابنون يوم لاتنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار يوم تخشع فيه الابصار وتسكن الاصوات و يقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيآت يوم يساق العباد ومعهم الاشهاد و يشيب الصغير و يسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين و برزت الجحيم وأغلى الحميم وزفرت النار و يئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم حيث أغلقت الابواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين و ينزل عليه الكتاب المبين و يخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا و يقول اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلانتدبر معانيه ولاننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يداركنا الله بواسع رحمته

معوقين بتوقيت الاجل جعلهم الله تعالى من جنوده فى خلقه بهم يهدى وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الارادة كلامهم دواء ونظرهم دواء ظاهرهم محفوظ بالحكم و باطنهم معمور بالعلم (قال ذو النون) علامة العارف ثلاثة لايطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا

﴿صفة المساءلة﴾

ثم تفكر يامسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا أنت فى كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصى المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله ﷺ (١) ان الله عز وجل ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على

(١) حديث ان الله عز وجل ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ وصححه وقد تقدم

عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لأذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله ـ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ـ وقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ سبحانه بالأنبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتمحي علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش وأشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمساءلة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك ياجبريل ائتني بالنار فيجيء بها جبريل ويقول ياجهنم أجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر ببالك وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على الركب وولوا مدبرين يوم ترى كل أمة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم فاذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظر الامره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال (١) أبو هريرة قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك وأسودك وازوجك وأسخرلك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فانا انساك كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله

يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك استار محارم الله فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا اقربا وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا يتناولون

(١) حديث أبي هريرة هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب

تعالى

تعالى يسألك شفاها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك * (١) قال أنس رضي الله عنه كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره (٢) سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى فقال قال رسول الله ﷺ يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله ﷺ (٣) من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم فتوهم نفسك أنك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري ألم أنعم عليك فماذا غرك بي أظننت أني لا أراك وأنك لا تلاقني قال رسول الله ﷺ (٤) ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله ﷺ (٥) ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك ألم أكن

الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهدى له شيء لأنه مقهور تحت السياسة محروم ملطوف به وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية قال يحيى بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها

---

الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فانفرد بها مسلم (١) حديث أنس أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه الحديث رواه مسلم (٢) حديث سأل ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى الحديث رواه مسلم (٣) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم (٤) حديث ما منكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدي عن أبي حاتم بلفظ إلا سيكلمه الحديث (٥) حديث ليقفن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخاري من

رقيبا على أذنيك وهكذا حتى عدسائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه فاعظم يامسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون واما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والارض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على مافرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك

﴿ صفة الميزان ﴾

ثم لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لاسعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيآت أو الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى (١) الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه فقال ما يبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فان أحدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله ﷺ فى يوم القيامة انه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام (٢) فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله ﷺ ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى ابليس قالوا وما هما يارسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس يوم القيامة الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة

﴿ صفة الخصماء ورد المظالم ﴾

والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت اليها (واعلم) ان المنتهى مع كمال حاله لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط فى هذا خلق وظنوا ان المنتهى استغنى عن الزيادات والنوافل ولا على قلبه من الاسترسال فى تناول الملاذ

حديث عدى بن حاتم (١) حديث الحسن ان عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال ما يبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه ﷺ فى حجرها وانه نعس واسناده جيد (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه البخارى من حديث أبى هريرة نحوه وقد تقدم

قدعرفت هول الميزان وخطره وأن الاعين شاخصة إلى لسان الميزان ـ فمن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ـ واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وانما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا و يتدارك مافرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى و يرد المظالم حبة بعد حبة و يستحل كل من تعرض له بلسانه و يده وسوء ظنه بقلبه و يطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه هذا يقول ظلمتنى وهذا يقول شتمتنى وهذا يقول استهزأت بى وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى وهذا يقول جاورتنى فاسأت جوارى وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك وهذا يقول رأيتنى محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتنى وهذا يقول وجدتنى مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم وماراعيتنى فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أوخيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ـ ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس ـ فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك فى ذلك اليوم إذا وقفت على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لاتقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال (١) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لادرهم له ولادينار ولامتاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة و يأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار فانظر الى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لاينقضى عنك يوم إلا و يجرى على لسانك من غيبة المسلمين مايستوفى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتحطان فقال (٢) ياأبا ذر أتدرى فيم ينتحطان قلت لاقال ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة فى قوله عز وجل ـ ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا فكنت أنت يامسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتى فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيآت طال فى الصبر عنها نصبك واشتد

والشهوات وهذا خطأ لامن حيث انه يحجب العارف عن معرفته ولكن يوقف عن مقام المزيد وقوم لما رأوا ان هذه الاشياء لاتؤثر فيهم قسوة ولاتورثهم حجبة ركنوا اليها واسترسلوا فيها وقنعوا باداء الفرائض واتسعوا فى المأكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الاحوال وتقييده بنور الحال وعدم

(١) حديث أبى هريرة هل تدرون من المفلس قالوا المفلس يارسول الله من لادرهم له ولامتاع الحديث تقدم
(٢) حديث ياأباذر أتدرى فيم ينتحطان قلت لاقال ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما أحمد من رواية أشياخ

بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيآت ماقارفتها قط فيقال هذه سيآت القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال (١) ابن مسعود قال رسول الله ﷺ ان الشيطان قد يئس أن تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهو الموبقات فاتقوا الظلم مااستطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فمايزال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول امح من حسناته فمايزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ماأرادوا وكذلك الذنوب (٢) ولما نزل قوله تعالى ـ انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذى حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال (٣) أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه ولا لاحد من أهل النار ان يدخل النار ولاحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد و بين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه و بين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لاحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن (٤) أنس عن رسول الله ﷺ انه قال بينما رسول الله ﷺ جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يارسول الله بابى أنت وأمى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتى شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عنى من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

التخلص بالكلية إلى نور الحق ومن تخلص من نور الحال إلى نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد كاحد عوام المؤمنين يتقرب بالصلاة والصوم وأنواع البر حتى باماطة الاذى عن الطريق ولا يستكبر ولا يستنكف ان يعود فى صور عوام المؤمنين من اظهار الارادة بكل بروصلة

---

لم يسموا عن أبى ذر (١) حديث ابن مسعود ان الشيطان قد أيس ان تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك المحقرات وهى الموبقات الحديث وفى آخره وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة الحديث رواه أحمد والبيهقى فى الشعب مقتصرا على آخره اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا الحديث واسناده جيد فأما اول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذى من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس يحشر العباد عراة غبرا بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء الحديث قلت ليس من حديث أنس وانما هو عبيد الله ابن أنيس رواه أحمد باسناد حسن وقال غرلا مكان غبرا (٤) حديث أنس بينما رسول الله ﷺ جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك يارسول الله بأبى وأمى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العالمين الحديث بطوله ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله والحاكم فى المستدرك وقد تقدم

من تفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أولأى صديق هذا أولأى شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال
يارب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وماهو قال عفوك عن أخيك قال يارب انى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ
بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح
بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر
الآن فى نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك
فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه
الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وأبيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك
بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الأولين
والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك
وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى
أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك
فان كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافى والنية الصادقة
فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الابه وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت
تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتى ياعبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع
هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين
وعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة
فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك
وانت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا
وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم
جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم
فى ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدى الزبانية الى سواء الجحيم فهذه أحوالك
وأنت لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

## ﴿ صفة الصراط ﴾

ثم تفكر بعد هذه الاهوال فى قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
وفى قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط
وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم
خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر فى أول قدم من
الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم
من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك
وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط
فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية والخلائق بين
يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر اليهم كيف يتنكسون
فتتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه فانظر الى
حالك وأنت تزحف عليه وتصعد اليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون

فيتناول الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المنقادة المطواعة لانها أسيرته ويمنعها الشهوات وقتا لان فى ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال الصبى فانه ان جاوز حد الاعتدال من اعطاء المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه لان الجبلة لابد من قمعها بسياسة العلم وما دامت الجبلة باقية لابد من سياسة العلم

في النار والرسول عليه السلام يقول يارب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياتي ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ياليتني كنت ترابا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليت أمي لم تلدني وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله ﷺ (١) يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال (٢) أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة وذكر الى آخر الحديث وعن (٣) ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله مالم يعط أحدا اذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال (٤) أنس بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يارب سلم سلم فالزالون

(١) حديث يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجيز متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث طويل (٢) حديث أبي سعيد يحشر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف الحديث متفق عليه مع اختلاف ألفاظ (٣) حديث ابن مسعود يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدي والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٤) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة الحديث البيهقي في الشعب وقال هذا اسناد ضعيف قال وروي عن زياد النميري عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة

وهذا باب غامض دخل في النهايات على المنتهي من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد فالمنتهي ملك ناصية الاختيار في الاخذ والترك ولابد له من أخذ وترك في الاعمال والحظوظ ففي الاعمال لابد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالاعمال كآحاد الصادقين وتارة يترك زيادة الاعمال رفقا بالنفس وتارة يأخذ الحظوظ

والزالات

والزلالات يومئذ كثير فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك فما هذا من الخوف في شئ بل من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء خوف الحمق إذا سمعوا الاهوال سبق الى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني ذلك عنه من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله ﷺ حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

## ﴿صفة الشفاعة﴾

اعلم أنه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا أصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية أصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر أصلا طاعة فان الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - روى (١) عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وقال ﷺ (٢) أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال ﷺ اذا كان يوم القيامة كنت

والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها افتقادا للنفس بحسن السياسة فيكون في ذلك كله مختارا فمن ساكن ترك الحظوظ بالكلية فهو زاهد تارك بالكلية ومن استرسل في أخذها فهو راغب بالكلية والمنتهى شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال واقف على الصراط بين الافراط والتفريط فمن ردت اليه الاقسام في

أو لحد السيف قال وهي رواية صحيحة انتهى ورواه احمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة (١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ تلا قول ابراهيم ﷺ رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ﷺ ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه ثم قال أمتي أمتي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك ولا نسوءك في أمتك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وانما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الاحياء ذكر عبد الله من بعض النساخ (٢) حديث أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي الحديث وفيه وأعطيت الشفاعة متفق عليه من حديث جابر اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر الترمذي وابن ماجه من حديث أبيّ بن كعب قال الترمذي حسن صحيح

امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال ﷺ (١) أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أوّل من تنشق الارض عنه وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال ﷺ (٢) لكل نبى دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة (٣) ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ ينصب للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقول يارب امتى فيقول الله عز وجل يامحمد وماتريد أن أصنع بأمتك فأقول يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكا كا برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يامحمد ماتركت النار لغضب ربك فى أمتك من بقية وقال ﷺ (٤) انى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال (٥) أبو هريرة أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاوّلين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ماقد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أوّل الرسل الى أهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فيأتون ابراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانى كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول عيسى عليه السلام ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد ﷺ فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فأنطلق فآتى تحت

(١) حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى (٢) حديث لكل نبى دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث ابن عباس ينصب للانبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا الحديث الطبرانى فى الاوسط وفى اسناده محمد بن ثابت البنانى ضعيف (٤) حديث انى لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر احمد والطبرانى من حديث بريدة بسند حسن (٥) حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ أتى بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا ابراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم

النهاية فأخذها زاهدا فى الزهد فهو تحت قهر الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار الواقف مع فعل الله تعالى مقيد بالحال وكما أن الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار فكذلك الزاهد فى الزهد الآخذ من الدنيا ماسيق اليه لرؤيته فعل الله مقيدا بالأخذ واذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك

العرش فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى أمتى يارب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة و بصرى وفى حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو قوله فى الكواكب هذا ربى وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم فهذه شفاعة رسول الله ﷺ ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله ﷺ (١) يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر وقال ﷺ (٢) يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال (٣) أنس قال رسول الله ﷺ ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار و يقول يا فلان هل تعرفنى فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذى مررت بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره و يقول انى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال هل تعرفنى فقلت لا من أنت فقال أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى عند ربك فشفعنى فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار وعن (٤) أنس قال قال رسول الله ﷺ أنا أوّل الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر وقال رسول الله ﷺ (٥) انى أقوم بين يدى ربى عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى وقال (٦) ابن عباس رضى الله عنهما جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم ﷺ فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أوّل من يحرك حلق

---

(١) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر رويناه فى جزء أبى عمرو بن السماك من حديث أبى امامة إلا انه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان المشيخة يرون ان ذلك الرجل عثمان بن عفان واسناده حسن وللترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجدعا يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا (٢) حديث يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله الترمذى من حديث أبى سعيد ان من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة الحديث وقال حسن وللبزار من حديث أنس ان الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٣) حديث أنس ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فيناديه رجل من أهل النار و يقول يا فلان هل تعرفنى فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذى مررت بى فى الدنيا يوما فاستسقيتنى شربة فسقيتك الحديث فى شفاعته فيه واخراجه من النار أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (٤) حديث أنس أنا أوّل الناس خروجا اذا بعثوا الحديث الترمذى وقال حسن غريب (٥) حديث فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح (٦) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم

بل يترك وقتا واختاره من اختيار الله و يأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتى بها وقتا و يسمح للنفس وقتا لانه مختار صحيح فى الاختيار فى الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر و يستقيم يشاكل حال رسول الله ﷺ وهكذا كان رسول الله

الجنة فيفتح الله لى فأدخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأوّلين والآخرين ولا فخر

﴿ صفة الحوض ﴾

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه وفى الآخرة ذوقه فان من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبدا قال (١) أنس أغفى رسول الله ﷺ اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت فقال آية أنزلت علىّ آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال انه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وقال (٢) أنس قال رسول الله ﷺ بينما أنا أسير فى الجنة اذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف قلت ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر وقال كان رسول الله ﷺ يقول (٣) مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء أو مثل مابين المدينة وعمان وروى (٤) ابن عمر أنه لما نزل قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قال رسول الله ﷺ هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال (٥) ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ ان حوضى مابين عدن الى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أوّل الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يارسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد فقال عمر ابن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لى أبواب السدد الا أن يرحمنى الله لاجرم لا أدهن رأسى حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتسخ (٦) وعن أبى ذر قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله مابين عمان وايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وعن (٧) سمرة قال قال رسول الله ﷺ ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله ﷺ

عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل انى عزمت أن لا آكل اللحم قال فانى آكل اللحم وأحبه ولو سألت ربى أن يطعمنى كل يوم لأطعمنى وذلك يدلك على أن رسول الله ﷺ كان مختارا فى

فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا الحديث رواه الترمذى وقال غريب (١) حديث أنس أغفى رسول الله ﷺ اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت فقال آية نزلت علىّ آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر رواه مسلم (٢) حديث أنس بينما أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف الحديث الترمذى وقال حسن صحيح ورواه البخارى من قول أنس لما عرج بالنبى ﷺ الى السماء الحديث وهو مرفوع وان لم يكن صرح به عن النبى ﷺ (٣) حديث أنس مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء أو مثل مابين المدينة وعمان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قال رسول الله ﷺ هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب الحديث الترمذى مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمى فى مسنده وهو أقرب إلى لفظ المصنف (٥) حديث ثوبان ان حوضى مابين عدن الى عمان البلقاء الحديث الترمذى وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبى ذر قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث سمرة ان لكل نبى حوضا وانهم ليتباهون أيهم أكثر واردة الحديث الترمذى وقال غريب قال وقد روى الاشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح

فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى أوان الحصاد فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الارض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شئ وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى ـ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ـ

## ﴿ القول في صفة جهنم وأهوالها وانكالها ﴾

ياأيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك أخبرت بان النار مورد للجميع إذ قيل ـ وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ـ فانت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا أين فلان ابن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك ومالهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك أخرجنا منها فانا لانعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولاخروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى مانهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى مافرطوا في جنب الله يتأسفون ولاينجيهم الندم ولايغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

ذلك ان شاء أكل وان شاء لم يأكل وكان يترك الأكل اختيارا وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرعا وهذا اذا قالوه على معنى انه لايلزمهم التأسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والعزيمة

(١) ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال (٢) على كرّم الله وجهه قال رسول الله ﷺ تعوّذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل يارسول الله وما وادى أو جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الاعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن فى عمق الهاوية فانه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال (٣) أبو هريرة كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان بل لكل واحد حدّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدّة ما هو فيه قال رسول الله ﷺ (٤) ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدّد عليه ومهما تشككت فى شدّة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك أخطأت فى القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر فى بعض الاخبار حيث قيل (٥) ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال (٦) أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت فهى سوداء مظلمة وقال ﷺ (٧) اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدونه فى الصيف من حرها وأشد ما تجدونه فى الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون

التأسى بفعله وقول رسول الله ﷺ لارباب الرخص وفعله لارباب العزائم ثم ان المنتهى يحاكى حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام فى دعاء الخلق الى الحق فكل ما كان يعتمده رسول الله ﷺ ينبغى أن يعتمده فكان قيام رسول الله ﷺ وصيامه الزائد لا يخلو اما أنه

(١) حديث ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله لم أجده هكذا بجملته وسيأتى بعده ما ورد فى ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تعوّذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن الحديث رواه ابن عدى بلفظ وادى الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهانى بسند ضعيف ورواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم فى ذم الجاه والرياء (٣) حديث أبى هريرة كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة الحديث وفيه هذا حجر أرسل فى جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار الحديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير (٥) حديث ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد وللبزار من حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت اليكم حتى أحسبه قال نضحت بالماء فتضيء عليكم (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت الحديث تقدم (٧) حديث اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فاذن لها بنفسين الحديث متفق عليه من حديث

ثم

ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء فى قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال (١) أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ لو أن دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم – من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت – وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا – ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى – ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم – وقال تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم – وقال تعالى – تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية – وقال تعالى – ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما – وقال (٢) ابن عباس قال رسول الله ﷺ لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال (٣) أنس قال رسول الله ﷺ ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى انتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم وقال (٤) أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل وقال (٥) أبو أمامة قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على اهلها وأغريت بهم فهى لا تفتر عن النهش

كان ليقتدى به وأما انه كان لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقتدى به فالمنتهى ايضا مقتدى به ينبغى أن يأتى بمثل ذلك والصحيح الحق أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجبلة * قال الله تعالى خطابا له واعبد ربك حتى يأتيك اليقين لانه بذلك

أبى هريرة (١) حديث أبى سعيد الخدرى لو أن دلوا من غساق ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض الترمذى وقال انما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٢) حديث ابن عباس لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا افسدت على أهل الارض معاشهم الحديث الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه (٣) حديث انس ارغبوا فيما رغبكم فيه واحذروا وخافوا ما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجد له اسنادا (٤) حديث ابى الدرداء يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذى من رواية سمرة بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن ابى الدرداء قال الدارمى والناس لا يعرفون هذا الحديث وانما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن ام الدرداء عن ابى الدرداء قوله (٥) حديث ابى أمامة فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه الحديث الترمذى

والللدغ ساعة واحدة قال (١) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول انا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ـ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية ـ وقال الرسول ﷺ (٢) ان في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال (٣) ابو هريرة قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله ﷺ (٤) شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام (٥) ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى ـ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ـ قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول إلقائهم في النار قال رسول الله ﷺ (٦) يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال (٧) أنس قال رسول الله ﷺ يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضي الله عنه قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا ام صبرنا وقال ﷺ (٨) يؤتى بالموت يوم القيامة

ازداد استمداد من الحضرة الالهية وقرع باب الكرم والنبي عليه الصلاة والسلام مفتقر الى الزيادة من الله تعالى غير مستغن عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك ان رسول الله ﷺ برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق الى الحق ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا اليه ولا انتفعوا به

---

وقال غريب (١) حديث أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه (٢) حديث ان في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة الحديث أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٣) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٤) حديث شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٥) حديث ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي المخارق عن ابن عمر وقال غريب وأبو المخارق لا يعرف (٦) حديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود (٧) حديث أنس يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٨) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم

كانه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار و يقال ياأهل الجنة خلود بلاموت و ياأهل النار خلود بلاموت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام و ياليتنى كنت ذلك الرجل ورؤى الحسن رضى الله عنه جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم تبكى فقال أخشى أن يطرحنى فى النار ولا يبالى فهذه أصناف عذاب جهنم على الجلة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لانهاية له فاعظم الامور عليهم مع مايلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذلم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قدانقضت عنا أيامه و بقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فياحسرة هؤلاء وقدفاتهم مافاتهم و بلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لولم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقدقال رسول الله ﷺ (١) يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ماأعدالله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يار بنا لوأدخلتنا النار قبل أن ترينا ماأر يتنا من ثوابك وماأعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم اذاخلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ماتعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ماحرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد ابن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لايؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود إلهى لاصبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك ولاصبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يامسكين فى هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها أهلا لايزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قدقضى وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذقضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون ولعمرى الاشارة به الى يوم القيامة بل فى أزل الازل ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى ومالذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قديسر لك سبيل الخير فأبشر فانك مبعد عن النار وان كنت لاتقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولاتقصد شرا الا و يتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقدقال الله تعالى ـ ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ـ فاعرض نفسك على الآيتين وقدعرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

## ﴿ القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها ﴾

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من أحدهما استقر لامحالة فى الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق

---

من حديث أبى سعيد وقد تقدم (١) حديث يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا روائحها الحديث رويناه فى الأربعين لأبى هدبة عن أنس وأبو هدبة ابراهيم بن هدبة هالك

﴿ القول فى صفة الجنة ﴾

---

و بين نفسه الطاهرة ونفوس الاتباع رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ورابطة التأليف ان النفوس ألفت آنفا كما ان الارواح ألفت أولا ولكل روح مع نفسه تأليف خاص والسكون والتأليف والامتزاج واقع بين الارواح والنفوس وكان رسول الله ﷺ يديم العمل لتصفية

مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقرى الاخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين فى درجات الجنان اذا اختالت احداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ماتتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب وأباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا فى أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب وأى أكواب باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى اشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ماالتصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل مايشتهون وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون قال (١) أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناديا أهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ـ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ـ ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ قال (٢) جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ثم انظر الى (أبواب الجنة) فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى قال (٣) أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل

نفسه ونفوس الاتباع فما احتاج اليه نفسه من ذلك ناله ومافضل من ذلك وصل إلى نفوس الامة وهكذا المنتهى مع الاصحاب والاتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل فى الشهوات واللذات إلا بدلالة تخص النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة

(١) حديث أبى هريرة ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما الحديث متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث أبى هريرة من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة

الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وارجو أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرّم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال ـ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ـ حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال ـ لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ـ ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رايته فيقول أنا رأيته وهو بأثري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر واصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه ـ وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة ـ ثم اتكأ فقال ـ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ـ ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله ﷺ (١) آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ثم تأمل الآن في ﴿غرف الجنة﴾ واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى ـ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ـ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك او جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال (٢) أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر في الافق من المشرق الى المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا (٣) ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وقال (٤) جابر قال لنا رسول الله ﷺ ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وأمنا قال ان في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد أدام الصيام ومن صلى

وكل من يحتاج الى صحة الجلوة للغير لابد له من خلوة صحيحة بالحق حتى تكون جلوته في حماية خلوته ومن يتراءى له أن اوقاته كلها خلوة وأنه لا يحجبه شئ وأن أوقاته بالله ولله ولا يرى نقصانا لان الله ما فطنه لحقيقة المزيد فهو صحيح في حاله غير أنه تحت قصور لانه ما نبه لسياسة الجبلة وما عرف سر تمليك الاختيار وما وقف من البيان على

---

الحديث متفق عليه (١) حديث آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تراءون الكوكب الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر ألا أحدثكم بغرف الجنة قلت يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا ان في

العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس (١) وسئل رسول الله ﷺ عن قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة و يعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك أجمع

﴿ صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها ﴾

تأمل فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرمها القناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال (٢) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك (٣) وسئل ﷺ عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال (٤) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا (٥) أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك (٦) ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به فى الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها وقال (٧) ابو هريرة قال رسول الله ﷺ ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال (٨) أبو امامة كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم أقبل أعرابى فقال يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله ﷺ ماهى قال السدر فان لها شوكا فقال قد قال الله تعالى فى سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال ياجرير تواضع لله فان من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدرى قال ظلم الناس بعضهم بعضا ثم اخذ

البيضاء النقية وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه فقد يسمعها الانسان و يبنى عليها والاولى ان يفتقر إلى الله تعالى فى اى كلمة يسمعها حتى يسمعه الله من ذلك الصواب (نقل) عن بعضهم انه سئل عن كمال المعرفة فقال إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الاحوال والاماكن وسقطت

الجنة غرفا من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (١) حديث سئل عن قوله تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة والآجرى فى كتاب النصيحة من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين فى هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن ابى حاتم والحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة على قول الجمهور (٢) حديث أبى هريرة ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذى بلفظ و بلاطها المسك وقال ليس اسناده بذلك القوى وليس عندى بمتصل ورواه البزار من حديث أبى سعيد باسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه باسناد صحيح (٣) حديث سئل عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص مسلم من حديث أبى سعيد أن ابن صياد سأل النبى ﷺ عن ذلك فذكره (٤) حديث أبى هريرة من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه فى الدنيا الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن وللنسائى باسناد صحيح من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة (٥) حديث أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك العقيلى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة (٦) حديث لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة باسناد حسن (٧) حديث ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث أبى أمامة أقبل أعرابى فقال يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية قال ماهى قال السدر الحديث ابن المبارك فى الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلا من غير ذكر لأبى امامة

عو يدالا كادأراه من صغره فقال ياجرير لو طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده قلت ياأباعبدالله فاين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر

﴿ صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم ﴾

قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات فى ذلك كثيرة وانما تفصيله فى الاخبار فقد روى (١) أبو هريرة أن النبى ﷺ قال من يدخل الجنة ينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢) وقال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم فقال رسول الله ﷺ مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله ﷺ بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين وقال (٣) أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ان أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية وفى رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال ﷺ (٤) فى قوله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضىء ما بين المشرق والمغرب وقال ﷺ (٥) الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون رواه البخارى فى الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال (٦) أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض

﴿ صفة طعام أهل الجنة ﴾

بيان طعام أهل الجنة مذكور فى القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة فى مواضع كثيرة وقد قال (٧) ثوبان مولى رسول الله ﷺ كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول إجازة يعنى على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غداؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا

رؤية التمييز ومثل هذا القول يوهم أن لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الاعمال وبين تركها ولم يفهم منه ان القائل أراد بذلك معنى خاصا يعنى ان حظ المعرفة لا يتغير بحال من الاحوال وهذا صحيح لان حظ المعرفة لا يتغير ولا يفتقر الى التمييز وتستوى الاحوال فيه ولكن حظ

(١) حديث أبى هريرة من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس لا تبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله فى الجنة مالا عين رأت الخ فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبى هريرة قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت الحديث (٢) حديث قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا الحديث النسائى من حديث عبدالله بن عمرو (٣) حديث أبى هريرة أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث فى قوله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب قال ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها تضىء ما بين المشرق والمغرب الترمذى من حديث أبى سعيد دون ذكر الآية وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين سعد (٥) حديث الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا الحديث عزاه المصنف للبخارى وهو متفق عليه من حديث أبى موسى الاشعرى (٦) حديث أبى سعيد فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض الترمذى بلفظ ارتفاعها لكما بين السماء والارض خمسمائة سنة وقال غريب لا نعرفه الا من حديث رشد ابن سعد (٧) حديث ثوبان جاء حبر من أحبار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعنى على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون الحديث رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره

فقال صدقت وقال (١) زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله ﷺ وقال يا أبا القاسم ألست تزعم ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان أقرلى بها خصمته فقال رسول الله ﷺ بلى والذى نفسى بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودى فان الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله ﷺ حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قدضمر وقال (٢) ابن مسعود قال رسول الله ﷺ انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال (٣) حذيفة قال رسول الله ﷺ ان فى الجنة طيرا أمثال البخاتى قال أبو بكر رضى الله عنه انها لناعمة يارسول الله قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر وقال عبد الله ابن عمرو فى قوله تعالى يطاف بصحاف قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الاخرى مثله وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفا وقال أبو الدرداء رضى الله عنه فى قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لوأن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذوروح الاوجد ريح طيبها

﴿ صفة الحور العين والولدان ﴾

قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (٤) غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم أوموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا ومافيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها يعنى الخمار وقال (٥) أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال (٦) أنس قال رسول الله ﷺ لما أسرى بى دخلت الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت

المريد يتغير ويحتاج إلى التمييز وليس فى هذا الكلام وامثاله ماينافى ماذكرناه (قيل) لمحمد ابن الفضل حاجة العارفين الى ماذا قال حاجتهم الى الخصلة التى كملت بها المحاسن كلها ألا وهى الاستقامة وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على التمام والعبد فى الابتداء مأخوذ فى الاعمال محجوب

---

(١) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك النسائى فى الكبرى باسناد صحيح (٢) حديث ابن مسعود انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا البزار باسناد فيه ضعيف (٣) حديث حذيفة ان فى الجنة طيرا أمثال البخاتى الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس باسناد صحيح ان طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله ان هذه الطير ناعمة قال أكلتها أنعم منها قالها ثلاثا وانى أرجو أن تكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة الحديث وليس فيه ذكر لأبى بكر وقال حسن (٤) حديث غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا ومافيها الحديث البخارى من حديث أنس (٥) حديث أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال تنظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة الحديث أبو يعلى من رواية أبى الهيثم عن أبى سعيد باسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية أبى الهيثم عن النبى ﷺ مرسلا دون ذكر أبى سعيد وللترمذى من حديث ابن مسعود ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم (٦) حديث أنس لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه ان جبريل قال هؤلاء المقصورات فى الخيام وفيه فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط لم أجده هكذا بتمامه وللترمذى من حديث على ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات

الاحمر

الاحر فقلن السلام عليك يارسول الله فقلت ياجبريل ماهذا النداء قال هؤلاء المقصورات فى الخيام استأذن ربهن فى السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ـ حور مقصورات فى الخيام ـ وقال مجاهد فى قوله تعالى ـ وأزواج مطهرة ـ قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد وقال الاوزاعى فى شغل فا كهون قال شغلهم افتضاض الابكار (١) وقال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم وقال عبدالله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله ﷺ (٢) ان الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا وقال النبى ﷺ (٣) ان فى الجنة سوقا مافيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال (٤) أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ ان الحور فى الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال يحيى بن كثير فى قوله تعالى ـ فى روضة يحبرون قال السماع فى الجنة وقال (٥) أبو أمامة الباهلى قال رسول الله ﷺ مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه

﴿ بيان جمل مفرقة من اوصاف أهل الجنة وردت بها الاخبار ﴾

روى (٦) أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال لاصحابه ألا هل مشمر للجنة ان الجنة لاخطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة فى حبرة ونعمة فى مقام أبدا ونضرة فى دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يارسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه (٧) وجاء رجل الى رسول الله ﷺ وقال هل فى الجنة خيل فانها تعجبنى قال ان

بها عن الاحوال وفى التوسط محفوظ بالاحوال فقد يحجب عن الاعمال وفى الانتهاء لاتحجبه الاعمال عن الاحوال ولا الاحوال عن الاعمال وذلك هو الفضل العظيم (سئل الجنيد) عن النهاية فقال هى الرجوع الى البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال معناه انه كان فى ابتداء أمره فى جهل ثم وصل الى المعرفة

فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكناله وقال غريب ولأبى الشيخ فى كتاب العظمة حديث ابن أبى أوفى بسند ضعيف فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن باصوات الحديث (١) حديث قال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع فقيل أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة (٢) حديث ان الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا أبو الشيخ فى طبقات المحدثين وفى كتاب العظمة من حديث ابن أبى أوفى الا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناقه لهن واسناده ضعيف وتقدم قبله بحديث (٣) حديث ان فى الجنة سوقا مافيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه فى موضعين من حديث على وقد تقدم بعضه قبل هذا بحديثين (٤) حديث أنس ان الحور فى الجنة يتغنين فيقلن نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام الطبرانى فى الأوسط وفيه الحسن بن داود المنكدرى قال البخارى يتكلمون فيه وقال ابن عدى أرجو انه لا بأس به (٥) حديث أبى أمامة مامن عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه الطبرانى باسناد حسن (٦) حديث أسامة بن زيد ألا هل من مشمر للجنة ان الجنة لاخطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٧) حديث جاء رجل الى النبى ﷺ فقال له هل فى الجنة خيل فانها تعجبنى الحديث الترمذى من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه المسعودى مختلف فيه ورواه ابن المبارك فى الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط

أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن (١) أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ان الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله ﷺ (٢) إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان و يتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وقال رسول الله ﷺ (٣) ان أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع وقال رسول الله ﷺ (٤) أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة و ينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وان عليهم التيجان وان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال ﷺ (٥) نظرت إلى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كخلف البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت فقالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا تصدع منها الرؤس وان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وان أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء

ثم رد الى التحير والجهل وهو كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيأ (وقال بعضهم) أعرف الخلق بالله أشدهم تحيرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه انه يبادئ الاعمال ثم يرقى الى الاحوال ثم يجمع له بين الاعمال والاحوال وهذا يكون للمنتهى للمراد المأخوذ

---

مرسلا قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له صحبة (١) حديث أبي سعيد ان الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي و يكون حمله وفصاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى ولاحمد من حديث لأبي رزين يلذون مثل لذاتكم في الدنيا و يلتذذن بكم غير أن لا توالد (٢) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ الا بهذا الاسناد تفرد به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسلا دون ذكر أنس (٣) حديث أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله بيض جعاد ودون قوله على خلق آدم الى آخره ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كحل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا (٤) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعا من اوله الى قوله وان عليهم التيجان ومن هنا باسناده أيضا وقال لا نعرفه الا من حديث رشد بن سعد (٥) حديث نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت الحديث رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هرون العبدي عن أبي سعيد وأبو هرون اسمه عمارة بن جوين ضعيف جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول

ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أما انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمد له فى بصره وملكه مسيرة مائة عام فى قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له فى بصره حتى ينظر الى أقصاه كما ينظر الى أدناه يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها فى كل صحفة لون ليس فى الاخرى مثله ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوّله وان فى الجنة ياقوتة فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير فى ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم الذى ينظر إلى ربه بالغداة والعشى وقال سعيد بن المسيب ليس أحد من أهل الجنة الا وفى يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء إذ مشت مشى عن يمينها وعن يسارها سبعون ألف وصيفة وهى تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال أيضا فى طلب الدنيا ذل النفوس وفى طلب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى ويترك العز فى طلب ما يبقى

في طريق المحبوبين تنجذب روحه الى الحضرة الالهية وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع القالب فيكون بكليته قائما بالله ساجدا بين يدى الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ سجد لك سوادى وخيالى وقال الله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض

﴿ صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى ﴾

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى وهى اللذة الكبرى التى ينسى فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها فى كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة قال (١) جرير بن عبد الله البجلى كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج فى الصحيحين وروى مسلم فى الصحيح عن (٢) صهيب قال قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيأ أحب إليهم من النظر إليه وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هى غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشئ من لذات الجنة إلى لذة اللقاء وقد أوجزنا فى الكلام هنا لما فصلناه فى كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغى أن تكون همة العبد من الجنة بشئ سوى لقاء المولى وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة المسرحة فى المرعى

﴿ نختم الكتاب بباب فى سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك ﴾

فقد (٣) كان رسول الله ﷺ يحب الفأل وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله ﷺ فى التفاؤل ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا

---

الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (١) حديث جرير كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم الحديث هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف (٢) حديث صهيب فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة رواه مسلم كما ذكره المصنف

﴿ باب فى سعة الرحمة ﴾

(٣) حديث كان رسول الله ﷺ يحب التفاؤل متفق عليه من حديث أنس فى اثناء حديث ويعجبنى الفأل الصالح الكلمة الحسنة ولهما من حديث أبى هريرة وخيرها الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها

على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى - ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيآت ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ (١) ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه (٢) اذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة وقال رسول الله ﷺ (٣) يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا وقال النبي ﷺ (٤) يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف وقال ﷺ (٥) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله ﷺ (٦) يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام وقال رسول الله ﷺ (٧) اذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم اسلامكم اذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت

طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال والظلال القوالب تسجد بسجود الارواح وعند ذلك تسرى روح المحبة في جميع اجزائهم وابعاضهم فيتلذذون ويتنعمون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة وودا فيحبهم الله تعالى ويحببهم الى خلقه نعمة منه

أحدكم (١) حديث ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان (٢) حديث اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي لفظ البخاري وقال مسلم كتب في كتابه على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا مسلم من حديث أبي موسى اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ولأبي داود أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضا يتجلى الله ربنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه علي بن زيد بن جدعان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبراني من أنس باسناد ضعيف (٥) حديث ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث اذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم اسلامكم اذ أنتم معنا في النار الحديث في اخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين النسائي في الكبرى من حديث جابر بنحوه باسناد صحيح

لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عزوجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان فى النار من أهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله ﷺ (١) لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر ابن عبد الله من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره و يروى أن الله عزوجل قال لموسى عليه السلام ياموسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث بى لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد و يأمر بردهما الى النار فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحمها و يتلكأ الآخر فيؤمر بردهما و يسألهما عن فعلهما فيقول الذى عدا الى النار قد حذرت من و بال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية و يقول الذى تلكأ حسن ظنى بك كان يشعرنى أن لا تردنى اليها بعد ما أخرجتنى منها فيأمر بهما الى الجنة وقال رسول الله ﷺ (٢) ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم و بقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى و يروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها فقال الاعرابى والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال (٣) الصنابحى دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله ﷺ يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال (٤) عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمتك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ وقال رسول الله ﷺ فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط (٥) ان الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه

عليهم وفضلا على ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبو الهيثم الكشميهنى قال أنا أبو عبد الله الفربرى قال أنا أبو عبد الله البخارى قال حدثنى اسحق قال حدثنا عبد

(١) حديث لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفى أوله قصة المرأة من السبى اذ وجدت صبيا فى السبى فأخذته فالصقته ببطنها فارضعته (٢) حديث ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد غفرته لكم و بقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمتى رويناه فى سباعيات أبى الاسعد القشيرى من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخى قال الخطيب ليس بثقة (٣) حديث الصنابحى عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحى بلفظ آخر (٤) حديث عبد الله بن عمرو ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب (٥) حديث ان الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث فى اخراج الموحدين وقوله تعالى لاهل الجنة فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجاه

فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون الى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها الى الظل أبيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول الله تعالى ان لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري أيضا عن (١) ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال عرضت على الامم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي ﷺ سبقك بها عكاشة وعن (٢) عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الاخير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قال قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا قال أكمل لك العدد من الاعراب وقال (٣) أبو ذر قال رسول الله ﷺ عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال (٤) أبو الدرداء قرأ رسول الله ﷺ ولمن خاف

الصمد قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى اذا أحب عبدا نادى جبريل ان الله تعالى قد أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء ان الله

في الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبي سعيد (١) حديث ابن عباس عرضت على الامم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد الحديث الى قوله سبقك بها عكاشة رواه البخاري (٢) حديث عمرو بن حزم الانصاري تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه ان ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا البيهقي في البعث والنشور ولاحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولأحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر فهلا استزدته فقال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحثى عليه وفيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف (٣) حديث أبي ذر عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك بانه من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة الحديث متفق عليه بلفظ أتاني جبريل فبشرني وفي رواية لهما أتاني آت من ربي (٤) حديث أبي الدرداء قرأ رسول الله ﷺ ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت

مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى يارسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى يارسول الله قال وان رغم أنف أبي الدرداء وقال رسول الله ﷺ (١) اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم فى الصحيح عن (٢) أبي بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى عن النبي ﷺ قال لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا إله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله ﷺ فحلف له وروى أنه (٣) وقف صبي فى بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد فى يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة فى خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي وألصقته الى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ماهم فيه فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال أعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال ﷺ فان الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة فهذه الاحاديث وما أوردناه فى كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه و يتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته

قد احب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء و يوضع له القبول فى الارض و بالله العون والعصمة والتوفيق * تم بحمد الله المعيد المبدى كتاب عوارف المعارف للامام السهروردى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

وان زنى وان سرق الحديث رواه أحمد باسناد صحيح (١) حديث اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار رواه مسلم من حديث أبي موسى نحوه وقد تقدم (٢) حديث أبي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه أبي موسى عن النبي ﷺ قال لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا عزاه المصنف لرواية مسلم وهو كذلك (٣) حديث وقف صبي فى بعض المغازى ينادى عليه فيمن يزيد فى يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة الحديث وفيه الله أرحم بكم جميعا من هذه بابنها متفق عليه مختصرا مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال قدم على رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا فى السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال رسول الله ﷺ الله أرحم بعباده من هذه بولدها لفظ مسلم وقال البخارى فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا الحديث * والحمد لله تعالى عودا على بدء والصلاة والتسليم على سيدنا محمد فى كل حركة وهدء * يقول مؤلفه عبد الرحيم ابن الحسين العراقى انى أكملت مسودة هذا التأليف فى سنة ٧٥١ وأكملت تبييض هذا المختصر منها فى يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الاول سنة ٧٩٠ انتهى

﴿يقول الفقير اليه تعالى (ابراهيم بن حسن الانبابى) خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح بمطبعة الشيخ (مصطفى البابى الحلبى وأولاده) بمصر﴾

حمدا لمن أحيا قلوب العارفين بوابل غيث رحمته * وشرح صدورا ملئت بأنوار لدنيات حكمته * وفقه من وفق باملاء حقيقته * وظاهر أحكام شريعته * وأناب عن رسوله ومصطفاه ألباء حججا اصطفاهم لارشاد أمته * وأشهدهم مكنون أسراره * وأذاقهم لذة مطالعة جمال أنواره * وصلاة كاملة وسلاما تاما على من علمه حبيبه مالم يكن يعلم * وأفرغ عليه صلى الله عليه وسلم جميع الكمالات وأنزل عليه ـ اقرأ وربك الاكرم ـ * وآله الهادين * وأصحابه البررة المتقين * ﴿وبعد﴾ فان أولى مايهتم الانسان بتحصيله * وصرف العناية الى قراءته وترتيله * ماتستطب به النفوس من أمراضها * وتستعز به فى تقويم أغراضها * ولاشئ أوفى بذلك مع مزيد حسن مبين * من كتاب احياء علوم الدين * لامام الائمة * ومحجة الامة * الشيخ محمد بن محمد الغزالى طيب الله ثراه ولقاه بما يتمناه وهو كتاب لايستطيع البيان وصف محاسنه ولايستجرئ البنان حصر درر معادنه خصوصا وقد قرن بتخريج العراقى لاحاديثه فى كتابه المسمى بالمغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار فضاءت به شموس الاحياء وارتفع عن وجوه دلائلها الغبار وعنى فى التصحيح بمراجعة الشرح وصحيح النسخ فجاء كتابا لم يسبق لرونقه مثيل ولم يكن له فى المحاسن عديل لاسيما وقد حسن الطبع شكل وضعه وزين مبانى صنعه محلى الهوامش والطرر ومزين الحواشى والغرر بالكتب الجليلة * الاول كتاب تعريف الاحيا بفضائل الاحياء للعلامة الشيخ محيى الدين قدوة المسلمين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى * والثانى كتاب الاملاء عن اشكالات الاحياء للامام الغزالى * والثالث عوارف المعارف للامام السهروردى رحمهم الله وذلك بالمطبعة المذكورة أعلاه الثابت مركزها بسراى رقم ١٣ بشارع التبليطه بجوار الرياض الأزهريه بمصر المحميه فى أواخر شهر رمضان الذى هو من شهور سنة ١٣٤٧ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

آمين

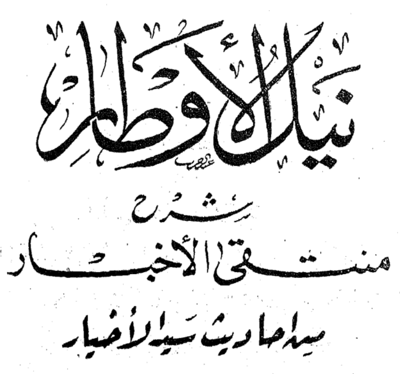
# صحيح البخاري

قد اتفق علماء أهل السنة فى مشارق الارض ومغاربها على أن كتاب صحيح الامام البخارى أصح كتب الحديث الشريف

ولما كانت نسخه المتعددة الطبعات نفدت وأصبحت نادرة الوجود قد استخرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جلىّ واضح مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه

وقد صحح بغاية الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين على النسخة «اليونينية» التى انتقاها المغفور له «السلطان عبد الحميد خان» وأجمع على صحتها أكابر علماء الأزهر الشريف. وقسمناها الى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه فجدير بكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوى الشريف.

---




لما كان « متن منتقى الاخبار » مشتملاً على الاحاديث النبوية التى ترجع أصول الأحكام اليها و يعتمد علماء الاسلام عليها لما اشتهر به مؤلفه الحجة الفقيه المحدث شيخ الاسلام مجدالدين عبد السلام الحرانى المعروف بابن تيميه من أمانة النقل وحسن الاختيار من الكتب الستة الصحاح وغيرها وصار مرجعا يعول عليه وملجأ يركن اليه

لذلك قام بشرحه شرحا وافيامستوفيا الاعراب والاسانيد و بين ماأشكل فيه من الالغاز والتعاقيدمن هو أقدرأهل زمانه الذى كان يرحل اليه فى معضلات الامور شيخ مشايخ القطر اليمانى الامام محمد بن على بن محمد الشوكانى صاحب التصانيف العديدة فزاده نورا على نور بما تنشرح لمرآه الصدور

ولما كانت رغبة ذوى العرفان فى اقتناء نسخ منه صحيحة من الاسقام استخرنا الله العظيم خدمة لسنة نبيه الكريم وشرعنا فى طبعه على ورق جيدوحرف جيل ✽ وقدامتازت هذه الطبعة عن غيرها بضبط الاحاديث بالشكل الكامل ليعم نفعها الخاص والعام . وقدبذلنا الجهدفى مراجعتها وتصحيحها بمعرفة لجنة من العلماء الاعلام وقسمناها الى ثمانية أجزاء متساوية الحجم مرتبة ومبوّبة ومستوفية التراجم والفهارس

---

يطلب من مكتبتنا ومن المكتبات الشهيرة

# فهرست

# الجزء الرابع

وهو الربع الرابع من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى

صحيفة



صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

